الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم العلوم الإسلامية

الدور العلمي للمغاربة في بلد الحجاز من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجري/القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر الميلادي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الحضارة الإسلامية

إعداد الطالب: عامر مريقي

تحت إشراف: أد. إبراهيم بحاز

الرقم	الأساتذة	الرّتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصّفة
01	أد/ محمد حدبون	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيساً
02	أد/ إبراهيم بحاز	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	مشرفاً ومقرراً
03	أد/ طاهر بن علي	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	عضواً
04	أد/ إبراهيم بن مهية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة	عضواً
05	د/ حمزة عبد الصمد	محاضر – أ –	جامعة يحي فارس–المدية	عضواً
06	د/ فوزي رمضاني	محاضر – أ –	جامعة عمار ثليجي–الأغواط	عضواً

السنة الجامعية: 1441–1442هـ/ 2020 –2021م.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية قسم العلوم الإسلامية

الدور العلمي للمغاربة في بلد الحجاز من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجري/القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر الميلادي

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الحضارة الإسلامية

إعداد الطالب: تحت إشراف:

عامر مريقي أد. إبراهيم بحاز

الرقم	الأساتذة	الرّتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصّفة
01	أد/ محمد حدبون	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	رئيساً
02	أد/ إبراهيم بحاز	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	مشرفاً ومقرراً
03	أد/ طاهر بن علي	أستاذ التعليم العالي	جامعة غرداية	عضواً
04	أد/ إبراهيم بن مهية	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة	عضواً
05	د/ حمزة عبد الصمد	محاضر – أ –	جامعة يحي فارس–المدية	عضواً
06	د/ فوزي رمضاني	محاضر – أ –	جامعة عمار ثليجي–الأغواط	عضواً

السنة الجامعية: 1441–1442هـ/ 2020 –2021م.

إهـــــداء

إلى الوالدين الكريمين "أحمد ومبخوتة" بارك الله في عمرهما، وألبسهما ثوب الصّحة والعافية.

إلى زوجتي الحبيبة، وأولادي الأعزاء:

(أحمد ضياء الدين، تسنيم، سلسبيل البرعمة).

إلى إخوتي وأخواتي وأحبابي وأهلي، كلّ واحد باسمه.

إلى هؤلاء أهدي في تواضع ثمرة هذا الجهد والعمل. سائلا العلي القدير أن يجعله خالصا له، ونافعا به عباده، وأن يكتب لنا به مقاما محمودا عنده إنّه خير مسؤول، وخير مجيب.

شـكر وعرفان

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنَ اَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنَ اَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ النمل19.

وقال نبيّنا ﷺ : " **مَنْ لَمْ يشْكُر النَّاسَ لَمْ يشْكُر الله**"-حديث حسن صحيح رواه الترمذي-

أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي الفاضل أد: إبراهيم بحاز على صبره وحلمه، وعلى توجيهاته القيّمة طوال مدة إنجاز هذا البحث.

كما أشكر أسرتي الكريمة كلّها على صبرها وتحمّلها خلال فترة الإنجاز والبحث.

كما أقدّم شكري أيضا إلى جميع إطارات جامعة غرداية وموظفيها، ومركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط.

كما لا يفوتني أن أتقدّم بشكري الجزيل إلى كلّ من ساهم في إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد، فبارك الله في الجميع، وشكر الله صنيعكم.

عامر مريقي

الرموز والاختصارات

- **أ.د**: الأستاذ الدكتور.
- **أ**: أستاذ.
- **ت**: توفي.
- **تح**: تحقيق.
- **تر**: ترجمة.
- **تع**: تعليق.
- **ج**: جزء.
- **د.ت.ط**: دون تاريخ طبع.
- **د.ت**: دون تاريخ.
- **د.د.ن**: دون دار نشر.
- **د**: دكتور.
- **ص**: صفحة.
- **ط**: طبعة.
- **ع**: عدد.
- **ق**: قسم.
- **م**: التاريخ الميلادي.
- **مج**: مجلد.
- **هـ**: التاريخ الهجري.

مقدّمة

مقدّمة:

الحمد لله الذي هدانا لهذا العمل، وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فله الحمد على التيسير، وله الشكر على التوفيق.

إنّ العلاقة العلمية التي تربط المغاربة ببلاد الحجاز، علاقة تمتدّ أواصرها منذ القرون الأولى للهجرة النبوية؛ يوم فتح الصحابة الكرام رضي الله عنهم بلاد المغرب، واستمرّت الأواصر تتمتّنُ جيلا بعد جيل عبر العصور، فانتقل المغاربة إلى المشرق شوقا إلى بقاعه وأنواره، فبذور هذا الوجود المغربي في بلاد الحجاز صِلاته هي أيضا متجذّرة ومتأصلة، وليست حديثة الولادة، والفضل في ذلك يعود إلى المعاملة الحسنة فيما كان يلقاه من ترحيب في بلاد المشرق عموما وبلاد الحجاز خصوصا.

وما شجّع هذا المغربي على المضي قدما نحو تلك البلاد الحجازية، هو ذلك الفضاء العلمي والمعرفي، وتلك النهضة العلمية المتجدّدة التي عاشتها كلّ من مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة، وما كانتا تحويهما من العلماء المجاورين على مرّ العصور، يرتشفون من المنابع الصافية علوما وصنوفا شتى.

فهذه الصورة وغيرها ولّدت لدَى هذا المغربي الرغبة في الانتماء كغيره من العلماء الذين آثروا الجوار، بدل البقاء حبيس الديار، فكان لهذا المغربي الإسهام الكبير في مختلف مناحي الحياة العلمية في المجتمع الحجازي، خلال الفترة الزمنية الممتدّة من القرن السادس الهجري إلى القرن التاسع الهجري-القرن الثاني عشر الميلادي إلى القرن الخامس عشر الميلادي، لكون هذه الفترة من أكثر فترات العطاء العلمي للعلماء المجاورين خاصة المغاربة منهم بعد فترة الجمود العلمي الذي أصاب الحجاز بسبب هجرة العلماء عنها، وتأتي هذه الأطروحة لإبراز ذلك الإسهام وتجليته للقارئين والمهتميّن عموما.

من هذا المنطلق أقدمت على اختيار هذا الموضوع، لأتقدّم به لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة الإسلامية، واخترت له عنوانا وسمته به وهو:

الدور العلمي للمغاربة في بلاد الحجاز من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجري /القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر الميلادي

وقد أردت من خلال هذا العنوان تتبّع النشاط العلمي لعلمائنا المغاربة، من حيث الحضور والفاعلية في المجتمع الحجازي، ومن ثمّ الاطّلاع على نسبة ذلك التأثير والتأثر داخل مجتمعهم الجديد، وكذلك بيان أثرهم العلمي خلال الفترة المحدّدة (ق 06-09هـ/12-15م).

ومن هنا وضعت الإشكالية الجوهرية الآتية: **ما مدى فاعلية المغاربة على الصعيد العلمي في بلاد الحجـاز؟**

ويتفرّع تحت هذه الإشكالية تساؤلات فرعية أهمّها:

- ما هي الأوضاع العلمية للمغرب الإسلامي والحجاز قبل القرن 06هـ/12م؟
- ما هي صور التواصل العلمي بين المغرب الإسلامي والحجاز؟
- ما هي جهود المغاربة في العلوم النقلية، والعلوم الأخرى في بلاد الحجاز؟
- هل أثّر العلماء المغاربة على الجانب العلمي فقط، أم أنّهم أسهموا في جوانب أخرى في بلاد الحجاز؟

وبالنسبة للإجابة على هذه الأسئلة، فهي كلّها تسهم في حلّ السؤال الجوهري، وتحقّق لنا أهدافا نتوخّاها من بحثنا هذا من بينها:

- التعرّف على أهمّ العلماء المغاربة الذين نُسِّيوا، أو لم تطلهم عملية البحث عبر السنين.
- كشف حجم النشاط العلمي للمغاربة في بلاد الحجاز بين ق 06-09هـ/ 12-15م.

- التعرّف على تراثهم، ومصنّفاتهم العلمية ببلاد الحجاز.

- الكشف عن المذاهب التي تمذهبوا بها، واستطاعوا أن يبرعوا فيها فرادى كانوا أو جماعات.

- بيان مدى تأثيرهم وتأثّرهم بعلماء المشرق الإسلامي، خاصّة طبقة العلماء منهم.

وتكمن أهميّة هذا الموضوع في أنّه يعالج لنا الحياة العلمية التي كان يعيشها علماء المغرب الإسلامي في بلاد الحجاز، خلال فترة امتدّت من الحكم الأيوبي بالحجاز، وصولا إلى فترة حكم المماليك –حيث عرفت الحجاز انتعاشا فكريا وعلميا من خلال تشجيعهم للعلم والعلماء–، وبيان أثرهم وتأثيرهم في تلك الفترة، والتّعرّف على علمائنا المشهورين منهم والمغمورين حسب ما توصّلنا إليه، ودرّت به مصادر تلك الحقبة الزمنية وما بعدها.

ولاختياري هذا البحث موضوعا لأطروحة الدكتوراه أسباب ثلاثة:

- أوّلها رغبتي في الوقوف على جهود أبناء بلدي "المغرب الإسلامي"، وهم موجودون في ربوع الإسلام الأولى "الحرمين الشريفين".
- ثاني الأسباب أنّ بعض هؤلاء العلماء كان لهم فضل إحياء مذهب المغاربة، وهو "المذهب المالكي" بجزء من أجزاء الحجاز، وإسهامهم في كسر شوكة الشيعة بتلك البقاع الطاهرة.
- وثالث هاته الأسباب أنّ الحجاز عاش قبل القرن السادس ركودا علميا بسبب هجرة الكفاءات عنه، فأعاد إسهام بعض المغاربة للحركة العلمية والفكرية انتعاشَها بعد جمودها النسبي، فهذا الشعور بعث في نفسي رغبة جامحة في كشف أمجاد أولئك الأسلاف المغاربة.

وفيما يتعلّق بالدراسات السابقة المتخصّصة في إسهامات المغاربة في بلاد الحجاز خلال فترة الأيوبيين والمماليك، فلم أتوصّل لدراسة مباشرة أو مستقلة عن هذا الموضوع، سوى بعض المقالات، وبعض الفصول في بعض الدراسات المتناثرة في بعض الرسائل الجامعية أو بعض المجلات العلمية، هذا ما حفّزني أكثر، وولّد بداخلي رغبة الحصول على مفاتيحه والولوج إلى أعماقه،

لاستخراج كنوزه المدفونة في بطون تلك المصادر لتلك الفترة أو بعدها، ومن تلك الفصول ما تطرّق إليه صالح معتوق في رسالة الدكتوراه "علم الحديث في مكة خلال العصر المملوكي (648هـ/923هـ)" بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى بمكة حينما ذكر علماء المغرب في علم الحديث، ومن تلك المقالات مثلا: "علماء المغرب الأوسط المجاورين لمكّة والمدينة، وإسهاماتهم في علوم القرآن وعلم الحديث"، لمكاتي توهامي المنشور بمجلة متون بجامعة سعيدة عدد 2018/251، ومقال "الجوار في الحرم المكي وأثره في نشر العلم والمعرفة (مجاورو المغرب الأقصى نموذجا)" ألحيان مولاي الحسين، ، مجلة الواضحة المغربية عدد 2006/04.

منهج البحث المعتمد في الرسالة:

وعن المنهج المتّبع، فقد اعتمدت على عدّة مناهج بحث استعنت بها للوصول إلى المبتغى، وأوّلها **المنهج الوصفي** الذي تعتمده أغلب الدراسات التاريخية، ثمّ **المنهج الإحصائي** حيث اعتمدته في إحصاء عدد المغاربة الموجودين في بلاد الحجاز، وذكر أهم أعمالهم وتراثهم العلمي، وقد وظّفت في بعض الأحيان جداول إحصائية أثناء دراسة بعض الجوانب العلمية، ونسبة الحضور لبعضهم في زاوية من زوايا العلوم النقلية والعقلية التي كانوا ينشّطونها فيها، أيضا **المنهج التحليلي** الذي اعتمدته من أجل أن أفسّر الأحداث وأناقشها وفق رؤية علمية، إضافة إلى ما سبق، اعتمدت في دراستي هذه على **المنهج المقارن** الذي استعنت به في مقاربة المادة العلمية بعضها ببعض قصد التثبت والتدقيق، والتصويب إن اقتضت الضرورة لذلك.

وللإجابة عمّا سبق من التساؤلات، وضعت خطّة عمل مكوّنة من فصل تمهيدي، إلى جانبه فصول أربعة رئيسة وفق الآتي:

- جاء الفصل التمهيدي المعنون بـ: "**الأوضاع العلمية للمغرب الإسلامي والحجاز قبل القرن 06هـ/12م**" تطرّقت فيه بإيجاز إلى تحديد مفهوم المغرب الإسلامي وحدوده، فقد وجدته يحوي بلاد المغرب المعروفة اليوم بالإضافة إلى بلاد الأندلس، ثمّ ذكرتُ أوضاع العلم والعلماء

بالنسبة إلى دول المغرب الإسلامي والحواضر التي كانت به قبل فترة الدراسة، ثمّ عرّجت في مبحث ثانٍ على ذكر الحجاز وقصدت به مكّة والمدينة المنورة، تناولت ما كانت تعيشانه من حياة علمية بالحرمين الشريفين قبل القرن 06هـ/12م.

- أمّا الفصل الأول فقد جاء بعنوان: **"التواصل العلمي بين المغرب الإسلامي والحجاز"** حيث جزّأته إلى مباحث أربعة؛ تطرّقت في الأول منه إلى الرّحلة وما يحيط بها من مفاهيم، كونها وسيلة تنقّل المغاربة إلى أرض الحجاز، ثمّ الثاني أشرنا فيه إلى البذور الأولى لهذا التواصل العلمي والثقافي بين البلدين "المشرقي والمغربي"، والمبحث الثالث منه، أحصينا فيه نسب الوجود المغربي والأندلسي في بلاد الحجاز ثمّ زوّدته بحصيلة اِسميّة لنماذج المجاورين بالحرمين خلال فترة الدراسة، وختمته بالمبحث الرابع الذي أتحفته بنماذج رحالة مغاربة رحلوا وجاوروا بالحرمين فكانوا هم السبب في إيقاد شعلة التنقّل والترحال إلى بلاد الحجاز بما كانوا يروونه من أخبار ومعارف عن البلد الحرام ومدينة المصطفىﷺ.

- وجاء الفصل الثاني الذي عنونته بـ: **"الأسر العلمية المغربية في بلاد الحجاز"** أفردته للحديث عن الأسر المغربية التي تنقّلت إلى بلاد الحجاز ومكثت إمّا بمكة أو المدينة، وقد جزّأته إلى مباحث ثلاثة، جعلت من الأول فضاء بثثت فيه معلومات عن أسرة واحدة استوطنت المدينة المنورة، ثم الثاني بثثت فيه معلومات أسرتين مكثتا بمكة المكرّمة، والمبحث الثالث خصّصته لبيان تأثير الأسر في الحياة العلمية بالمدينتين "مكة والمدينة".

- وتطرّقت في الفصل الثالث من الأطروحة إلى: **"جهود المغاربة في العلوم النقلية والعلوم الأخرى في بلاد الحجاز"** حيث خصّصت المبحث الأول منه للحديث عن إسهاماتهم في مجال العلوم النقلية بمكة المكرمة، والمبحث الثاني للحديث عن إسهاماتهم في العلوم النقلية بالمدينة المنورة، وأمّا المبحث الثالث منه فجعلته للحديث عن إسهاماتهم في العلوم الأخرى[1] بمكة، والمبحث الرابع كذلك عن الإسهامات في العلوم الأخرى بالمدينة المنورة.

[1]- **أقصد بالعلوم الأخرى**: علم التصوّف والزهد، علوم اللغة، علم التاريخ والسير، العلوم العقلية.

- وختام هذه الأطروحة هو الفصل الرابع والأخير حيث عنونته بـ **"أثر العلماء المغاربة في المجتمع الحجازي"** وضمّنته مباحث أربعة يكمّل بعضها بعضا، فالمبحث الأوّل بسطت فيه الأثر العلمي للمغاربة في بلاد الحجاز وأقصد بالأثر هاهنا مصنّفاتهم ومؤلّفاتهم في مختلف العلوم، وذكرت في المبحث الثاني الأثر الديني في بلاد الحجاز وأقصد بذلك المناصب السلطانية المتمثلة في الإمامة والقضاء وما يلحق به، إضافة إلى منصب الأذان بالحرمين، ثمّ المبحث الثالث ذكرتُ فيه الأثر التربوي الاجتماعي المتمثّل في الوظائف والمهن التي شغلوها في المجتمع الحجازي الذي عاشوا فيه، وآخر المباحث هو الثالث الذي خصّصته لذِكْرِ الأثر الاقتصادي مع ما فيه من شح علمي في هذا الجانب.

وفي نهاية البحث وضعت خاتمة، تضمّنت خلاصة عامّة لما توصّلت إليه من نتائج وتوصيات، ويتبعها قائمة للملاحق والفهارس العامّة وقائمة للمصادر والمراجع، هذا وبالله التوفيق.

دراسة نقدية للمصادر والمراجع المعتمدة:

للوصول إلى هذا العمل، اعتمدت على مادّة علمية استللها من منابعها، خصوصا وأنّها كانت مشتّتة في بطون المصادر التاريخية لتلك الفترة وما بعدها، حيث بذلت كلّ ما في وسعي لجمعها وتصفيفها، ثمّ وضعها في أطرها التي تخدم المجال الذي أبحث فيه، واستعنت في جمع مادّتي على مجموعة من كتب المصادر تمثّلت في كتب التراجم والطبقات وكتب التاريخ العام، وكتب الرحلات والجغرافيا، إضافة إلى كتب الفهارس والمشيخات والأثبات والموسوعات وغيرها، بمقابل ذلك استعنت أيضا بجملة من المراجع والرسائل الجامعية والدوريات التي لها ارتباط بموضوع بحثي.

وهاهنا عرض لأهمّ المصادر والمراجع أبرز فيه ما استفدته منها، وهي مختارة من القائمة لمحوريّتها في التوثيق وللاستدلال والاستشهاد، صنّفتها وفق الآتي:

أولا: كتب التراجم والطبقات:

ويأتي على رأس هذه القائمة تلك الكتب التي اختصّت بذكر علماء وفقهاء ومحدثي أهل المغرب الذين رحلوا إلى الحجاز ومكثوا هناك، ومن بينها:

– **"كتاب الصلة"**: لابن بشكوال أبي القاسم خلف بن عبد المالك الأندلسي (ت:578هـ/1182م) وقد استعنت به في معرفة علماء الأندلس الذين كانوا بالحجاز خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي.

– **"أعيان العصر وأعوان النصر"، و"الوافي بالوفيات"**: لمؤلّفهما صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت:764هـ/1363م) حيث استفدت منهما في بعض التراجم.

– **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب** لابن فرحون إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري المالكي المغربي (ت:799هـ/1396م) اعتمدته لمعرفة بعض المغاربة المالكية بأرض الحجاز وبيان بعض مصنّفاتهم بمكة والمدينة المنورة، علما أنّ المؤلِّف مغربي الأصل.

– **"العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين"**: للفاسي أبي الطيب تقي الدين محمد بن أحمد بن علي المغربي(ت:832هـ/1429م) وقد نال هذا المؤلّف حصة الأسد من حيث الاستعانة به في تراجم علماء البلد الحرام من مغاربة وغيرهم، ونشاطهم العلمي ومؤلّفاتهم بمكة، وهو في صلب مادة بحثي.

– **"غاية النهاية في طبقات القرّاء"**: لشمس الدين أبي الخير محمد بن الجزري(ت:833هـ/1429م) اعتمدت عليه في معرفة بعض القرّاء المغاربة بتلك الديار.

– **"الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة"**: لشهاب الدين أحمد بن علي الشهير بابن حجر العسقلاني (ت:852هـ/1448م) الذي احتوى في مضمونه على تراجم القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي من ضمنهم علماء مغاربة إذ وقفت على حياتهم ونشاطهم العلمي خلال ذلك القرن.

– **"الضوء اللامع لأهل القرن التاسع"**: لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت:902هـ/1497م) هذا المصنّف جمع بين دفّتيه تراجم القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وقد أفادني إفادة عظيمة فيما تعلّق بالعلماء والقضاة والأدباء المغاربة آنذاك خصوصا ما تعلّق بالجانب العلمي إذ هو محل دراستي وبحثي.

– **"التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة"**: لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت:902هـ/1497م) هو الآخر نال حصة الأسد في الاستعانة به في تراجم علماء المدينة المنورة من المغاربة وغيرهم، ونشاطهم العلمي ومؤلّفاتهم بالمدينة المنورة.

– **"نيل الابتهاج بتطريز الديباج"**: لأحمد بابا التنبكتي (ت:1036هـ/1652م) وكتابه هو الأقرب إلى بلاد المغرب وعلمائه، إذ هو عبارة عن تذييل لكتاب "الديباج المذهب" فكان تتمّة لعلماء المذهب المالكي الموجودين ببلاد الحجاز، والتعرّف على إسهاماتهم العلمية هناك، وساعدني أيضا في الحصول على بعض المادة العلمية المرتبطة ببحثي.

– **"شذرات الذهب في تاريخ من ذهب"**: لابن العماد عبد الحي أحمد بن محمد الدمشقي الحنبلي (ت:1089هـ/1678م) تعرّفت من خلاله على بعض نشاط علمائنا المغاربة بمكة والمدينة المنورة.

– **"البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع"**: للشوكاني محمد بن علي (1250هـ/1834م) استعنت به في التعريف ببعض علماء القرن 08-09 هـ/ 14-15م.

ثانيا: كتب الرحلة والجغرافيا:

استفدت كثيرا من كتب الرحلات والجغرافيا في كونها تعطينا صورة حقيقية وواضحة عن حالة العلم والعلماء بمكة والمدينة خلال فترة الدراسة (ق: 06-07-08-09هـ/12-13-14-15م) وأهمّها:

– **"تذكرة الأخبار عن اتّفاقات الأسفار"**: للرحالة الأندلسي ابن جبير محمد بن أحمد (ت: 614هـ/ 1217م) استفدت من مادته في التعرّف على حالة العلم والعلماء خلال القرن 06هـ/12م بمكة والمدينة المنورة.

– **"معجم البلدان"**: لياقوت الحموي (ت:626هـ/1229م) الذي كان دليلي ومرشدي في ذكر المدن المختلفة التي وظّفتها في الأطروحة.

– **"ملء العيبة بما جُمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى مكة وطيبة"**: لابن رشيد أبي عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي المغربي (ت: 721هـ/1321م) كانت رحلته

مرآة عكست حالة العلم والعلماء المغاربة الذين التقى بهم وأخذ عنهم العلم بالحرمين نهاية القرن 07هـ/13م.

– **"تاج المفرق في تحلية علماء المشرق"**: للبلوي خالد بن عيسى القنتوري الأندلسي (ت: 768هـ/1398م) التي تضمّنت معطيات جدّ هامّة للعلماء والمدارس وحلقات العلم في بلاد الحجاز.

ثالثا: كتب التاريخ:

لا يخفى على أحد ما تكتنزه كتب التاريخ من معطيات علمية تفيد الباحث في عمله، وقد استعنت ببعضها بما يفيدني في الأطروحة ومن ذلك:

– **"تاريخ المدينة المنورة** أو **نصيحة المشاور وتعزية المجاور"**: فالعنوان واحد لصاحبه البدر بن فرحون اليعمري التونسي المغربي الأصل(769هـ/1368م) وهو من المصادر الثمينة التي تطرّقت للحياة اليومية للمدينة المنورة خلال القرن الثامن للهجرة، والترجمة للعلماء الذين عاصرهم، فكان المؤلَّف عمدة كل باحث عن الحياة العلمية للمدينة المنورة وقتها، وذكر مجاوريها وأئمتها وقضاتها، وقد استعنت به في معلومات تلك الحقبة من تاريخ المدينة المنورة، وكان عليه جلّ اعتمادي أثناء سوق المادة العلمية المرتبطة بحدث من الأحداث.

– **"شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام"**: لتقي الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المغربي (ت:832هـ/1428م) حيث إنّ الفاسي قد وظف في كتابه هذا، معلومات عن مكة والبلد الحرام منذ البدء إلى زمنه (ق 08+09هـ) وذكر مدارسها وربطها وأئمّتها، فكان هذا من صلب موضوعي حينما تطرّقت إلى هذه الأماكن وتواريخها وعلمائها فاستفدت منه أيّما إفادة.

– **"إتحاف الورى بأخبار أم القرى"**: لعمر بن محمد بن فهد (ت:885هـ/1480م)، حيث أفادني في كونه مصدرا نفيسا لأخبار أم القرى وتقديم صورة الآثار والجغرافيا وإعطاء معلومات دقيقة عن بعض الموضوعات التاريخية الهامة والتي احتجتها عن مكة وعلمائها وقضاتها وأيمتها، فكان موردا لي لبعضها.

رابعا: المراجع:

لقد ذلّل لنا جهدُ مجموعة من العلماء المعاصرين من مؤرّخي بلاد المغرب والأندلس والحجاز كلّ صعب، ومكّنونا من الاستفادة من تجاربهم وبحوثهم المتنوّعة (مراجع ورسائل جامعية ومقالات ودوريات ذات ارتباط بموضوع البحث) التي استفدت منها في معرفة المغاربة الذين كانوا بالحجاز خلال الفترة ق06-09هـ/12-15م، ومن أهمّ ما اعتمدت عليه خلال عملية البحث والتحري نجد:

- **"الحياة العلمية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة"**: لطرفة عبد العزيز العبيكان، هو كتاب قيّم من حيث الفائدة العلمية، فقد ساعدني كثيرا في الاطلاع على ما كان بالمسجدين الحرام والنبوي وما كان فيهما من حلقات العلم للطلبة في صنوف العلم، وعن العلماء الذين كانوا ينشطون آنذاك.

- **"المدينة المنورة في العصر المملوكي"**: لعبد الرحمن المديرس حيث قدّم لنا صورة عن المدينة المنورة خلال تلك الفترة المرتبطة بدراستي، وعن مشاركات المغاربة في أهم المناصب العلمية والاجتماعية، أعانتني في توظيفها في مظانّها.

- **"التاريخ والمؤرخون بالمدينة المنورة من العصر الأموي إلى القرن الرابع عشر الهجري" و "التاريخ والمؤرّخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر"**: لمؤلّفهما محمد الحبيب الهيلة، كتابان هامّان أشار فيهما المؤلّف إلى أهم العلماء الذين ساهموا بكتاباتهم أو مصنّفاتهم في التأريخ لبلاد الحجاز ممن جاوروا بالحرمين خلال تلك الحقبة الزمنية الممتدة من القرون الأولى للهجرة إلى ما بعد القرن التاسع الهجري، حيث وجدت فيهما بغيتي فيما ألّفه بعض المغاربة في مجال التاريخ.

- **"الأربطة في مكة المكرمة منذ البدايات حتى نهاية العصر المملوكي"**: حسين عبد العزيز شافعي، يتناول هذا المصنّف الأربطة التي أنشئت بمكة بداية من القرن الخامس الهجري إلى بدايات القرن العاشر الهجري "نهاية الحكم المملوكي بالحجاز"، وعن تاريخها وأهم من تولوا

مشيختها ونظارتها، وقد استقيت منه مادتي ما تعلّق منها بجانب المغاربة الذين تولّوا مشيخة بعض هذه الربط، أو عمارتها والنظر في شؤونها.

- **"علم الحديث في مكة خلال العصر المملوكي (648هـ/923هـ)"**: لصالح يوسف معتوق، وهو رسالة دكتوراه في علم الحديث بجامعة أم القرى بمكة المكرّمة حيث تناول فيها الباحث جملة من محدّثي مكة خلال تلك الحقبة، وكان منهم المغاربة الذين كانوا يعقدون مجالس الحديث ويحدّثون بأحاديث المصطفى ﷺ.

هذا بعض من الكلّ، وبقية المصادر والمراجع سيجدها القارئ الكريم في نهاية الأطروحة ضمن قائمة المصادر والمراجع، وكذا في الهوامش عند الإحالة إليها.

وفي ختام هذه المقدّمة يتوجب عليّ تقديم شكري وامتناني لأستاذي الفاضل أ.د إبراهيم بحاز الذي تكرّم بالإشراف على هذه الأطروحة، واقتطع لي من وقته على كثرة انشغالاته، إذ أرشدني وأسهم في تقويم نقائص هذه الأطروحة، كما أشكره على سعة صدره وطول نَفَسِهِ لتتبّع كل مراحل إنجازها وإخراجها على الصورة المرجوّة، متمنّيا أن يكون هذا الجهد إضافة إيجابية ومرجعا يستفيد منه الباحثون والطلبة، غير مدّعٍ أنّي بلغت الغاية، وحسبي أنّي اجتهدت ولم أبخل بأي جهد في بلوغ ما يجب بلوغه في هذا البحث.

هذا وأحمد الله تعالى أولا وأخيرا على ما منّ به علينا من العون والمدد والتوفيق، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

عامـر مريـقي

قصر الحيران: فجر يوم 17 ذي القعدة 1442هـ

27 جـــــوان 2021م.

الفصل التمهيدي

الأوضاع العلمية للمغرب الإسلامي والحجاز قبل ق06هـ/12م

وفيه المبحثان:

1- الحالة العلمية للمغرب الإسلامي قبل ق06هـ/12م.

2- الحالة العلمية للحجاز قبل ق06هـ/12م.

❖ المبحث الأول

الحالة العلمية للمغرب الإسلامي قبل القرن 06هـ/12م

لقد شهدت الفترة التي سبقت القرن الخامس إلى السادس للهجرة النبوية، علاقات علمية وثقافية متميزة بين بلاد المغرب الإسلامي بما في ذلك الأندلس، وبلاد الحجاز، وقام هذا التفاعل بمد جسور التواصل العلمي والحضاري بين البلدين ما تمخّض عنه انتعاش علمي وثقافي لكلا البلدين الحجاز والمغرب الإسلامي، بفضل تلك الأسفار والتنقلات التي قامت بها كوكبة من علماء المغرب الإسلامي إلى أرض الحجاز والعكس صحيح، أدّت إلى إفراز جملة من المظاهر الحضارية أثّرت على الحياة العلمية والاجتماعية بل والسياسية بأرض الحرمين، وتواصل إشعاعها وامتدادها الحضاري إلى قرون ليست عنّا ببعيدة.

وقد خصّصت الفصل التمهيدي للحديث عن جانب واحد فقط من الجوانب التي أسهمت بشكل أو بآخر في فتح باب هذا التواصل بين البلدين، وأقصد بذلك الجانب العلمي.

وقبل البدء في إبراز معلوماته أودّ وضع عنصر هامّ لكل مبحث من المبحثين أشير فيه إلى تقديمٍ عامٍ لمفهوم كلّ من المصطلحين المرتبطين بالدراسة "المغرب الإسلامي" و"الحجاز" مستهلا بمفهوم المغرب الإسلامي وفق ما يلي:

01- مفهوم مصطلح المغرب:

لابد أوّلا من تحديد معنى كلمة "المغرب"، وضبط معالمها الجغرافية وفق ما اتفق عليه الجغرافيون والمؤرخون حتى لا نقع في مشكل تبرير تبني فكرة دون أخرى.

1- عند ياقوت الحموي: ذكر الحموي أنّ "المغرب بالفتح ضد المشرق وهي بلاد واسعة كثيرة ووعثاء شاسعة، وقال بعضهم حدّها من مدينة مليانة، وهي آخر حدود إفريقية إلى آخر

جبال السوس التي وراءها البحر المحيط، وتدخل فيه جزيرة الأندلس، وإن كانت إلى الشمال أقرب ما هي، وطول هذا في البر مسيرة شهرين"[1]، هذا قديما أمّا في وقتنا الحالي وبعد توفّر وسائل النقل الحديثة فلا يتطلّب الأمر مسيرة بضع ساعات لا أكثر.

2-عند المؤرخين: كلمة المغرب مأخوذة من مصطلح الغرب، وهو لفظ يراد به كل ما هو مقابل للشرق كما ذكر ذلك الحموي، وقد اختلف المؤرخون المسلمون في تحديده وفق ما هو آتٍ:

الرأي الأول: بعضهم يرى أنّه "يشمل بلاد شمال إفريقيا بالإضافة إلى إسبانيا الإسلامية (الأندلس)، وجميع الممتلكات الإسلامية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط مثل: صقلية وجنوب إيطاليا وجزيرتي سردينيا وقورسيقا وجزر البليار أو الجزر الشرقية" مثلما ذكر أحمد مختار العبادي[2].

الرأي الثاني: وزعيمه المؤرخ الأندلسي ابن سعيد المغربي حيث نقل عنه العبادي قوله أنّ "مصر ضمن حدود المغرب باعتبارها القاعدة السياسية والثقافية والعسكرية لهذه المنطقة الغربية في الفترة الإسلامية الأولى"[3]، وما يؤكّد ذلك ما قام به الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك حينما قلّد عبد الله بن الحبحاب ولاية مصر والمغرب والأندلس معا، دلّ ذلك دلالة صريحة على أنّ إقليم المغرب يمتد من مصر إلى حدود بلاد الأندلس، ثم يدعّم المؤرخ ابن عذارى المراكشي هذه الفكرة حينما تحدّث عن حدّ المغرب وأفريقية وما اتصل بهما وعُدّ منهما، ناقلا قول أبي مروان في كتاب المقباس، وابن حَمَادُه في كتاب القبس وغيرهم من

---

[1]- الحموي ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، لبنان، ط، 1977م، ج 05، ص، 161.

[2]- أحمد مختار العبادي، **في التاريخ العباسي والأندلسي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان (د.ت.ط)، ص، 219.

[3]- العبادي، **المرجع نفسه**، ص، 219.

المؤرخين بقوله: "إنّ حدّ المغرب هو من ضفة النيل بالإسكندرية[1] التي تلي بلاد المغرب إلى آخر بلاد المغرب، وحدّه مدينة سلا[2] وينقسم أقساما....."[3] ثم أسهب في ذكر أقسام المغرب إلى أن يصل بقوله: "وبلاد الأندلس أيضا من المغرب وداخلة فيه لاتصالها به"[4] ما يدلّ صراحة لا غموض فيها أنّها (الأندلس) تابعة لبلاد المغرب الإسلامي، ويقوّي ذلك القول ابن قدامة المقدسي في تقاسيمه حينما جعل حدود المغرب من مصر إلى السوس الأقصى وجزيرة صقلية والأندلس[5]، وأنا مع هذا الرأي الذي سأستند عليه في دراستي هذه إن شاء الله تعالى.

إذن مع وجود هذه الاختلافات التي لا تؤثر حتما على بنية الموضوع، فإنّ جمهور المؤرخين المسلمين بل والجغرافيين أيضا يتفقون على تحديد مفهوم كلمة "المغرب الممتد من أراضي مصر إلى المحيط الأطلسي، وعلى إثر ذلك يمكن تسمية المغرب عموما إلى مغرب إفريقي، ومغرب أندلسي غير أنّها لا توثر على المعنى العام للكلمة. ولهذا فكلمة مغرب أو مغاربة تعني أيضا الأندلس وأهله جميعا مثلما ذكر ذلك العبادي[6] في كتابه.

---

[1]- **الإسكندرية**، مدينة عظيمة من ديار مصر بناها الإسكندر المقدوني فنسبت إليه، وهي على ساحل بحر المالح بها آثار عجيبة ورسوم تشهد على ذلك، وقد كانت الإسكندرية وجميع بلاد مصر خاضعة للسلطة الفاطمية أيام حكمهم لمصر (انظر، الحميري عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح، إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ط، 1975، ص، 54.

[2]- **سلا**، بلفظ الماضي من، سلا يسلو، وهي مدينة بأقصى المغرب ليس بعدها معمور، وهي مدينة متوسطة في الصغر والكبر موضوعة على زاوية من الأرض... (**انظر**، الحموي ياقوت، **مصدر سابق**، مج 03، ص، 231.)

[3]- المراكشي ابن عذاري، **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تح، بشار عواد معروف، ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط، 01، 1434هـ، 2013م، ج01، ص، 26.

[4]- ابن عذاري، **نفسه**، ج 01، ص، 26.

[5]- المقدسي محمد بن أحمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط، ليدن، ط، 1906م، ص، 216.

[6]- العبادي، **مرجع سابق**، ص، 220.

وأمّا صفة "إسلامي" فقد لازمت هذه الصفة المصطلح منذ وصول الإسلام إليه من الفتح إلى غاية وصوله إلى أرض الأندلس أصبح المغرب مغربا إسلاميا. وسأعتمد في دراستي هذه على الرأي الذي يرجّح هذا الرأي كون مصطلح المغرب الإسلامي نعني به "المغرب والأندلس" على حد سواء.

02- المغرب الإسلامي حتى نهاية القرن الخامس الهجري

استطاع الفاتحون المسلمون الوصول إلى أرض المغرب، وذلك بفتح بوابته الشرقية المتمثلة في "مصر"، فتحها الصحابي الجليل عمرو بن العاص ﷺ في فترة خلافة الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ سنة (21هـ/641م)، ثمّ رأى الصحابي عمرو بن العاص أنّ فتح بلاد المغرب كلّها لابد منها لنشر الإسلام عبر ربوعه، ممّا سيعود بالنفع والخير على الإسلام من جهة، ومن جهة ثانية الآثار الإيجابية لذلك الفتح ودورها في حماية مصر الإسلامية من الأعداء المحدقين بها من كل جانب، فانتدب لهذه المهمة النبيلة قائدا عربيا عظيما هو عقبة بن نافع الفهري ﷺ الذي تمكّن من فتح زويلة سنة 22هـ[1]، وتواصلت فيما بعد عمليات الفتح الإسلامي مدينة تلو أخرى انطلاقا من برقة إلى طرابلس الغرب (ليبيا) خلال سنة 22هـ ووصولا إلى العصر الأموي.

وخلال العصر الأموي (41هـ-132هـ) توسّعت الفتوحات الإسلامية توسّعا كبيرا شمل جميع الدول التابعة للمغرب من حدود برقة شرقا إلى حدود المحيط الأطلسي غربا، بمقابل ذلك اشتهر قادة عرب وبربر ساقوا هذا الفتح الإسلامي إلى ربوع تلك البلاد المغربية أمثال حملة عبد الله بن سعد بن أبي السرح سنة 27هـ/647م، وحملة عقبة بن نافع الفهري 50هـ/670م الأولى، وصولا إلى القائد موسى بن نصير -والي إفريقية-الذي تمكّن في وقته

[1]- الصلابي علي محمد، **الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي**، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط،01، 1428هـ/2007م، ص، 74.

من عبور الفاتحين بالإسلام إلى أرض أوربا النصرانية الوثنية، ودخولهم أرض الأندلس بفضل حنكة ودهاء الفاتح طارق بن زياد البربري المسلم مولى موسى بن نصير سنة (92هـ/711م)[1]، وبذلك استطاع هذا القائد طرد حكام الأندلس الذين كانوا يعيثون في الأرض فسادا أمثال (لذريق وأتباعه)، وما كاد القرن الهجري الأول ينتهي حتى أصبحت بلاد المغرب بعدوتيها – المغرب والأندلس– تدين بدين الله تعالى، وتعيش في كنف الإسلام برهة من الزمن. لكن بعد هذه الفتوحات سيتغير الحال السياسي للدولة الإسلامية عموما ولبلاد المغرب خصوصا، وظهور اضطرابات سياسية تنخر جسد الدولة. وما يهمنا في هذا المبحث هو التركيز على الجانب العلمي الذي كان سائدا بالمغرب الإسلامي وأسهم بشكل أو بآخر في رحلات النخب العلمية إلى المشرق خلال القرن الرابع والخامس وصولا إلى السادس للهجرة ويمكننا توضيح ذلك في نقاط كالآتي:

أ/ رحلات المشارقة إلى أرض المغرب:

لقد كان الفتح الإسلامي لبلاد المغرب فتحا للقلوب قبل أن يكون فتحا للأراضي، فكان له دور إيجابي في المجال العلمي والثقافي وحتى السياسي وغيره من مجالات الحياة.

[1]- **الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس**، بدأت حركة الفتح الإسلامي حينما بعث موسى بن نصير والي إفريقية مولاه طريف بن مالك في رمضان سنة 91 هـ/712م من 400 مقاتل و100 فارس، ووصل الجزيرة الخضراء (جزيرة طريف)التي تحمل الآن اسمه، وفي سنة (92هـ،711م) أرسل بن نصير عامله ومولاه طارق بن زياد إلى بلاد الأندلس بمساعده حاكم سبتة "يوليان"، وأمدّه بالسفن لعبور البحر انتقاما من "لذريق" الذي اعتدى على شرفه= = وابنته (كما تقول المصادر التاريخية) فاستنجد بطارق بن زياد ووجدها طارق فرصة سانحة لعبور البحر وفتح الأندلس، وعبر المضيق الذي يفصل بين قارتي أوربا وإفريقيا الآن الذي يحمل اسمه "مضيق جبل طارق "، ودام القتال بين "طارق" و"لذريق" أياما (حوالي 08 أيام) وكانت الغلبة لطارق بن زياد .(لمزيد من معلومات الفتح انظر، ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج 01، ص،250، والقيرواني ابن أبي دينار، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، تح، محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط، 03، د.ت.ط، ص،36.)

إذ لم تتأخر تلك الوفود المتتابعة لرجال المشرق الإسلامي اتجاه أرض المغرب الإسلامي بعد انتشار الإسلام بها، ففي النصف الأول من القرن الأول كانت غالبية الوفود من الصحابة والتابعين الأوائل الذين أتوا أفريقية (تونس) والغرب الإسلامي عموما، فكانوا على قدرٍ عالٍ من العلم والتقوى والصلاح من أمثال عبد الله بن عباس أول المفسرين وغيره[1] من صحابة رسول الله ﷺ الذين رافقوا عملية الفتح منذ بدايته، فنشروا علمهم وسط العامّة والخاصّة من أهالي البربر، وقاموا بمهمتهم على أكمل وجه، فنتج عن ذلك الاجتهاد إسلام بقية البربر وتعريب البلاد المغربية، وكان لهم الأثر البالغ في نشر الإسلام، أمّا النصف الثاني من القرن الأول وما بعده شهد توافد بعض الدعاة[2] الذين حملوا إلى المغرب إضافة إلى اللغة والعادات والتقاليد العربية آراءهم الفكرية واتجاهاتهم العقدية وخلافاتهم المذهبية، ومع هذه السيول البشرية إن صحت الكلمة من التدفّق المشرقي جماعات وفرادى على أرض المغرب والأندلس أصبحت هذه الأخيرة مرآة تنعكس عليها التيارات المشرقية بكل ما تحمله من أفكار ومبادى وعادات وتقاليد وممارسات[3]، فما إن يظهر رأي أو مذهب معين إلاّ ويجد الطريق سهلا والتربة خصبة لبثّ أفكاره، وساهم ذلك بشكل أو بآخر في المجال السياسي الذي أثمر فيما بعد قيام دول هنا وهناك (وأقصد بذلك الدول التي قامت على أرض المغرب الثلاثة "الأدنى والأوسط والأقصى") ما انعكس بالإيجاب على المجتمع المغربي، فبعد إتمام الفاتحين لمهمتهم عكفوا على

---

[1]- هويدي يحي، **تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط، 1965، ج،01، ص،155.

[2]- حركات إبراهيم، **صورة من التواصل التاريخي بين دول الخليج العربي والدول المغاربية**، مجلة التاريخ العربي (مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بالتاريخ العربي والفكر الإسلامي تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة)، ع، 03، ج،01، ص، 10052. (انظر الرابط:

http://arabicmegalibrary.com/texts/10196?page=10052

[3]- الجيدي عمر، **عن المذاهب الإسلامية في الأندلس**، مجلة المناهل (تصدرها وزارة الشؤون الثقافية بالرباط، المغرب)، ع، 40، السنة 17، ربيع الأول 1413هـ، شتنبر 1992م، ص،109.

تثقيف وتعليم أهل المنطقة المغربية. والمتمعن في طبقة الفاتحين لبلاد المغرب الإسلامي يدرك إدراكا لا شك فيه فضل هذا الفتح على البلاد المغربية، لأنّ جلّ الفاتحين كانوا من كبار الصحابة والمحدّثين مثلما ذكرت ذلك سابقا، واتُفِقَ على تسميتهم بجيوش الفقهاء والمحدثين والقراء[1]، وفي زمن عقبة بن نافع الفهري ﷺ (50-55)هـ شيّد وابتنى مدينة القيروان[2] أوّل مدينة وجامعة علمية وفكرية بالمغرب الإسلامي كما يسمِّيها علي الصلابي، كما نجد أنّ الصحابة ﷺالذين رافقوا عملية الفتح قد أسسّوا المساجد وبنوا الديار ومكثوا لتعليم الناس القرآن الكريم واللغة العربية، واستطاعوا شدّ الناس إليها من كل مكان، واستقر بها عدد غير محدود من العرب من قبائل تميم والأوس والخزرج والأزد وقيس وتنوخ وبني جرير وكندة وكنانة[3]، وعمرت بفضلاء الناس من الفقهاء والمحدّثين والمتطوعين والعابدين والنساك والزاهدين وغيرهم[4].

إنّ هذا الاستقطاب البشري نحوها، ولّد بعاصمة المغرب الإسلامي "القيروان" مظهرا من مظاهر ما يسمى بالمركزية الثقافية، والذي سيكون له فضل كبير في وضع اللبنة الأساسية لازدهار العلوم، وانتشار المراكز العلمية بالمغرب من أدناه إلى أقصاه.

---

[1]- الصلابي علي محمد، **صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي والشمال الإفريقي**، دار البيادق، عمان، الأردن، ط، 01، 1418هـ،1998م، ص،338.

[2]- اختطّها عقبة بن نافع الفهري سنة 50 هـ حينما لاحظ كثرة الذين ارتدّوا من قبائل البربر، لذلك قرّر ضرورة تأسيس مدينة للمسلمين من العرب والبربر لتحفظ عليهم دينهم ودنياهم، انظر، الصلابي، **المرجع نفسه**، ص، 343.

[3]- زيتون محمد محمد، **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية**، دار المنار، القاهرة، ط، 01، 1408هـ، 1988م، ص، 168.

[4]- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط، 01، 1951، ج،01، ص، 13.

لقد كانت هجرات المشارقة نحو عاصمة المغرب "القيروان" خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة من الأدباء والنحاة واللغويين والمفكرين تمهيدا لتأسيس حياة فكرية، ازدهرت واتسعت خلال القرن الثالث للهجرة لتشمل مختلف الأرجاء، وكان هذا الازدهار ملحوظا في الجانب الشرعي واللغوي وكذا في العلوم العقلية والعقائدية والعلوم المترجمة كالطب والحساب والصيدلة والفلك والكيمياء، وأثمر ذلك في وجود مؤلفات كثيرة استفاد منها الناس وقتئذ[1].

نعم لقد كان لتوافد المشارقة إلى بلاد المغرب فوائد علمية واجتماعية، وما يهمنا في هذه النقطة بالذات سؤال يجب أن يطرح سابقا وهو: ما الذي جعل هؤلاء المشارقة يرحلون إلى أرض المغرب؟ بعبارة أخرى ما عوامل جذب المغرب للمشارقة؟ ويمكننا الإجابة عن ذلك في العنصرين "ب"، و "ج" المقبلَين.

ب/ ازدهار العلوم بالمغرب الإسلامي:

بدأت بوادر الحياة العلمية والفكرية تنتعش تدريجيا ببلاد المغرب أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني انطلاقا من البعثة العلمية[2] التي أرسلها الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز

[1]- المجالي سحر عبد المجيد، **القيروان ودورها العسكري والعلمي**، مجلة دراسات، العلوم الانسانية والاجتماعية، كلية الأميرة عالية جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، مج،40، ع، 02 سنة، 2013، ص، 256.

[2]- هي عبارة عن مشروع دعوي علمي أراد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز ﷺ تطبيقه على أرض إفريقية هادفا من خلاله إلى إشاعة الرشد وبث العلم، وبث التآخي والمساواة بين أفراد المجتمع المغربي الذي كان حديث عهد بالإسلام ولما يرسخ في عقيدتهم، فأرسل الفقهاء العشرة وهم، (إسماعيل بن عبيد الله بن أبي مهاجر(ت، 107هـ)، أبو ثمامة بكر بن سوادة الجذامي(ت، 128هـ)، أبو سعيد جُعثل بن عاهان الرعيني القتباني(ت،115هـ)، أبو مسعود سعد بن مسعود الكندي التجيبي(ت بعد،105هـ)، وهب بن حي المعافري(ق 02هـ/08م)، أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المعافري الحبلي(ت، 100هـ)، عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة الكناني(ت، 101هـ)، طلق بن جعبان الفارسي (ق 02هـ/08م)، حبان بن جبلة القرشي(ت، 123هـ، وقيل125هـ)، أبو الجهم عبد الرحمن بن رافع التنوخي (ت، 113هـ)) وقد حطّت هذه البعثة رحالها بالقيروان، واستطاعت أن تنجح في مهمّتها النبيلة في ظرف وجيز بفضل الاستقرار السياسي والأمني الذي كان سائدا خلال نهاية القرن الأول بداية القرن الثاني للهجرة. لمزيد المعلومات ينظر،

ﷺ إذ يعود له الفضل بما قام به من جهد فريد في إدخال بقية المغاربة إلى الإسلام، وفتحه الكتاتيبَ التي ساهمت في تعليم الناس وتثقيفهم[1]، وأصبح بذلك علمهم غير محصور في تعلّم القرآن الكريم وبيان الشريعة فقط، بل تعدّاه إلى تعلّمهم القراءة والكتابة وتدريس اللّغة العربية وقواعدها[2]، فاستحقت البعثة وسام الاستحقاق؛ لأنّها ساهمت في ترسيخ الإسلام للمغاربة الذين كانوا حديثي عهد بالإسلام، ومنحت للقرن الثاني من الهجرة مفتاح عهد جديد يسوده الهدوء والطمأنينة والعدل، وهذا ما جعل الناس يُقدِمون على طلب العلم داخل المؤسّسات العلمية والثقافية المتمثّلة في المساجد والكتاتيب، التي انتشرت بفضل الفاتحين أولا ثم بعثات الخليفة عمر بن عبد العزيز ﷺ إلى بلاد المغرب، التي واصلت فيما بعد عملها إلى أن تحقّق الهدف الديني المتمثل في الإسلام، والهدف اللغوي المتمثل في اللغة العربية.

ج/ الحواضر العلمية بدول المغرب الإسلامي:

كان لقيام الدولة العباسية 132هـ-656هـ أثر إيجابي في مجال العلم والثقافة حينما اهتموا بترجمة علوم وثقافات الشعوب ذات الحضارات القديمة كالفارسية والرومية والإغريقية (خاصة العلوم العقلية: الطب والفلك الحساب ...) فانعكس ذلك الرقي والازدهار العلمي على بلاد المغرب التي اقتبست هذه العلوم والفنون فيما بعد أيام دولة الأغالبة (800م-909م).

مرغيت محمد، **البعثة العمرية وأثرها في توطين الإسلام والعربية ببلاد الغرب الإسلامي**، مجلة الحوار الفكري (مجلة علمية دولية محكّمة، مخبر الدراسات الإفريقية للعلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة أحمد دياراا، أدرار، مج،11، ع،11، جوان 2016، ص، 108 وما بعدها.

[1]- التليسي بشير رمضان، **الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي**، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط، 01، 2003، ص، 70.

[2]- التليسي، **المرجع نفسه**، ص، 70.

سأحاول في هذا العنصر الاقتصار على أهم مراكز العلم والثقافة لعلّه يعكس الحالة العلمية للمجتمع المغربي قبل حلول القرن السادس للهجرة.

ج-01-حواضر المغرب الأدنى:

- **القيروان:** يعتبر تأسيسها من أهم الأعمال التي قام بها الفاتحون تحت قيادة عقبة بن نافع وقد اعتبرها المؤرخون رابع حاضرة علمية إسلامية آنذاك-بعد مكة والمدينة وبيت المقدس كما نقل ذلك ابن مرزوق[1]- إذ كانت همزة وصل ربطت بين المشرق والمغرب الإسلاميين، وفي ذلك الشأن يقول محمود إسماعيل عبد الرزاق عن دور القيروان: "و الحق أنّ القيروان في العصر الأغلبي حظيت بمكانة مرموقة في الحياة الثقافية، حتى غدت مركزا للحضارة الإسلامية في المغرب، وأضحت كعبة يقصدها طلاب العلم والعلماء من المشرق والغرب على حد السواء، وصارت همزة الوصل بين حضارة المشرق الإسلامي والأندلسي[2].

والواقع أنّه في بداية أمرها كانت تمتاز بالريادة السياسية-كونها أول عاصمة سياسية للمغرب الإسلامي بما في الأندلس —، وظلت على هذا الحال إلى أن أعلنت الدول انفصالها الواحدة تلو الأخرى بدءا بالمغرب الأوسط بتأسيس الرستميين لدولتهم بتاهرت، وصولا إلى المغرب الأقصى أين تأسست به الدولة المدرارية فالإدريسية وإمارات أخرى، في حين أنّها انقسمت إلى (إفريقية -رقادة — العباسية — المهدية — المنصورية) وبذلك فقدت الصبغة السياسية لها، غير أنّ ذلك لم يمنعها من بقائها كعاصمة علمية وثقافية، ومركزا علميا حضاريا يمتد صيته إلى بلاد المغرب كلّه مثلما ذكرنا ذلك، توافد عليها كبار الأدباء واللغوين والنحاة،

[1]- الدباغ عبد الرحمن بن محمد، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، علّق عليه، أبو القاسم التنوخي، دار الكتب العلمية، ط، 01، 2005، ج،01، ص،07

[2]- حوالة يوسف أحمد، **الحياة العلمية في أفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، 90هـ /450هـ**، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط، 01، 2000م، ص،150.

وبلغت من المكانة الفقهية مبلغا عظيما تمثّل ذلك في إنجابها لكبار الفقهاء الذين أصبح ينظر إليهم كمرجعية علمية وفقهية من أمثال سحنون بن سعيد في مجال الفقه، وابن رشيق وابن شرف وعلي الحصري القيرواني في مجال الأدب وصنوفه، وابن الجزار في الطب[1] وغيرهم كثير.

وقد تزايد وعظم هذا الدور العلمي للقيروان في عصر الأغالبة (184-296هـ) حينما استقدم الحكام الأغالبة العلماء لنشر علمهم فيها، وقصدها الطلاب من شتى أنحاء المغرب والأندلس وصقلية وغيرها من الجزر التي بسط المسلمون سلطانهم عليها[2]، وقد ازداد إشعاعها العلمي أكثر في العصر الفاطمي حين تصدّت(القيروان) للمد الإسماعيلي الشيعي في المهدية.

- **رقادة:** حاضرة علمية بناها إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب (261هـ-289هـ) سنة 263هـ جنوب غرب القيروان، واستطاعت أن تجذب إليها أهل العلم والثقافة للإقامة بها، فأصبحت بذلك مركزا حضاريا وثقافيا هامّا تواصل إشعاعه إلى نهاية الدولة الأغلبية سنة 296هـ، وتأسّس بها بيت الحكمة الإفريقي[3] ائتساء ببيت الحكمة ببغداد لشدة اهتمام حاكمها "إبراهيم الثاني" بالعلوم التجريبية كالرياضيات والعلوم العقلية كالفلسفة، هادفا من وراء ذلك عزل رقادة عن القيروان التي بقيت محافظة على الاهتمام بالعلوم النقلية وحدها، وقد وصفه علماء المغاربة المحدثون بأنه أول أكاديمية علمية في المغرب كلّه[4]

---

[1]- حوالة، **المرجع السابق**، ص، 149،150.

[2]- زيتون، **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية**، ص، 241.

[3]- أسّسه الأمير إبراهيم بن أحمد تاسع أمراء بني الأغلب، أنشأه محاكاة للعباسيين لبيت الحكمة ببغداد، وجعل اهتمامه بالعلوم الطبيعية فضلا عن العلوم الدينية، وقد عمل الأمير إبراهيم على اقتناء الكتب العلمية من بغداد، وأحضر إليه العلماء والأطباء من بغداد ومصر وغيرهما، ولكنه لم يكتب له العمارة سوى أربعين عاما فقط، انظر، التليسي، **الاتجاهات الثقافية**، ص، 82.

[4]- حوالة يوسف، **مرجع سابق**، ج،01، ص، 161.

- **قسطيلية**[1]: وتسمّى ببلاد الجريد وهي منطقة تقع في القسم الجنوبي من تونس ومنه خرج علماء جهابذة ملؤوا الدنيا بعلمهم وامتد صداهم العلمي إلى بلاد الحجاز بل حفلت منابر مكة والمدينة بعلمائها من أمثال القسطلاني، والفخر التوزري وغيرهما كما سنرى ذلك خلال الفصول القادمة، المهم كانت هي مركزا للدراسات الدينية بالأخص إقليم توزر الذي ساهم في ظهور عدد كبير من الفقهاء وكانت في وقت ملجأ لمن عانى من مضايقات السلطة الأغلبية بالمدن الرئيسية في أفريقية[2]، إذًا فإقليم الجريد (قسطيلية) هذا عرف نهضة علمية تعدّدت اتجاهاتها بتعدّد انتماءات سكانها المذهبية: السنية والشيعية والإباضية، ونشأ بها عدد هام من العلماء والأدباء المشهورين من أمثال مالك بن عيسى القفصي مؤسس المدرسة الحديثية بها [3].

- **المهدية**: بناها الخليفة الفاطمي الأول عبيد الله الشيعي الملقب بالمهدي، واستطاعت أن تصبح أحد المراكز الثقافية بالمغرب، وأن تحظى بالصفة العلمية في عهد الدولة الفاطمية خلال القرن الرابع والخامس للهجرة لاعتبارات ثلاثة أولها: أنّها أصبحت مركز جذب واستقطاب العلماء والأدباء والأطباء وغيرهم من الذين انضووا تحت راية الدولة الفاطمية إمّا طواعية أو كراهية من سكان المغرب من السنّة[4]، ثانيا أنّها أصبحت أيام الفاطميين ساحة

---

[1]- **قسطيليه**: قطر كبير فيه مدن كثيرة قاعدتها توزر (بتونس). وهي مدينة كبيرة قديمة عليها سور مبنى بالحجارة والطوب، وحولها أرباض واسعة، ولها 4 أبواب وعليها غابة كبيرة، وهي أكثر بلاد الجريد تمرا. (انظر، كاتب مراكشي مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تح، د. سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، ط، 1985م، ج، 01، ص، 155).

[2]- جدو بلقاسم، **تطور العلوم النقلية والعقلية في بلاد المغرب الإسلامي على عهد الدول المستقلة (140، 296هـ/757، 909م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ والوسيط، إشراف أ.د، مسعود مزهودي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية بجامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية، 1434، 1435هـ، 2013، 2014م، ص، 09.

[3]- مجموعة مؤلفين، **تاريخ قفصة وعلمائها**، دار المغرب العربي، تونس، ط، 1962، ص، 132.

[4]- حوالة يوسف، **مرجع سابق**، ج،01، ص، 173.

يحتدم فيها النقاش المذهبي بين دعاة الشيعة وبين علماء المالكية الذين رأى العديد منهم مجابهة المتشيّعين بالحجة والدلائل الشرعية واللغوية، فكانت تلك المناظرات والمساجلات العلمية يعدّ مظهرا من مظاهر التفوق الحضاري لهذه الحاضرة العلمية.

ج-02-حواضر المغرب الأوسط:

- **بجاية**[1]: يذكر صاحب كتاب الاستبصار "أنها مدينة عظمى على ضفة البحر، وأنّها محدثة من بناء ملوك صنهاجة أصحاب قلعة أبي الطويل وتشتهر بقلعة حماد[2]، وذكر البكري "أنّها مدينة أزلية عامرة بالأندلسيين، ولها مرسى مأمون[3]، وكان السبب في بنائها حسب مصادر التاريخ لأسباب أمنية وسياسية أكثر منها علمية والمتمثل في هجمات عرب بني هلال على أفريقية، مما اضطر الناصر بن علناس (454-481هـ/1062-1088م) بعدما انهزم في معركة سبيبة سنة 457هـ/1068م اضطره ذلك إلى التفكير مع أهل الرأي ممن حوله في اختيار مكان آمن يحمي فيه ملكه وشعبه[4]، وقد تجسّد ذلك التفكير سنة 460هـ/1067م حينما اختطّها وسمّاها بالناصرية، واستطاع أن يقيم بها أسباب الحضارة، إذ أسّس بها المدارس والمعاهد العلمية، وأمر أن توزّع المنح على العباقرة والمبرزين في كل فن، وأصبحت تلك المعاهد

---

[1]- **بجاية**، بالكسر وتخفيف الجيم وألف وياء وهاء، مدينة على ساحل البحر بين افريقية والمغرب، وأول من اختطّها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين، وهي مدينة عتيقة تقع في منحدر جبل شاهق على ساحل البحر المتوسط (انظر، الحموي ياقوت، **معجم البلدان**، ج، 01، ص، 339).

[2]- كاتب مراكشي مجهول، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق، سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، المغرب، ط، 1985م، ص، 128.

[3]- البكري أبو عبيد الله، **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، وهو جزء من المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، د.ت.ط، ص، 82.

[4]- النويري أحمد عبد الوهاب، **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط** (افريقية والمغرب الأندلس صقلية وأقريطش) من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب، تح، مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، ط، 1985م، ص، 347 وما بعدها.

ملئ بالعلماء والحكماء والأطباء والشعراء وأهل الفنون الرياضية والهندسية. وأصبحت بذلك بجاية قبلة علماء الأندلس والشام ومصر والحجاز والعراق والعجم[1].

وقد أشارت لنا كتب التراجم والرحلات أنّ بجاية كانت تعج بالمرافق والهياكل العلمية والثقافية من كتاتيب ومساجد ومدارس ومكتبات، وكان أبرزها "المسجد الأعظم" الذي وصفه العبدري في رحلته أنّه عجيب غريب[2].

لقد أصبحت بجاية قبيل القرن السادس هجري من أهم الحواضر العلمية بالمغرب الإسلامي ساهمت عوامل عدّة في ذلك أذكر بعضها على سبيل التمثيل رواج سوق العلم بها، وتشجيع رجال الحكم والسلطة لهذا السوق، إغداق رجال الحكم والسلطة بالأعطيات والأموال لأهل العلم والانفاق على متعلّميه ورعايتهم، أضف إلى ذلك الاستقرار السياسي للمدينة أن جُعِلت محط أنظار طلاب العلم ورجال الكلام والفلسفة والتصوف، وعلماء اللغة والأدب والطب والصناعات المختلفة وأصحاب الملل والنحل الوافدين من المشارقة والمغاربة للإقامة بها والأخذ عن علمائها فتلاقحت على أرضها العقول المختلفة[3]، وتواصل هذا الإنتاج الفكري والعلمي حتى القرن السادس هجري حينما صوّبت جهود علمائها في مجال الطب العلمي

[1]- طمار محمد، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط، 2007، ص، 142.

[2]- العبدري أبو عبد الله محمد، **الرحلة المغربية**، تح، أحمد بن جدو، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، د.ت.ط، ص، 23.

[3]- طالبي عمار، **الحياة العقلية في بجاية، الفلسفة والكلام والتصوف**، مجلة الأصالة، ع، 19، الجزائر، صفر، ربيع الأول 1394هـ، مارس. أفريل 1974م، ص، 153.

والتطبيقي معا، استقبلت عشرات الأطباء الأندلسيين الذين ساهموا في تطوير الطب ونشره من أمثال أحمد بن أندراس بن محمد الأموي(ت: 674هـ/1275م)[1] وغيره.

لقد استطاعت هذه الحاضرة العلمية أن تجمع على أرضها كوكبة من علماء وعلوم، وأن تساهم بقسط كبير في الإشعاع العلمي بالمغرب الإسلامي خلال فترة من الزمن.

- **تاهرت**[2]: مدينة عظيمة كبيرة بالمغرب الأوسط تأسست سنة 161هـ على يد عبد الرحمن بن رستم حسب رواية ابن عذارى المراكشي[3]، ساهمت في تفعيل الحركة العلمية والتجارية، وكانت مهد لدولة عظيمة هي "الدولة الرستمية"، وقد شهدت العاصمة ازدهارا لا مثيل له بالمغرب الإسلامي حتى اطلق عليها اسم عراق المغرب[4] مقارنة بعراق المشرق، وعن جانبها العلمي نجد أنّها نالت حظا أوفر من الحياة الفكرية، واعتبرت من أهم المراكز العلمية والثقافية، ومقصدا للعلماء والأئمة والمفكرين الذين كرّسوا حياتهم للعلوم، ومما أسهم في ريادتها العلمية أنّها كانت منطقة عبور الأندلسيين إلى المشرق، وكان ينتقل إليها العلماء والطلبة من جميع الأنحاء وبالأخص أهل الأندلس[5]، وأغدق الرستميون على العلماء من بيت المال ما

---

[1]- شباب عبد الكريم، **علماء المغرب الإسلامي في بلاد الشام "خلال القرون 5-8هـ"**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف، أ د. مبخوت بودواية، قسم التاريخ بجامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، السنة الجامعية، 2014،2015م، ص، 25.

[2]- تاهرت أو تيهرت كلمتان لمعنى واحد وهما لفظتان زناتيتان بمعنى اللبؤة، وذكر ياقوت الحموي أنّ تيهرت (بفتح الهاء وسكون الراء والتاء فوقها نقطتان وهي اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب، يقال لإحداهما تاهرت القديمة والأخرى تاهرت المحدثة بينهما وبين المسيلة ستة مراحل، (انظر، ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج،01، ص، 07).

[3]- المراكشي ابن عذارى، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تح، كولان. س، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ج، 01، ص، 196.

[4]- الحموي ياقوت، **مصدر سابق**، ج، 02، ص، 08.

[5]- راجاح جميلة، **إسهامات علماء المغرب الوسيط في تنمية الدرس النحوي**، رسالة دكتوراه في اللغة، إشراف، أد. صالح بلعيد، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، نوفمبر 2015، ص، 49.

يكفيهم لأجل الرحلات العلمية وشراء الكتب[1]، وأقاموا المجالس والحلقات العلمية بالمساجد في مجالات العلم (التفسير، الحديث، اللغة العربية، الفقه....وغيرها من صنوف العلم) واستمر عطاؤها العلمي إلى القرن الرابع هجري حينما استولى الفاطميون عليها.

- **تلمسان:** تعتبر أيضا من مراكز العلم وحاضرة من حواضر المغرب الإسلامي خاصة في العصر الزياني خلال القرن الثامن الهجري

ج-03-حواضر المغرب الأقصى:

- **فاس:** مدينة مغربية غنية بالمياه والغابات والسهول، ذكرها ياقوت الحموي في معجمه على أنّها مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، قد تصاعدت العمارة في جنبيها على الجبل حتى بلغت مستواها على رأسه[2]، وتتمتّع بموقع استراتيجي هام كونها ملتقى الطرق التجارية ورابطة بين الشمال والجنوب هيّأها لأن تصبح مدينة تجارية مهمة ببلاد المغرب[3]، وقد تأسست سنة 192هـ/828م على يد إدريس الثاني ناويا جعلها دار علم وفقه، وشيئا فشيئا تعاظمت قيمتها واكتسبت أهمية كبرى من الجانب السياسي والعلمي والفكري معا، ومن أهم مظاهر الحضارة والرقي العلمي لهذه الحاضرة" بناء جامع القرويين الذي يعتبر من أهم مراكز الإشعاع الثقافي والديني وحتى الاجتماعي بمدينة فاس أسّسته السيدة فاطمة أم البنين الفهرية القيروانية في عهد الإمام يحي بن محمد بن إدريس(324-245هـ).

واستطاع هذا المعلم الحضاري أن يكتسب شهرته العلمية بحلول القرن الرابع هجري حينما تحمّل عبء تعليم علوم الدين واللغة، وازدادت مكانته العلمية عقب سقوط حاضرة القيروان

---

[1]- الشرقاوي عوض، **التاريخ السياسي والحضاري بجبل نفوسة**، مؤسسة تاوالت الثقافية، ط، 2011، ص، 143 وما بعدها.

[2]- الحموي ياقوت، **مصدر سابق**، ج، 04، ص، 230.

[3]- شباب عبد الكريم، **مرجع سابق**، ص، 51.

وخرابها على يد عرب بني هلال سنة 446هـ/1054م بعدما جذب إليه علماء القيروان، ثمّ علماء الأندلس الفارين من النصارى وسوء تسيير ملوك الطوائف، هذه الأوضاع المزرية التي كانت تتخبط فيها دولة الأندلس، دفعت بعلمائها للّجوء إلى حاضرة فاس، وساهموا في إحياء نهضة علمية[1]، واكبت ما كانت عليه مثيلاتها في (بغداد، قرطبة، القاهرة، دمشق).

- **مراكش**: مدينة أثرية عريقة اختطّها يوسف بن تاشفين أيام الحكم المرابطي للمغرب سنة 454هـ لتكون مركز ولايته وسياسته، لذا عُدّت من أهم مراكز العلم بالمغرب الأقصى، حيث كانت مقصد الطلبة والعلماء في المغرب كلّه، لكنّ الدور الحضاري لها بدأ خلال القرن السادس في عصر الموحدين حينما أسّسوا بها الكثير من المساجد والمدارس والمعاهد التعليمية التي استقطبت العلماء من كل جهة[2]، وأصبحت خلال القرنين السادس والسابع الهجريين منارة علمية وحضارية هامّة في المغرب الأقصى.

[1]- علاّم عبد الله علي، **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، دار المعارف، القاهرة، د.ت.ط، ص، 274.

[2]- راجاح، **مرجع سابق**، ص، 56.

❖ المبحث الثاني:

الحالة العلمية لبلاد الحجاز قبل القرن 06هـ/12م

01- الحجاز "المفهوم والدلالة"

أولا: الحجاز عند اللغويين:

– في اللغة: الحِجَاز بكسر الحاء، في اللغة مأخوذ من الحجز، فيقال حجزه يحجزه إذا منعه وصدّه عن قصده[1]، وعند الفيروز أبادي "حجزه: يحجُزُه ويحجِزُه حَجْزًا وحِجّيزَى وحِجازة: منعه وكفّه فانحجز وبينهما: فَصَلَ، والحَجَزَة: الظلمة الذين يمنعون بعض الناس من بعض، ويفصلون بينهم بالحق، والحجاز: مكة والمدينة والطائف ومخاليفها لأنّها حجزت بين نجد وتهامة أو بين نجد والسراة أو لأنّها احْتُجِزَت بالحِرَارِ الخمس حرّة بني سُليم وواقِم وليلى وشَوْرَانَ والنّار[2].

ونقل بكر بن عبد الله أبو زيد عن معنى الحجاز في اللغة: " الحد الفاصل"، ثمّ ذكر في سبب التسمية وجهين اثنين هما[3]:

الأول: سمّيت الحجاز حجازا لأنّها قد احتزمت واحتجزت بالجبال، أو بالحِرَارِ، أو بهما فسُمّيَت حجازا، فهو من الاحتجاز بمعنى شدّ الوسط بالحُجزة أو بالحجاز.

---

[1]- البكري عبد الله، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تح، مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط، 03، 1403هـ، ج،01، ص،12.

[2]- الفيروز آبادي مجد الدين محمد، **القاموس المحيط**، تح، مكتب تحقيق التراث، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط، الثامنة، 1426هـ/2005م ج، 01، ص، 507، 508.

[3]- أبو زيد بكر بن عبد الله، **خصائص جزيرة العرب**، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط، 1420هـ، ص، 24، 25.

الثاني: سمّيت بالحجاز لأنّ جبالها وحِرَارَها قد حجزت بين نجد والسراة، أو بين نجد واليمن، أو بين نجد وبين إقليم تهامة، أو بين الشام والغور، فسمّيت بذلك حجازا.

- **الاصطلاح** يدل على البلد، وسمي بذلك من الحجز أي الفصل بين الشيئين[1]، "لأنه فصل بين الغَوْر[2] والشام والبادية، وقيل لأنه حجز بين نجد والسراة[3]، وقيل لأنّه حجز بين تهامة ونجد " [4].

ويضيف البكري قول الخليل بن أحمد[5]: "أنه سمي حجازا لأنّه فصل بين الغور وبين الشام، وبين تهامة ونجد"[6]، والحجاز هو جبل ممتد حال بين الغور (غور تهامة) ونجد (اليمن) فكأنّه منع كلّ واحد منهما أن يختلط بالآخر فهو حاجز بينهما، وتطلق اللفظة أيضا على الجبال في قول: "نحن أناس لا حجاز بأرضنا"[7] (أي لا جبال بها) .

---

[1]- ابن منظور جمال الدين محمد، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د.ت.ط، ج، 05، ص، 331.

[2]-**الغور**، بالفتح ثم بالسكون وهو المنخفض من الأرض، قال الأزهري، الغور تهامة وما يلي اليمن، (انظر الحموي ياقوت، **معجم البلدان**، ج، 04، ص، 217).

[3]- **جبل السراة**، هو الحد بين تهامة ونجد، وهو أعظم جبال العرب حتى سمته العرب حجازا، انظر، البكري، **معجم ما استعجم** ج،01، ص،08.

[4]- ابن منظور، **مصدر سابق**، ج، 05، ص، 331.

[5]- **الفراهيدي الخليل بن أحمد**، صاحب العربية وأول من أحدث علم العروض، وكانت له معرفة بالنظم والإيقاع (ت،175هـ) انظر، السيوطي جلال الدين، **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تح، محمد إبراهيم أبو الفضل، مط، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط، 01، 1384هـ، 1965م، ج، 01، ص، 557، 560.

[6]- البكري، **مصدر سابق**، ج، 01، ص، 12.

[7]- ابن منظور، **مصدر سابق**، ج، 05، ص، 331.

ويرى الأصمعي في تسميته بحجاز لأنّه حجز بين نجد وتهامة، ولامتداده بينهما[1]، بينما يرى الحميري "أنّه سمي بالحجاز لأنّه حجز بين الغور والشام، وقيل حجز بين نجد والسراة" [2] كما ذكرنا آنفا.

أمّا الرحالة المسعودي فيرى أنّ الحجاز هو "حاجز بين الشام واليمن والتهائم"[3] انتهى قوله.

ثانيا: الحجاز عند الجغرافيين:

اختلف الجغرافيون في ضبط معالم وحدود الحجاز الجغرافية وسأحاول تقديم بعض آرائهم في التحديد:

أُطلق الحجاز على البقعة الممتدة من اليمن جنوبا حتى أطراف بوادي الشام شمالا لحجزه بين الغور والشام، وقيل بين حجز بين نجد والسراة[4].

وقال الشافعي في ذلك: "الحجاز مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها"[5].

---

[1]- القلقشندي أبو العباس أحمد، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: 1340هـ، 1922م.ج،04، ص، 246.

[2]- الحميري، **الروض المعطار**، ص، 188.

[3]- المسعودي أبو الحسن على بن الحسين، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، اعتنى به، كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط، 01، 1425هـ، 2005م، ج، 02، ص،49.

[4]- الحميري، **مصدر سابق**، ص، 188.

[5]- الفيروز آبادي، **المغانم المطابة في معالم طابة**، تح، حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط، 01، 1389هـ/1969م، ص، 102؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج، 04، ص، 250، السمهودي نور الدين علي، **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، تح، محمد محي الدين عبد المجيد، دار التراث العربي، بيروت، ط، 04، 1404هـ، 1984م، ص، 1182.

وحدّد الهمداني "الحجاز ما احتجز به في شرقيه من الجبال وانحدر إلى ناحية فيْد وجبلي طيء[1]-ونعني بهما جبلي "اجأ وسلمى" المشهورين عند العرب- إلى المدينة وراجعا إلى أرض مذحج[2] من تثليث[3]" [4].

وورد تحديد آخر للحجاز لدى الأصفهاني: "بأنه يمتد من تخوم(أي حدود)صنعاء جنوبا إلى تخوم الشام شمالا"[5]، وسمي حجازا لأنّه حجز بين تهامة ونجد، فمكة تِهامِية والمدينة والطائف من الحجاز[6].

وذكر البكري نقلا عن عرام ابن الأصبغ(ت: 275هـ) حدّي الحجاز الشرقي والغربي، فقال أنّ "الحجاز المنطقة الواقعة بين المدينة ومعدن النّقرة[7]، فالمدينة نصفها حجازي ونصفها تهامي"[8].

---

[1]- **طيء**، قبيلة قحطانية يمنية الأصل، وهي قبيلة من كهلان من القحطانية تنتسب إلى أدد بن زيد بن يشجب بن عريب ابن زيد بن كهلان، كانت منازلهم بأرض اليمن فخرجوا منها ونزلوا "اجأ وسلمى" وهما جبلان في بلادهم يعرفان الآن بجبلي طيء، وقال ابن سعيد: "هم الآن أمم تملأ السهل والجبل حجازا وشاما وعراقا". ينظر، القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تح، علي الخاقاني، مطبعة النجاح، بغداد، ط، 1378هـ/1958م، ص، 300، 301.

[2]- **أرض مذحج**، بفتح الميم وسكون الذال المعجمة نسبة إلى مذحج، وهو مالك بن جرثومة كبيرة من قبائل اليمن منها عنس ومراد والحدا والنخع والرها، انظر، الهمداني الحسن بن أحمد بن يعقوب، **صفة جزيرة العرب**، تح، محمد بن علي الأكوع الخولي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط، 01، 1410هـ/1990م، هامش ص، 85.

[3]- **تثليث**، بكسر اللام، وهي موضع بالحجاز قرب مكة (انظر، الحموي، **معجم البلدان**، ج، 02، ص، 15).

[4]- نواب عواطف، **الرحلات المغربية**، ص، 27.

[5]- الأصفهاني الحسن بن عبد الله، **بلاد العرب**، تح، حمد الجاسر وصالح العلي، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض/ المملكة العربية السعودية، د ت ط، ص، 14.

[6]- الأصفهاني، **المصدر نفسه**، ص، 14.

[7]- **معدن النقرة**، تقع بطريق مكة، وهي منازل حجاج الكوفة وهي حد نجد (انظر، الحموي، **مصدر سابق**، ج، 05، ص، 298، 299).

[8]- البكري، **مصدر سابق**، ج، 01، ص، 10، العلي صالح أحمد، **الحجاز في صدر الإسلام، دراسات في أحواله العمرانية والإدارية**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط، 01، 1410هـ، 1990م، ص، 71.

أمّا ابن حوقل فحدّده جنوبا بالسرين[1]، وشمالا بمَدْيَنَ والحِجْر، وشرقا باليمامة وجبلي طيء[2].

وذكر ياقوت الحموي "أنّ الحجاز ما حجز بين تهامة ونجد وبين الشام وتهامة والبادية"[3]، كما نقل عن الأصمعي قوله: "إنّ مكة تهامية والمدينة والطائف حجازية"[4].

ثالثا: الحجاز عند المعاصرين والمحدثين:

يرى صالح العلي أنّ الحجاز هو "الحد الفاصل بين تهامة ونجد مع التسليم بالاختلاف في تحديد الأماكن من الجهتين الشرقية والغربية كونه كان متأثّرا بالتنظيمات الإدارية في زمان كل مؤلّف" [5].

ويقدّم أحمد الشريف تحديدا آخر لعلّه أكثر دقّة ووضوحا من سابقيه في "أنّ الحجاز لا يقتصر على الجبال الممتدّة من خليج العقبة إلى عسير، بل يشمل تهامة، ويقدّر المسافة بين الشمال إلى الجنوب بـ: 700ميل طولا، و250ميل عرضا"[6].

ونختم بقول حافظ وهبة الذي يرى "بأنّ الحجاز يقع من جزيرة العرب في ناحيتها الشمالية والغربية، وهو ممتد من معان ماراُ برأس خليج العقبة إلى نقطة لبن الليث والقُنفَذَة[7]

---

[1]- **السرين**، بلدة تقع بالقرب من مكة على ساحل البحر، وتبعد 04، 05 أيام قرب جدّة (انظر، الحموي، **معجم البلدان**، ج،03، ص، 219).

[2]- النّصيبي أبو القاسم ابن حوقل، **كتاب صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ط، 1992م، ص، 29.

[3]- الحموي، **معجم البلدان**، ج، 02، ص، 218، 219.

[4]- الحموي، **نفسه**، ج، 02، ص، 218، 219.

[5]- العلي صالح أحمد، **مرجع سابق**، ص، 61 –بتصرف–.

[6]- بادشاه حافظ محمد، **الحجاز في أدب الرّحلة العربي**، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، إشراف د، كفايت الله همداني، كلية الدراسات والبحوث المتقدّمة المتكاملة، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، باكستان، سنة، 2013م.

[7]- **القنفذة**، هي إحدى أكبر محافظات منطقة مكة المكرمة، كان ظهورها نهاية القرن 08هـ/14م بداية القرن 09هـ/15م، وهي تقع على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر، وتبعد عن مكة المكرّمة بـ 344كم برا، وعن جدّة=

على شاطئ البحر الأحمر، أمّا حدوده من الجهة الشرقية فلم تكن معروفة تماما، بل تمتد وتتقلّص تبعا لقوة الأتراك والأشراف"[1]، ثم يردف بقوله: "وفي البادية يطلقون الحجاز على المنطقة الجنوبية للطائف، فإذا قالوا هذا البدوي حجازي فيعنون بذلك أنّه من جنوبي الطائف، وهذه التسمية لها وجه، فإن جبال السّراة الممتدة من اليمن إلى الشمال هي حجاز، بمعنى أنّها فاصلة بين الغَوْر وهو تهامة ونجد" [2]انتهى قوله.

من خلال ما سبق من المفاهيم نجد شبه اتفاق بين أهل الجغرافيا، لكن الاختلاف يكمن في التحديد الجغرافي لا اللغوي للكلمة، وقد قُدِّمت أبحاث عديدة قصد فهم الإطار الجغرافي للحجاز عند العرب من خلال ما كتبه المسلمون فيما مضى.

والسبب في الخلاف الموجود بين هؤلاء المؤلفين لتحديد جغرافيته راجع إلى اختلاف الحدود الإدارية لأقسام الجزيرة العربية بسبب اختلاف حقبهم الزمنية، ما جعل كل واحد منهم يضبط تقسيما إداريا مخالفا لمن يأتي بعده[3].

إذاً فمصطلح "الحجاز" معروف منذ القدم يوم كان سكان شبه الجزيرة العربية يعيشون متفرقين يسودهم التفكك السياسي والديني قبل مجيء الإسلام. وكانوا مجموعة قبائل استقرت في مناطق معينة غير متطابقة مع التقسيمات الجغرافية الحالية، طبعا مع ميزة تمتع بعض مدنه بالاستقلال أي لم يكونوا خاضعين لسلطة ما. خاصة مكة المكرمة والمدينة المنورة[4] .

=320كم جوّا و375كم برا، وبها مرسى بحري هام برزت من خلاله. للمزيد ينظر، العجلاني يحي بن إبراهيم، **القنفذة نشأة وتاريخ**، د.د.ن، ط، 02، 1431هـ/2010م، ص، 21.

[1]- وهبة حافظ، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، ط، 03، 1375هـ، ص، 14.

[2]- وهبة حافظ، **نفسه**، ص، 14.

[3]- العلي صالح أحمد، **الحجاز في صدر الإسلام**، ص، 61.

[4]- العلي صالح، **المرجع نفسه**، ص، 61.

وبعد مجيء الإسلام أصبحت منطقة الحجاز قسما لا يتجزأ من الدولة الإسلامية. فأوجد المسلمون له تقسيمات إدارية تتلائم ومستجدات الظروف دون الالتزام بالتقسيمات الجغرافية التي رأينا فيها تضارب آراء. فنتج عن ذلك عدم ثبوت تلك التقسيمات مما جعل للمدينة ومكة والطائف واليا قائما بذاته، امتدت في بعض الأحيان سيطرته السياسية إلى أطراف العراق [1].

ولعدم اتفاقهم على حدود جغرافية واضحة المعالم للحجاز، سنقتصر على المنطقة التي يعتقد أنّها من الحجاز. والتي تبدأ من تبوك شمالا إلى أطراف اليمن جنوبا، ومن ساحل البحر الأحمر غربا إلى أطراف نجد شرقا.

02- الحالة العلمية لمكة المكرمة قبل القرن 06هـ/12م

كانت مكّة المكرمة لا تزالت مذ تحظى بناه خليل الله إبراهيم عليه السلام بنصيب وافر وقدر عال من التقدير والاحترام والاهتمام كونها بلد الله الأمين، وقد خصّها الله بالذكر والتشريف في كتابه الكريم لقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾[2] ومن زاوية أخرى أنّها مهبط الوحي والرسالة على رسوله ﷺ بأعظم معجزة وهي "القرآن الكريم"، وثالثها أنها مكان وجود الكعبة المشرفة قبلة المسلمين زادها الله تعظيما وتشريفا، وغيرها من الميزات والصفات التي جعلت منها قطبا

[1]- العلي صالح، **تحديد الحجاز عند المتقدمين**، مجلة العرب، الرياض، ع، 01، السنة 03، 1388هـ، 1968م. ص، 201.

[2]- **آل عمران**، الآية، 96، 97.

علميا هامّا يزدحم برجال الحديث والقرّاء[1] خلال العصر الذهبي الأول وما بعده، وبمرور الأيام والسنين ازداد الإقبال على العلم في المسجد الحرام –بسبب الاستقرار السياسي وبعدها عن الفتن كيف لا وقد نالت دعاء سيدنا إبراهيم لها في قوله عز وجلّ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [2] وما فتئت العلوم تنتقل بين العلماء جيلا بعد جيل، واستمرت مكة المكرمة مركزا علميا أيام الأمويين ثمّ العباسيين، وظل العلماء يتلقون العلم طبقة عن طبقة حتى امتلأ المسجد بحلقات عديدة، لكن بحلول القرن الرابع هجري المطابق للقرن العاشر للميلاد، أضحى ضعف النشاط العلمي بمكة جليا بسبب رحيل الكثير من علمائها إلى الأقطار الإسلامية الأخرى لنشر العلم ورواية الحديث واستمر هذا الضعف خلال القرن الرابع، وقد صرّح بذلك الدكتور أحمد السباعي بقوله:" ثم ما لبث أن توزّع أعلام مكّة في الأمصار فضعف النشاط العلمي، فما إن حلّ القرن الرابع الهجري حتى كانت علامات الضعف قد زادت وضوحا في البلاد[3] –يعني مكة– ثم يضيف الكاتب ورغم ما كان يعيشه العالم الإسلامي من ويلات الفتن والتمزق الوحدوي والتّعدد المذهبي بيّن أنّ مكّة و بلاد الحجاز عموما وقتها كان بمنأى عن تلك التطورات السياسية التي عصفت بالعالم الإسلامي من ظهور للخوارج والمعتزلة والمرجئة، وذيوع مذاهب الشيعة على اختلاف أنواعها، فرغم ما كانت تعاني منه معظم المدن الإسلامية عموما من قلاقل وأزمات غير أنّ بلاد الحجاز –مكة والمدينة –ظلت بعيدة عن هذه الاختلافات لا يميل أصحابها لغير أهل السنة[4]، لكن المذهب الشيعي قد وجد

[1]– صالح عبد الله عبد الرحمن، **تاريخ التعليم في مكة المكرمة**، مؤسسة الرسالة، د ت ط، ص، 38.

[2]– **البقرة**، الآية، 126.

[3]– السباعي أحمد، **تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران**، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، ط، 1419هـ، 1999م، ج،01، ص، 212.

[4]– السباعي، **المرجع نفسه**، ص، 212.

من يناصره في مكة والمدينة خصوصا في الفترة التي بسطت فيها الدولة الفاطمية[1] سلطتها على بلاد الحجاز، وكان الفاطميون حريصون كلّ الحرص أن تكون لهم الخطبة في الحرمين كي يقوى مركزهم السياسي بمكة على اعتبار أنّها قبلة المسلمين وبدءا من سنة 358هـ أعلن أمير مكة الخطبة للمعز الفاطمي، وأصبحت منابر مكة والمدينة يدعى فيها للخليفة الفاطمي "المعز" حيث سُرّ بذلك وشكر الله على ذلك، وكان ذلك سنة 365 للهجرة[2]. كانت هذه لمحة وجيزة عن الجانب السياسي الذي مرت به مكة خلال تلك الحقبة الزمنية.

1- لمحة عامة عن المسجد الحرام وما كان عليه:

تعدّدت مظاهر النشاط العلمي بالمسجد الحرام، وتجلّت تلك المظاهر في جوانب يمكن ضبطها وفق عناصر متمثلة في:

- **نشاط أئمة الحرم**

كان لأئمة الحرم المكي دور بارز في الحفاظ على نشاط الحركة العلمية بالحرم المكي رغم ما كانت تعانيه مكة من أوضاع سياسية، إلاّ أنهم أبقوا على النزعة العلمية التي كان يكتسيها

[1]- بدأ اهتمام الفاطميين ببلاد الحجاز منذ أن تولى الخليفة الفاطمي "المعز " سنة 359هـ/969م أخذ هو ومن جاء بعده من الفاطميين يعملون على تعزيز سلطانهم ونفوذهم على بلاد الحجاز، "مكة والمدينة " بالأموال التي أصبحوا يرسلونها إلى مكة والمدينة المنورة، وبذلك تيسّر للفاطميين بسط نفوذهم على أرض الحجاز، وفي سنة 365هـ /975م بدأ الأشراف بالدعوة للخليفة الفاطمي "المعز الفاطمي" بمكة وبمدينة رسول الله ﷺ،ومنذ ذاك الوقت والحجاز تحت النفوذ الشيعي إلى غاية القرن 06هـ/12م بدايات النفوذ الأيوبي على الحجاز وقضاء صلاح الدين الأيوبي على بقايا الخلافة الفاطمية بمصر.- انظر، سرور محمد جمال الدين ، **النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط، 1993، ص،15 وما بعدها.

[2]- المقريزي أحمد تقي الدين، **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تح، جمال الدين الشيال، محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط، 1416هـ، 1996م، ج، 01، ص،225.

المسجد مع وفرة العلماء ومدارستهم للعلم داخل جنبات وعرصات الحرم، وساهموا في مجال التصنيف والتأليف بمؤلفات كثيرة نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

-أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني "إمام الحرمين"(ت: 478هـ/1085م) الذي أقام بمكة والمدينة المنورة أربع سنين يدرس ويفتي ويصنّف، وأمّ بالناس في الحرمين[1] معا حتى اكتسب اسم إمام الحرمين، ألّف بالحرمين عدّة مصنفات منها: "نهاية المطلب في دراسة المذهب".

-أبو الحسن رزين بن معاوية بن عمار العبدري الأندلسي(ت:525هـ/1130م)[2]: إمام المالكية بالحرم (وهو من المغاربة كما سنرى ذلك لاحقا) وله مصنفات من بينها: "كتاب في أخبار مكة" .

-أبو بكر محمد بن عمر بن عثمان بن عبد العزيز بن طاهر البخاري الحنفي(525هـ/1130م): إمام الحنفية بالحرم الشريف، فقد جاور بمكة سنين وكان إماما لأتباع أبي حنيفة بالمسجد الحرام، وكان مكثرا للحديث[3].

لعل الملاحظ على أئمة الحرم أنّهم من المجاورين من غير أهل مكة، الأمر الذي يؤكّد الفكرة السابقة التي طرحها الدكتور السباعي حينما قال:" ثم ما لبث أن توزّع أعلام مكّة في الأمصار فضعف النشاط العلمي[4] فلو أنّ أهل مكة تفردّوا بالإمامة والفتيا، وتقلد مناصب

[1]- الفاسي تقي الدين، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تح، محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 02، 1406هـ، 1986م، ج،05، ص، 508؛ الحنبلي ابن العماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح، محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، ط: 01، 1413هـ، 1993م، ج،05، ص، 339.

[2]- الفاسي، **المصدر نفسه**، ج،04، ص، 399.

[3]- الفاسي، **نفسه**، ج،02، ص، 226.

[4]- السباعي أحمد، **تاريخ مكة**، ج،01، ص، 212.

الحرم المكي ما حصل ذلك الارتياب، غير أننا نجد أهل الأسر المكية الأصل تفطنت لذلك بعد القرن الخامس الهجري وسارعت إلى توريث أبنائها للعلم أمثال أسرة ابن ظهيرة[1]، وأسرة ابن فهد[2].

- **حلقات العلم**

كان المسجد الحرام حافلا بحلقات العلم التي كانت تعقد بأروقته والجانب المكشوف منه، وقد أدّت هذه الحلقات دورا كبيرا في الحياة العلمية والثقافية وظل المسجد الحرام والمسجد النبوي أيضا يقومان بدور فعّال منذ عهد الرسول ﷺ والصحابة والتابعين وكانت أهم المواد التي كانت تدرّس بتلك الحلقات العلمية بدرجة أولى "القرآن الكريم"، ثم يأتي بعده "الحديث النبوي" .

والجدير بالذكر أنّ حلقات العلم التي تقام بالحرم المكي، لم تكن محصورة أو مقتصرة على الدرس الذي يلقيه العالم المتخصص على طلابه ومن يحضر درسه فقط من المكيين أنفسهم، بل كانت تلك الجلسات فضاء رحبا للمناظرات بين العلماء والمجاورين الوافدين عليهم من شتى أقطار العالم الإسلامي(خاصة من يأتون من بلاد المغرب والأندلس)، وكانت

[1]- أسرة علمية مشهورة في مكة، وهي قبيلة بمكة منهم حفاظ وعلماء ومحدثون، وهم من بني مخزوم ينتهي نسبهم إلى الوليد بن الوليد بن المغيرة ﷺ كما ذكر ذلك ابن فهد.-انظر، بن فهد نجم الدين عمر، **معجم الشيوخ**، تح، محمد الزاهي، منشورات دار اليمامة والنشر للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط، 01، 1402هـ، 1982م، ص، 144.

[2]- نسبة إلى محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ﷺ فهي أسرة هاشمية الأصل، فبعض من المؤرخين يكنيها بالهاشمية (بنو هاشم) وبعضهم يكنّيها بالعلوية (نسبة إلى علي) وكلاهما من قريش، انظر، البدنه خلود عبد الباقي، **الأسر العلمية في مكة، وأثرها على الحياة العلمية والعملية خلال العصر المملوكي (648-923)هـ**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف أد، ضيف الله بن يحي الزهراني، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، سنة،1425هـ، 2004م، ص،54.

مواسم الحج فرصة لعقد الحلقات والمناظرات المختلفة من جميع العلوم النقلية والعقلية ومختلف المعارف[1] في الحرمين –المكي والمدني-.

- **العلماء بالمسجد الحرام**

كان الحرم المكي يعج ويزدحم بالعلماء، وقد لاحظ ذلك الرحالة ابن جبير حينما زار مكة في القرن السادس للهجرة وشدّ انتباهه كثرة حضورهم للحلقات العلمية التي كانوا يعقدونها فقال :"والحرم محدق بحلقات المدرسين وأهل العلم "[2]،وكان علماء الحرم المكي من أهل الحجاز ومن المجاورين الذين آثروا جوار البيت الحرام، فقد نقلت لنا كتب تاريخ مكة وكتب التراجم أيضا عن تلك الحلقات العلمية التي ازدحمت برجال الحديث وعلم القراءات وعلوم اللغة أكثر من العلوم الأخرى، والسبب راجع حسب ما اطلعت عليه إلى الكثرة المتواجدة من العلماء المجاورين بمكة والمدينة أيضا الذين هاجروا إليهما لأسباب منها: بُعدُهما عن الاضطرابات والفتن التي كانت تتخبط فيها بلدانهم كعلماء المغرب الذين فروا من القلاقل التي أصابت دول المغرب والأندلس أيام ظهور الدول بالمغرب[3]، وعلماء الأندلس الذين فرّوا من بطش النصارى، وظل هؤلاء العلماء يؤدّون رسالتهم جيلا بعد جيل أمثال الأندلسي: عبد الله بن طلحة الأندلسي (ت:523هـ بمكة) فقد اشتهر بإحسانه لتدريس كتاب "سيبويه" على الطلاب في الحرم المكي مما جعل الزمخشري يترك بلده ويرحل إليه في مكّة ليأخذ عنه[4]

[1]- عبد الله عبد الرحمن، **تاريخ التعليم في مكة**، دار الفكر، بيروت، ط، 01، 1392هـ، 1973م، ص،41.

[2]- ابن جبير، **رحلة ابن جبير**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ط، 01، د.ت.ط، ص، 68.

[3]- نشأت دول إسلامية على مر العصور الإسلامية في أقطار المغرب الإسلامي مثل دولة الرستميين بالمغرب الأوسط، والأغالبة بالمغرب الأدنى، حتى حسمت الدولة الفاطمية، الأمر بقيام دولتها التي امتدت على المغرب كلّه غربا وشرقا، حين امتد نفوذها إلى مصر والشام والحجاز، للمزيد انظر، شبانة محمد كمال، **الدويلات الإسلامية بالمغرب**، دار العالم العربي، القاهرة، ط، 01، 1429هـ، 2008م، ص، 08.

[4]- ضيف شوقي، **تاريخ الأدب العربي**، دار المعارف، القاهرة، ط، 02، د.ت.ط، ج، 05، ص، 63.

وقد كان العلماء والمدرِّسون بالمسجد الحرام يؤدّون رسالة التعليم دون مقابل مثلما ذكر ذلك ابن خلكان " أنّ هؤلاء العلماء لم يتقاضوا راتبا معينا لقاء الدروس في المسجدين –الحرام والنبوي – كما أنهم لم يأخذوا من الطلبة صدقة أو زكاة لأنّ تعليمهم كان في سبيل الله[1]

- **العلوم التي كانت تدرّس بالمسجد الحرام**

ارتكزت أهم العلوم التي كانت تدرّس بالمسجد الحرام على: علم القراءات وتفسير القرآن، والحديث الشريف، والفقه، وعلوم العربية، وكان لعلم التصوف نصيب قليل من هذه العلوم[2]، إضافة إلى ذلك هناك علوم أخرى لم تكن تدرس كدروس الشعر والعلوم العقلية كالمنطق، والفلسفة إذ لم يكن لها نصيب من حلقات العلم بالمسجد الحرام لاقتصارهم على النقلية المأخوذة من الكتاب والسنة النبوية فقط.

وكان المُدرِّس غير مضبوط بمنهاج أو برنامج عمل كما هو معمول به الآن في وقتنا الحالي، حيث كانت له حرية الاختيار فيما يلقيه إذ هو من يقرّر ما يريد تدريسه حسب احتياجاتهم المعرفية، وكان الدرس يعقد يوميا في المسجد، ويحضر الجميع إلى حلقته دون تفرقة، جاعلا البساطة والتواضع هو الواجب الأساسي تجاه طلبته، وهم بدورهم يستمعون إليه فيناقشهم ويناقشونه [3] متّبعين في ذلك المناهج والأطر التعليمية القديمة التي تعتمد على الإملاء والقراءة ودراسة الرواية والدراية فكان يتخرّج من الحرمين الألوف في كلّ عام: في التفسير

[1]- مالكي سليمان عبد الغني، **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى بداية سقوط الخلافة العباسية**، رسالة دكتوراه، إشراف أد، محمد أمين صالح، قسم التاريخ بكلية الآداب /جامعة القاهرة، سنة، 1401هـ/1981م، ص، 297.

[2]- مالكي سليمان، **المرجع نفسه**، ص،297.

[3]- باقاسي عائشة عمر، **بلاد الحجاز في العصر الأيوبي "567-648هـ/1171-1250م**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف أد، حسين محمد ربيع، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز بالسعودية، سنة،1399-1400هـ، 1979-1980م، ص، 145.

والحديث، والفقه والأصول، واللغة، وعلم القراءات، وعلوم اللغة[1]، وتمنح في نهاية المطاف للطلبة إجازات علمية من أساتذتهم عكس وقتنا المبني على منح الشهادات وربما لا يكون جديرا بذلك الاستحقاق.

لقد كان الحرم المكي بمكة ولايزال منبرا وجامعة علمية يتخرج منها الألوف في كلّ عام في مجال التفسير والحديث والفقه والأصول واللغة وعلم القراءات وشتى صنوف المعرفة، وما تجدر الإشارة إليه ونحن نذكر منابع العلم بمكة لم تكن مقتصرة على المدرسين بها فقط بل كانت تعقد المناظرات العلمية بين علمائها والمجاورين الوافدين إليها من أقطار العلم خاصة في مواسم الحج أين يكثر الحضور وتزدان العرصات بحلقات العلوم الفقهية والعقلية ومختلف العلوم[2] التي يجد فيها الطالب متعة التلقي من أفواه العلماء وقد أشار إلى ذلك ابن جبير كما أشرنا إلى ذلك سابقا.

2- مظاهر من الحياة العلمية بمكة المكرمة

- **الأربطة**

في بداية الأمر كان الرباط له دور الحماية يقطنه العسكر المرابطون على الحدود منذ القرن الأول للهجرة لكن في القرن الرابع الهجري ونظرا لاتساع الدولة الإسلامية أواخر الدولة العباسية تغيرت وظيفة الرباط من الجانب السياسي إلى الجانب الاجتماعي ثمّ الديني وأصبح مأوى للفقراء والمساكين، والعلماء المجاورين للحرمين،وكان لهذه الأربطة الدور الهام في نشر

[1]- باقاسي عائشة عمر، **مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الهجري "دراسة تاريخية حضارية"**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف أ د، محمد الحبيب الهيلة، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة، 1413، 1414هـ، ص، 180.

[2]- باقاسي، **المرجع نفسه**، ص،180.

العلم والثقافة، وكان العلماء الذين ينزلون الأربطة يقومون بعقد الحلقات التعليمية، وإلقاء الدروس، وكثير منهم ألّفوا تصانيفهم فيها لتوفر الكتب في بعضها وهدوء الجو فيها، وعادة ما كانت أوقاف وصدقات أهل البلد توجّه إلى تلك الأربطة، أمّا عن الرباطات بمكة فلم يظهر نشاطها العلمي إلاّ خلال منتصف القرن السادس للهجرة وما بعده فقط، لكن وجدنا رباطين أو ثلاثة ظهروا خلال القرن الرابع الهجري وهم "رباط السدرة"[1]، و"رباط الحافظ ابن مَنْدَه"[2]، و"رباط السيد الشريف بن عجلان"[3].

- **المدارس**

فيما يخص نظام المدارس كان أول ظهور لها في عصر السلاجقة على يد الوزير نظام الملك السلجوقي حينما أسّس المدرسة النظامية[4]، وكانت المدارس في مكة متأخرة الظهور

[1]- **رباط السدرة**، يقع في الجانب الشرقي من المسجد الحرام بين باب السلام وباب النبي صلى الله عليه وسلّم حسب رواية الفاسي في الشفاء، ويعتبر هذا الرباط أول رباط وجد بمكة يحمل اسم "الرباط" وقد أوقفت هذا الرباط هاجر خالة الخليفة المقتدر بالله سنة 312هـ/924م. (انظر، الفاسي تقي الدين محمد، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، تح: د. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط، 01، 2007، ج، 01، ص، 542، شافعي حسين عبد العزيز، **الأربطة في مكة المكرمة منذ البدايات حتى نهاية العصر المملوكي**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط، 1426هـ، ص،29).

[2]- **رباط الحافظ ابن مَنْدَه، البرهان الطبري**، اكتسب تسميته من الحافظ أبي عبد الله بن منده الأصبهاني، وفي زمن الفاسي عرف باسم رباط البرهان الطبري، ويقع هذا الرباط عند زيادة دار الندوة وبابها الذي يخرج منها على السويقة في الجهة الشمالية من المسجد الحرام، وذكر المؤرخون سنة في القرن الرابع الهجري، العاشر ميلادي (انظر، الفاسي، **شفاء الغرام**، ج،01، ص، 543).

[3]- **رباط بن عجلان**، أنشأه السيد الشريف بدر الدين حسن بن عجلان الحسني نائب السلطنة بمكة وجميع مناطق الحجاز بتاريخ 303هـ، وهو مقابل المدرسة المقابلة للمدرسة المجاهدية، وله عليه أوقاف بمكة ومنى ووادي مَر. (انظر، الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 01، ص، 545).

[4]- أسّسها نظام الملك أبو علي الحسن بن علي وزير السلطان السلجوقي ملك شاه بن ألب أرسلان السلجوقي، قلت أسسها ببغداد سنة 457هـ وهي أول مدرسة قرر فيها للفقهاء أرزاقا (انظر، المقريزي، **المواعظ والاعتبار بذكر=**

نوعا ما إذ لم تظهر بها سوى في النصف الثاني من القرن السادس للهجرة النبوية، سأتطرق إلى مادته العلمية في فصول قادمة من الرسالة.

- **الكتاتيب**

ظهرت الكتاتيب في إطار مؤسسة تعليمية بغرض تعليم صغار المتعلمين، وقد اكتسبت تسمية "كُتاب" لأنّ الطفل يتعلّم مبادئ الكتابة، ثمّ أطلقت التسمية على كلّ مؤسّسة تعليمية تسعى لتعليم الطفل وتحفيظه القرآن الكريم [1].

لقد أدّت الكتاتيب بمكة دورا هاما في تنشيط الحياة التعليمية والثقافية بها خاصة في القرن الرابع والخامس فالسادس للهجرة، وهي فترة حكم الفاطميين للحجاز[2]، وفي ذلك الحين لم تكن الكتاتيب مستقلة بنفسها بل كانت متخذة من المسجد مقرا لها وكان يقوم على هذه الكتاتيب مؤدبون ومعلمون للأطفال، وعادة ما يؤدي هذا المؤدب واجبه المنوط به، وتذكر لنا كتب الحجاز في تلك الفترة أن معلمي الأطفال بمكة كانوا يقومون بتأدية رسالتهم العلمية

=**الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، تح، د. محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط: 01، 1997، ج، 02، ص، 363.

[1]- عبد الرحمن صالح، **تاريخ التعليم في مكة**، ص،49، 50.

[2]- كان تطلّع الفاطميين إلى بلاد الحجاز منذ وصولهم إلى مصر سنة 358هـ/968م، وكان اهتمام الفاطميين للحجاز في عهد الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفاطمي حينما تدخّل في فك النزاع القائم بين بني الحسن وبني الحسين في مكة المكرمة في سنة 348هـ/959م، وكان الهدف من وراء هذا بسط النفوذ الفاطمي على الأراضي المقدسة بالحجاز كي يضعفوا من شأن الدولة العباسية، وفي سنة 358هـ/968م استطاع الأمير محمد بن جعفر الحسني الموسوي من الاستيلاء على مقاليد الحكم في مكة المكرمة وبالدعوة للخليفة الفاطمي المعز لدين الله على منابر مكة المكرمة في خطبة الجمعة، هذا الأمر جعل جوهر الصقلي يراسل قائده المعز لدين الله بالمغرب يخبره بما فعله أميره محمد بن جعفر بمكة، وأنّه أقام له الخطبة على المنبر، الأمر الذي جعل الخليفة الفاطمي يقلّد الأمير محمد بن جعفر الموسوي أعمال مكة المكرمة بمرسوم، وكانت هذه بدايات النفوذ الفاطمي على بلاد الحجاز، (للمزيد انظر، باقاسي عائشة عبد الله، **مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع**، ص، 24، 26).

في المسجد الحرام، وكان المقرر في هذه الكتاتيب يرتكز أساسا على تعليم مبادئ القراءة والكتابة والقرآن، وكانوا يتعلمون أيضا قواعد اللغة العربية وقصص الأنبياء،وأحاديث المصطفىﷺ [1] .

03- الحالة العلمية للمدينة المنورة قبل القرن 06هـ/12م

المدينة المنورة "طيبة الطيّبة" اتخذها رسول الله ﷺ دار هجرته ومقامه، وبها قبره ومسجده، ومن شدة حبّه لها أن أقام بها أسس الأمّة الإسلامية، ومنها انطلقت الدعائم الأساسية للحضارة الإسلامية التي غيّرت التاريخ، فكانت بذلك أول عاصمة وحاضرة لدولة إسلامية أذعنت لها أعظم إمبراطوريتين آنذاك "الفرس والروم"، ونالت بذلك شرف دعاء رسول الله ﷺ لقاطنها وساكنها لما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قوله: "اللهم اجعل المدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة "[2].

ومن فضائلها حثّه عليه الصلاة والسلام على الإقامة والمجاورة بها والسكنى فيها دون غيرها من البلدان، فعن قتيبة بن سعيد، عن عبد العزيز يعني (الدّراوردي) عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: " يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ: هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ،

[1]- شلبي أحمد، **التربية الإسلامية نظمها، فلسفتها، تاريخها**، جامعة القاهرة، القاهرة، ط، 06، 1978م، ص، 46.

[2]- العسقلاني ابن حجر، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تح، عبد العزيز بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ط: 01، 1379هـ، ج، 04، ص، 117 (رقم، 1885).

لَا يَخْرُجُ مِنْهُمْ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللَّهُ فِيهَا خَيْرًا مِنْهُ، أَلَا إِنَّ الْمَدِينَةَ كَالْكِيرِ تُخْرِجُ الْخَبِيثَ لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَنْفِيَ الْمَدِينَةُ شِرَارَهَا، كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ"[1].

هذه ميزة من ميزات عديدة جعلت منها قبلة ووجهة قاصدي بلاد الحجاز من حجيج وعلماء وطلبة علم، أضف إلى ذلك توفر الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي بها من جهة.

ومن جهة أخرى تلك الحالة العلمية التي كانت تزخر بها المدينة المنورة منذ عصر النبي ﷺ إلى (ما بعد القرن الرابع للهجرة) وقد أشار إلى ذلك الإمام السخاوي حين قال: "فأمّا المدينة–دار الهجرة– فكان العلم وافرا بها في زمن الصحابة من القرآن والسنة، وفي زمن التابعين كالفقهاء السبعة وزمن صغار التابعين ..."[2]، لكنّه أشار إلى أنّ العلم بها تناقص جدا ثمّ تلاشى فيما بعد، وبيّن أنّ السبب في ذلك مردّه إلى فئة الشيعة الروافض –ويقصد بهم الفاطميين – الذين سكنوا المدينة المنورة، وتحكّموا بها وغلب أمرهم عليها [3]، ورغم ذلك فقد حافظت على مكانتها وقداستها الروحية والعلمية شأنها شأن مكة كرّمها الله، هذه الوضعية المستتبة والمستقرة حفّزت طبقة العلماء والطلبة من المجتمع المغاربي على اتخاذ المدينة المنورة مقرا لإقامتهم ومجاورتهم ردحا من الزمن، ولتقريب الصورة أكثر إلى القارئ الكريم لهذه الرسالة لا بعد من وضع وصف سريع لنقاط ومراكز العلم بها كي نستخلص المزيد من عوامل الجذب التي أدّت إلى رحلات أولئك المغاربة إليها وجعلها محط إقامتهم.

---

[1]– مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تح، نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، ط، 1427هـ، 2006م، ص، 625 (كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها رقم 1389).

[2]– السخاوي، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**، تر، صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط، 01، 1407هـ، 1986م، ص، 278.

[3]– السخاوي، **المصدر نفسه**، ص، 278.

1. لمحة عامة عن الحياة العلمية بالمسجد النبوي وما يحيط به:

تعدّدت مظاهر النشاط العلمي بالمسجد النبوي، وتجلّت تلك المظاهر العلمية من خلال الصورة التي وصل إليها المجتمع، ويمكن ضبطها وفق ما يلي:

1- العلماء بالمسجد النبوي:

كان الحرم المدني يعجّ بالعلماء، وكان أكثر علماء الحرم المدني من المجاورين الذين آثروا جوار الروضة الشريفة، وقد كان العلماء والمدرسون بالمسجد النبوي يؤدّون رسالتهم التعليمية على لأكمل الوجوه وأتمّها دون مقابل مثلما ذكر ذلك ابن خلكان " أنّ هؤلاء العلماء لم يتقاضوا راتبا معينا لقاء الدروس في المسجدين –الحرام والنبوي – كما أنهم لم يأخذوا من الطلبة صدقة أو زكاة لأنّ تعليمهم كان في سبيل الله[1]، وعن أهم وأشهر العلماء الذين ازدانت بهم المدينة المنورة نجد:

– أبا بكر محمد بن عمر بن عثمان بن عبد العزيز بن طاهر البخاري الحنفي إمام الأحناف بالحرم النبوي، كان شيخا فاضلا صالحا مكثرا من الحديث إلى حين وفاته سنة 525هـ/1130م.[2]

– سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الأندلسي الياجي الفقيه المالكي، وأحد حفاظ الفقه والحديث، أقام بمكة مع أبي ذر الهروي ثلاث سنوات يأخذ عنه علم الحديث والفقه والكلام، وحجّ أربع حِجَج. توفي سنة 474هـ/1081م.

[1]– مالكي سليمان عبد الغني، **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف**، ص، 297.

[2]– الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 226.

2- حلقات العلم:

كان المسجد النبوي حافلا بحلقات العلم، وقد قامت هذه الحلقات بدور كبير في ازدهار الحياة العلمية والثقافية به، وظل المسجد النبوي أيضا يقوم بدور فعّال منذ عهد الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، وقد كانت تُقام به الحلق والمجالس العلمية نظرا لوجود العلماء به سواء من أبناء المدينة نفسها أو ممّن رحلوا إليه من مختلف الأقطار الإسلامية الأخرى بهدف المجاورة به والتفرغ للعبادة ونشر العلم فيه ولعظم الأجر وثواب الصلاة فيه بعد المسجد الحرام جعل منه رباطا وملتقى للطلبة الذين يحرصون على الرحلة والهجرة إليه[1]، الأمر الذي جعله يزخر ويزدحم بالحلق والمجالس العلمية الدائمة كالمسجد الحرام بمكة، فكانت سواريه وروضته الشريفة أماكن للقراء والمحدثين والفقهاء وغيرهم من العلماء يقصدونها للعلم والتعلم[2].

لقد كانت هذه الحلقات بالمسجد تجسّد أبرز مظاهر النشاط العلمي بالمدينة المنورة بما أتاحته من إثراء للحركة العلمية، فقد كان العلماء يلقون دروسا مختلفة في التفسير والقراءات والحديث والفقه والأصول والصرف والنحو والبلاغة، ومع هذا الزخم المعرفي الهائل وجدنا العلماء ممن كانوا يقيمون في المدينة المنورة ويطيب لهم الحديث فيلقون أثناء ذلك دروسا علمية إضافة إلى ذلك يجيبون على الأسئلة العامة والخاصة[3]، بل إنّنا نجد من تخصّص بالفتوى فقط دون إلقائه للدروس من أمثال أبي الحسن علي بن موسى بن جعفر الهاشمي[4]، واستمرّت هذه

---

[1]- الدهاس مشعل عايض، **الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين**، دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف أد، فواز بن علي الدهاس، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بجامعة أم القرى، العربية السعودية، سنة، 1429هـ، 2008م، ص، 191.

[2]- بدر عبد الباسط عبد الرزاق، **الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي**، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ع، 05، السعودية، 31 أوت 2003م، ص، 55.

[3]- الدهاس، **مرجع سابق**، ص، 192.

[4]- الذهبي شمس الدين، **سير أعلام النبلاء**، دار الحديث، القاهرة، ط، 1427هـ، 2006م، ج، 07، ص، 218.

الحلقات العلمية تؤدي دورها المنوط بها، فكان لكل عالم حلقته يتبحر فيها بعلمه والطلبة مجتمعون ينهلون من فكره، وقد نقل لنا ابن فرحون وصفا دقيقا لما كانت عليه الحلق وقتئذ حينما ذكر الحرم الشريف وما يدور فيه من حركة علمية فقال:"كان للحرم الشريف أبهة عظيمة، ومنظرا بهيا، كنت إذا دخلت المسجد الشريف وجدت الروضة المشرفة قد غصّت بالمشايخ المعتبرين"[1] فلربما يستوقفني السائل عن الحقبة التي كان فيها ابن فرحون كونه من أبناء القرن السادس والسابع للهجرة، لكنّه نقل الصورة العامّة التي كانت عليها حلقات العلم المسجد النبوي منذ العصر الذهبي إلى وقته، فالصورة هي نفسها لم تتغير أبدا على مرِّ العصور.

لقد استطاعت هذه الحلقات أن تجذب إليها أعدادا لا حصر لها من طلاب العلم من داخل المدينة المنورة وخارجها، فكان الحجاج والزوار والرّحالة وطلاب العلم، يتلقون علومهم في تلك الحلقات العلمية التي كانت تعقد بمسجدها يوميا.

3- العلوم التي كانت تدرّس بالمسجد النبوي:

وعن أهم العلوم التي تدرّس بالمسجد النبوي فقد تعددت الموضوعات التي تدرّس في الحرم المدني: علم القراءات، وتفسير القرآن، والحديث الشريف، والفقه، وعلوم العربية، وكان لعلم التصوّف نصيب قليل من هذه العلوم[2]، إضافة إلى ذلك هناك علوم أخرى برع فيها علماء الحرم المدني مثل علم الفرائض والحساب والجبر والمقابلة والمنطق [3]كما نقل ذلك صاحب نيل الابتهاج.

---

[1]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة المسمّى نصيحة المشاور وتعزية المجاور**، تعليق، حسين محمد علي شكري، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر التوزيع بيروت، لبنان، د.ت.ط، ص، 179.

[2]- مالكي سليمان، **بلاد الحجاز منذ عهد الأشراف**، ص، 297.

[3]- التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، اعتنى به عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات دار الكاتب، طرابلس، ليبيا، ط: 02، 2000م ص، 485.

وكما رأينا في صفحة مضت أنّ المدرِّس غير مضبوط بمنهاج أو برنامج، فكان حرا فيما يلقيه وما يدرّسه، ويحضر الجميع إلى حلقته دون تفرقة، وطلبته متحلّقون حوله يستمعون إليه فيناقشهم ويناقشونه[1] في مجالات العلم المعروفة من تفسير، وحديث، وفقه، وأصول، ولغة، وعلم قراءات[2]، وتُتوّج مجهوداتهم بإجازة علمية في تخصص أبانوا فيه جدارتهم.

2. مظاهر من الحياة العلمية بالمدينة المنورة

- **الأربطة**

رأينا في المبحث السابق أن الأربطة في مكة لم تظهر سوى في منتصف القرن السادس للهجرة، والمدينة المنورة لم تحظ هي الأخرى ببناء وتشييد الأربطة إلاّ مع بداية القرن السادس الهجري كمثيلتها مكة المكرمة التي رأينا أنّ ظهورها كان في القرن نفسه (06هـ)، طبعا كان الهدف من وراء تشييدها لتكون مأوى وسكن للمجاورين والمنقطعين والغرباء والأرامل وطلبة العلم شريطة أن يكون لقاصدي المدينة المنورة، وقد توزّعت الأربطة لتشمل محيط المسجد النبوي بدرجة أولى، وهذا أنموذج عنها:

- **رباط سيدنا عثمان** ﷺ: وهي الدار الصغرى لسيدنا عثمان بن عفان اشتراها مجموعة من تجار المغرب سنة 422هـ، وجعلوها رباطا لطلبة العلم الوافدين من بلاد المغرب[3] الذين يقيمون بالمدينة المنورة، وأن تُجعل سكنا للحجاج في موسم الحج[4]، وأشار الأنصاري صاحب كتاب آثار المدينة أنه من أوقاف المغاربة، وكانت به مكتبة تحوي كتب الفقه المالكي وغيره وأكثرها خطي باليد[5].

---

[1]- باقاسي، **بلاد الحجاز في العصر الأيوبي**، ص، 145.-يتصرّف-

[2]- باقاسي، **مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع**، ص، 180.

[3]- الأنصاري عبد القدوس، **آثار المدينة المنورة**، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط، 03، 1393هـ، 1973م، ص، 37.

[4]- مالكي سليمان، **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف**، ص، 251.

[5]- الأنصاري، **مرجع سابق**، ص، 34.

- **المدارس:**

كان أول ظهور لنظام المدارس في عصر السلاجقة على يد الوزير نظام الملك السلجوقي حينما أسّس المدرسة النظامية، وكانت المدارس في المدينة متأخرة الظهور نوعا ما إذ لم تظهر سوى في النصف الثاني من القرن السادس للهجرة النبوية وانتشرت أكثر خلال القرن السابع للهجرة وما بعده، وأول مدرسة نالت حظوة البروز بالمدينة المنورة هي المدرسة الشهابية، وسنحتاج لهذه المادة العلمية في الفصول القادمة من الرسالة بمزيد من التفصيل فيها.

- **الكتاتيب:**

الكُتّاب أو الكتاتيب من أهم المؤسسات العلمية عند المسلمين، وقد كان أول ظهور لها بالحجاز قبل الإسلام، وصولا إلى عهد النبي ﷺ عندما اشترط على أسرى بدر أن يكون فداؤهم تعليم عشرة من أبناء المدينة لتعليمهم[1]، وخلال القرن الرابع والخامس للهجرة النبوية أدّت الكتاتيب بالمدينة المنورة دورا هامّا في تنشيط الحياة العلمية والثقافية بها خاصّة في القرن الرابع الخامس إلى السادس للهجرة، وهي فترة حكم الفاطميين للحجاز، وفي ذلك الحين لم تكن الكتاتيب مستقلة بنفسها بل كانت متخذة من المسجد مقرا لها، وكان يقوم على هذه الكتاتيب مؤدبو ومعلمو الأطفال، وعادة ما يؤدي هذا المؤدِّبُ واجبه على أكمل الوجوه وأتمّها.

هذه صورة مختصرة توضّح لنا ما كانت تمتاز به مكة والمدينة المنوّرة من زخم علمي ومعرفي شدّ إليها أنظار الرّحالة المغاربة وعلماءها وطلبة العلم بها، كي يرتووا من فياض العلم وينابيعه بها، وهذا ما سنتعرّف عليه في فصولنا القادمة.

[1]- الزهري محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى**، تح، علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط، 01، 1421هـ، 2110م، ج، 02، ص، 20.

الفصل الأول

التواصل العلمي بين المغرب الإسلامي والحجاز

وفيه المباحث:

1- الرّحلة: مفهومها-فضلها-دوافعها

2- الروابط الحضارية بين المغرب الإسلامي والحجاز.

3- الوجود المغربي في بلاد الحجاز

4- كتب الرحلة المغربية صوب الحرمين الشريفين

❖ المبحث الأول

الرّحلة: مفهومها–فضلها–دوافعها

الإنسان مجبول على حبّ الاستطلاع والاكتشاف، توّاق إلى المعرفة وارتياد المجهول، ولن يتأتّى له ذلك إلاّ عن طريق التّرحال والتّنقل بتحمّل المشاق، والتصبر لاكتشاف كل ما هو جديد وخفي عن علمه وإدراكه إذ ليس الخبر كالمعاينة كما هو معلوم.

والرّحلة مع ما فيها من مشقّة، فإنّها مشحونة بما ينتفع به كل باحث وطالب من منابع غنية لكل مظاهر الحياة للمجتمعات البشرية، وفيها من الصّور والأخبار والمعلومات ما يُكْسِبُهُ معارفا وعلوما شتى. وهذا ما كان يطمح إليه الإنسان المغربي في عصوره الوسطى، بعد أن استقر الايمان في قلبه، أصبح شغوفا باكتساب ما ينفعه في أمور دينه من فقه وحديث وعلوم شتى، وقد كان يجد ما يصبو إليه من هذه العلوم الدينية، أثناء زيارته إلى البقاع المقدسة بالحجاز وأدائه لمناسك الحج والعمرة، ومع ما يجده من حِلَقٍ علميةٍ في المسجدين "الحرام والنبوي"، فازدادت بذلك رغبته أكثر فأكثر بتكرار تلك الرّحلات إلى تلك البقاع، وكثُر بذلك الحضور المغربي والأندلسي، وعلى إثره توطّدت الروابط العلمية والثقافية بين المغرب الإسلامي في جهة، وبلاد الحجاز في الجهة الأخرى، وانصهر المجتمعان دينيا واجتماعيا وحتى أسريا كما سنرى لاحقا.

وكان فاتحة تلك الصّلات العلمية والثقافية بين علماء البلدين عن طريق الرّحلات المغربية، التي اعتبرت وقتها حلقة الوصل بين بلدان المغرب والمشرق الإسلاميين، انطلاقا من القرن الثالث الهجري؛ الذي كان حافلا بالهجرات المغربية إلى المشرق في شكل أفراد وجماعات، كما ازدهرت

في الوقت ذاته الهجرة بين مدن المغرب باتجاه المشرق الإسلامي[1]، طبعا لدوافع وأسباب نتطرّق إليها في حينها، وازدادت أكثر خلال القرون الموالية وصولا إلى القرن السابع فالثامن اللذَيْنِ امتازا بالهجرات المغربية إلى المشرق أكثر مما سبق، ما يجعلنا هنا نسلّط الضوء على مفهوم الرّحلة وأهميتها ودوافعها، ومن ثمة نتطرق إلى أسباب رحلات المغاربة إلى أرض الحجاز، وإلى نماذج من العلماء الرحالة المغاربة إلى بلاد الحجاز.

أولا: مفهوم الرّحلة

في اللغة:

الرّحلة عند ابن منظور تعني: "الترحيل والإرحال بمعنى الإشخاص والإزعاج، يُقال رحل الرجل إذا سار[2]، وقوم رُحّل: يرتحلون كثيرا، ويُقصد بذلك أنّ الرّحلة تعني السّير في الأرض لقول الله تعالى:﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [3] أي ارحلوا، وجاءت بمعنى ارتحل البعير رِحلة: سار فمضى، ثم جرى ذلك في المنطق حتى قيل: ارتحل القوم عن المكان ارتحالا، ورحل عن المكان أي انتقل، والترحل والارتحال: الانتقال وهو الرّحلة والرّحلة.

والرّحلة: اسم للارتحال للمسير. يقال دنت رحلتنا. ورحل فلان وارتحل وترحّل، والرّحلة بالضم: القوة والجودة أيضا، ويروى بالكسر وتعني: الارتحال.

---

[1]- بالأعرج عبد الرحمن، **علاقات دول المغرب الإسلامي بدول المماليك سياسيا وثقافيا بين القرنين 7، 9هـ، 13، 15م**، رسالة دكتوراه في التاريخ، إشراف أد، مبخوت بودواية، قسم التاريخ وعلم الآثار بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، السنة، 2012، 2013م، ص، 225.

[2]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج، 11، ص، 276، 277.

[3] - **الأنعام**، الآية، 12.

وقال بعضهم: "الرّحلة" بمعنى الجهة التي يقصدها الإنسان "الرّحلة" تعني الارتحال، والرّحلة بالضم: الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، تقول أنتم رُحلتي أي الذين أرتحل إليهم، كما تطلق الرّحلة على السَفرة الواحدة لقوله: "الرّحلة السفرة الواحدة والرّحيل: القوي على الارتحال والسير" [1].

وفي محيط المحيط للبستاني "رحل عن البلد يرحل رحلا، ورحيلا وترحالا أي شخص وسار، ورحل إلى المكان: انتقل، وترحّل القوم عن المكان: انتقلوا" [2].

على ضوء ما سبق اتضح لنا أنّ الرّحلة مشتقة مما سبق ذكره، حيث يجعل لها مفهوما بقوله: الرّحلة النوع من الرحيل، ويقال فلان رَحَل رِحلة من لا يعود، وعند المولدين: "هي قصة يكتبها المسافر عمّا جرى له، وما رأى في سفره"[3]، لينقل من خلالها ما جرى له وما شاهده في رحلته تلك. مثلما فعل ابن بطوطة وخالد بن عيسى البلوي وغيرهما، حينما ينقلان ما رأته أعينهم، وشاهدوه منذ انطلاقهم إلى حين وصولهم إلى بلدهم.

أمّا الرّحلة عند الفيروز آبادي: "الرّحلة بالضم والكسر، وبالكسر تعني "الارتحال"، وبالضم "الوجه الذي تقصده، والسَفْرَة الواحدة"[4].

ومن خلال ما ذكر سابقا في معنى الرّحلة في اللغة نجد أنها أطلقت على السير والانتقال والوجهة التي يراد السفر إليها أو دنو المكان المراد قصده، وهذه كلها معانٍ أُطلِقت على الشخص الذي قام بفعل الانتقال من مكان إلى آخر. فالشخص الذي قام بالرّحلة قد ترك موطنه وسار إليها لأغراض وأسباب نحدّدها لاحقا.

---

[1] – ابن منظور، **لسان العرب**، مج، 11، ص، 279.

[2] – البستاني بطرس، **محيط المحيط**، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان ط، 1987، ص، 227

[3]– البستاني، **المصدر نفسه**، ص، 227.

[4]– الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ص، 1005.

في الاصطلاح

يعرفها فؤاد قنديل بأنّها "سلوك إنساني حضاري يأتي بثماره النافعة على الفرد وعلى الجماعة، فليس الشخص بعد الرّحلة هو نفسه قبلها، وليست الجماعة بعد الرّحلة هي ما كانت عليه قبلها[1]، فأهل المغرب الإسلامي من علماء طلبة علم وغيرهم؛ حياتهم العلمية والفكرية تحسّنت بالكلية منذ انطلقت البعثات والرحلات العلمية منها إلى بلاد الحجاز، واحتكاكهم بإخوانهم المشارقة والعكس صحيح، مما أدى إلى تبادل ثنائي لتلك الأفكار والعلوم بين العدوتين (المشرقية والمغربية). فكانت هذه الرحلات سببا في اكتشاف الشعبين لعادات وتقاليد كل منهما ومدّ جسور التواصل بينهما.

ويقدّم عبد الله حمادي للرحلة تعريفا آخر فيقول: "إنّ الرّحلة سواء كانت برية أو بحرية، أو كانت من إنجاز فردي أو جماعي، تعتبر محاولة اختراق حاجز المسافات، وإسقاط الفاصل الجغرافي بين المكان والزمان" [2]، فالرّحالة المغاربة والأندلسيون لم تمنعهم بُعد المسافات من تكبّد المشاق وعبور البحار والقفار، من التنقل إلى تلك البقاع الطاهرة لأداء مناسكهم، وتقييد كلّ ما شاهدوه في طريقهم انطلاقا من بلاد المغرب مرورا بمصر فالشام إلى حين وصولهم إلى أرض الحجاز.

[1]- قنديل فؤاد، **أدب الرّحلة في التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط، 02، 2002، ص، 21. ويضيف أبو الحسن المسعودي قوله، "ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمي إليه من الأخبار من إقليمه كمن قسّم عمره على قطع الأقطار، وزرع بين أيامه تقاذف الأسفار واستخراج كل دقيق من معدنه، وإثارة كل نفيس من مكمنه"(انظر، قنديل فؤاد، **أدب الرّحلة**، ص، 21).

[2] – حمادي عبد الله، **أصوات من الأدب الجزائري الحديث**، دار البعث. قسنطينة، د.ت.ط، ص، 108.

ثانيا: فضل الرّحلة وأهميتها

تعدّ الرّحلة عموما من الضروريات لكلّ امرئ مسلم انتفت حاجته العلمية في بلده، أن يرتحل ويسافر، حتى لا يبقى حبيس بلده لقول الشافعي رحمه الله حين قال عن ضرر الركود والجمود[1] من البحر البسيط:

مَا فِي المَقامِ لِذِي عَقْلٍ وذِي أَدَبٍ مِنْ راحَةٍ فدَعِ الأَوْطَانَ واغْتَرِبِ

سافِرْ تجِدْ عِوَضًا عمّنْ تُفَارِقُهُ وانْصَبْ فإنَّ لَذِيذَ العَيْشِ في النّصَبِ

إنـّي رأيْتُ وُقُوفَ الماءِ يُفْسِدُهُ إنْ سالَ طابَ وإنْ لم يجْرِ لمْ يَطِبِ

والشّمْسُ لوْ وَقَفَتْ فِي الفُلْكِ دائمَةً لـمَلّهَا النّاسُ مِنْ عُجْمٍ ومِنْ عَرَبِ

وكان هذا هو ديدن الأنبياء والعلماء من قبلهم، فلولا سعي سيدنا موسى عليه السلام –رغم أنّه كان أعلم أهل الأرض في زمانه–، ما استطاع لقاء سيدنا الخضر والاستفادة من علمه، والأمثلة الدالّة على ذلك كثيرة، وما يدلّ على ذلك تلك الآيات القرآنية الحاثّة على السير والتنقل في الأرض قصد الانتفاع مصداقا لقوله تعالى: ﴿قُل سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ٤٢﴾[2] وقوله تعالى[3]:﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ

[1]- سليم محمد إبراهيم، **ديوان الإمام الشافعي**، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، مصر، د.ت.ط، ص، 26.

[2]- **الروم**، الآية، 41.

[3]- **العنكبوت**، الآية، 19.

ٱلۡأٓخِرَةَۖ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٩﴾ ﴾ وقوله تعالى أيضا[1]: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾، ثمّ إنّ فئة من العلماء لابد لها من التّفقّه وتحمّل المشاقّ كي يحملوا إلى أمتهم ما حصّلوه في غربتهم وينشروا بينهم ما تلقّوه من علم لقوله تعالى في هذا الشأن [2]:﴿وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ والآيات الحاثّة على السير والتنقل، ثمّ التّفكّر والتدبّر كثيرة في القرآن الكريم، "فالإسلام يهدف من خلال آيات السير والتنقل في الأرض، أن يتسلح المرء بالنظر الدقيق والرؤية الموضوعية للأشياء ،كي يستخلص الدروس الحقيقية والعبر الواقعية"[3]، فلا ضير من أن يسافر إلى بلاد أخرى بحثا عن العلم والأدب معا، خصوصا إذا كان السفر بهدف التفقّه وتعلّم أمور الدين من حديث وتفسير وفقه و..، لقوله ﷺ في حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ"[4]. وهذا هو هدف الرّحلة التي ترمي إلى حصول منافع من طلب العلم، والاعتبار بالأمم السابقة وغيرها.

---

[1]- **الملك**، الآية، 15.

[2]- **التوبة**، الآية، 123.

[3]- الياقوت عبد الله بن عثمان، **أدب الرّحلة الحجازية عند الأندلسيين من القرن السادس حتى سقوط غرناطة**، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، إشراف، محمود حسن زيني، قسم الدراسات العليا، فرع أدب، كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى، السعودية، 1422هـ، 2001م، ص، 20

[4]- حديث صحيح، رواه البخاري ومسلم، (انظر، العسقلاني ابن حجر، **فتح الباري**، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقّه في الدين، حديث رقم، 71، ج، 01، ص، 164.

كما حثّ الرسول ﷺ على طلب العلم والسعي إليه، حيث يعتبره كالغازي في سبيل الله لقوله ﷺ: "من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع" [1]، وقوله ﷺ:"ما من رجل يسلك طريقا يطلب فيه علما إلاّ سهّل الله له به طريقا إلى الجنة، ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه" [2]، ومنها ما رواه صفوان بن عسّال قوله ﷺ: "ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلاّ وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع، حتى يرجع" [3]، وهذا في فضل العلم وطلبه.

ثمّ إنّ الصحابة الكرام قد شهدوا بالفضل لطالب العلم وفضل الرّحلة إليه، وحذا حذوهم العلماء التابعون لما رأوا في الرّحلة من أهمّية في طلب العلم وكثرة التحصيل العلمي، فالإمام ابن الصلاح يقول: "وإذا فرغ من سماع العوالي والمهمات التي ببلده فيرحل إلى غيره"[4]، وقال يحي بن معين: "أربعة لا تؤْنِس منهم رشدا: حارس الدرب، ومنادي القاضي، وابن المحدِّث، ورجل يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث"[5].

وعن أحمد بن حنبل حينما سأله ابنه عبد الله إذ قال [6]:"سألت أبي –رحمه الله – عمن طلب العلم. ترى له أن يلزم رجلا عنده علم فيكتب عنه، أو ترى يرحل إلى مواضع التي فيها

---

[1]- حديث حسن، رواه الترمذي، ينظر، الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى، **الجامع الصحيح، وهو سنن الترمذي**، تح، أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط، 02، 1397هـ،1977م، ج، 05، ص، 29.

[2]- حديث صحيح، رواه أبو هريرة في سنن أبي داود (أبو داود، **سنن أبو داود**، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، مج 03، دار الفكر، بيروت، لبنان، د.ت.ط، ص، 317.

[3]- الألباني محمد ناصر الدين، **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، المكتب الإسلامي، بيروت، ط، 03، 1408هـ، 1988م، رقم، 5702، مج، 02، ص، 994.

[4]- البغدادي الخطيب، **الرّحلة في طلب العلم**، تح، نور الدين عتر، دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان، ط، 01، 1395هـ/1975م، ص، 17.

[5]- البغدادي، **المصدر نفسه**، ص، 89.

[6] - البغدادي، **نفسه**، ص، 88.

العلم فيسمع منهم؟. قال: يرحل يكتب عن الكوفيين والبصريين وأهل المدينة ومكّة ويشامُّ[1]الناس يسمع منهم". وفيها ما فيها من دلالة الحض على الترحال لطلب العلم من منابعه.

وعن الخطيب البغدادي أنّ الله تعالى يرفع البلاء عن هذه الأمّة برحلة أصحاب الحديث"[2]، والغرض جرّ كلّ هذه الشواهد أنّ المغاربة العلماء كانوا يرحلون إلى مكّة والمدينة المنورة لأجل غرضٍ سامٍ ورفيعٍ هو: تحصيل علو الإسناد في الحديث النبوي، وهذا ما سنراه في عنصر قادم من عناصر هذا البحث من أسباب هجرة أو رحلة العلماء المغاربة والأندلسيين إلى بلاد الحرمين "الحجاز".

وفي دواوين العرب ما يقوّي فضل الرّحلة، وامتدحوا الرّحلة في طلب العلم لما لها من عظيم الفضل في تنمية الملكات حيث يقول أبو الفضل العباس [3]بن محمد الخراساني من البسيط[4]:

رَحَلْتُ أطلبُ أصْلَ العِلْمِ مُجْتَهِدًا وزِينةُ المرءِ فِي الدُّنيَا الأَحَادِيثُ

لا يَطْلُبُ العِلْمَ إلاّ بَازِلٌ ذَكَرٌ وليسَ يُبْغِضُهُ إلاّ المخَانيثُ

لا تَعْجَبَنَّ بِمالٍ سوفَ تـتْرُكُـهُ فإنّمَا هَذِه الدُّنياَ مَوارِيثُ

هذه بعض الآثار النبوية الدّالة على تأكيد السلف والخلف على أمر الرّحلة في طلب العلم، وقد استشهد بها العلماء في تصانيفهم، وعلى ضرورة الرّحلة لأجل التحصيل العلمي كما

[1] – **يشامُّ** = شام الشيء إذا تطلّع إليه، وتعني (يشافه الناس ليسمع منهم)

[2]– البغدادي، **المصدر السابق**، ص، 90.

[3]– هو عباس بن محمد بن حاتم الدوري أبو الفضل البغدادي –خوارزمي الأصل–سمع الحسين بن علي الجُعفي، وأبا النضر وطبقتهما وكان من أئمة الحديث الثقات، وكان صاحب يحي بن معين. ثقة حافظ وثّقه النسائي والأصم من الطبق الحادية عشر (ت، 271هـ/884م)، ينظر، العسقلاني ابن حجر، **شذرات الذهب**، ج، 02، ص، 161.

[4]– الدمشقي ابن ناصر الدين، **مجلس في حديث جابر الذي رحل فيه مسيرة شهر إلى عبد الله بن أُنَيس**، تح، مشعل بن باني الجبرين المطيري، مؤسسة الريّان للطباعة والتوزيع، بيروت، ط، 01، 1415هـ، 1995م، ص، 50، 51.

دلّ على ذلك ابن الصلاح، وحثّ عليه العلامة الرّحالة المؤرخ ابن خلدون حين يجعل الرّحلة في طلب العلم إلى الأمصار ضرورة ملحة وجب على الرّحالة السعي إليها فيقول في هذا الصدد: "والسبب في ذلك أنّ البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليما وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة، ويعني بذلك المجالسة والمشافهة، ثمّ يواصل قوله بأنّ حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشدّ استحكاما وأقوى رسوخا، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها"[1]، ثم يردف بقوله: "فالرّحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[2].

ثالثا: دوافعها وأسبابها

تنوّعت أسباب الرّحلة العلمية لتشمل ميادين عدّة حسب النّوع والهدف مقتصرا على أهمّها:

أولا: عناية الحكام بالرّحلة: كان الحكام يولون من وفد إليهم من الرّحالة عناية خاصّة، وسعوا في ذلك فابتنوا لهم مرافق وضعت تحت تصرّفهم لأجل الإقامة، كما بالغوا في عوامل الإحسان والاستقبال، وأكرموهم خاصّة أهل البادية الذين اشتهروا بإيثارهم للفقراء والغرباء والحجيج[3] مثلما ذكر ذلك ابن جبير في رحلته.

[1]- ابن خلدون عبد الرحمن، **العبر وتاريخ ابن خلدون في تاريخ العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط الأستاذ، خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط، 1421هـ، 2001م، ج، 01، ص، 744، 745.

[2] - ابن خلدون، **نفسه**، ج، 01، ص، 745.

[3] - ابن جبير أبو الحسن، **رحلة ابن جبير**، دار صادر، بيروت، د.ت.ط، ص، 258، 259.

ثانيا: عامل الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي: فقد ساهم استقرار البلدان المقصودة في ظهور الرحلات العلمية نحو ميادين النشاط الحضاري بها، مثلما هو الشأن في بلاد الحجاز.

ثالثا: تشجيع العلماء على البحث والتأليف: المعروف على حكام العصر الوسيط حبهم للعلم وتقريب أولي العلم والمعرفة منهم، وإكرامهم وتبجيلهم (كونهم ورثة الأنبياء)، ومساهمتهم في تهيئة الجوّ الملائم لهم للبحث في مجالات المعرفة، وبالتالي تيسير جميع السبل أمام إنتاجهم الفكري كلّ حسب تخصّصه، أضف إلى ذلك العناية بالكتب والاهتمام بجمعها وحيازتها مهما كلّفه ذلك من تعب أو سفر كما سنرى في مباحث قادمة.

رابعا: توفر الظروف المناسبة للعلماء وطلبة العلم الذين كانوا يقصدون المراكز العلمية الثقافية بالمشرق الإسلامي كبلاد الحجاز (مكّة والمدينة المنورة)، القاهرة والاسكندرية وبغداد وغيرها من مراكز العلم التي كان العلماء يرتحلون إليها بغرض الاستفادة من الازدهار الثقافي والعلمي الموجود بها آنذاك، وشيوع ذكر علمائها، هذا الوضع حفّز الرّحالة أكثر على التوجّه إليها للأخذ عن العلماء والتعرف على مناهجهم وعلومهم" [1].

خامسا: تعرض بعض العلماء في المغرب والأندلس[2] إلى المضايقات إما من قبل حكّامهم، أو من قبل العدو المحدق بهم، مما دفعهم إلى الارتحال والبحث عن بلدان تنعم باستقرار سياسي إضافة إلى تدهور الأوضاع السياسية لبلاد المغرب والأندلس على العموم ما دفع بالعلماء إلى

[1] – زكري لامعة، **الرّحلة العلمية بين الأندلس والدولة المرينية ودورها في تمتين الصلات الثقافية خلال القرنين 7/9هـ، 13/15م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف، د. بوداوية مبخوت، قسم التاريخ بجامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، السنة، 1431هـ، 2010م، ص، 28.

[2]– من أمثال محمد بن مرزوق، ولسان الدين بن الخطيب، انظر، بن خلدون عبد الرحمن، **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط، 1979، ص، 56، **وانظر**، ابن الخطيب لسان الدين، **كناسة الدكان بعد انتقال السكان**، تح، د. محمد كمال شبانة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، مصر، د.ت.ط، ص، 10.

الهجرة والبحث عن أماكن للاستقرار، على سبيل المثال لا الحصر نجد الرحالة المغربي ابن رشيد السبتي الفهري(ت: 721هـ/1321م) الذي عايش الاضطرابات التي اجتاحت بلاد المغرب وأدّت إلى هجرة أعداد كبيرة من علماء المغرب إلى المشرق الإسلامي حيث الاستقرار النسبي، وكان ابن رُشيد من الذين طالتهم يد الهجرة والفرار نحو الاستقرار في أواخر أيام الدولة الموحدية وبداية الدولة المرينية[1]، هذا ما يخص الهجرة الفردية، وما تعلّق بالهجرات أو الرحلات الجماعية التي انتقلت بسبب انعدام الوضع الأمني نجد أسرة بني عشرة[2] التي كانت تسكن المغرب أيام الموحدين أيضا التي رحل أفرادها قهرا وإجبارا، من بينهم أبو عبد الله محمد بن إبراهيم السلاوي.

لقد كان لهذه الأسرة دورٌ هامٌّ في أحداث الدولة الموحّديّة آنذاك[3]، ولكن على اختلاف دوافعهم إلاّ أنّه واجه بعض المرتحلين مشاقّ عديدة، وصعوبات أثناء تنقلاتهم برا وبحرا كـ: تعرض رحلات الحجيج إلى قطّاع الطرق وغيرهم من ألوان الأذى والنهب التي كانت تتعب وترهق الركب المغربي أثناء سفره نحو البقاع المقدّسة لأداء الركن الخامس من الإسلام.

[1]- مرعى خلف الله إبتسام، **العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، 524-936هـ/1130-1529م**، دار المعارف، ط، 1985م، ص، 370، 371.

[2]- لمعلومات أكثر انظر، بن شريفة محمد، **من تاريخ الأسر المصرية، أسرة بني عشرة، تطورها التاريخي ودورها الحضاري**، مجلة تطوان للأبحاث المغربية الأندلسية، منشورات الجامعة المغربية، كلية الآداب، معهد مولاي الحسن للأبحاث المغربية الأندلسية، ع، 10، سنة 1965، ص، 177، 206.

[3]- مرعي إبتسام، **مرجع سابق**، ص، 374.

❖ المبحث الثاني

الروابط الحضارية بين المغرب والحجاز

تربط الحجاز بالمغرب صلات وروابط عريقة تمتد جذورها وأصولها إلى عصور عريقة في التاريخ، وازدادت هذه الوشائج وثوقا ورسوخا عقب الفتح الإسلامي للمغرب والأندلس خلال القرن الأول ثمّ الثاني من الهجرة، وخلال تلك الحقبة من الحكم الإسلامي لبلاد المغرب كان أئمة العلم في الفقه والأدب والتاريخ والتّصوّف، يتنقلون بين الحجاز والمغرب الإسلامي، وصولا إلى عدوة الأندلس من غير أن يجدوا في بعد المسافة حدودا تفصل بينهم وبين الزيارة والتنقل بين البلدين، إمّا لتلقي العلوم والمعارف فيما بينهم، أو للإقامة والاستقرار أو للتواصل مع شيوخ وأقطاب التّصوّف والأدب والفلسفة والعلوم، كي يأخذوا عنهم العلوم .

لقد بدأت جسور هذا التّفاعل العلمي بين العلماء المغاربة وبلاد الحجاز منذ القرون الأولى للهجرة النبوية، خاصّة بعد الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب على يد عقبة بن نافع الفهري ﵁، ومن أتى لاستكمال الفتح الإسلامي من بعده، إلى أن بلغ الإسلام عدوة الأندلس الرطيب كما يسميها المقري التلمساني سنة 92هـ، وبدأت مع هذا التّواصل العلمي تنتقل علوم وآداب الحجاز إلى بلاد المغرب والأندلس عن طريق الرّحلات العلمية، التي يقوم بها مجموعة من المغاربة والأندلسيين إلى مراكز العلم والفكر في المشرق الإسلامي وبالخصوص بلاد الحجاز، وإنّ كتب الطبقات والتراجم لمشحونة بذكر أسماء لامعة من علماء بلاد المغرب الإسلامي الذين رحلوا إلى أرض الحجاز رغبة في التزوّد المعرفي، والاتصال بعلماء وشيوخ البلد الحرام والمسجد النبوي أمثال الفقيه المحدّث يحي بن يحي الليثي(ت:234هـ) الذي يعتبر أول عالم مرتحل نحو المشرق، حيث روى كتاب "الموطأ" عن صاحبه مالك ﵁[1] خلال القرن الثاني والثالث للهجرة، ويأتي من بعد

[1]- المقري أحمد بن محمد، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، ط، 1388هـ، 1968م، مج، 02، ص، 05

ذلك ابن جبير والعبدري والبلوي وابن رُشَيد السبتي الفهري والفاسي، والقائمة تطول بذكر هؤلاء المغاربة الذين لا نستطيع لهم حصرا مثلما ذكر ذلك المقري في كتابه "نفح الطيب" حينما صرّح بذلك في قوله: "وأعلم أنّ حصر أهل الارتحال لا يمكن بوجه ولا بحال ولا يُعلم ذلك على الإحاطة إلاّ علاّم الغيوب شديد المحال، ولو أطلقنا عنان الأقلام فيمن عرفناه فقط من هؤلاء الأعلام لطال الكتاب وكثر الكلام لكننا نذكر لمعا على وجه التوسط"[1]، ما دلّ على كثرة عددهم، استطاعوا شدّ الرّحال نحو أرض الحرمين للجمع بين الخيرين خير العلم، وخير العبادة.

فالرّحالة المغاربة الذين كانوا يأتون إلى أرض الحجاز كانت لهم غاية سامية تمثّلت في الاتصال بعلماء الحرمين، وغيرهم من المجاورين الوافدين عليهما من الآفاق لتلقي العلم والرواية عنهم، وقد كانوا أشدّ وصفا لحلقات التدريس، والكتب التي كانوا يطّلعون عليها[2] ويدرسونها، ذلك الوصف تسبّب بشكل إيجابي في تعبيد الطريق لبقية المغاربة القاصدين أرض الحرمين الشريفين.

أولا: عوامل انتقال المغاربة إلى بلاد الحجاز:

حرص المغاربة على شدّ الرّحال إلى بلاد الحجاز لعوامل وأسباب سأحاول حصر بعضها فيما يلي:

أولا: العامل التعبّدي: ويندرج تحته عناصر عدة أصنّفها وفق الآتي:

[1]- المقري، **المصدر السابق**، مج، 02، ص، 09.

[2]- الأنصاري ناجي محمد، **التعليم في المدينة المنورة من العام الهجري الأول إلى 1412هـ**، دراسة تاريخية وصفية تحليلية، دار المنار، القاهرة، ط، 01، 1993م، ص، 246.

01- الحج:

كان الحج ولايزال السبب الأول في الدفع بجموع المغاربة إلى التوجه صوب بيت الله الحرام، من أجل إتمام ركنهم الخامس من أركان الإسلام واستجابة لنداء المولى عزّ وجلّ في قوله تعالى ﴿ وَلِلهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حَجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [1] واستجابة لدعوة خليل الرحمان إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾﴿٢٨﴾ [2] فكان من الواجب على المسلمين بعامّة، والمغاربة على وجه الخصوص التوجّه إلى الحجاز (مكة والمدينة) لأداء مناسك الحج والعمرة، ونيل بركة تلك الأماكن المقدّسة، كما أنّ الزّيارات لم تكن مقصورة على تلك المناطق لوحدها، فكثيرا ما كانوا يغتنمون فرصة وجودهم بها للقيام بزيارة لبعض الحواضر العلمية والأماكن المقدسة كـ: بيت المقدس وبلاد الشام ومصر، ومنهم من كان يغتنم الفرصة اللقاء ببعض علماء الحواضر العلمية، وحضور حلقاتهم العلمية التي كانت تقام بالحرمين الشريفين لسماع حديث أو أخذ إجازة في مجال من المجالات الدينية المعروفة في الحديث والفقه والقراءات ...وغيرها، إذا فالروابط التي تربط بلاد الحجاز بالمغرب الإسلامي، كان الهدف الأول منها هو حج بيت الله تعالى بدرجة أولى كما صرّح بذلك أستاذي الدكتور بحاز بقوله: "لعل الحج يعتبر أهمّ وسيلة ربطت المغرب بالمشرق ولا يزال، وقد تجاوب المغاربة مع هذا الركن من الدين وتحمّسوا له، فكانت أمنية الواحد منهم منذ أن حسُن

[1] – **آل عمران**، الآية، 97.

[2] – **الحج**، الآية، 27.

إسلامهم أن يقوم بهذه الرّحلة العلمية، ولا يزال الشعور فيهم قائما"[1]، ولتوضيح الصورة أكثر ننقل للقارئ نماذج رحّالين مغاربة كان دافعهم الأول من الرّحلة هو الحج إلى بيت الله تعالى، كرحلة ابن جبير الذي قام برحلته الأولى (578-581) صوب الحرمين بنية الحج تكفيرا لذنب ارتكابه شرب الخمر[2]، والأنموذج الآخر هو البلوي في رحلته التي قام بها، وكان هدفه منها أداء فريضة الحج إذ يقول في مستهل رحلته "فأقول مستعينا بالله سبحانه أنّي خرجت قاصدا للحج وطالبا للعلم من بلدي قتورية ...."[3]، كذلك الرحالة الشهير ابن بطوطة الذي ذكر سبب رحلته حيث قال: "كان خروجي من طنجة مسقط رأسي في يوم الخميس الثاني من شهر الله رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمدا حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام"[4]، وغيرها من الرحلات العلمية.

02- الانتقال بغرض طلب العلم:

ومن الأسباب والعوامل التي جعلت المغاربة يتوافدون على بلاد الحجاز هو سعيهم لطلب العلم من منابعه وأصوله، اقتداء بأسلافهم الصحابة والتابعين، ومن جاء من بعدهم جيلا بعد جيل، لأنّ ديننا الحنيف كما هو معلوم اهتمّ بالعلم ورفع من قدر حامله، ودعا إليه ورغّب في طلب العلم حاثّا على تعلّمه وتعليمه في الوقت نفسه، لما له من رفعة القدر والمنزلة لأهله وتكريم الله تعالى لهم مصداقا لقوله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا فِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي

---

[1]- بحاز إبراهيم، **الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م"دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الثقافية"**، جمعية التراث، القرارة، الجزائر، ط، 02، 1414هـ، 1993م، ص، 390.

[2]- المقري، **نفح الطيب**، ج، 02، 385.

[3]- البلوي خالد بن عيسى، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق**، تح: الحسن السائح، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د.ت.ط، ج، 01، ص، 143، 144.

[4]- ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار الشرق العربي، بيروت، د.ت.ط، ج، 01، ص، 30.

ٱلْمَجْلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾[1]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ ﴾[2].

فالآيات الدّالة على فضل العلم قد ذكرها الله عز وجل في القرآن حوالي ثمانين مرة لما لها من جليل القدر، كما حثّ نبينا محمد ﷺ على طلب العلم والسعي إليه، وشجّع أنصاره على ضرورة تحصيله والصبر والمصابرة في سبيله من خلال الأحاديث النبوية الشريفة، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر حث الرسول ﷺ على طلب العلم والسعي إليه لقول رسول اللهﷺ: "من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع"[3]، وقوله ﷺ: "ما من رجل يسلك طريقا يطلب فيه علما إلاّ سهّل الله له به طريقا إلى الجنة، ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه"[4]. بل بيّن ﷺ أنّ الملائكة والحيتان تستغفر له لحديث أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ قال سمعت رَسُول اللَّهِ ﷺ يقول: "من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإنّ العلماء ورثة الأنبياء،

[1]- **المجادلة**، الآية، 11.

[2]- **الزمر**، الآية، 09.

[3]- حديث حسن، رواه الترمذي (انظر، الترمذي، **السنن**، ج 05، ص، 29.)

[4]- حديث صحيح، رواه أبو هريرة في سنن أبي داود (انظر، أبو داود، **السنن**، ج 03، ص، 317.)

وإنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"[1] –رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذِيُّ–

ولعل فعل النبي ﷺ حينما اشترط على أسرى بدر من الكفار أن يعلّموا عشرة أطفال من أبناء المسلمين الكتابة والقراءة نظير إطلاق سراحهم، وقول الصحابي الجليل معاذ بن جبل الذي رواه أبو نعيم في الحلية كفيل بنقل الصورة عمّا ذكرناه وهو قوله رضي الله عنه:" تعلموا العلم، فإنّ تعلّمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة، ....."[2].

إذا فالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال الصحابة من بعدهما جميعها رغّبت في طلب العلم وحثّت عليه، ودعت العقل البشري إلى إعمال الجانب العقلي لغرض التفكر في خلق الله تعالى عن طريق البحث والتقصّي بواسطة العلم، خاصّة ما تعلّق منها بالجانب المرتبط بالكتاب والسنة النبوية، وعلى هذا النحو أقبلت فئات العلماء والطلبة مغاربة وأندلسيين على تحصيله من مظانه في بلاد مكة والمدينة المنورة بشغف شديد وحرص لا متناهٍ، يزاحمون بعضهم بعضا حول حلق العلم المقامة في المسجد الحرام أو النبوي حسبما تقتضيه المجاورة أو المرابطة لكل فرد منهم.

ثانيا: تشجيع الحكام للعلم والمعرفة:

تروي لنا كتب التراجم والرّحلات أنّ التبادل العلمي كان قائما بين المشرق والمغرب الإسلاميين منذ القرون الهجرية الأولى، من خلال بعض الوفود التي كان يرسلها الحكام والأمراء

[1]– النووي محي الدين يحي، **رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين**، تح، علي بن حسن الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، ط، 01، 1421هـ، ص، 465(في كتاب العلم، باب فضل العلم تعلما وتعليما).

[2]– (نقله ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (54/01، 55) وهو حديث موضوع) انظر، عمرو عبد اللطيف محمد، **تكميل النفع بما لم يثبت به وقف ولا رفع**، مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي، جيزة، مصر، ط، 01، 1410هـ، 1989م، ج، 01، ص، 59.

كالوفد الذي كلّفه حاكم الأندلس عبد الرحمن الثاني[1] حينما أرسل عباس بن ناصح[2] "عالم قرطبة" إلى العراق قصد استنساخ الآثار العلمية المنقولة إلى العرب عن اليونان والفرس أيام حركة الترجمة التي قام بها الخليفة العباسي المأمون، فكان هذا الحاكم الأندلسي يجد المتعة واللّذة في دراسة الكتب القديمة في مجال الفلسفة والطب، بل أنّه أحاط نفسه بكوكبة من علماء الفلك[3]، وخصّص لهم منحا ورواتب ضخمة تحفيزا لهم وخدمة له.

ومن الحكام الذين حفّزوا أهل العلم نجد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله (ت: 350هـ/961م) الذي كان يجلّ العلماء ويقربهم إليه، بل نجده يولّيهم المناصب الهامّة في دولته[4]، الأمر الذي جعل البقية يحرصون على التعلّم للوصول إلى ما وصل إليه غيرهم، وبمقابل ذلك كان حريصا على تبادل الثقافات بين المشرق والمغرب، ونجد ذلك جليا من خلال البعثات العلمية الخارجية التي أرسلها إلى المشرق "مصر" برئاسة أبي إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المعروف بابن القرطي(ت: 355هـ/966م)[5]، وشجّع الوافدين إليه من المشرق، وأكرمهم وأجزلهم

[1]- هو الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية المكنى" بأبي مطرف " والمعروف بعبد الرحمن الأوسط المولود سنة 176هـ/792م، ولي الحكم بعد وفاة أبيه، الحكم بن هشام "الربضي" سنة 206هـ/822م حكم الأندلس إحدى وثلاثين سنة حتى وفاته سنة 238هـ/852م (انظر، ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، تح، روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، 01، 1419هـ، 1998م، ص، 20.

[2]- هو عباس بن ناصح الثقفي الجزيري "نسبة إلى الجزيرة الخضراء" كان شاعرا نحويا ولاّه الحكم بن هشام "الربضي" قضاء شذونة والجزيرة، وذكر عنه ابن الفرضي أنّه رحل إلى المشرق ولقي الأصمعي وأبا نواس وسمع من الأخير شعره (انظر، ابن الفرضي، **المصدر نفسه**، ص، 238.)

[3]- بروفنسال ليفي، **حضارة العرب في الأندلس**، ترجمة دوفان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ص، 51، 52.

[4]- ابن الفرضي، **مصدر سابق**، ص، 41.

[5]- السيد عبد العزيز سالم، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة**، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان ط، 1981، ص، 288.

العطايا والأرزاق من أمثال عالم اللغة البغدادي أبو علي القالي (ت: 356هـ/966م)[1] فهذا إن دلّ على شيء إنّما يدل على حرصهم الشديد على تكريمهم للعلماء.

وقد كانت لوفود هؤلاء المغاربة إلى المشرق أهداف مختلفة حسبما تقتضيه الحاجة والمصلحة، فريق يتجه صوب الحجاز للحج والزيارة، ويستفيد من العلماء الذين يلتقي بهم في طريقه، وفريق ثان يقصد علماء معروفين لأخذ العلم أو الإجازة عنهم، وفريق ثالث يستوطن المشرق أو يقيم طويلا في رحلات مثيرة ثم يعود إلى المغرب-كابن جبير وابن بطوطة-، فكانت تنتج عن بذور هذه التبادلات ثمرة طيبة تمثّلت في ربط صلات علمية وحضارية بين البلدين، ويعود الفضل في ذلك إلى حكام وملوك تلك الحقبة، لما لهم من فضل في الدفع بعجلة التبادلات، وكذا التنمية العلمية -إن صحّت التسمية- بما كانوا يرصدونه من عطايا وهدايا يحملها الركب المغربي لأمراء طرابلس ومصر والشام والحجاز واليمن، ويرسلون معهم أيضا جوائز لرجال العلم والأدب في الحواضر العلمية الهامّة، إضافة إلى أموال طائلة توزع على الطبقات المعوزة والمحتاجة، ويكون الحظ والنصيب الأوفر منها موجّها إلى طبقة العلماء وطلبة العلم المجاورين الذين يسكنون بعض الأربطة بمكة والمدينة المنورة، مثل رباط ربيع[2] بمكة المكرمة، حيث يذكر لنا الرّحالة ابن بطوطة " أنّ أهالي الطائف من المزارعين يعطون سنويا من إنتاج مزارعهم للرباط المذكور"[3]، ليس هذا فقط فالأمراء أيضا كانوا يخُصُّونهم بالعطايا والهبات، فمثلا في سنة 572هـ/1176م أنعم السلطان صلاح الدين الأيوبي على المجاورين في الحرمين الشريفين من علماء وفقراء أموالا وأسقط

[1]- القالي أبو علي، **الأمالي**، تح، صلاح بن فتحي هلل وبن عباس الجليمي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط، 2002م، ص، 06.

[2]- **رباط ربيع**، هذا الوقف موجود بمكة المكرمة، واقفه عن موكله في ذلك السلطان الملك الأفضل نور الدين علي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، وتاريخ وقفه في العشر الأواسط من ذي الحجة سنة 594هجري، وهو وقف على الفقراء المسلمين الغرباء (**انظر**، الفاسي، **شفاء الغرام**، ج، 01، ص، 548).

[3]- شافعي، **الأربطة في مكة المكرمة**، ص، 231.

المكس عن الحجاج إلى مكة في البحر[1] –لأنّ هذا الرسم كان مفروضا على حجاج المغرب حتى ولو كان الحاج فقيرا- فقرّر السلطان إسقاطه، وأن يحمل إلى أمير مكة كلّ عام ألفي دينار وثمانية آلاف أردب[2]-كتعويض بدل المكس- قمح إلى ساحل جدة، ووقّف على ذلك أوقافا وخلّدها[3]، ثمّ إن السلطان أصبح يرسل الإنعام للمجاورين بالحرمين من العلماء والفقراء"[4]، طبعا تحفيزا لهم وخدمة للعلم والعلماء، ورجاء نيل الثواب من الله وحصول دعائهم له بالبقاع الطاهرة.

بمقابل ذلك كان المغاربة –حكاما وشعبا- أيضا يسهمون بحظهم في ذلك تشجيعا للعلم، وكسبا للمثوبة والأجر تأسّيا بإخوانهم الحكام من المشارقة خاصّة إذا كانت هذه الهبات موجّهة إلى أرض الحرمين، وممن كان شغوفا بالعلم مكبا عليه محمد بن تومرت الموحّديّ في بداية المائة السادسة للهجرة حينما رحل إلى بلاد المشرق، وأخذ عن علمائها مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري...ثمّ عاد إلى المغرب[5]، ومن ذلك ما ذكره أستاذنا الفاضل حسن الوراكلي –رحمه الله –من أنّ بعض سلاطين المغرب قد عنوا بتحبيس المصاحف حيث يقول: "ولدينا أخبار وافرة عن اهتمام سلاطين المغرب بنشر المصحف الشريف، ومنها أنّ السلطان أبا يعقوب يوسف المريني (ت:706هـ/1307م) حبس على الحرم المكي مصحفا وصف لضخامته بكونه حمل بعير، وقد

---

[1]- الشافعي عبد الملك بن حسين، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تح، عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، 01، 1419هـ، 1998م، مج، 04، ص، 221.

[2]- **الإردب**، هو مكيال ضخم بمصر أو يضم 24 صاعا أو 06 ويبات (**الويبة**، 22 أو 24 مُدًّا)، انظر، البستاني، **محيط المحيط**، ص، 07. وما يعادلها الآن: الصاع= 04 أمداد (المد=1.3 رطل/675غ/0.688لتر) = 2.75لتر، = 2176غرام.

[3]- الشافعي عبد الملك، **سمط النجوم**، ج، 04، ص، 222.

[4]- الشافعي، **المصدر السابق**، ج، 04، ص، 222.

[5]- الناصري أحمد بن خالد، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تح، جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، المغرب، ط، 1418هـ، 1997م، ج، 01، ص، 197.

حمله عام 703هـ الركب المغربي إلى مكة في ربعة كبيرة، وذكر ابن الوردي "أنّ السلطان أبا الحسن المريني (ت:752هـ/1352م)كتب من مدة قريبة بخطّه ثلاثة مصاحف ووقّفها على الحرمين الشريفين وعلى حرم القدس[1]، ثمّ أضاف بأنّ أبا الحسن جهّز مع المصاحف الثلاثة، عشرة آلاف دينار اشترى بها أملاكا في الشام، ووقِّفَتْ على القرّاء والخزنة للمصاحف"[2].

لقد ضرب لنا السلاطين والحكام مثالا فريدا في التّضحية لغرض واحد وشريف هو إعلاء شأن العلم وأهله (أقصد بذلك العلماء وطلبة العلم من أهل المغرب بالحجاز) وابتناء الدور والربط التي كان يأوي إليها المغربي أثناء وجوده بمكة أو المدينة قصد الدراسة أو للحج، وفي ذلك ما فيه من الدلالة القاطعة على حرصهم الشديد لتوفير كل ما يلزم خدمة للعلم وأهله.

ثالثا: تقارب المذهب المالكي بين المغاربة والمدينة المنورة:

إنّ أصل نشوء المذهب المالكي وظهوره كان في المدينة المنورة بدايات القرن الثاني الهجري، ومنها انتشر على يد تلامذة الإمام فيما بعد إلى أن وصل إلى بلاد المغرب الإسلامي، وعلى إثر ذلك "شكّل بلاد الحجاز (والمدينة بالخصوص) خلال القرن الثاني للهجرة النبوية مركزا علميا لانتشار هذا المذهب المالكي"[3]، وكان عبوره إلى بلاد المغرب عبر بوابة مصر التي أسهمت هي بدورها في انتشاره عبر ربوع التراب المغربي عموما فيما بعد، والمعلوم أنّ المغاربة في صدر الإسلام كانوا على مذهب الجمهور أصلا وفروعا، اعتقادا وتشريعا[4]، وكان أول ظهور للمذهب المالكي

[1]- الوراكلي حسن، **الأحباس العلمية عند المغاربة والأندلسيين**، بحث مقدم إلى مؤتمر، أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية، جامعة الشارقة بتاريخ 9، 10 مايو 2010. ص، 09.

[2] - الوراكلي، **المرجع نفسه**، ص، 09.

[3]- بلعيد محمد منصور، **أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي**، الأعمال الكاملة لمؤتمر الإمام مالك، الجامعة الأسمرية الإسلامية، ليبيا، ج، 02، ص، 916.

[4]- الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج، 01، ص، 192

بعدوة الأندلس ثمّ انتقل منها إلى المغرب الأقصى أيام الأدارسة[1]، وتذكر مصادر التاريخ أنّ السبب في اتباعهم للمذهب المالكي ما ذكره صاحب الاستقصا بقوله: "ورأيت في بعض التآليف في سبب ظهور مذهب مالك بالأندلس والمغرب أنّ حاجّ [حجّاج]المغرب والأندلس قدِموا على مالك ﷺ بالمدينة فسألهم عن سيرة حاكمهم الأموي –عبد الرحمن بن معاوية– الملقب بـ "الداخل" فوصفوه له فيما وصفوا عن تواضعه وبساطته ومجاهدته في سبيل الله فقال: ليت الله زيّن حرمنا –يقصد المسجد النبوي – فسُرّ بها، وجمع الناس على مذهبه، فانتشر بذلك في أقطار المغرب يومئذ[2].

إذن لقد كان ظهور المذهب المالكي بالمدينة المنورة عاملا مهمّا لرحلات حجّاج المغرب الإسلامي وطلبة العلم، الذين خرجوا بأعداد كبيرة نحو المدينة المنورة للتّفقّه على أعلام المذهب، وتجدر الإشارة ها هنا إلى أنّ بعض المناطق لا تزال متمسّكة بما اختارته مذهبا لها كالمذهب الإباضي الذي لايزال قائما إلى حدّ الآن في بعض مناطق الجزائر (غرداية، القرارة)، وبعض مناطق تونس(جربة)، وبعض مناطق ليبيا(زوارة).

رابعا: لقاء العلماء ومدارسة العلم معهم:

هذا العنصر لا يقل عن سابقه من حيث الأهمية كونه حلقة هامّة من حلقات التواصل العلمي بين بلاد المغرب وبلاد الحجاز، فقد كانت همّة العلماء المغاربة تبلغ مبلغا عظيما، وكان الرّحالة وطالب العلم يطمح من خلال أسفاره ورحلاته التي كان يشدّها صوب الحرمين الشريفين –بالإضافة إلى اقتناء الكتب مثلما سبق – إلى الالتقاء بأهل العلم الذين كانوا يجاورون بالحرمين، كذلك علماء الأمصار الأخرى من بلاد المشرق الإسلامي(العرب وغيرهم) الذين آثروا أرض

[1]– الناصري، **الاستقصا**، مج، 01، ص، 194.

[2] – الناصري، **المصدر نفسه**، ج، 01، ص، 195.

الحرمين، وبقوا فيها لنشر علومهم وتدارسها، فكان المغاربة يرون في مجالسة هؤلاء العلماء مفخرة لهم ومزيدا في كمال علمهم مثلما قال ابن خلدون: إنّ الرّحلة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في العلم[1]، وقد ذكرنا هذا سابقا . فابن خلدون كان يرى أنّ مجالسة أهل العلم ضرورة لابد منها لاكتساب كل ما هو جديد وتصويب أخطاء كان يجهل معناها من خلال مجالسته للعلماء فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها وتصحّح معارفه وتميزها عن سواها[2] حسب رأي ابن خلدون، وبالمقابل كان العبدري كلّما حلّ بمكان سأل عن أهل العلم به، فإن وجد إقبال أهله على حلقات الدرس والمجالس العلمية انطلق لسانه ثناء ومدحا [3] .

وما يدلّ على حرص علماء المغرب الإسلامي على لقاء علماء الأمصار الذين وجدوا بمكة والمدينة المنورة هو تدوينهم للعلماء الذين أخذوا عنهم ولقوهم أثناء مكوثهم بالحرمين أو مصر أو الشام أو القدس وجدّوا في ذلك وعملوا كتابا ضمّ جميع مراحل تعليمهم وشيوخهم وتراجمهم وأسانيد الأخذ عنهم سمّوه بالفهرست[4] مثلما فعل في ذلك الرحالة ابن رشيد السبتي في كتابه "ملء العيبة" حيث ذكر في مؤلّفه أنّه التقى بالشيخة الصالحة الكاتبة أم الخير فاطمة

[1] – ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج، 01، ص، 294.

[2] – ابن خلدون، **نفسه**، ج، 01، ص، 294.

[3]– عبيريد نوري أحمد، **التواصل المعرفي بين علماء الغرب الإسلامي وشرقه في العصر المملوكي**، دوافعه ومظاهره، بحث مقدّم لأعمال المؤتمر الدولي الثاني اللغة العربية المنعقد بدبي (27، 30 جمادى الآخر 1434هـ/07، 10ماي 2013م) ص، 13.

[4]– كان الأوائل يطلقون لفظة "**المشيخة**" على الجزء الذي يجمع فيه المحدّث أسماء شيوخه ومروياته عنهم، ثم صاروا يطلقون عليه بعد ذلك "**المعجم**" لما صاروا يفردون أسماء شيوخهم ويرتبونهم على حروف المعجم، فكثر استعمال وإطلاق المعاجم مع المشيخات، وأهل الأندلس يستعملون لفظ "**البرنامج**"، أمّا في القرون الأخيرة فسمّاه أهل المشرق بـ"**الثبت**"، وسمّاه المغاربة بـ" **الفهرست**".(للمزيد انظر، الكتاني عبد الحي، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط، 02، 1402هـ، 1982م، ج، 01، ص، 68).

البطائحية فقال: "لقيتها بمسجد المصطفى ﷺوقرئ عليها وهي مستندة إلى جانب رواق الروضة الكريمة المحمدية، وكتبت لي بالإجازة هناك في جميع مروياتها[1] وقال إنّه قرأ عليها حديث رسول الله ﷺالذي يقول فيه: "ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على حوضي"[2].

ونجد ابن ميمون الغماري المغربي الذي قصد المشرق الإسلامي لسبب وجيه وهو لقاء جماعة كان رجال من المغرب قد أمروه بلقائهم من أمثال ابن حبيب[3]، وبالفعل رحل إلى المشرق آثر الإقامة الدائمة كي يلازم العلماء الأعلام هناك هادفا من وراء مكوثه هناك الحصول على علو السند العالي، إذ لم يكن همّه التعلم لأنّ زاده المعرفي كان جيدا إذ نعتبره من علماء عصره، إذا كان حصول السند العالي طبعا في مجال الحديث كان شغله الشاغل، وليس هذا لشخصه فقط، بل كان المغاربة عموما كان حافزهم من الرّحلة نحو الحجاز وغيرها من بلدان المشرق الإسلامي السعي لأجل الفوز بهذا السند النادر والرواية العالية مثلما نالها التجيبي وحصّلها[4].

خامسا: تبادل الكتب والمكتبات بين الضفتين:

كذلك نجد من أهم العوامل الذي جعلت علماء المغرب الإسلامي يشدّون الرّحال إلى بلاد الحجاز وغيره من البلدان المشرقية هو وجود الذخائر النفيسة من الكتب التي لم تكن موجودة

[1]- السبتي ابن رشيد، **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكّة وطيبة**، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 1988، ج، 05، ص، 21، 22.

[2]- العسقلاني أحمد ابن حجر، **فتح الباري**، ج، 03، ص، 70 (الحديث رقم 1196، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة /باب فضل ما بين القبر والمنبر).

[3]- الغزي نجم الدين محمد، **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، وضع الحواشي، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط، 01، 1418هـ، 1997م، ج، 01، ص، 243.

[4]- التجيبي القاسم بن يوسف، **برنامج التجيبي**، تح: عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس ط: 1981.ص، 87.

عندهم ببلدهم فيغتنمون فرصة وجودهم بالبقاع المقدسة أو في طريق رحلتهم إليها للحصول على بعضها، كي يعودوا إلى وطنهم وهم محمّلون بزاد علمي لعالم التقوا به أو أخذوا عنه في بلدان مروا بها، إذ هذا هو الهدف الأسمى والثمرة الأغلى من انتقال علمائنا المغاربة –وحتى التجار الذين كان همّهم الربح الوفير فقط–فكانوا يسعون أثناء رحلتهم إلى "جلب الكتب والمصادر من الشرق والاطلاع على المكتبة وما جدّ فيها هناك، فكان يرجع محمّلا بأهم المصادر والتآليف المفيدة لعلماء التقى بهم واستفاد منهم في البلدان التي حلّ بها[1]، ومثاله الرحالة ابن رشيد السبتي (ت:721هـ/1321م) الذي كان مولعا بالكتب واقتنائها وإن تطلّب الأمر يبحث عنها حتى يجدها، فكان يقصد أسواق الكتبيين بدمشق من أجل الحصول على كتاب ندر وجوده بالمغرب فيفرح لوجوده كونه استطاع اقتناءه ولم يذهب جهده سدى، أو يبقى شديد الأسف والحسرة إذا لم يتم له الحصول على ما يرغب فيه من هذه الكتب[2]، ويقول ابن رشيد في رحلته المسماة "ملء العبية "[3] أثناء وصوله إلى الإسكندرية أثناء أوبته إلى بلده المغرب: "ولم يكن توجهي الإسكندرية عازما على التغريب، ولكن لأخذ كتب أودعتها هناك"[4]، فاغتنام ابن رشيد فرصة وجوده بمصر ساهم في تمتين الصلة العلمية بين البلدين من جهة، ومن جهة ثانية أنّه اعتبر نفسه رسول الفكر والثقافة لمساهمته في نقل المؤلفات من المشرق إلى المغرب الإسلاميين، ولم يكن ابن رشيد وحيد هذه الميزة دون غيره، فجلّ العلماء المغاربة الذين كُتِب لهم نصيب الرّحلة إلى البقاع المقدسة كانت لهم نفس الهمّة والعزيمة كي يعودوا وهم محمّلون بنفائس ونوادر المؤلفات والكتب المشرقية، ولولا

[1]– الشاهدي الحسن، **أدب الرّحلة بالمغرب في العصر المريني**، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، ط، 1990، ج، 01، ص، 92.

[2]– الشاهدي، **المرجع نفسه**، ج، 01، ص، 92.

[3]– العنوان كاملا هو، ملء العبية بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، وهو كتاب يصف رحلة ابن رشيد السبتي (ت 721 هـ).

[4]– الشاهدي، **نفسه**، ج، 01، ص، 92.

هذه الرحلات لما وقع الاهتمام بها في المغرب شرحا وتلخيصا وتقييدا ونظما وحفظا وتدريسا[1]، ولعلي هاهنا في هذا الموضع أشير إلى بعضهم على سبيل التمثيل فقط.

– أبو العباس أحمد بن محمد المدعو بالقباب[2] الذي رحل إلى المشرق فلقي هناك الفضلاء من أهل العلم والصلاح وانتفع ببركة ملاقاتهم، واجتلب مصنفاتهم[3].

– كذلك التجيبي في رحلته المشرقية وأثناء وجوده بالمدرسة الظاهرية بالقاهرة قال إنّه قرأ كتاب فضل الخيل[4] على مؤلفه شرف الدين أبي محمد عبد المؤمن بن خلف التوني، ثم ذكر أنّه وهبه منه نسخة قد عاناها وكتب حواشيها بخط يده[5]، وبدوره رجع بهذا المؤلف الجديد إلى بلاد المغرب حين رجوعه إلى بلده.

– كذلك نجد مغربيا آخر هو أبو زيد عبد الرحمن بن سليمان اللجائي (ت:773هـ/1371م)الذي استطاع إدخال فرعي ابن الحاجب إلى المغرب وعنه أخذ[6]، وكان

---

[1]– الشاهدي، **السابق**، ج، 01، ص، 93.

[2]– هو، أحمد بن قاسم بن عبد الرحمان الجذامي، ويعرف بالقباب من صدور أهل فاس، إمام فقيه نبيه جيد النظر سديد الفهم ...، رحل إلى المشرق وحج ولقي ابن عرفة، توفي بفاس عام 779هـ على رواية ابن القنفذ في، أنس الفقير وعز الحقير، وقيل عام 778هـ (انظر، المكناسي أحمد، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، المغرب، ط، 1973، ج، 01، ص، 124؛ كذا ينظر، أحمد بابا التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص، 102، 104.

[3]– الحضرمي أبو بكر محمد، **السلسل العذب والمنهل الأحلى**، تح، محمد الفاسي، مجلة معهد المخطوطات العربية (مجلة ثقافية تصدر عن معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية بالقاهرة، محرم 1384هـ/مايو 1964م، مج 10، ج، 01، ص، 85.

[4]– الكتاب بعنوان، **كتاب الخيل وما يستحب وما بكره من ألوانها وشياتها، وما جاء في كراهة لحومها**.

[5]– التجيبي القاسم بن يوسف، **برنامج التجيبي**، ص، 152، 153.

[6]– التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص، 248

ذلك سببا في انتشار كتب ابن الحاجب بين المغاربة الذين دأبوا على قراءتها، ومن ثمة تلخيصها وكان ذلك فترة حكم المرينيين.

-محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني المكناسي (ت:805هـ/1402م) الذي أشاع مختصر خليل المصري في المغرب[1]، ثم اهتم المغاربة ثم بعده بوضع الشروح والحواشي على المختصر فصد تبسيطه لعامة الناس في مجال الفقه.

- أضف إليهم محمد بن إبراهيم التلمساني (ت:845هـ/1441م) الذي كان له الفضل والسبق في إدخال شامل بهرام، وشرح المختصر له، وحواشي التافتازاني على العضد، وابن هلال على ابن الحاجب الفرعي.

-الرحالة ابن رشيد السبتي الذي يعتبر من أوائل من أنزل كتاب "البدر المنير في علم التعبير تسلّمه من مؤلِفِه أبي العباس أحمد بن سرور المقدسي الحنبلي. والقائمة تطول لهؤلاء الجهابذة الذين كرسوا حياتهم للكتب والعلوم.

هذا غيض من فيض المغاربة الرّحالة وغيرهم كانوا رحمهم الله يعودون إلى وطنهم وهم محمّلون بنوادر المؤلفات والكتب المشرقية بفضل تلك الرّحلات، ليس هذا فقط بل إنّ هؤلاء العلماء بقدر ما كانوا يساهمون في تبادل الكتب والمصنفات، كذلك استطاعوا نقل الأخبار والنوادر المتفرقة والقصائد المفردة، والسبب راجع حسب ما اطلعت عليه كون المغاربة عموما كانوا يتشوّقون إلى مجالسة أصحاب الرّحلة لما ينقلونه لهم من أخبار العلماء والمصنفات، وحتى ما سمعوه منهم من أحاديث المصطفى ﷺ، ونوادر الكلام والأشعار بالأماكن التي قصدوها كون تلك الرّحلة هي المصدر الذي نقل للمغاربة المعلومة ومثالها في ذلك رحلة البلوي المسماة "تاج المفرق" التي نقل

[1]- التنبكتي، **المصدر السابق**، ص، 498.

عبرها قصيدة لأبي الثناء محمود بن سليمان الحلبي التي نظّمها ببلاد الحجاز أثناء وجوده بها لأداء مناسك الحج ومطلع هذه القصيدة من البحر المتقارب[1]:

وصَلْنَا السُّرَى وهَجَرْنَا الدّيارَا وجِئْنَاكَ نَطْوِي إلَيكَ القِفَارا
أتَينَاكَ نَحْدُو البُكَا والرّكَابَا ونَبْعَثُ أثرَ القِطَارِ القِطارَا

ثمّ يقول:

أتيناكَ سعيًا نُنادِي البِدارَا إلَى سَيّدِ المُرْسَلينَ البِدارَا
إلى أَشْرَفِ الخَلْقِ فِي مُحْتد وأَحْمَي جِوارًا وأعْلَى نِـجَارًا

ويختمها بقوله:

يـمَانِيّةٌ رابـها أنـــّـهَا بِطَيبةَ مَرّتْ وجَرّتْ إِزَارَا
علَى مَنْ سَرَتْ مِنْ حِمَاهُ السّلامُ وحيّا الحَيَا ذَلكَ الرَّبْعُ دَارَا

سادسا: الحصول على الإجازة العلمية:

كان العلماء وطلبة العلم المغاربة حينما يؤدّون فريضة الحج يغتنمون فرصة وجودهم بأرض الحجاز فيلتقون بغيرهم ممن يحضر موسم الحج، حيث يلتقون بالعلماء المجاورون للحرمين في مكة والمدينة المنورة على اختلاف مشاربهم وأعراقهم، حيث يصرّح عبد الرحمن المعلّمي بقوله: "كان من أعظم ما يهتم به العالم إذا حجّ الاجتماع بالعلماء والاستفادة منهم وإفادتهم، لقد كان بعض العلماء يحجّ ومن البواعث له على الحجّ طلب العلم والاجتماع بالعلماء"[2].ومن خلال ذلك

[1] – البلوي، **تاج المفرق**، ج، 02، ص، 08، 09، 10.

[2]– الغامدي عبد العزيز صالح، **دور الحج في التواصل الثقافي بين علماء الحرمين الشريفين والعلماء المغاربة**، مجلة التاريخ العربي، ع، 63، السنة، 2013، ص، 167. .

الاجتماع يتم التعارف والاطلاع على المؤلّفات، بمقابل ذلك كانوا يغتنمون الفرصة أيضا لأخذ الإجازة العلمية فيما بينهم، إذ كانت هذه المزية أمنية كل مغربي وطئت قدماه أرض الحرمين مكة والمدينة بما كانا يختزنانه من كوكبة علماء الأمصار المجاورين بهما.

❖ المبحث الثالث:

الوجود المغربي في بلاد الحجاز

ذكرنا سابقا أنّ أرض الحرمين جذبت إليها قلوب وأفئدة المسلمين في شتى بقاع المعمورة دون استثناء، يتوافدون عليها – مكة المكرمة –لجوار بيت الله الحرام قربا وتقربا من الله تعالى، وتبركا بها (الكعبة)، استجابة لنداء خليل الرحمن سيدنا إبراهيم عليه السلام مصداقا لقول الله تعالى:﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾ [1]ومن السنة النبوية ما قاله النبي ﷺ لمكة حينما هاجر منها إلى المدينة فارا من ظلم وبطش قريش له، والتفت إليها التفاتة المتشوق قائلا [2]:"والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أنّي أُخرِجتُ منك ما خرجت" هذه المزية (حب مكة) قد تناقلها بعده صحابته الكرام، ومن أتى من بعدهم جيلا بعد جيل من العلماء، والقاصدين أرض الحرمين الشريفين لأداء الحج والعمرة، فالمكانة الروحية التي تتمتع بها مكة المكرمة من جهة، ومن جهة ثانية مسجد رسول الله ﷺ، كان لهما الأثر في استقطاب عدد كبير من المسلمين الذين قدموا إليهما لأداء فريضة الحج التي أمرهم الله بها[3]، ومكة هي المجتمع الوحيد الذي كان ولايزال يجتمع فيه الحجاج والعلماء والمفكرون والأدباء الوافدون إليها من شتى أصقاع العالم ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات، وبعد قضائهم لمناسكهم كان الكثير

---

[1] – **إبراهيم**، الآية، 39.

[2] – الشوكاني محمد بن علي، **نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار**، تح، محمد صبحي حلاق، دار ابن الجوزي، السعودية، ط، 01، 1427هـ، ج، 09، ص، 235. (حديث صحيح رواه أحمد وابن ماجة والترمذي، وصحّحه، الباب الثالث عشر، باب تفضيل مكّة على سائر البلاد، رقم 48، 1926).

[3] – الزيلعي أحمد عمر، **مكّة وعلاقاتها الخارجية 301، 487 هـ**، جامعة الرياض، ط، 01، 1401هـ، 1981م، ص، 137.

منهم لاسيما طبقة العلماء والأدباء وأهل الفكر والرأي –خاصة المغاربة والأندلسيين– يفضلون الإقامة والمكوث بها وجوار بيت الله الحرام ومسجد الرسول عليه الصلاة والسلام إذ لا تشدُّ الرّحال إلاّ إليهما بغرض الانقطاع للعبادة، مع طلب العلم، وكانت فكرة إقامتهم بمكة والمدينة، ومجاورة الحرمين مما استأثر باهتمام الكثيرين من مجاوري المغرب الإسلامي، فترى بعضهم يجد في أحضان مكة ما يشفي غليله الروحي من انقطاع وتبتل وعبادة. وترى البعض الآخر يرى فيها ملاذا آمنا يُنسيه غوائل الفتنة الَّتي كانت تعصف ببعض البلدان الَّتي ينتمون إليها. وترى فئة أخرى أسيرة ما تزخر به مجالسها من شيوخ العلم وأساطينها، وما يدور في أروقتها من مناظرات العلم وحلقاتها، فترتشف من حياض العلم والمعرفة ما يروي ظمأها، ويملأ وطابها[1]. وفي هذا الجو العلمي الفياض كانت مدة الجوار تقلّ أو تطول بحسب مدة مكوثهم هناك، فسُمّوا بالمجاورين بأرض الحرمين.

قبل الخوض في ذكر نماذج من هذه الشريحة العلمية والاجتماعية من المغاربة والأندلسيين لابد لي من تقديم مفهومٍ عامٍ لهذا المصطلح وبيان فضله، ثم أبسط حديثي في ذكر حصيلة نسب ومجموع المغاربة المجاورين بالحجاز، لما له من الأثر العلمي وغيره بتلك الدّيار المقدّسة.

أولا: ما المقصود بمصطلح "المجاورين"؟

في اللغة: جَاوَرَ يُجَاوِر مُجَاوَرَةً، من المصدر "المجاورة"، ويقال: جاوره: مجاورة وجوارا أي ساكنه ولاصقه في المسكن، وأعطاه ذمّة يكون بها جاره ويجيره، والمسجد: اعتكف فيه ونقول جاور المدينة أو مكة [2].

[1]– ألحيان مولاي الحسين، **الجوار في الحرم المكي وأثره في نشر العلم والمعرفة (مجاورو المغرب الأقصى نموذجا)**، مجلة الواضحة (مجلّة علمية محكّمة تصدر عن دار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا، الرباط)، ع، 04، السنة، 1427هـ، 2006م، ص، 347.

[2]– أنيس إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار المعارف المصرية، القاهرة، ط، 02، 1972، ج، 01، ص، 146.

وكذلك المجاورة الاعتكاف في المسجد، وفي الحديث النبوي: "كان يجاور في العشر الأواخر" أي اعتكف فيه[1]، ومنه المجاوِر وهو المعتكف في المسجد.

والمعنى من التعريف اللغوي أنّ المجاورة هي: المساكنة، والملاصقة، وما يترتب عنهما من حق الجوار وهي إعطاء الذمة والأمان...، وعند قرنها بالمسجد تصبح بمعنى الاعتكاف، وعندما نقرنها بالحرمين تصبح بمعنى المقام في مكة أو المدينة.

في الاصطلاح: يؤخذ المعنى الاصطلاحي من التعريف اللغوي وهو "مجاورة الحرمين أي: المقام مطلقًا غير ملتزم بشَرائِط الاعْتِكاف الشَّرْعِي"[2].

ويسمى هذا عند العرب أيضا بـ: الثَّوِيّ. قال الزبيدي في تاج العروس: "الثَّوِيُّ: المجاوِرُ بأحدِ الحَرَمَيْن؛ ونَصُّ ابنِ الأعْرابِيّ: بالحَرَمَيْنِ" [3].

وقد عُرِّفت المجاورة على "أنّها ظاهرة دينية واجتماعية اقتضتها قدسية المكان وشرفه وفضيلته منذ ظهور الإسلام، استنادا على ما جاء في القرآن الكريم والسنّة من آيات وأحاديث تفصح عن مكانة الحرمين الدينية[4]، وهي تمتد وتقصر حسب رغبة المجاور ودوافعه والظروف

[1]- الجوهري إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تح، أحمد عبد الغفور عطار، ج، 02، ص، 618.

[2]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج، 04، ص، 156.

[3]- الزبيدي محمد مرتضى، **تاج العروس (من جواهر القاموس)**، تح، مصطفى حجازي، مج، 37، دار التراث العربي، الكويت، ط، 01، 1422هـ، 2001م، ص، 307.

[4]- السنيدي عبد العزيز، **المجاورون في مكّة، وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من (570-660هـ/ 1174-1261م)**، بحث مقدّم إلى "مكّة المكرّمة عاصمة الثقافة الإسلامية لعام 1426هـ"، مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة أم القرى، ط، 01، 1426هـ، 2006م، ص، 08.

المحيطة به، لهذا فإن أغلب المصادر التاريخية لا تزودنا بمدة مجاورة العلماء، وإنّما تلمح في الغالب دون تحديد إلى أن هذا العالم أو ذاك قد جاور سنينا في مكة أو المدينة "[1].

ومن هذا التعريف نستحضر مقولة العوام من الناس "ضيوف الرحمن" فيمن زار واعتمر، وهذا له مطابقة مع الجانب اللغوي للمصطلح، إذ الذي يأتي إلى الحرمين للعبادة والظفر بالصلاة فيهما، يُعدُّ ضيفا للرحمن، وكونه ثاويا في المسجد مجاورا له فهو ضيف للبيت العتيق.

ومما سبق ذكره يتبيّن لنا أنّ المراد من هذا المصطلح "المجاورة" الذي جعله الله تعالى متعلقا بهذا الصنف من الناس وهم ضيوف بيته العتيق المجاورون له الذي قَصدُهم المقام وليس الاعتكاف، لأنّ الاعتكاف غالبا يتقيد بمدة وشروط بخلاف الإقامة التي قد تتواصل إلى شهور وربما أعوام، أو حتى يتوفاه الله بتلك البقاع الطاهرة، ونقصد بالتعريف هاهنا العلماء المجاورين من أهل المغرب والأندلس الذين أقاموا بالحرمين لسنوات محدودة – طالت المدة أم قصرت- لأنّنا حينما نتصفّح المهتمين بدراسة كتب الرحلات نجدهم كما قال الدكتور القادري بوتشيش "يخلطون بين من قام بالحج فقط، ومن مكث بعد الحج واستوطن تلك المنطقة واتخذها موطنا له فالمعنيان مختلفان"[2]، وما يهمّ في دراستنا هذه الفئة الثانية التي بقيت ردحا من الزمن.

[1]- مكاتي توهامي، **علماء المغرب الأوسط المجاورين لمكّة والمدينة، وإسهاماتهم في علوم القرآن وعلم الحديث**، مجلة متون (كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة)، مج، 10، العدد، الثاني بتاريخ، 01 ديسمبر 2018، ص، 137.

[2]- بوتشيش القادري، **العلماء المجاورون بمكّة "نموذج للملتقيات العلمية بمكّة في العصر الوسيط"**، مجلة ثقافتنا (مجلة رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية للدراسات والبحوث. مركز الدراسات الثقافية الايرانية)، المجلد، 1433، ع، 33، ديسمبر 1433، مهر 1391، ص، 95.

ثانيا: المغاربة الذين جاوروا بالحرمين الشريفين:

كان الوافدون على بلاد الحجاز يشكّلون الكتلة الأكبر من السكان في المجتمع المكي والمدني لأنهم قصدوا مكة والمدينة بنية البقاء والإقامة، وكانت لهم أسبابهم في الهجرة من أوطانهم إلى أرض الحرمين بين دينية –كما رأينا سابقا– أو سياسية، وبلاد المغرب الإسلامي كانت تعيش آنذاك جوا من الصراع المذهبي والانقسامات والفتن فيما بين أبناء البلد الواحد انطلاقا من القرن الثاني وما بعده (ظهور الدول)، لكن فيما بعد استتب الأمن والاستقرار بعد القرن السادس الهجري، خاصة فترة الحكم المريني خلال القرن السابع الهجري الذين انتعشت في وقتهم التبادلات العلمية بينهم وبين المشرق الإسلامي، وأعيد تنظيم رحلات الحج بعد أن انقطعت مدّة، وهو ما لمّح إليه ابن خلدون بقوله: "واستجدّ أهل المغرب عزما في قضاء فرضهم، ورغبوا من السلطان إذنه لركب الحجّ في السفر إلى مكة"[1]، أي بعد أن استقر الوضع واستتبّ الأمن بالمغرب.

وكان وجودهم بالحجاز لسببين هامّين إمّا لأداء الحج والعمرة، أو لغرض طلب العلم والأخذ عن علماء هذا البلد، ومجاورة البيت الحرام، وما زاد من حرصهم على المجاورة هو وجود الأربطة[2] التي شيّدت في مكة والمدينة المنورة لعقد حلقات العلم وإلقاء الدروس حيث أصبحت فيما بعد مأوى ومسكنا لهم[3]، أضف إلى ذلك وجود عدد من المدارس النظامية التي ساعدتهم على الاستقرار بالحجاز، بل هناك من أصبح من ذوي الشأن في طبقات المجتمع المكي والمدني، وتولّوا مناصب الإمامة والقضاء والخطابة والتدريس، وأصبح جزء منهم من مسؤولي الرّباطات

[1]– ابن خلدون، **كتاب العبر**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 1992، ج، 07، ص، 267.

[2]– من الأربطة التي كانت تأوي العلماء وطلبة العلم المجاورين "رباط السدرة" ورباط "المغاربة"، انظر، حسين شافعي، **الأربطة في مكّة المكرمة**، ص، 249.

[3]– معروف ناجي، **أصالة الحضارة العربية**، مطبعة التضامن، بغداد، ط، 02، 1389هـ، 1969م، ص، 460.

التي كانت بالحرمين كرباط "السدرة"[1]، ورباط "ربيع"[2]، ورباط "المغاربة"[3] الذي أصبح فيما بعد يسمى بهم لكثرة المجاورين المغاربة الذين سكنوه مدة إقامتهم هناك بمكة، سأرجئ تفصيل هذا العنصر إلى الفصل الأخير من هذه الرسالة.

سأحاول في هذا المبحث أن أذكر بعضا من المغاربة والأندلسيين الذين حصل لهم شرف الوجود والمكوث مدّة إما بمكة أو المدينة أو بهما معا، وسأقتصر على نماذج فقط من قبيل التوضيح لا الحصر معتمدا في تصنيفهم على عامل المكان، والترتيب الزمني الأول فالأول وفق التقسيم الآتي:

أ/المجاورون بمكة المكرّمة:

محمد بن أحمد بن سعد (ت:466هـ/1073م)[4]: الإمام أبو عبد الله بن الفراء المعافري الأندلسي الجياني المقرئ، وقد ذكر الذهبي أنّه حج في أواخر عمره، وجاور بمكة إلى حين وفاته بمكة سنة 466هـ.

---

[1]- ابن فهد نجم الدين عمر، **الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تح، عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 01، 1421هـ، 2000م، ص: 1054.

[2]- ابن بطوطة، **تحفة النظار**، ص، 167.

[3]- بن فهد عمر، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تح، فهيم محمد شلتوت، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرّمة، العربية السعودية، ط: 01، 1404هـ، 1983م؛ ج، 04، ص، 572، شمس الدين محمد السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت، ط: 01، 1412هـ، 1992م، ج، 02، ص، 243، السخاوي، **المصدر نفسه**، ج، 10، ص، 123.

[4]- الذهبي شمس الدين، **طبقات القراء**، تح: د. أحمد خان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط، 01: 1418هـ، 1997م.ج، 01، ص، 663.

إسماعيل بن علي النفزاوي التناوتي أبو طاهر (قبيل ق06هـ/12م): من العلماء الإباضية، حيث ذكر عنه الوسياني في سيره أنّه حجّ، وجاور بمكة[1]، وكان ذلك نهاية القرن الخامس الهجري.

يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الورجلاني. أبو يعقوب(ت:570هـ/1174م) من علماء المذهب الإباضي بالمغرب، وكانت له رحلة إلى الحجاز لأداء فريضة الحج[2]، نظّم خلالها "القصيدة الحجازية" وما دام أنّه استفاد من مراكزها العلمية قرينة على أنّه جاور بمكة.

محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الطائي الحاتمي الأندلسي المرسي، الملقّب بمحي الدين والمعروف بابن عربي[3](ت:638هـ/1240م) : كان مجاورا بمكة مدة سنين، وألّف فيها كتابه المشهور بالفتوحات المكية.

محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي المعروف بابن الفضل المرسي السلمي[4] (ت: 655هـ/1257م): تردّد إلى مكة وجاور بها كرّات، وفي رواية الفاسي "سنين كثيرة"، وقد حدّث بالكثير في أماكن متعدّدة منها مكة.

محمد بن علي بن عطية المكناسي[5] (كان حيا سنة 685هـ/1286م) جاور بمكة دفعات، ودخل الشام والحجاز واليمن وكان فيه صدق وإيثار، وكان ممن أجازوا العالم قطب الدين القسطلاني بالحرم الشريف سنة 657هـ.

---

[1]- بحاز إبراهيم وآخرون، **معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر**، قسم المغرب الإسلامي، دار الفكر الإسلامي، بيروت، ط، 01، 1420هـ، 1999م، ج، 02، ص، 57.

[2]- نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر**، ج، 01، ص، 342.

[3] -الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 278.

[4] - الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 02، ص، 81.

[5] - الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 02، ص، 276.

محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الحارثي الخزرجي(ت:710هـ/1310م): أبو عبد الله المعروف بابن قطرال الأندلسي[1] ثم المراكشي :نزيل مكة، حيث ذكر أنّه حجّ غير مرّة وجاور وكانت وفاته برباط الجزري عند باب إبراهيم عليه السلام .

محمد بن عمر بن محمد[2]، أبو عبد الله ابن عمر بن إدريس ابن رُشَيْد الفهري السبتي (ت:721هـ/1321م) ارتحل إلى الحج في عام 685هـ فحج وأقام مجاورا بمكة، ثمّ المدينة المنورة.

محمد بن عبد الصمد المغربي المعروف بالتازي (ت:805هـ/1402م)[3]: جاور بمكة سنين كثيرة، وذكر السخاوي أنّها تقارب العشرين سنة أو أزيد[4]، وكان كثير الاشتغال بالفقه كما سنرى في بابه، توفي برباط السدرة بمكة سنة 805هـ.

محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسي[5](ت:819هـ/1416م) العلامة المفنّن البارع المعروف بالوانوغي ويعرف بابن نزيل الحرمين الشريفين :ولد بتونس سنة 759هـ لكنه مات بمكة سنة 819هـ بعدما كان مجاورا لها.

---

[1] – الصفدي، **أعيان العصر وأعوان النصر**، تح، د. علي أبو زيد، د. نبيل أبو عمشة، د. محمد موعد، د. محمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط: 01، 1418هـ، 1998م، ج، 04، ص، 653.

[2] – الصفدي، **المصدر نفسه**، ج، 04، ص، 676.

[3] – الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 250.

[4]– السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 04، ص، 97.

[5]– الطرهوني محمد بن رزق، **التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا**، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط، 01، 1426هـ، ج، 01، ص، 285، 286.

إبراهيم بن فائد بن موسى بن هلال الزواوي القسنطيني[1] (ت:857هـ/1453م) صاحب شرح مختصر خليل: قال السخاوي أنّه ولد سنة 796هـ، وحج مرارا وجاور بمكة.

إبراهيم بن محمد بن علي اللّنتي التازي نزيل وهران(ت:866هـ/1461م)[2]: أخذ بمكة والمدينة (وفي ذلك دلالة على مجاورته بالحرمين).

ب/ المجاورون بالمدينة المنورة:

جاور بالمدينة المنورة الكثير من العلماء وطلاب العلم ممن آثروا المقام، وفضلوا الجوار فقد روي أن الإمام البخاري رحمه الله "صنف كتابه في تاريخ المدينة المنورة لأنها أصبحت صورة عن عالم إسلامي يشمل المهاجرين والوافدين والمجاورين بها من العلماء وطلاب العلم سواء من قدم إليها من أجل الإقامة بها، أو من تخلف بها بعد أداء فريضة الحج وزيارة المسجد النبوي الشريف ثم البقاء في المدينة"[3] .

هؤلاء المجاورون العلماء قدموا من أنحاء متفرقة من بلاد المغرب من طرابلس والجزائر وتونس والمغرب والأندلس إلى طيبة الطيبة، وتوالوا على المدينة نجد:

محمد بن عمر بن علي بن محمد بن إبراهيم[4](ت:740هـ/1339م) المعروف بابن عمر المليكشي البجائي: كان فقيها أديبا حاجا ومتصوفا، رحل إلى بلاد الحجاز فحج وروى عن جماعة وسمع بالمدينة المنورة على السراج محمد بن طراد قاضي المدينة وخطيبها، وله شعر رائق ونثر فائق وكتابة بليغة وتآليف مستطرفة.

---

[1] – الحفناوي محمد، **تعريف الخلف برجال السلف**، مج، 01، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، ط، 1906م، ج 02، ص، 05.

[2] – الحفناوي، **المصدر نفسه**، ص، 153.

[3]– الأنصاري ناجي، **التعليم في المدينة المنورة**، ص، 240.

[4]– الحفناوي، **مصدر سابق**، ج، 01، ص، 173، 174.

محمد بن علي بن جابرْ الوادياشي أو الوادي آشي(ت:750هـ/1394م): محمد بن علي بن جابر: ذكره ابن فرحون في تاريخه استطرادا فقال[1]: "كان من شيوخنا المباركين الذين صحبوا والدي ورعوه في ذريته، وممن أفنى عمره في السماع ثم الإسماع، وصلى بالناس بالتراويح في المسجد النبوي فلم أسمع أحسن من قراءته وآدابه وجودة حفظه وترتيب مواقفه بل هو من القرّاء المجوّدين" وقد جاور بالمدينة مرارا.

عبد الله بن عمر بن موسى البسكري، (حي سنة:765هـ/1363م)[2]: من علماء المالكية شاعر، أديب، رحل إلى المشرق، وحج، واستقر بالمدينة المنورة، وبها لقي الحافظ والمحدث عبد الله المطري (ت:765هـ) وأخذ عنه ولازمه. وكان الحافظ المطري كثيرا ما يردّد قصائد البسكري ويحفظها لإعجابه بها. وفي كتاب "تحقيق النصرة" قصيدة طويلة للبسكري أنشدها المطري في المدينة المنورة[3].

أحمد بن محمد المصمودي التاجوزي التلمساني (ت:790هـ/1388م)[4]: روى بالمدينة على الجمال الكازروني، وأخذ عن أبي عبد الله محمد بن يحي بن جابر الغساني .

إبراهيم بن علي بن محمد بن أبي القاسم بن فرحون اليَعْمَرِي[5] (ت:799هـ/1396م):يعرف ببرهان الدين، الملاحظ على صاحب الترجمة أنه مدني المولد، ولكنّ أسرته من أصول مغربية جاورت بالمدينة المنورة كما سنرى في الفصل القادم، (سأسهب في

---

[1]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص، 78.

[2]- عادل نويهض، **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط: 02، 1400هـ، 1980م، ص، 42.

[3]- زين الدين أبو بكر المراغي، **تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة**، تح، محمد عبد الجواد الأصمعي، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، ط، 01، 1374هـ، 1955م، ص، 208، 209، 210.

[4]- الحفناوي، **مصدر سابق**، مج، 01، ص، 152.

[5]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص، 33، 35.

ذكر معلوماته أكثر في فصل الأسر العلمية المغربية بالحجاز، وفي فصل تراث المغاربة بالحرمين إن شاء الله تعالى).

محمد بن ميمون الجزائري (ت:801هـ/1398م) [1] المعروف بابن الفخار لكون جده كان يبيع ذلك ذو أصول أندلسية، أقام بالمدينة خمسة أعوام، وكان جاوره بها سنة 800هـ، وكان يزاول نشاطا علميا وهو تأديب الأطفال(وهي حرفة من الحرف التي امتهنها بعض المغاربة بالحجاز).

على ما يبدو أنّ أرض الحرمين الشريفين لم تخل في أي قرن من القرون الأولى للهجرة وما بعدها من توافد العلماء والأدباء والقراء المجاورين من المغاربة والأندلسيين– قد قلّ عددهم أو كثر من وقت لآخر حسب الأسباب والوقائع – وكان لهؤلاء المجاورين دورهم الفعّال بناء الحركة العلمية والتعليمية، وتنشيطها في كل من مكة والمدينة المنورة وغيرهما من أقاليم بلاد الحجاز، وبمجاورتهم للحرمين الشريفين أتاح لهم فرصة وجود العلماء والمحدّثين والمدرّسين من بينهم، وسهّل عليهم النبوغ العلمي في العلوم الإسلامية والإنسانية، ومن ثم الجلوس على كرسي التدريس في الحديث والفقه وغيرهما، فكان منهم العلماء والفقهاء والمحدثون وطلاب العلم، الذين آثروا البقاء على العودة إلى ديارهم"[2].

ثالثا: حصيلة الوجود المغاربي بالحرمين:

لم يقتصر الجوار بالحرمين على أهل المغرب فقط، بل نافسهم في ذلك علماء الأندلس حتى إننا نجد الغالبية العظمى من المجاورين المغاربة كانت للأندلسيين أكثر منها للمغاربة، وقد أشار إلى ذلك ابن بشكوال صاحب كتاب الصلة حينما نطرّق إلى حوالي 105 شخصية علمية قطنت مكة المكرمة من مجموع 220 أندلسيا، رحلوا إلى المراكز العلمية بالمشرق خصّ

[1] – الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 384.

[2] – الأنصاري ناجي، **مرجع سابق**، ص، 241.

منهم 105 أي بنسبة 47.72% من المجموع العام، وفيما يلي حصيلة مختصرة للوجود المغربي والأندلسي من خلال كتب التراجم (العقد الثمين للفاسي، الدرر الكامنة لابن حجر، الضوء اللامع للسخاوي، الصلة لابن بشكوال كأنموذج):

الجدول -01- إحصائي للوجود المغربي في الحجاز[1]

الإقليم	عدد المجاورين بصفة عامّة	عدد المستقرين حتى الوفاة	عدد المستقرّين لفترة محدودة
الأندلس	27	10	17
المغرب العربي	14	8	6
المجموع العام	41	18	23

الجدول -02- إحصائي ونسبي للوجود الأندلسي في مناطق الحجاز مستخرجة من كتاب "تاريخ علماء الأندلس" لابن الفرضي[2]

مناطق الحجاز	عدد الموجودين من أهل الأندلس	النسبة المئوية
مكة المكرّمة	108	% 72
المدينة المنورة	51	% 23
جدّة	5	% 2

[1]- خصّصته لحصيلة رقمية للمجاورين المغاربة بالحجاز استخرجت من كتب التراجم والطبقات المذكورة أعلاه خلال فترة القرن 06هـ، 07هـ. (انظر، السنيدي، **المجاورون في مكّة**، ص، 25.

[2]- خصّصته لذكر أرقام نسبية لعلماء الأندلس الموجودين بمناطق الحجاز لغرض الحج وطلب العلم كونهم ينتمون إلى الغرب الإسلامي، انظر، بوتشيش إبراهيم القادري، **مرجع سابق**، ص، 93.

مناطق أخرى بالحجاز	7	% 3
المجموع	171	%100

الجدول-03- قائمة اسمية لبعض المجاورين المغاربة بالحرمين من خلال كتب التراجم المذكورة في الجدول:

صاحب الترجمة	إشارات	المصدر
مفرج بن عبد الله المالكي (حي سنة: 452هـ)	جاور بمكة إلى غاية وفاته بها نهاية القرن الخامس الهجري	**الصلة** لابن بشكوال ج: 03/ ص:893.
رزين بن معاوية العبدري (ت:524هـ)	جاور بمكة إلى حين وفاته سنة 524هـ.	**الصلة** لابن بشكوال – ج: 01/ ص: 296-297.
عطية بن علي بن عطية بن علي القيرواني (ت:530هـ)	جاور بمكة مع والده سنين، وسمع بها من عبد الكريم بن عبد الصمد بن محمد الطبري	**العقد الثمين** للفاسي: ج:05/ ص:221.
علي بن عبد الله المكناسي(ت: 571هـ)	حج سنة 521هـ، ورجع إلى الأندلس، ثمّ حج ثانيا وجاور، وأمّ بالحرم، وكان زاهدا ورعا محسنا إلى الغرباء.	**العقد الثمين** للفاسي ج: 06 / ص: 181-182.
محمد بن عبد الله بن الفتوح المكناسي (ت: 592هـ)	جاور بمكة، وكان يوصف بالفقيه الإمام العالم العامل الزاهد الورع، وكان إمام المالكية بالحرم المكي.	**العقد الثمين** للفاسي: ج:02/ص: 74-75

محمد بن علي بن عطية المغربي المكناسي (ت: 657هـ)	سافر إلى الحج، وجاور بمكة دفعات، وكان فيه صدق وإيثار.	**العقد الثمين** للفاسي ج: 02/ ص: 195.
محمد بن محمد العبدري الفاسي (ت:722هـ)	خطيب سبتة وإمامها، ونبغ في علوم القراءات والحديث والفقه والنحو، جاور بمكة والمدينة نحو سبع سنين وحدّث بهما، وسمع منه أعيان بها (مكة).	**العقد الثمين** للفاسي ج: 02/ ص: 337.
محمد بن إبراهيم القصري السبتي (ت:723هـ)	نزيل القدس، حج وجاور بالمدينة المنورة ومكة وأقرأ بهما القراءات، وممن قرأ عليه أبو عبد الله محمد المقدسي.	**طبقات القراء** لابن الجزري: ج:02 /ص: 47.
محمد بن محمد الجديدي المالكي القيرواني (787هـ)	سافر إلى الحج سنة 782هـ فحج وأقام بمكة مدة	**العقد الثمين** للفاسي ج:02 / ص: 386.
محمد بن سليمان الجزولي (ت:863هـ)	دخل مكة سنة 841هـ وجاور بها، وتصدّر الإفتاء بها مع التدريس، وأخذ عنه الأماثل.	**الضوء اللامع** للسخاوي ج: 07/ص: 259.

❖ المبحث الرابع:

كتب الرحلة المغربية صوب الحرمين الشريفين

– لا شك أنّ الذي أوقد الشرارة الأولى لتنقلات العلماء المغاربة صوب الحرمين "مكّة والمدينة" هم رسل الفكر (الرّحالة)، وقوافل الحجّاج الذين أسالوا لعاب العلماء والمفكرين من أهل المغرب لشدّ الرّحال نحو المشرق الإسلامي الذي نبعت منه عيون المعرفة الإسلامية بما كانوا يرؤُونَه عنهم من أخبار عقب قفولهم راجعين من السفر، وتقديمهم لأخبار وأوصاف الحرمين، وما كان يسود البلاد الحجازية من حياة علمية مزدهرة واستقرار أمني متميّز، لأنّ هؤلاء الرّحالة قد أكثروا من التحدّث عن حلقات العلم التي كانت تعقد بالمساجد والزوايا والخوانق والمكتبات كونهم قاموا أثناء زيارتهم بمجالسة العلماء في تلك المنطقة وحضور محاوراتهم ومناقشاتهم العلمية ومطارحاتهم الأدبية خاصة بالحرمين الشريفين[1]، وخير مثال على ذلك ما قدّمه ابن جبير في رحلته عن الحرم الشريف حينما زاره فقال" والحرم محدق بحلقات العلم"[2]، لعلّ الصورة وغيرها حفّزت المغاربة إلى المضي قدما قصد الزيارة أو المجاورة لمدة من الزمن بالحرمين الشريفين.

– وقد انتظمت الرّحلات العلمية إلى المشرق في حدود القرنين الخامس والسادس الهجريين، لكنّها لم تكن بالشكل الذي وصلت خلال القرن السابع وما بعده، حيث زاد انتعاشها الفعلي، بفضل كتب المصادر والرحلات التي أَطلَعتْنا على حجم وصورة عدد الطلاب والعلماء المغاربة المهتمين بالثقافة والفكر ممن توجّهوا إلى المشرق، وساهموا في عملية التواصل بين المغرب والمشرق.

[1]– نوال عبد الرحمن شوابكة، **أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري**، دار المأمون للنشر والتوزيع، الأردن، ط، 01، 1428هـ، 2008م، ص، 79.

[2] – ابن جبير، **الرحلة**، ص، 68.

1- نماذج لرحّالة مغاربة قصدوا الحرمين الشريفين:

1-1- الرّحالة ابن جبير[1] المغربي (ت: 614هـ/1217م).

أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير بن محمد بن جبير بن سعيد بن جبير بن سعيد بن محمد بن مروان بن عبد السلام بن مروان بن جبير الكناني، رحالة أندلسي ولد سنة 540هـ /1145م ببلنسية شرق الأندلس، وقد عني بالأدب فبلغ الغاية فيه، وتقدّم في صناعة التقريض وكتابته[2]، ثمّ أولع بالتّنقل والتّرحال، فزار المشرق ثلاثة مرات وكان يحج في كل واحدة منها[3]، وكان أوّلها سنة (578-581)هجرية وهي التي ألّف فيها رحلته المشهورة، والثانية كانت بين سنتي (585 -587) حينما وصله خبر فتح بيت المقدس على يد السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي، غير أنّه مات خلال رحلته الثالثة –وكان السبب في رحلته وفاة زوجته عاتكة- بالإسكندرية سنة 641هـ بعد أن جاور بمكّة طويلا، تحوّل بمصر الإسكندرية مقيما بها يحدّث الناس ويؤخذ عنه العلم[4].وما يهمنا هنا رحلته الأولى التي هي محل الدراسة.

لقد قام برحلته المذكورة في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وبالضبط سنة 578هـ سالكا طريق المغرب فمصر على خط النيل وصولا إلى أرض الحجاز بنية "الحج" كباقي إخوانه المغاربة، الذين كان همّهم من الرّحلة تأدية فريضة الحج كما ذكرت آنفا، وقد شدّ انتباه ابن جبير خلال رحلته مواقف وأحداث تضمّنتها رحلته المسماة" **تذكرة بالأخبار**" سأحاول

---

[1]- الزركلي خير الدين، **الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 15، أيّار، مايو 2002، ج، 05، ص، 319، 320.

[2]- المقري، **نفح الطيب**، ج، 02، ص، 382.

[3]- ابن الخطيب لسان الدين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح، محمد عبد الله عِنَان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط، 01، 1394هـ/1974م، ج، 02، ص، 231.

[4]- ابن الخطيب، **المصدر نفسه**، ج، 02، ص، 232.

قدر المستطاع الاهتمام بالشق المتعلق بالحجاز، والوقوف على بعض المحطات المرتبطة بالجانب العلمي منها.

أولا: السبب في خروجه للرحلة:

تذكر المصادر التاريخية أنّ السبب في إقامته لرحلته المشرقية الأولى هذه أنّه كتب في بادئ أمره عن صاحب غرناطة " أبي سعيد ابن عبد المؤمن فاستدعاه لأن يكتب عنه كتابا وهو على شرابه فلما دعاه لشرب كأس امتنع ابن جبير عن ذلك غير أن صاحب غرناطة ألزمه على شربها سبعا إكراها وأعطاه عوض كل كأس شربه دنانير فأضمرها في نفسه، وعزم على أن يجعل كفارة ذلك الشرب "الخمر" أن يحج[1] إلى البيت العتيق وكان ذلك يوم الخميس 08 شوال 578هـ.

ثانيا: مميزات رحلة ابن جبير عن غيرها من الرّحلات الحجية:

تميّزت رحلة ابن جبير عن غيرها من الرحلات بمجموعة من النقاط أحاول تلخيصها فيما يلي:

1- تدوينها في شكل يوميات: كان شديد الحرص على تقديم الوصف الكامل والمفصّل وإثبات ذلك بالتاريخين (الهجري والميلادي)، وهذه الصورة تفنّد قول ورأي كراتشكوفسكي حينما صرّح بأنّه (ابن جبير) كتب رحلته بعد رجوعه منها[2]، إذن فالتقييد بالتاريخ اليومي يظهر قطعا إلى أنّه اعتمد على التدوين اللحظي لحظة بلحظة حتى لا تنفرط الأحداث إذا ما أراد استجماعها بعد العودة.

2- العناية الكبيرة بوصف المدن التي مرّ بها خاصّة مكّة المكرّمة، ووصف معالمها الدينية والاجتماعية، وما كانت تعيشه منطقة الحجاز عموما في الجانب الأمني والعلمي والاجتماعي

[1]- المقري، **نفح الطيب**، ج، 02، 385.

[2]- كراتشكوفسكي أغناطيوس، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، تر، صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط، 1963، ج، 01، ص، 299.

وحتى الاقتصادي، فشكّلت الرّحلة قاموسا ومصدرا يرجع إليه أهل للاختصاص لدراسة أي زاوية لبلاد الحجاز خلال تلك الفترة.

3- الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية في مكانها الملائم في الرّحلة، أضف إلى ذلك استخدامه لبعض الكلمات العامّية لدى أهل البلد، بالمقابل نلتمس عدم المداهنة أو المنافقة في مدح من يستحق المدح وذم من يستحق الذم دون تطاول أو تجاوز (مثاله: مدح الخليفة صلاح الدين الأيوبي، وذم أمير مكّة مكثر).

4- عنايته بتسجيل النواحي الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرها بأسلوب السهل الممتنع ما أضفى على رحلته قيمة علمية كبيرة أثّرت فيمن أتى من بعده فنحو نحوه من أمثال ابن بطوطة والبلوي[1].

رحلته الحجية وما تحويه من فضائل:

لقد حوت رحلته الحجية هذه الكثير من المعلومات الهامّة لتلك الفترة، إذ وصف فيها مشاهده في طريق الحجاز إلى أن عاد إلى غرناطة سنة 581هـ، واستطاع من خلال وصفه أن ينقل ما كان عليه الحجاز وخاصة مكّة المكرمة التي مكث بها حوالي مائتين وخمسين يوما(250)، وحين وصوله إلى مكّة المكرمة في 12 ربيع الآخر من سنة 579هـ انفجرت قريحته بالشعر قائلا:[2]

بلغت المنى وحللت الحرَم فعاد شبابك بعد الهرَم

فأهلاً بمكّة أهلاً بها وشكراً لمن شكرُه يُلتَزَم

[1]- عواطف نواب، **الرحلات المغربية والأندلسية**، ص، 106.

[2]- المقري، **نفح الطيب**، ج، 02، ص، 492، 493.

هذا جزء من قصيدة طويلة أحاول ذكرها كاملة في الفصل المتعلق بالتراث المغربي بالحجاز لاحقا إن شاء الله.

عود على بدء فأقول أنّ ابن جبير استطاع أن يجسّد في رحلته أوضاع مكّة في النصف الثاني من القرن 06هـ/ 12م خاصّة ما تعلّق بالجانب العلمي منها سأتطرق إلى بعضها:

وصف ابن جبير المسجد الحرام:

اهتمّ ابن جبير في رحلته اهتماما بالغا في وصف المسجد الحرام خلال القرن السادس فيقول في ذلك: " البيت المكرّم له أربعة أركان، هو قريب من التربيع..، فأوّل أركانه الركن الذي فيه الحجر الأسود، ومنه ابتداء الطواف..، وأوّل ما يُلقى بعده الركن العراقي، وهو ناظر إلى جهة الشمال، ثمّ الركن الشمالي، وهو ناظر إلى جهة الغرب، ثمّ الركن اليماني، وهو ناظر إلى جهة الجنوب ، ثمّ تعود إلى الركن الأسود وهو ناظر إلى جهة الشرق[1].

ثمّ يتحدّث عن حالة العلم بالحرم الشريف فيقول: "والحرم مُحدقٌ بحلقات المدرسين وأهل العلم"[2].

تعدّد المذاهب بالحرم: تعدّد الأئمة في الحرم المكي بتعدّد المذاهب في ذلك الوقت (القرن 06هـ/12م) حيث كان لكل مذهب من المذاهب الأربعة إمام خاصّ ومكان خاصّ به لإقامة الصلاة بالحرم، ويقول في ذلك: "وللحرم أربعة أئمة سنيين، وإمام خامس لفرقة تسمّى الزيدية، وجمهور السكان بمكّة بما فيها العلماء والفقهاء على المذهب الشافعي، بينما أشراف

[1]- ابن جبير، **الرحلة**، ص، 60.

[2]- ابن جبير، **المصدر نفسه**، ص، 68.

المدينة(مكّة)[1] على مذهب الزيدية"[2]، ثمّ ذكر ترتيب الصلاة المكتوبة عند أئمة المذاهب[3]، وأشار إلى أنّه كان يحصل من خلط وسهو في صلاة المغرب كونها تؤدى في وقت واحد لضيق وقتها حيث يقول: "أمّا صلاة المغرب فيصلّونها في وقت واحد لضيق وقتها، لذلك يدخل على المصلّين من سهو وخلط، فربّما ركع المالكي بركوع الشافعي، وسجد الحنفي بسجود الحنبلي"[4] واستمر هذا الحال إلى غاية القرن التاسع الهجري، وذلك سنة 811هـ/1408م[5]، وقد أشار أيضا إلى هذه القضية التجيبي في رحلته[6].

وحينما استقبل ابن جبير المدينة المنورة صاح بالشعر قائلا من البحر المتقارب[7]:

---

[1]- **أشراف مكّة**، من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب (انظر، عارف عبد الغني، **تاريخ أمراء مكّة المكرمة**، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط، 1413هـ، 1992م، ص، 85.

[2]- **الزيدية**، هم طائفة دينية إسلامية، وهي فرقة من الفرق الإسلامية ظهرت في منتصف القرن الثاني الهجري، تنسب إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوّزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلاّ أنّهم جوّزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة سواء من آل الحسن أو من آل الحسين رضي الله عنهما. للمزيد انظر، (الشهرستاني أبو الفتح محمد، **الملل والنحل**، تح، عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، ط، 1387هـ، 1968م، ج، 01، ص، 154).

[3]- ذكر الفاسي في الشفا أنّ الأئمة الأربعة كانوا يصلّون المغرب في وقت واحد وباقي الصلوات تصلّى تباعا حسب الترتيب الآتي، الأول كما ذكر ابن جبير وابن بطوطة يصلّي إمام الشافعية لكون سكان مكّة على مذهبه خلف مقام إبراهيم عليه السلام، ثمّ يصلي بعده إمام المالكية والحنبلية في وقت واحد فيصلي المالكي في محراب قبالة الركن اليماني، ويصلي الحنبلي ما بين الحجر الأسود والركن اليماني، ثمّ يصلي إمام الحنفية قبالة الميزاب، ما عدا الجمعة التي يؤديها إمام خطيب واحد" للمزيد انظر، الفاسي، **شفاء الغرام**، ج، 01، ص، 402، 403.

[4]- ابن جبير، **الرحلة**، ص، 70، 71.

[5]- الفاسي، **شفاء الغرام**، ج، 01، ص، 403.

[6]- الشريف محمد موسى، **المختار من الرحلات الحجازية إلى مكّة والمدينة**، دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، ط، 01، 1421هـ، 2000م، مج، 01، ص، 189.

[7]- المقري، **نفح الطيب**، ج، 01، ص، 487.

أقول وآنستُ بِاللّيلِ نارَا لَعَلّ سِراجَ الْهُدَى قدْ أنَارَا

وإلاّ فما بَالُ أفْقِ الدّجَى كأنّ سَنَا البَرْقِ فيهِ اسْتَطَارَا

ونـحْنُ مِنَ اللّيلِ في حِنْدِسٍ فمَا بَالُهُ قدْ تـحَلّى نهَارَا

وصف ابن جبير المسجد النبوي:

يذكر ابن جبير المسجد النبوي بالمدينة المنورة فيقول في ذلك: "والمسجد المبارك مستطيل، وتَحُفُّهُ من جهاته الأربع بلاطات مستدير به، ووسطه كلّه صحن مفروش بالرمل والحصى، ومن الجهة القبلية منه لها خمسة بلاطات مستطيلة من غرب إلى شرق، والجهة الجوفية لها أيضا خمسة بلاطات على الصفة المذكورة، والروضة المقدّسة "قبر الرسول وصاحبيه أبي بكر وعمر" مع آخر الجهة القبلية مما يلي الشرق" [1].

1-2- الرحال ابن رشيد السبتي[2] (ت:721هـ/1320م) ورحلته المسماة: "ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكّة والمدينة".

تعتبر هذه الرّحلة من أهم الرحلات المغربية خلال القرن السابع للهجرة، فقد قام بها سنة684هـ، وجمعت بين طياتها معلومات علمية وتاريخية قيّمة، فقد أرّخت لمجموعة من أعلام الحرمين الشريفين، وتطرّقت إلى المراكز الثقافية آنذاك، وساهمت كثيرا في التأريخ للحركة الفكرية التي واكبت فترة تأليفها، ومن العناصر الهامّة التي تناولتها الرّحلة نجد:

[1]- ابن جبير، **الرحلة**، ص، 168.

[2]- أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي من كبار الحفاظ الوعاة والخطباء الفصحاء، ولد بسبتة سنة 657هـ، وبها نشأ وبها توفي أيضا، كان محدّثا مسندا متضلّعا بالنحو واللغة والعروض، ريّان في الأدب، حافظا للأخبار والتواريخ والسير، مشاركا في الأصلين، عارفا بالقراءات السبع، كثير الترحال والتجوال في البلاد، ألّف رحلته المشهورة" ملء العيبة...." وله أيضا كتب وخطب ومقطعات وأخبار أدبية (انظر، كنون عبد الله، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، الشركة العالمية للكتاب، ط، 1380هـ/1960م، ج، 01، ص، 206، 207).

- تقديم تراجم لشيوخه الأعلام الذين درس عليهم مؤلّف الرّحلة " ابن رشيد السبتي" بدءا من سبتة وصولا إلى الحجاز، مع ذكر تلاميذه ومن لقيهم في المحطات التي مرّ بها.
- ذكر المجالس العلمية التي تمتاز بالنقاش العلمي البناء، وتدوين ما يدور بها من مناقشات ومساجلات.
- تقديم وصف عام للمناطق والحواضر العلمية التي مرّ بها ابن رشيد، وما تركتها في نفسه.
- تضمين الرّحلة لمجموعة الإنشاءات، مع ذكر مفصّل للقصائد والمقطوعات حسب المناسبة والحدث.

دوافع قيامه بالرّحلة:

من خلال عنوانها يتّضح للقارئ أنّ الهدف الأسمى من القيام بها هو التشرّف بالانتقال إلى بلد الله الحرام لأداء فريضة الحج التي هي أحد أركان الإسلام[1]، ثمّ نجده فيما بعد يوسّع من الدوافع المؤدية إلى قيامه بالرّحلة إضافة إلى المنحى الأول –طبعا إلى حج البيت العتيق– وهو السفر لأجل طلب العلم، ونلتمس ذلك من خلال سعيه في لقاء المشايخ والتدريس والحضور إلى المجالس العلمية، كذا حرصه على السماع والتقييد للعلوم، والحصول على الإجازات العلمية[2]

أجزاء الرّحلة:

الرّحلة مكوّنة من عدّة أقسام اختُلِف في عددها[3]، لأنّ جلّ من ترجموا لابن رشيد تحدّثوا عن رحلته لم يقع بينهم اتفاق في تحديد عدد أجزائها، والسبب راجع حسب اعتقادي وما قرأته

[1]– لونانسة لبنى، **النقد التطبيقي في الرحلات المغربية في القرنين السابع والثامن الهجريين**، مذكرة ماجستير في الأدب المغربي القديم، إشراف أد. محمد زرمان، قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب واللغات بجامعة الحاج لخضر، باتنة، سنة، 1434، 1435هـ، 2013، 2014م، ص، 62.

[2]– ابن رشيد، **ملء العيبة**، ص، 187 وما بعدها.

[3]– اختلفت الآراء حول عددها، فمثلا أبي العباس المقري في نفح الطيب، وصلاح الدين الصفدي، وابن القاضي يشيرون إلى أنّها أربعة أجزاء، بينما يرى أبو المحاسن الحسيني، وخير الدين الزركلي أنّها ستة أقسام كون بعض أجزائها مفقودة، (انظر، الشاهدي، **أدب الرّحلة** ج، 01، ص، 150 وما بعدها).

في أنّ بعضهم سمع عنها، والبعض الآخر قرأ أجزاء منها، ومنهم من انتفع بها بعد أن اطّلع عليها كلّها أو نقل منها هذا من جانب.

ومن جانب آخر محلّ الخلاف كون بعضهم قد اطّلع على الأصل، والآخر اطّلع على نسخ منقولة عن الأصل والله أعلم، وما هو متوفر الآن من الأجزاء أربعة فقط الجزء الأول، والثاني، والثالث، والخامس فقط، وما يهمّنا في هذا الباب هو الجزء الخامس من الرّحلة والمتعلّق برحلته من دمشق إلى الحرمين الشريفين وأدائه لفريضة الحج، وما تضمّنته رحلته هذه هو ترجمته لثمانية وعشرين شيخا التقى بهم بالحرمين، وأخذ عنهم العلم من أمثال أبي إسحاق الفاسي، أحمد بن عثمان الشافعي أبي القاسم بن الزجاج، وفاطمة البطائحية (ت:711هـ/1311م) بالمدينة المنورة، ومحب الدين الطبري (ت:694هـ/1294م)، وأبي اليمن بن عساكر(ت:686هـ/1287م)، وأبي محمد المرجاني(ت:699هـ/1299م) بمكّة المكرّمة[1]

1-3- الرّحالة القاسم بن يوسف التجيبي السبتي (ت:730هـ/1329م) ورحلته المسمّاة "مستفاد الرّحلة والاغتراب"

هو علم الدين القاسم بن يوسف بن محمد بن علي بن القاسم التّجيبي البلنسي السبتي المولد والنشأة، رحالة أندلسي ولد سنة 670هـ/1271م، كان يمتاز بسعة الثقافة وغزارة العلم حتى وصف بالعالم البارع المحدّث الحافظ، والمتقن العارف بالحديث، فتلك الشهادة على بلوغه أعلى مراتب العلم.

[1]- حدادي أحمد، **رحلة ابن رشيد السبتي**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط، 1424هـ، 2003م، ج، 01، ص، 414، 415.

- **سبب الرّحلة: كان خروجه** لأداء فريضة الحج، ولقاء العلماء مثله مثل غيره من العلماء والرحالة، وكان خرجه للحج سنة 695هـ/1295م[1].
- **وصف التجيبي لمكّة المكرمة:** قال هي شرّفها الله في بطن واد مقدّس معظم مشرف محترم مكرم، ثم قال: وفضائل الحرم الشريف ومكّة المعظمة أكثر من أن تحصى[2].

ثمّ عرّج التّجيبي على ذكر الحرم الشريف أثناء تأديتهم للصّلاة المفروضة، ونقل الصّورة نفسها التي تحدّث عنها ابن جبير وابن بطوطة عن مكان صلاة الطائفة الشافعية والمالكية والحنبلية، ولم يزد على ما قاله سابقوه[3]، ممّا يدل على استقرار المذاهب في أماكنها التي خصّصت لها في الصلوات الخمس بالحرم المكي.

حالة العلم والعلماء في رحلة التّجيبي:

بعدما ذكر التّجيبي حالة الحرم، انتقل إلى جوّ آخر نقل فيه معلومات عن بعض علماء الحرم الذين التقى بهم، وحصّل العلم عنهم، وذكر طائفة سأقتصر على بعضهم فقط، وما حصّله عنهم، وأوّلهم كهف المجاورين وملاذهم حسب تعبير التجيبي وهو مفتي مكّة الإمام عماد الدين أبي الحسن عبد الرحمن بن محمد بن علي الشافعي المكي(المشهور أبوه بالطبري)(ت: 701هـ)، وقد قدّمه التجيبي بأوصاف دالّة على مكانته العظيمة في نفسية صاحب الرّحلة، حصّل عنه علما جمّا في مجال الحديث، وذكر التجيبي أنّه سمع منه شيئا من الحديث تمثّل ذلك في كتاب المسند الصحيح المختصر من السنن المسمّى "صحيح مسلم" قال: "سمعته جميعه كاملا من أوّله إلى آخره بحرم الله الشريف خلف قبة الشراب، ....ثمّ ذكر أنّه أتمّه في عدّة مجالس ابتدأها من

[1]- التجيبي، **برنامج التجيبي**، ص، 06.

[2]- موسى الشريف، **المختار من الرحلات الحجازية**، ص، 183، 184.

[3]- موسى الشريف، **المرجع نفسه**، مج، 01، ص، 189.

10 شوال 696هـ، وختمه في غرّة ذي الحجّة من السنة نفسها"[1] أي أنّه أتمّه في شهرين اثنين، وسمع منه أحاديث بأسانيد عالية كحديث التلبية، وحديث الدعوة إلى الوليمة، وحديث نصيحة العبد لسيّده، وحديث الرقية من كل أذى[2]، وقد حصّل التجيبي منه الإجازة في علوم[3]، وذكر التجيبي أيضا حضوره لمجلس آخر سأل فيه الشيخ عن أهل "القافّة"[4] وهل بقي منهم أحد في زمنهم؟ وأجابه الشيخ السابق: أي نعم، ودلّه على مكانهم[5].

وممن حصّل عنهم العلم أيضا بمكّة العالم أبو عمرو عثمان التوزري المالكي، حيث أخذ عنه كتاب "الجامع المختصر" المشهور بصحيح البخاري في الحديث من أوّل المصنّف إلى باب حج الصبيان[6]، كذلك ذكر سماعه "صحيح مسلم" كاملا عليه، وختم ذلك بالإجازة عنه[7].

وأخذ العلم عن الشيخ الجليل أبي الحسن علي بن حميد بن عمار الطرابلسي ثمّ المكي كتاب الجامع في الاختيارات المقبولة المعروف بـ "سوق العروس"[8]، وبدوره نقله إلى بلده حينما رجع.

---

[1]- التجيبي، **برنامج التجيبي**، ص، 85.

[2]- الشاهدي، **أدب الرّحلة**، ص، 237.

[3]- الشاهدي، **نفسه**، ص، 237.

[4]- هم الذين يقصّون الأثر، ويتفرّسون (من الفراسة) وهم قوم ببلاد اليمن يعرفون بالمدلجين وكانوا يأتون إلى الحج وينزلون بجبل أبي قبيس المشرف على الحرم الشّريف، وقد عرّفها ابن دقيق العيد أنّ اعتبار الاشتباه الإلحاق بالأنساب، وعرّفها الأصفهاني بأنّها الاستدلال بهيئة الإنسان وشكله على نسبه، ينظر إلى، بلمهدي يوسف، **أحكام القيافة وتتبع الأثر**، مجلة معارف، ع، 08، السنة 05، جوان 2010، ص، 306.

[5]- لمزيد من التوضيح انظر، موسى الشريف، **مرجع سابق**، مج، 01، ص، 203.

[6]- التجيبي، **برنامج التجيبي**، ص، 68.

[7]- التجيبي، **المصدر نفسه**، ص، 88.

[8]- لمين ناجي، **رحلات علماء المغربين الأقصى والأوسط الملكية، وآثارها العلمية من خلال القرنين السابع والثامن الهجريين**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط، 01، 1437هـ، 2016م، ص، 32.

وآخر هؤلاء العلماء الذين حصل العلم عنهم بمكّة نجد الشيخ أبا عبد الله شمس الدين الجيّاني الأندلسي الشافعي المذهب، حيث سمع عليه التّجيبي بالمسجد الحرام مؤلّفات في مجال الحديث والفقه، وروى عنه أحاديث بأسانيد عالية كحديث (تعجيل الفطر)، وحديث (الراحمون)[1]، وهذه خصلة نبيلة من الخصال التي تحسب للعلماء المغاربة والأندلسيين حينما يقصدون الحرمين الشريفين، فينشغلون بتحصيل السند العالي من العلماء المجاورين للحرمين طبعا مع حرصهم على حصول الإجازة، ولا ينشغلون بشيء سواه كونهم ربّما يفتقدونه إليهما في بلادهم التي هاجروا منها.

1-4- الرّحالة القاضي أبو البقاء خالد البلوي بن عيسى الأندلسي (ق8هـ/14م) ورحلته المشهورة بـ تاج المفرق في تحلية علماء المشرق":

هو خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي، وقد وصفه الشاطبي بأنّه الشيخ الفقيه القاضي، وهو صاحب الرّحلة المشهورة نحو البلاد الحجازية لأداء فريضة الحج المسماة: " تاج المفرق في تحلية علماء المشرق"، وتعتبر هذه الرّحلة من بين أهمّ الرّحلات الحجّية نحو البقاع المقدّسة، لما تكتنزه من الفوائد والفرائد، ومن العلوم والآداب التي طبعت حياة الحجاز العلمية خلال القرن 08 للهجرة.

أسباب ودوافع رحلته:

كان القصد من قيامه برحلته هذه بنية الحج وطلب العلم مثلما عقد أسلافه (أبو بكر بن العربي، وابن جبير وغيرهما)، وقد بيّن البلوي ذلك في بداية تدوينه للرّحلة بعدما استفتح الله، وممهّد حديثه بالحجّ لبيته العتيق، وبيّن فيما بعد السّبب في تقييده للرّحلة الحجازية هذه، ثمّ عرّج على ذكر السبب الوجيه لرحلته فقال: " أنّي خرجت قاصدا للحج، وطالبا للعلم"[2].

[1] - الشاهدي، **أدب الرّحلة**، ص، 239.

[2]- البلوي، **تاج المفرق**، ج، 01، ص، 143.

حالة العلم والعلماء في رّحلة البلوي:

من الأمور التي ركّز البلوي عليها اهتمامه، بل نجده يقف عندها مطوّلا، وبنوع من التفصيل "الجانب العلمي والتعليمي خاصة بالحرمين "(لكنّه محل الشاهد في دراستي هذه)، وقد لاحظت ذلك أثناء تتبّعي لحيثيات الرّحلة فوجدته كثير الاهتمام بفئة العلماء والقضاة والمدارس التعليمية، وخاصة بالمدينة المنورة التي أطال الحديث عنها، حيث أطلعتنا رحلته على المستوى العلمي بالمدينة المنورة، كونه كان يذكر مشاهير العلماء في كل بلدة من البلاد التي مرّ بها، وجالسهم، واستمع إليهم، واقتبس من آدابهم وعلمهم، هذه المعلومة ساعدت المؤرخين المهتمين بالتأريخ للحجاز خلال القرن الثامن الهجري(08هـ/14م) في التعرّف على الحالة العلمية التي كانت بالحجاز، ومن بين الإشارات التي تناولتها رحلته حديثه عن خزانتين كبيرتين بالمسجد النبوي للكتب والمصاحف الموقوفة[1]، وهذه لفتة منه دالّة على ولعه وشغفه بالبحث عن الذخائر والنوادر بذلك البلد هذا في الجانب العلمي.

أمّا الجانب التعليمي فنجد أنّ الرّحلة عُدّت مصدرا مهمّا لمعرفة حالة العلم والعلماء إبّان القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، واستطاعت نقل صورة لمجالس الدرس والتحصيل، والكتب المعتمدة والاجازات العلمية، كذلك اعتبرت الرّحلة موسوعة ضمّت بين طيّاتها قوائم لأسماء الأعلام الفقهاء المجاورين في مختلف فنون العلم (القراءات، والحديث، والفقه، والأدب....) بالحرمين الشريفين خلال تلك الحقبة الزمنية.

منهج البلوي في التعلّم:

نجد البلوي يجتهد في انتقاء شيوخه الذين يأخذ عنهم الرواية، فكان لا يجلس إلاّ مع من كان له حضور قوي وغزير في علمه وروايته[2]، أو من له تميّز في الإلقاء (وهذا إن دلّ على شيء

[1]- الجحمة نواف عبد العزيز، **وصف المدينة المنورة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14م) من خلال رحلة البلوي**، مجلة جامعة الشارقة (دورية علمية محكمة) مج، 13، ع، 02، بتاريخ، ربيع الأول 1437هـ، ديسمبر 2016م، ص، 133.

[2]- الجحمة، **المرجع نفسه**، ص، 131.

إنّما يدلّ على المستوى العلمي الراقي الذي وصل إليه البلوي، لأنّ قيمة العالِم تُقاس بعدد الحضور الملتفّ حوله للنهل من مَعِينِه)، ومن أهمّ من جالسهم وأخذ العلم عنهم على سبيل المثال:

المدينة المنورة: التقى البلوي بمجموعة علماء كانوا مجاورين بالحرم المدني من بينهم أبو محمد بن أسعد اليافعي اليمني الذي سمع منه وروى عنه كتابه المسمّى "كتاب الإرشاد والتطريز، في فضل ذكر الله وتلاوة كتابه العزيز"، وكتاب " فضل الأولياء والناسكين والفقراء والمساكين" وقد وصفه ببديع السلك، وقد أجازه لي وأذن له في روايته عنه، وحصّل عنه إجازة تامّة على حد قوله[1]، وبالغ البلوي في مدح شيخه حتى أنشد فيه شعرا قال فيه[2] (مجزوء الرمل):

رُبَّ ذِي طِمْرَيْنِ نِضْوٍ يَأْمَنُ العَالَمُ شَرّهْ

لَا يُرَى إلاَّ غَنِيًّا وهُوَ لاَ يَمْلِكُ ذَرّهْ

ثُمَّ لوْ أقْسَمَ في شَيء عَلَى اللهِ أبَـرَّهْ

مكّة المكرّمة: جالس العديد من العلماء المجاورين لمكّة، على سبيل المثال الفقيه المالكي والمغربي الأصل أبا عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد القسطلاني(ت:760هـ) استفاد منه في مناسك الحج تفقّها ومعاينة، وسمع عليه الكثير من أحاديث المصطفىﷺ وغيرها، وحصّل منه على إجازة جميع ما يحمله ويرويه إجازة تامّة[3]، ذكرت هاهنا نماذج فقط إذ لا يسعني ذكرهم كلّهم فهذه لمع على سبيل التمثيل فقط.

[1]- البلوي، **تاج المفرق**، ج، 01، ص، 292.

[2]- البلوي، **نفسه**، ج، 01، ص، 292.

[3]- البلوي، **نفسه**، ج، 01 ص، 314.

2- دور الرحلات المغربية في التأريخ لبلاد الحجاز:

من الآثار العلمية للرحلات المغربية التي سجّل فيها المغاربة مشاهداتهم، وأحصوا الكتب التي تلقّوها، وبالرجال الذين لقوهم، والبلدان والمراكز العلمية التي حلّوا بها جعلها تشكّل مصدرا ثريا لكتابة تاريخ العديد من البلدان، وفي مقدّمتها "الحجاز" فما هو معلوم أنّ الرحالة المغاربة والأندلسيين الذين توجّهوا إلى بلاد الحجاز صبّوا جلّ اهتمامهم في تسجيل دقيق المعلومات والحقائق التي لمحوها أو شاهدوها سواء بمكّة أو بالمدينة أو أي منطقة من مناطق الحجاز التي زاروها، وكانوا يركّزون في ذلك على الجانب (العمراني، العادات والتقاليد الموروثة، المناسبات، سياسة الحكم...وغيرها من مجالات الحياة التي يعرفها كل بلد من البلدان) معتمدين أثناء التدوين على المنهج الوصفي، وكذا التحليلي بشكل أخص مما أضفى على مؤلّفاتهم ومدوناتهم نوعا من الدّقة والضبط في نقل المعلومة، هذه الميزة جعلت مؤلفاتهم ترتقي إلى مصاف المصادر التي يستعين بها الدارسون والباحثون المتأخرون في التاريخ السياسي والثقافي، وحتى الاجتماعي لمكّة والمدينة والحجاز عموما، فأصبحت مصدرا مهما لجغرافية منطقة الحجاز وأوصافها الطبيعية[1]، وعطفا على ما سبق ذكره فقد أشارت الباحثة الدكتورة عواطف نواب إلى أهمية ذلك في أنّ لهذه الرحلات المدوّنة الفضل في إمدادهم بمعلومات قيّمة لم يدُر بخلد مؤلّفيها أهميتها وقت تدوينها، خاصة وأنّهم أودعوا فيها معظم مشاهداتهم عن الحجاز، والتي لا نجدها في كتب التاريخ المعاصرة من حيث الوصف الدقيق للمدن ونمط الحياة فيها[2]، ويمكننا أن نجزّئ أهميتها وفق العناصر الآتية:

---

[1]- المزروع وفاء بنت عبد الله سليمان، **إسهام الرحالة والمجاورين الأندلسيين على الحياة العلمية بمكّة من القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري**، بحث مقدّم إلى ندوة مكّة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية أيام 13، 14، 15، 08، 1426هـ، 17، 18، 19، 09، 2005م بجامعة أم القرى بمكّة المكرمة، مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة أم القرى، ط، 01، 1426هـ/2006م، ص، 82.

[2]- نواب عواطف، **الرحلات المغربية والأندلسية**، ص، 91.

2-1- الأهمية العلمية والدينية:

كان الهدف الأول من رحلات المغاربة كما هو معلوم هو أداء فريضة الحج وارتياد مراكز العلم بالأماكن المقدّسة، وقد أشرنا إلى ذلك في المبحث الأول واستطاعوا مجالسة العلماء وأخذ العلم عنهم، بمقابل ذلك منحوا ما حملوه من علم مغربي بالحجاز عن طريق المناظرة التي كانوا يعقدونها بالحرمين، فكان لهذه الحلق والمناظرات دور في إثراء الجانب العلمي بالحرمين، وبفضل هذا التبادل المعرفي القائم على المدارسة وحصول الإجازة والرواية من هذه الحواضر العلمية، ثم ينقل ما حصل عليه الرّحالة من علم ومعرفة إلى البلاد التي يرجع إليها أو تطؤها قدمه أثناء رجوعه، فهذه الصورة جعلت منه رسول علم ومعرفة، وهمزة وصل بين الغرب والشرق الإسلاميين. وأتاح لأهل المغرب والأندلس النهل من علوم الحجاز على يدي هؤلاء الرحالة الذين قاموا بتدريس العلوم (قراءات، حديث، عقيدة..) ببلادهم الأصلية هذا في الجانب العلمي، وأمّا في الجانب الديني فقد ساهمت هذه الرحلات بالتشهير بما كان حاصلا في الحجاز من تعدّد المذاهب داخل الحرمين خاصة الحرم المكي، وقد رأينا تلك الإشارات في رحلتي ابن جبير وخالد بن عيسى البلوي.

2-2- الأهمية التاريخية:

للمصنفات المغربية قيمة تاريخية عظمى لا تتعلّق بالقضايا التاريخية المعروفة لدى العام والخاص (السياسة والاقتصاد، ونظام الحكم، والنظم السياسية والإدارية والقضائية فقط) بل لامست جوهرا آخر لا يقل أهمية عن سابقه، ويتعلّق الأمر بذكر أوصاف وتفاصيل دقيقة عن العلم ونشاط العلماء والمجتمع وأحواله، وعن العلاقة التي كانت قائمة بين أشراف الحجاز بأهل مكّة والمدينة، وعن العادات والتقاليد الاجتماعية[1]، ووصف دقائق المسجد والكعبة وصفا دقيقا إن صحت اللفظة كأنّه التقط لك صورة بكاميرا عالية الدقة، أضف إلى ذلك أنّ مؤلّفي هذه الرحلات اعتنوا بذكر علماء تلك المنطقة والتعريف بمن اجتمعوا بهم أو جلسوا في حلقاتهم أو

[1]- نواب عواطف، **المرجع السابق**، ص، 91.

أخذوا عنهم مؤلفاتهم ومروياتهم، وعلى رأس هؤلاء العلماء علماء الحرمين مكّة والمدينة، فكوّنوا بذلك فهارس[1] كفهرسة: ابن خير الإشبيلي (ت:575هـ/1179م)، وفهرس ابن عطية المحاربي الأندلسي (ت:541هـ/1146م)، وفهرست اللّبلي (ت:691هـ/1291م)، وأثباتا[2] كثبت أبي جعفر أحمد بن علي البلوي (ت:938هـ/1531م)، ومعاجم[3] والمشيخات[4] كمعجم أبي ذر الهروي (ت:435هـ/1043م)، ومعجم ابن مسدي الغرناطي(ت:660هـ/1261م)، ومعجم السفر لأبي طاهر السلفي(ت:576هـ/1180م)، وبرامج[5] كبرنامج شيوخ الرّعيني الإشبيلي(ت:666هـ/1267م)، وبرنامج ابن جابر الوادي آشي(ت:749هـ/1348م).

---

[1]- **الفهارس**، مفرده فهرس أو فهرست وهو النسخة التي يكتب فيها المحدّث أسماء رواته وأسانيد كتبه المسموعة بذلك، وعرّفها أبو عبد الله الرهوني في حاشيته المسمّاة بأوضح المسالك بأنّها الكتاب الذي يجمع فيه الشيخ شيوخه وأسانيده وما يتعلّق بذلك. ينظر الترغي عبد الله المرابط، **فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، جامعة عبد الملك السعدي، المغرب، ط، 01، 1420هـ، 1999م، ص، 36.

[2]- **الأثبات والأسناد**، مفرده ثبت وهو كتاب يثبت فيه المحدّث مسموعة مع أسماء المشاركين له فيه، لأنّه كالحجة عند الشخص لسماعه وسماع غيره (عاطف الفيومي عبد المعز، **معرفة المصطلحات والرموز عند المحدّثين**، انظر، الموقع الإلكتروني، (alukah.net/sharia/0/76973/).

[3]- **المعاجم**، مفرده معجم وهو عبارة عن الكتاب الذي يترجم فيه الشيخ شيوخه مرتّبين على حروف المعجم، ويذكر ما رواه عم كل واحد في ترجمته من حروف، وقد توسّع المتأخرون في ذلك فسمّوا المعجم الكتاب الذي يترجم فيه الشيخ شيوخه وأقرانه أو من أخذ عنه، أو يفرده أحد المحدثين بشيوخ حافظ أو تلاميذه (انظر، الكتاني عبد الحي، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والشيخات والمسلسلات**، اعتنى به، د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط، 02، 1402هـ، 1982م، ج، 02، ص، 609، 610).

[4]- **المِشيَخات**، جمع مِشيخَة وهي ما يذكر فيه الشيوخ الذين لقيهم المؤلف، أو أخذ عنهم أو أجازوه (أي أعطوه الإجازة التي تثبت قدرته على نقل العلم) وإن لم يلقهم، وتطلق أيضا على الكراريس التي يجمع الإنسان فيها شيوخه (انظر، الكتاني، **المرجع نفسه**، ج، 02، ص، 624).

[5]- **البرامج**، مفرده برنامج، وهو النسخة التي يكتب فيها المحدّث أسماء روّاته، وأسانيد كتبه المسموعة بذلك، وعُرِّفَ أيضا بأنّه الكتاب الذي يسجّل فيه العالم ما قرأه من مؤلّفات في مختلف العلوم، ذاكرا عنوان الكتاب واسم مؤلّفه والشيخ=

2-3- الأهمية الاجتماعية:

ساهمت كتب الرحلات المغربية في وصف الجوانب الاجتماعية التي كانت عليها بلاد الحجاز خلال فترة رحلاتهم بدءا من القرن السادس إلى القرن الثامن والتاسع الهجريين وما بعدهما حيث حرص هؤلاء الرحالة على إظهار الجوانب الحسنة للمجتمع الحجازي، بمقابل ذلك لم يداهنوا وانتقدوا كل ما هو سيئ وقبيح من الأفعال، بل ربما جاءت انتقاداتهم عنيفة ولاذعة مثل العبدري الذي كان يمتاز بحدّة اللسان، ومنهم من جاء انتقاده بالدعاء لصلاح الحال وتحسين الوضع كابن جبير، ومنهم من امتنع عن النقد كابن بطوطة مثلا[1].

2-4- الأهمية السياسية:

في الجانب السياسي، استطاعت مؤلّفاتهم أن تقدّم ملاحظات عن الحجاز وعلاقاتها مع الجوار، وكيف كان أشراف مكّة من سلاطين وأمراء يبذلون الغالي والنفيس، رغبة في نيل الدعاء من الحجاج والمعتمرين والعلماء في المسجدين "الحرام، النبوي" وفي المشاعر المقدّسة أيام الحج، كذلك سلّطت هذه المصنّفات الضوء على علاقة الأشراف وحكّام مكّة والمدينة فيما بينهم، وما كان يقع بينهم من خصومات ومنازعات.

=الذي قرأه عليه أو تحمّله عنه، وسنده إلى المؤلف الأول، وهذا اللفظ استعمله المغاربة والأندلسيون بالأخص، وهو بمعنى الفهرسة أيضا، ينظر الترغي عبد الله، **فهارس علماء المغرب**، ص، 32.

[1]- نواب عواطف، **الرحلات المغربية والأندلسية**، ص، 93.

الفصل الثاني

الأسر العلمية المغربية في بلاد الحجاز

وفيه المباحث:

1-الأسر العلمية المغربية في المدينة المنوّرة.

2-الأسر العلمية المغربية في مكّة المكرّمة.

3-الإسهامات العلمية الأسر المغربية في بلاد الحجاز

❖ المبحث الأول:

الأسر العلمية المغربية في المدينة المنورة

استطاعت المدينة المنورة بحكم مكانتها الرّوحية والدّينية أن تجذب إليها شريحة هامّة من المجتمع، وهم العلماء الوافدون من خارج بلاد الحجاز "فرادى كانوا أو جماعات"، وتناسلت على إثرهم أسر علمية اهتمّ أفرادها بالعلم، وربّت أبناءها وأحفادها على حبّ العلم والاهتمام به، ونقول "أسر علمية" لأنّ كلّ أو جلّ أفرادها استطاعوا أن يضفوا على الحياة العلمية بالحجاز نوعا من النشاط في مجال معيّن، وأسهموا في دفع عجلة التنمية الفكرية والعلمية ردحا من الزمن، ليس ذاك فقط بل إنّ بعضا من أفرادها كان لهم دور بارز في المجال السياسي والاقتصادي لبلاد الحجاز، بالإضافة إلى العلمي والفكري، وقد سلّطت الضوء على هذه الفئة من المجتمع الحجازي لما لها من الأهميّة البالغة، تدخل في صميم موضوعي المتعلق بالجانب العلمي للمغاربة في مكة والمدينة ببلاد الحجاز.

ومما ساعد هذه الأسر على البقاء السكني والعطاء العلمي، هو وجود عوامل كانت السبب في تَكَوُّن هذه الأسر بالحجاز، وبالضبط في المدينة المنورة، سأحاول جاهدا ذكرها حسب ما توصلت إليه من جمع للمادّة في عناصر محدّدة:

1. المكانة العلمية والدينية للمدينة المنورة:

أحصى لنا كتاب ابن فرحون المسمى "نصيحة المشاور" فضائل المدينة، وكذلك السخاوي في كتابه "التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة"، حيث تطرّقا إلى الحياة العلمية والروحية التي كانت سائدة في المدينة المنورة في ذلك العصر، وهما مصنّفان علميان أساسيان في دراسة الجانب الفكري والحضاري للمدينة المنورة، ولا يمكن لأيّ باحث في هذا المجال أن يستغني عنهما، لما لهما من أهميّة بالغة في معرفة ودراسة تاريخ المدينة المنورة وفضائلها المتعدّدة، لمن أراد أكثر تفصيلا في هذا العنصر.

2. الرخاء الاقتصادي:

فكما هو معلوم أنّ المدينة المنورة كانت تنعم برخاء وبحبوحة خلال القرون التي كانت تحكم فيها الدولتان الأيوبية (567هـ-648هـ)[1]، ثم من بعدها المملوكية (648هـ-923هـ)[2] وقد كان هذا الرخاء نتيجة العديد من الأسباب، ولعل السبب الأبرز حسب ما اطلعت عليه من معلومات يرجع إلى تلك الأوقاف الخيرية التي سارع الناس بجميع شرائحهم -حكاما ومحكومين- إلى توقيفها على قاطني الحرمين الشريفين وعلى الأربطة الموجودة بهما فالمدينة المنورة في عهد المماليك كانت تأتيها الإمدادات والإعانات من مصر كي لا يصل بهم الحدّ إلى السؤال طبعا حفاظا على قداسة المكان، موازاة مع دعاء النبيﷺ لأهلها.

3. اهتمام السلاطين والولاة والحكام:

أدّى الحكام والسلاطين دورا بارزا في دعم وتنشيط الحياة العلمية بالمدينة المنورة، ممّا ساهم بشكل كبير في ازدهار الحركة العلمية، وبالرغم من انشغالهم في بعض الأحيان بالحروب والفتن،

---

[1]- خضعت الحجاز إلى حكم الأيوبيين سنة 569هـ إثر الحملة التي أرسلها صلاح الدين الأيوبي إلى الحجاز بقيادة أخيه توران شاه عام 569هـ، حيث دخل مكة دون قتال، ورحّب به الشريف عيسى بن فليتة، وأعلن دخوله في طاعة صلاح الدين، وتعهّد بالخطبة له بعد الخليفة العباسي (انظر، مالكي سليمان، **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف**، ص،51.

[2]- حكم المماليك للحجاز كان على إثر الفتن والنزاعات التي اشتعلت بين الأشراف خلال القرن السابع (07هجري)، مما ساعد ذلك في التدخل المملوكي في الحجاز حينما قام السلطان المملوكي الظاهر بيبرس بفض ذلك النزاع القائم بين الشريف أبي نمي وعمه إدريس بن قتادة أميري مكة سنة (667هـ/1228م) وقد تمكن أبو نمي من طرد عمه إدريس، الذي كان يميل إلى الرسوليين في اليمن، وانفرد أبو نمي بالحكم وخطب للملك بيبرس، وبذلك ازداد النفوذ المملوكي في مكة على حساب النفوذ الرسولي، ودعوا للسلطان المملوكي على منبر الحرم المكي ومنذ ذاك الحين خضعت الحجاز لسلطان الدولة المملوكية بمصر، **ينظر**، الجابري خالد محسن حسّان، **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي 648هـ-923هـ/1250م-1517م**، رسالة ماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية، إشراف أد، مريزن سعيد مريزن عسيري، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، سنة 1413هـ، 1993م، ج،01، ص، 38،39.

وأزمات عدم الاستقرار السياسي في الحكم[1]، إلاّ أنّ ذلك لم يمنع حكام وأمراء تلك الحقبة الزمنية من تنشيط الحياة العلمية بالمدينة المنورة كما أسلفنا آنفا كان للحكام الفضل في تنشيط الحياة العلمية بالمدينة المنورة، وقد نجد ذلك في تشييدهم للرّباطات والمكتبات، كـ"مكتبة المسجد النبوي" التي تكوّنت من حصائل ما أوقفه الملوك والحكام عبر مراحل تاريخية، حيث أوقف السلطان شاه شجاع بن محمد بن المظفر اليزدي –سلطان بلاد فارس (ت:787هـ/1385م) خزانة كتب بالمسجد النبوي أثناء قيامه بزيارة للمدينة المنورة، حيث يقول السخاوي في تحفته: "له في الحرم المدني آثار، أبرز بها خوافي المحامد والآثار، منها الخزانة الشريفة المشتملة على محاسن الكتب ومفاخرها فما من طالب مقتبس إلاّ وهو يستفيد من جواهر زواخرها[2]، إضافة إلى ذلك حرص السلاطين وأبنائهم على تنظيمهم حلقات الوعظ بالمسجد النبوي، ومن ذلك ما قام به شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون –زمن الدولة المملوكية–الذي خلّد ذِكْرَهُ بالحرمين باهتمامه بكل ما يعلي شأن العلم بالحرم النبوي، ومن أعماله أنّه قرّر من إدراج دروس في المذاهب الأربعة، وإنشائه درسا في الحديث، وغيرها[3]، ولم يكن هذا اجتهادا فرديا بل كان بتوجيه من أميره يلبغا، أي أنّ السلطان والأمير كانا على رأي واحد كلّ واحد يشدّ عضد الآخر خاصّة في أفعال الخير خاصّة إذا كان مسجد النبيﷺ حيث الأجر يتضاعف كما هو معلوم.

عموما فقد قدّم سلاطين الدولة الأيّوبية، ومن بعدهم المماليك وغيرهم من سلاطين وأمراء البلدان الأخرى المساعدات والصدقات لهؤلاء العلماء والمجاورين ورواد الأربطة والزوايا والمدرّسين

[1]– مثاله ذاك النزاع القائم المذكور سابقا بين الشريف أبي نمي وعمه إدريس بن قتادة "أميري مكة" سنة (667هـ/1228م) مما ساعد ذلك في التدخل المملوكي في الحجاز خلال حكم الظاهر بيبرس في القرن السابع للهجرة، انظر، الجابري، **المرجع السابق**، ج، 01، ص،39،38.

[2]– السخاوي، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، أسعد طرابزوني الحسيني، ط، 1399هـ، 1979م، ج، 02 ص،210.

[3]– السخاوي، **المصدر نفسه**، ج،02، ص، 219.

الذين نشّطوا الحركة العلمية والتعليمية، وكان ذلك سببا مهما من أسباب ازدهار الحركة العلمية بالمدينة النبوية.

4. حب العلماء لتوريث العلم:

شهدت المدينة المنورة خلال حقبة الدراسة – القرن السادس إلى القرن التاسع هجري- ازدهارا علميا وحراكا فكريا يزيد وينقص حسب الأحوال والظروف، خاصّة بعدما قدم العلماء المجاورون إلى الحجاز قصد تلقي العلم بها، واندماجهم مع المجتمع الحجازي، وتولّى بعضهم وظائف دينية وتربوية واجتماعية، لكن رغم تقلّدهم لتلك الوظائف، إلاّ أنهم لم ينشغلوا عن توريثهم للعلوم التي اكتسبوها، وذلك من خلال حلقات العلم التي كانوا يعقدونها بالمسجد النبوي أو بالمدارس والأربطة المتواجدة بمدينة رسول الله ﷺ أمثال محمد بن فرحون اليعمري(ت:721هـ/1321م)، وهو من علماء المدينة أواخر القرن السابع وبداية القرن الثامن الهجريين، الذي اشتغل بالفقه المالكي في المدرسة الشهابية والمسجد النبوي، ثمّ خلفه من بعده ابنه البدر عبد الله بن فرحون (ت:769هـ/1367م)، وكانا لهم الفضل في انتشار المذهب المالكي وتعزيزه بالمدينة المنورة مثلما سنرى في فصلنا هذا، كذلك ممن كانت له غاية لتوريث العلم بمدينة رسول الله ﷺ من المجاورين وأصبحت لهم مكانة علمية لأكثر من خمسين سنة هو الشيخ عبد السلام بن محمد بن مزروع البصري ثم المدني الحنبلي المعروف: "بالتمار"، وكان ممن المجيزين للرّحالة العبدري بالمدينة المنورة، وكان له الفضل أيضا في توريث علمه لرحّالة مغربي آخر هو "ابن رشيد السبتي" يوم كان بالمدينة المنورة فاستجازه وأسمعه بعض الأحاديث وشيئا من شعره[1] نقلا عن لسانه في رحلته المسماة "ملء العيبة".

هذه بعض من العوامل فقط، وليس كلّها، ساهمت بشكل أو بآخر في تهيئة المناخ الملائم لتَشَكُّلِ وتَكَوُّنِ الأسر العلمية بمدينة رسول الله ﷺ، لأحاول الدّخول في صلب هذا المبحث

[1]- ابن رشيد، **ملء العيبة**، ج، 05، ص، 60.

الأول المتعلق بأسرة قطنت المدينة المنورة ذات أصول مغربية، والمعلوم أنّ المدينة المنورة قد تشكّلت فيها أكثر من عشر أسر علمية، طبعا ليست من أصول حجازية، غير أنّها استوطنت الحجاز، واندمجت بالمصاهرة وغيرها بالمجتمع المدني أو المكي كـ: "أسرة المطري"[1]، و"أسرة الزرندي"[2]، و"أسرة السخاوي"[3]. .،ومن أشهر هذه الأسر "أسرةُ ابن فرحون" وهي أسرة عُرِفت باشتغال أفرادها بالعلم دون غيره، ونبغ فيها أعلام وفقهاء ومحدّثون، ومنهم من تولّى القضاء، واستمرّ نشاطها ثلاث قرون متتالية (ق: 07هـ-08هـ-09هـ)، صنعوا باسمهم وعِلمِهم لهذه الأسرة مجدا وصرحا، لا يزال صداه ممتدا إلى وقتنا، هذا ما جعل الإمام السخاوي حينما ترجم لصاحبها وانتمائه يصفها –الأسرة– في كتابه بقوله: "بيت رياسة وقضاء وعلم"[4].

ويرجع نسب هذه الأسرة إلى بطن من كنانة يُعرف بـ: "يَعْمُر"، ينسبون إليه أي أنّ نسبهن عربي عريق سنرى ذلك لاحقا، محاولا الآن وضع تعريف موجز من خلال ما توصلت إليه من أعلام هذه الأسرة العلمية المالكية ببلاد الحجاز.

---

[1]- نسبة إلى أحمد بن خلف بن عيسى بن عشاش بن يوسف بن بدر بن علي بن الأنصاري الخزرجي العبادي الساعدي المطري كان رئيس المؤذنين بالمسجد النبوي خلال القرن السابع للهجرة، انظر، السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج،01، ص، 178.

[2]- نسبة إلى عز الدين يوسف بن الحسن بن محمد بن محمود بن عبد الله الزرندي (640هـ،712هـ) تصدر لتدريس الحديث بالمسجد النبوي وكان يسكن رباط الأصبهاني بالمدينة، انظر، ابن حجر العسقلاني، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ط، ج،04، ص، 452 (رقم 1251).

[3]- نسبة إلى شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن موسى بن أبي بكر بن أبي العيد السخاوي(812هـ،895هـ) المعروف بالقصبي، من بلدة سخا بمصر حيث انتقل إلى المدينة المنورة سنة 860 هـ ليتقلد قضاء المالكية بها، وهو والد محمد السخاوي صاحب التحفة اللطيفة، انظر، السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج،03، ص، 508،509.

[4]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج،05، ص، 55.

أصول أسرة ابن فرحون:

تنحدر جذور هذه الأسرة العلمية من أراضي المغرب الإسلامي –حسب رأي المؤرخين– إلى قرية "أيّان" الأندلسية، وهي عمالة من أعمال جيّان[1]، التي تزدهر بالعلم والآداب مثلما يقول ابن فرحون، ثم انتقل أفرادها إلى المغرب الأدنى واستقروا به، وبه وُلِد مؤسّس وعميد هذه الأسرة العلمية، المسمّى أبا عبد الله محمد بن أبي الفضل بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون[2] اليعمري[3] الأُبَّدِيُّ[4] الجيّاني التونسي المولد، المدني السكن والوفاة، المالكي المذهب (ت:721هـ/1321م).

كان انتقاله إلى بلاد الحجاز قبل سنة 692هـ/1292م، حيث استوطن المدينة المنورة وتزوّج فيها بإحدى شريفاتها المسمّاة "صالحة"[5]، وبفضل هذه المصاهرة أُلحِقَت ذريته وأبناؤه بالنسب

---

[1]– **جيّان:** بالفتح ثم التشديد، مدينة بالأندلس في شرق قرطبة، وهي مدينة كبيرة تجمع قرى كثيرة وبلدانا وينسب إليها الكثير من العلماء منهم أبو الحجاج يوسف بن محمد بن فاروا الجياني الأندلسي (ت،499هـ) انظر، الحموي، **معجم البلدان**، ج، 02، ص، 195.

[2]– ولد بتونس قبل سنة 690هـ ونشأ بها، واشتغل بالعلم على يد شيوخ بلده، برع في الفقه والأصول والعربية وشارك في علوم عديدة، ثم استوطن المدينة المنورة قبل سنة 692هـ (انظر، ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص،243.

[3]– **اليعمري**، نسبة إلى يعمر بن مالك بن بهته بن حرب بن وهب بن جليا بن أحمس بن ضبيعة بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان من أجداد النبي ﷺ، وسمي بهذا الاسم تفاؤلا بطول العمر، انظر، عز الدين أبي الحسن ابن الأثير، **اللباب في تهذيب الأنساب**، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر، ط، 1369هـ، ج،03، ص،311؛ جلال الدين السيوطي، **لب اللباب في تحرير الأنساب**، تح، محمد أحمد عبد العزيز، وأشرف أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص، 340.

[4]– **الأُبَّدِيُّ**، بضم الهمزة ثمّ الفتح والتّشديد، نسبة إلى مدينة في الأندلس تسمّى "أُبَّدَة" من كورة جيّان، تعرف بأُبَّدَة العرب، اختطّها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الملك، وتمّمها ابنه محمد بن عبد الرحمن، انظر، الحموي، **معجم البلدان**، ج،01، ص،64.

[5]– يذكر ولده البدر بن فرحون قصة زواج والده بأمّه حيث يقول، أنّ جماعة من أصحابه منهم أبي محمد البسكري –من علماء المدينة سيأتي ذكر نشاطه لاحقا، والشيخ عبد الواحد الجزولي والشيخ أبي العلاء الأندلسي وغيرهم، عرضوا عليه الزواج فامتنع من ذلك، فكثروا عليه ورغبوه في والدتي، وكانت الكبيرة من أربع بنات شريفات، كان والدها يقال له، الشيخ عبد الواحد الحسيني ثابت النسب للنبي ﷺ. وبعد روايته لحكاية في كتب الرقائق كانت السبب في تعجيل زواجه=

النبوي الطاهر[1]، لذلك أضيف لأبنائه كلمة "الحسيني" طبعا من جهة أمّهم. وقد نلمس الافتخار بهذا النسب في ابنه البدر عبد الله بن فرحون حينما قال: "وكان بزواجه بوالدتي من برّه بنا إذ ألحقنا بنسب النبي ﷺ فجعلنا من ذريته إجماعا وشرفاء عند أكثر العلماء"[2]، وزاد في الثناء والمدح على والده أن جعلهم أوفر الناس حظا وعلما وأدبا فقال: "وكمُل برّه بأن علّمنا فأحسن تعليمنا، وأدّبنا فأحسن تأديبنا"[3].

لقد برع ابن فرحون في الفقه والأصول، وسمع الحديث عن أحد العلماء المغاربة المجاورين بالحجاز وهو ابن مسدي[4]، وكان له دور بارز في إثراء الحركة العلمية بالمدينة المنورة، وشارك مشاركة فعّالة في الجانب العلمي، حيث درّس بالمسجد النبوي وبالمدرسة الشهابية[5]، وساهم

=وترغيبه فيه، وكان بناؤه بها ليلة الاثنين 13 من صفر سنة 672هـ، فولدت له خمسة ذكور، توفي منهم في حياته اثنان.، انظر، ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 245،246.

[1]- الملاحظ أنّ ابن فرحون هذا مغربي الأصل، وصالحة مدنية الأصل فكيف حصل بينهما الزواج؟ فتشير هاهنا المصادر أنّ أهل الحرمين (سواء أهل مكة، أو أهل المدينة) كانوا لا يمانعون من تزويج بناتهم من غير أهل البلاد الحجازية إذا كان على درجة رفيعة من العلم والخلق، وكان ابن فرحون ممن نحسبه من ذلك، انظر، عدوان أحمد محمد، **عادات وتقاليد الزواج في مكة المكرمة والمدينة المنورة زمن سلاطين المماليك 923،648هـ/ 1517،1250م**، مجلة الجمعية التاريخية السعودية (دورية علمية محكّمة تعنى بالدراسات التاريخية والحضارية) ع، 05، السنة، 03، بتاريخ، ذو القعدة 1422هـ، يناير 2002م، ص، 46.

[2]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص،245.

[3]- ابن فرحون، **نفسه**، ص، 245.

[4]- ابن مسدي الحافظ العلامة الرحالة، أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن يوسف بن مسدي الأزدي المهلبي الأندلسي الغرناطي، نزيل مكة وخطيبها، وإمام المقام الشريف. جاور بمكة وبها توفي سنة 663هـ، انظر، الصفدي صلاح الدين خليل، **الوافي بالوفيات**، تح، أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 01، 1420هـ، 2000م، ج،05، ص، 166 (رقم، 2337).

[5]- **المدرسة الشهابية**، أنشأها الملك المظفر شهاب الدين غازي الأيوبي (638هـ،712هـ) في مكان دار أبي أيوب الأنصاري ﷺ وقد اشترى الملك المظفر عرصة دار أبي أيوب الأنصاري وبناها مدرسة للمذاهب الأربعة كما وقف عليها الأوقاف الكثيرة في دمشق. . . ولها بالمدينة الشريفة أيضا وقف من النخيل وغيرها، والمدرسة فيها قاعتان كبيرة وصغيرة، وفيها=

مساهمة فعّالة في انتشار المذهب المالكي بالمدينة المنورة إلى أن وافاه أجله بها سنة 721هـ/1321م.

سبب انتقال أسرة ابن فرحون إلى الحجاز:

في هذا المقام لابد من ذكر لفتة تاريخية هامّة حول السبب في انتقال مؤسّس هذه الأسرة إلى الحجاز، ومكوثه بمدينة رسول الله ﷺ: وذلك أنّه حينما خرج إلى مكة قاصدا الحج صحبة شيخه أبي محمد المرجاني[1]، لحق به مرض فبشّره شيخه المرجاني: أنّ "هذا إشارة الإقامة"[2] بتلك البقاع الطاهرة، فبقي بمكة منطويا على نفسه لا يخالط الناس، بالرغم من أنّه كان ذا فاقة ليس له سوى ما أعدّه للطريق، لكن اشتهر عنه حسن خطه مع الضبط والصحة، فجعل الله له ذلك مفتاحا لرزقه وكسب قوته بالمدينة المنورة، وكان سببا في رفع قدره بين الناس ووسيلة لحصول مراده مثلما قال سيّدنا علي بن أبي طالب ﷺ: "الخط الحسن يزيد الحق وضوحا"[3] فحُسْنُ خطِّه ساهم في بيان مكانته، ومن ذلك أنّ بعض الناس طلبوا منه نسخ كتاب "الروضة" للشيخ محي الدين النووي لِمَا رأوا من حسن خطّه فنسخه جميعا، واستعان بما حصل له[4]، وكانت فاتحة خير عليه ومكسبا له، ثم انتقلت هذه النسخة المخطوطة مع بعض الشافعية إلى المدينة المنورة حسب رواية ابنه البدر عبد الله.

=كتب نفيسة، انظر، السمهودي نور الدين علي، **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج، 01، ص، 265؛ وانظر، ناجي محمد، **التعليم بالمدينة المنورة**، ص،287.

[1]- **المرجاني**، محمد بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد بمحمد أبو عبد الله المرجاني التونسي الأصل الإسكندراني الدار نزيل مكة وليد سنة 724هـ، كان صالحا خيرا صاحب عبادة، وله معرفة بالفقه وعناية بالتفسير، وكان يعرف علم الحرف توفي في مكة سنة 781هـ/1379م، انظر، العسقلاني ابن حجر، **إنباء الغمر بأنباء العمر**، تح، حسن حبشي، دار التعاون للنشر والتوزيع، القاهرة، ط، 1419هـ، 1998م، ج،01، ص،207.

[2]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص، 244.

[3]- القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج، 03، ص، 24.

[4]- ابن فرحون، **مصدر سابق**، ص، 244.

ثمّ عاود الرحلة ثانية نحو الحجاز بعد وفاة شيخه ورفيق دربه "المرجاني"، فحمله ذلك على حمل ما تبقّى من كتبه المخطوطة بيده، وقدم مدينة رسول الله ﷺ، فسكن بها في المدرسة الشهابية، عازما ألا ينشغل بشيء، ولا يتعرض بأحد، لكنّهم ألزموه حضور الدرس لأجل المسكن ففعل، وساهم مع إخوانه الطلبة إلقاء الدرس الذي كان سبب شهرته بينهم.

وصفه ابنه فقال: "كان متفننا في عدة علوم، فعظُم عند الجماعة وأحبوه ولزموه واشتغلوا عليه بالفقه والعربية، واشتغل عليه جماعة آخرون في علم الهيئة[1] فأبان عن فضيلة تامة ما جعل المجتمعين حوله تكثر بهم الحلق خاصة في علم الميقات [2]، لكنّه ترك الاشتغال به فيما بعد[3].

وبغياب عميد هذه الأسرة استطاع أبناؤه حمل المشعل من بعده، ومواصلة ما انتهجه لهم والدهم، وهما: البدر عبد الله بن فرحون، وعلي بن فرحون مثلما سنرى.

أعمدة أسرة ابن فرحون

الطبقة الأولى

الابن الأول: هو عبد الله بن محمد بن فرحون بن محمد بن فرحون اليعمري التونسي الأصل المدني المولد والنشأة[4]. يكنّى بأبي محمد، ويلقب بالبدر (693هـ-769هـ/1293-1367م).

---

[1]- **علم الهيئة**، هو علم يعرف منه أحوال الأجرام البسيطة والعلوية والسفلية وأشكالها وأوضاعها ومقاديرها وأبعادها، انظر، القنوجي صديق بن حسن، **أبجد العلوم المسمى "السحاب المركوم في بيان أنواع الفنون وأقسام العلوم**، تح، عبد الجبار الزكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 1978، ج،02، ص، 576، 577.

[2]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 244.

[3]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج،03، ص، 707.

[4]- بن فرحون برهان الدين إبراهيم، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح، محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ط 1972م، ج،01، ص، 454، وأضاف ابن حجر، اليعمري الأندلسي نزيل المدينة بدر الدين أبو محمد المالكي، حج نيفا وأربعين حجة ولم يخرج منذ سكن المدينة إلاّ إلى مكة، وسمع منه العراقي، مات في رجب سنة 769هـ وله ست وسبعون سنة، انظر، ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج،02، ص، 300.

يعتبر الابن الأول لمحمد بن فرحون، وذكر ذلك عن نفسه في نصيحة المشاور حينما قال: "فوَلَدَتْ له -يعني أمّه- خمسة ذكور، توفي منهم في حياته اثنان. . . وكنْتُ أول أولاده، وكان مولدي يوم الثلاثاء السادس من جمادى الآخرة عام 693هـ[1] من أمّه الشريفة النسب ابنة عبد الواحد الحسيني المسماة "صالحة"[2].

اهتمّ البدر بالعلم منذ نعومة أظفاره كما يقال، حيث تلقى تعليمه الأول في علم الحديث عن والده، وأبي عبد الله محمد بن حريث البلنسي والشيخ أبي عبد الله محمد الوادي آشي، وحدّث عن الدمياطي والفوي وزين الدين الطبري وغيرهم[3]، لهذا نجده من محدّثي الروضة الشريفة بالمسجد النبوي، وقد خرّج له الفقيه المحدّث شرف الدين بن سكر المصري نزيل مكة المشرفة مشيخة كثيرة حافلة اشتملت على ذكر شيوخه ومروياته[4]

لقد كان من كبار الأئمة، عالما بالفقه، والتفسير، وفقه الحديث ومعانيه، بارعا في علم العربية، وكانت له مشاركة حسنة في أصول الدين، وساهم في مجال التحديث والتدريس بالمسجد النبوي، وانتهت إليه الرئاسة بالمدينة النبوية، أقام مدرسا للطائفة المالكية، ومتصدرا للاشتغال بالحرم النبوي أكثر من خمسين سنة، وانفرد في آخر عمره بعلو الإسناد فلم يكن في المدينة أعلى سنا وسندا منه[5]، وهذه مزية وخصلة انفرد بها عن باقي علماء عصره بالمدينة المنورة، ومما يدلّ

---

[1]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 246.

[2]- أبوها عبد الواحد الحسيني وأمّها ابنة داود وزينب، كانت أيضا من الصالحات من الأنصار، وهي معمّرة، فعبد الله هذا إذا كريم الجدود (الأجداد)، انظر، السملي حورية عبد الإله سعيد، **الأسر العلمية في المدينة المنورة في العصر المملوكي 648،923هـ/1250،1517م**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف أ.د، ضيف الله بن يحي الزهراني، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية، سنة، 1427هـ، 2006م، ص،75.

[3]- ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج، 02، ص، 300.

[4]- إبراهيم بن فرحون، **الديباج المذهب**، ج،01، ص، 454.

[5]- بن فرحون إبراهيم، **المصدر السابق**، ج،01، ص، 454.

على علو قدره وكعبه في مجال العلم شهادة المعاصرين له أو ممن حمل عنه العلم، كشهادة العراقي حينما شهد له بانشغاله بالعلم والتدريس ونيابة للحكم بالمدينة المنورة[1].

الابن ثاني: محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون، اليعمري المدني (ت:755هـ/1354م). ومعلوم أنّ هذه الشخصية العلمية رغم وجودها التاريخي، إلا أنها لم يكن لها صيت ونشاط علمي كما ذكر ذلك أخوه عبد الله حينما تحدث عن صفاته ونشاطه فقال: "وأمّا أخي محمد –رحمه الله– فكانت له كثرة انطواء وانعزال عن الناس، وكان يزيد من صحبة المشايخ والفقراء والأخذ عنهم، ومع ذلك فقد كان له اشتغال في الفقه والنحو واللغة[2]، وكانت وفاته في جمادى الأولى بالمدينة الشريفة سنة 755هـ.

الابن الثالث: أبو الحسن علي بن محمد بن فرحون: نور الدين اليعمري التونسي المدني(ت746هـ/1345م):

هذه الشخصية ستنال حصة الأسد مع شخصية البدر عبد الله السابق ليس من حيث كثرة النسل فقط، بل في الجانب العلمي أيضا لما سنرى لهما ولذريتهما من نشاط علمي وديني وكذا سياسي واجتماعي.

– ولد "علي نور الدين" بالمدينة النبوية ليلة الجمعة العشرين من ربيع الأول عام 698هـ/1298م، وبها نشأ، وقام رحلة علمية دخل فيها مصر والمغربين "الأدنى والأقصى"، ثم رجع بعدها إلى المدينة المنورة، وبقي بها حتى وافاه أجله بها سنة 746هـ/1345م.

[1]– أبو زرعة أحمد ابن العراقي، **الذيل على العِبر في خبر من عَبر**، تح، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط، 01، 1409هـ، 1989م، ق، 01، ص، 249.

[2]– ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 250.

يعتبر أبو الحسن علي بن فرحون هذا من علماء الطبقة الخامسة عشرة من أهل الحجاز عند صاحب كتاب شجرة النور الزكية[1]، سمع بالمدينة المشرفة على والده أولا، ثمّ على الشيخ أبي عبد الله محمد بن حريث خطيب تلمسان المغربي[2]، وأخذ عن أئمة من أهل المشرق والمغرب منهم عز الدين الزرندي وابن جابر الوادي آشي، وغيرهم[3].

سال علمه بالمدينة المنورة، وأخذ عنه جماعة أفاضل منهم: ابنه برهان الدين إبراهيم بن فرحون- صاحب الديباج المذهب-، وأبو العباس القباب، وغيرهما. [4]

ويضيف ابنه إبراهيم صاحب الديباج إنّه "كان محدثا، متقنا، عارفا بضبط الحديث وأسماء رجاله، ولغته، فاضلا في الفقه والأصلين "أصول الدين، وأصول الفقه"، والعربية، والمعاني والبيان، مستبحرا في اللغة والأدب، مشاركا في الجدل والمنطق، واشتغل في آخر عمره بالنظر في كتب التّصوّف، ولزم الاشتغال بالفقه والعربية في المسجد النبوي[5].

اعتلى كرسي السيادة العلمية، بعدما تدرّج في مراتب العلم في بلاد الحجاز حتى قال فيه أخوه البدر: "لم يكن في زمانه بالمدينة والحجاز من برع براعته، ولا ساد سيادته"[6].

لقد بلغ مبلغا عظيما في العلوم والوجاهة معا، فكان شيخه الإمام العلامة، حجة العرب سراج الدين الدمنهوري إذا جلس للدرس يقول للطلبة: "إذا حضر الفقيه نورالدين فأحضروا

---

[1]- مخلوف محمد قاسم، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، خرّجه وعلّق عليه، عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، 01، 1424هـ، 2003م، ج، 01، ص، 291، (رقم، 731).

[2]- المكناسي أحمد بن القاضي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ط، 1973، ص،488.

[3]- مخلوف، **شجرة النور**، ج،01، ص،291.

[4]- مخلوف، **المصدر نفسه**، ص، 291.

[5]- ابن فرحون إبراهيم، **الديباج المذهب**، ج،02، ص، 125.

[6]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص، 245.

معكم الدواة والورق، حتى تقيدوا من فوائده ومن أشعاره واستشهاداته"[1]، ورغم كلّ هذا العلم الذي حصّله وانفرد به عن علماء زمانه، إلاّ أنّنا نجده في آخر العمر يتحسر على مزاولته علم الأدب على حساب علوم الدين فيقول في ذلك: "والله ندمت على ما أفنيت فيه عمري من الاشتغال بعلم الأدب، يا ليته كان في الكتاب والسنّة"[2].

الطبقة الثانية

نأتي إلى الطبقة الثانية من الأسرة، وهي طبقة أبناء الأبناء (الأحفاد) ممن شعّ نور علمهم ونشاطهم بالمدينة المنورة.

أولا: أبناء عبد الله بن محمد بن فرحون بدر الدين اليعمري:

أنجب البدر عبد الله بن فرحون ثلاثة من الأبناء وهم: محمد أبو الخير، ومحمد أبو عبد الله الملقب بمحب الدين، وأحمد أبو العباس الشهاب.

1. أبو الخير محمد بن عبد الله البدر(لم تذكر سنة وفاته)[3]: هو محمد بن عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون. أبو الخير المؤرخ أبي محمد بن أبي عبد الله بن أبي الفضل اليعمري المدني المالكي، الذي سمع على أبيه سنة 767هـ اليسير من كتاب "الأنباء المبنية" ووصفه بالولد العزيز السعيد، وهذا دلالة منه على صغر سنّه، لكن لم يذكر له نشاط علمي ولا غيره.

2. محب الدين محمد بن عبد الله البدر (ت: 791هـ/1388م): أبو عبد الله، اليعمري المغربي ثم المدني، حيث سمع على أبيه، وابن السبع البخاري، وكانت له عناية بالعلم وولي قضاء بلده –المدينة المنورة–[4] كما سنرى تفصيل ذلك في مبحث مستقل.

---

[1]– ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص، 249.

[2]– السملي، **الأسر العلمية في المدينة المنورة**، ص، 82.

[3]– السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص، 611.

[4]– ابن حجر، **إنباء الغمر**، ج،01، ص،388.

وعند السخاوي في التحفة أنّه "وولي قضاء المالكية بالمدينة بعد موت أبيه، فدام سنينا كثيرة، وعزل غير مرة"[1]، وبعد وفاته خلفه أخوه الشهاب أحمد أبو العباس في ولاية القضاء.

3. شهاب الدين أحمد بن عبد الله البدر (ت: 792هـ/1389م): أبو العباس الملقب بالشهاب اليعمري المدني، كانت له عناية بالمذهب المالكي، وقد كان له اهتمام متزايد بالفقه حتى وصِف بالفقيه العالم[2].

ثانيا: أبناء علي بن محمد بن فرحون

خلّف علي نور الدين ثلاثة أبناء هم: الحسن عز الدين، ومحمود، وإبراهيم برهان الدين الذي أعاد إحياء مذهب مالك بعد خموله بالمدينة.

1. الحسن بن علي بن محمد بن فرحون العز المدني (حي في ق:08هـ/14م):

سمع على أخيه البرهان بن إبراهيم "الموطأ". وهو أكبر أولاد علي، غير أنّ كتب التراجم لم تذكر له نشاطا علميا، ولا سنة وفاة، مما يدلّ على انتفاء نشاطه العلمي.

2. أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن علي النور بن فرحون المدني أبو الوفاء (ت:799هـ/1396م)[3]:

[1]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج،03، ص،612.

[2]- السخاوي، **المصدر نفسه**، ج،01، ص، 193،194. وقد ذكر ابن حجر أنه توفي في 12رمضان سنة 792هـ، انظر، ابن حجر، **إنباء الغمر**، ج،01، ص، 194.

[3]- مخلوف، **شجرة النور**، ج، 01، ص، 319.

أخذ عن أبيه، وعمّه البدر ابن فرحون، وبه تدرّب، وأخذ عن الوادي آشي الأندلسي[1]، وابن جابر الهواري[2]، وابن مرزوق الجد[3]، ومحمد بن عرفة[4] نزيل الحرمين وغيرهم.

لقد نشأ البرهان وترعرع في مدينة المصطفى ﷺ مستظلا بأسرة علم وفضل، فسار على خطى أجداده العلماء الذين دأبوا على تربيته تربية علمية محضة، فلا يغب عن أذهاننا أنّ أباه علي النور، وعمّه البدر، وجدّه ابن فرحون كلّهم كانوا من مؤسسي المدرسة المالكية بالحجاز ينشرون علمها، ويحيون تراثها أثناء مكوثهم بالمدينة المنورة.

لقد كان إماما عمدة، وأحد شيوخ الإسلام، عالما بالفقه والأصول والفرائض وعلم القضاء والوثائق، وعلم الرجال في الحديث، وطبقاتهم مستمدا كلّ هذا من والده العالم المحدّث الفقيه علي النور، ومواصلا عمّه المربّي المشرف على دراسته، وحمله على طريق العلماء، مقتبسين ذلك من ترجمته لعمّه (البدر) الذي كان يحترمه ويقدّره، ويسعى كي ينتفع من علمه[5]، هذه عوامل وغيرها ساهمت في صقل شخصيته العلمية، وبروزه كعالِم فذ لا يشقّ له غبار.

---

[1]- أخذ عنه البرهان كتاب "الموطّأ" لمالك ابن أنس برواية يحي بن يحي الليثي سنة 746هـ، انظر، إبراهيم بن فرحون، **الديباج المذهب**، ج، 02، ص، 30.

[2]- هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري الأندلسي(ت،780هـ) قرأ عليه برهان الدين كتاب "عجالة الراجز" في علم العربية من نظمه، بعد أن كتب منها نسخة بخطّه حين كان بالمدينة، وانتهى منها سنة 756هـ، انظر، السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 01، ص، 131.

[3]- مخلوف، **شجرة النور**، ج، 01، ص، 319.

[4]- كان محمد بن محمد بن عرفة نزيل بيت علي النور جدّ البرهان، في المدينة المنورة حينما أتى للحج سنة 792هـ، واغتنم البرهان الفرصة ليعرض عليه شرحه لكتاب ابن الحاجب المسمّى "كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب"، حيث أشار عليه ابن عرفة أن يفرد مقدّمته لهذا الشرح ويجعلها كتابا مستقلا، وبالفعل استجاب البرهان لفكرة ابن عرفة (ت، 803هـ)، انظر، ابن فرحون البرهان، **كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب**، تح، حمزة أبو فارس، وعبد السلام الشريف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 01، 1990، ص، 30.

[5]- أغرابي نجيبة، **القاضي برهان الدين ابن فرحون، وجهوده في الفقه المالكي**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط، 1421هـ/2000م، ص، 45.

تولى القضاء بالمدينة سنة 793هـ[1]، وكان له الفضل في إظهار المذهب المالكي بها بعد أن أفل نجمه مدة من الزمن.

[3]. محمود بن علي بن فرحون: لم نعثر له على ترجمة، ربما لأنّه لم يكن شيئا مذكورا في العلم والعلماء.

الطبقة الثالثة "أبناء الأحفاد"

أولا: أبناء محمد بن عبد الله بن محمد بن فرحون أبو عبد الله الملقب بمحب الدين (ت:791هـ/1389م)، فقد أنجب محمد بن عبد الله بن فرحون المحب ثلاثة أبناء هم: عبد الرحمن، ومحمد، وعبد الله، سأقتصر في ذكري لاثنين فقط محمد وعبد الله كوني وجدت لهما نشاطا علميا، أمّا عبد الرحمن فوجدنا له اهتماما بالحديث فقط، وتمثّل ذلك في سماعه لنسخة "أبي مسهر" في الحديث على العالم أبي سليمان بن أحمد السقا[2].

1. أبو البركات محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فرحون، الملقب بناصر الدين، ولقبه بعضهم بمحب الدين المدني(ت:822هـ/1419م):

كان من العلماء الأفاضل ومن القضاة أيضا، وصار اسم قاضي المدينة صفة يكنّى بها[3] كونه ولي قضاء المدينة بعد وفاة ابن عمّ أبيه القاضي أبي اليمن محمد بن البرهان بن فرحون سنة 814هـ، أضف إلى ذلك سعيه في منح الإجازة لطلبة العلم، وكان من بينهم التقي ابن فهد وولديه، وأبي الفرج المراغي[4].

2. أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فرحون بن المحب أبي عبد الله المدني (ت:759هـ/1357م):

---

[1]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 01، ص، 132.

[2]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 04، ص، 136.

[3]- ابن حجر، **إنباء الغمر**، ج، 03، ص، 209؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج، 09، ص، 230.

[4]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 09، ص، 127.

استطاع أبو محمد حصد ما حصده أخوه السابق من العلم والفضيلة والمكانة العلمية بالمدينة المنورة، فقد ولي قضاء المدينة بعد وفاة أخيه في سنة 822هـ، ثمّ عزل في أواخر سنة 856هـ، ثم أعيد في أوائل سنة 857هـ. واستمر عامين في منصب القضاء بالمدينة حتى وفاته بها سنة 859هـ[1].

ثانيا: أبناء البرهان إبراهيم بن علي النور بن محمد بن فرحون.

وجدت من خلال بحثي أنّ لإبراهيم بن علي ولدا اسمه محمد أبو اليمن (ت:814هـ/1411م):

أخذ تعليمه الأول عن والده العالم برهان الدين ابن فرحون، وكان فقيها حسب وصف التنبكتي[2]، وقد صنّفه صاحب شجرة النور[3] من أصحاب الطبقة السابعة عشر، وقال عنه الإمام العمدة، وذكر له تأليفا سأذكره في حينه إن شاء الله.

هذا ما استطعت جمع شتاته من بطون المصادر وكتب الطبقات، وتعمّدت عدم ذكر التفاصيل، والاكتفاء بالمعلومات المرتبطة بحياتهم العلمية فقط، أمّا ما تعلّق بنشاطهم وإنتاجهم فأرجأته إلى المبحث الأخير من هذا الفصل، والمرتبط بتأثيرهم على الحياة العلمية بالحجاز، وآثارهم العلمية بها.

[1]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 396.

[2]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص، 531.

[3]- مخلوف، **شجرة النور**، ج، 01، ص، 344.

شجرة أسرة آل فرحون بالمدينة المنورة[1]

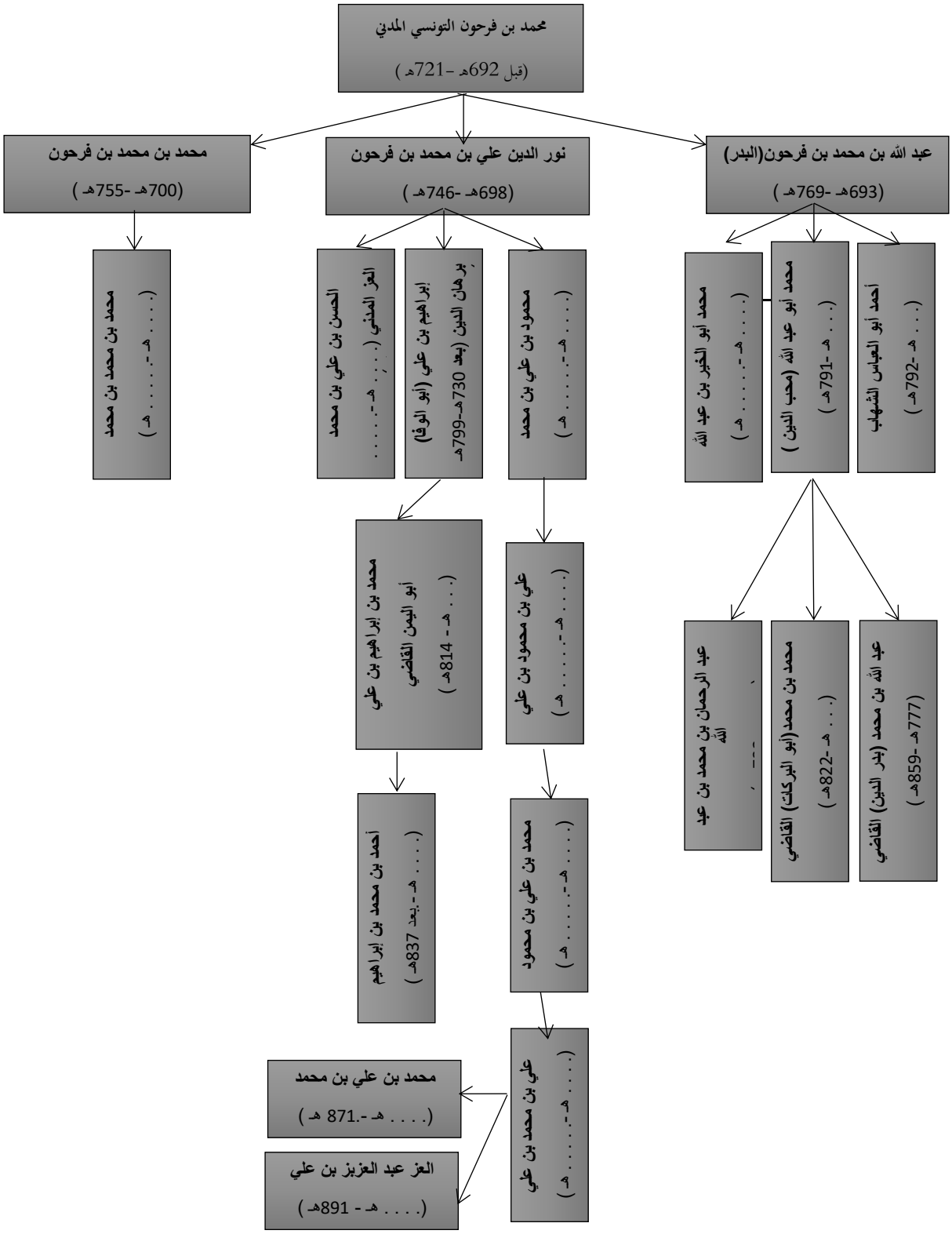

[1]- هذا اجتهاد خاص حيث قمت برسم هذه الشجرة من خلال تنظيمي وترتيبي لأسماء الأسرة وسنوات وفاتهم التي استخرجتها من كتب التراجم والطبقات.

❖ المبحث الثاني:

الأسر العلمية المغربية بمكّة المكرمة

استطاعت مكّة أيضا بحكم مكانتها العلمية والدينية أن تستقطب إليها العلماء من جميع أقطار الدنيا. ونتيجة جوارهم للبيت العتيق تكوّنت –من خلال المصاهرة– بين علماء المغرب الإسلامي وأهل مكّة أسرا علمية مثلما حصل في مبحثنا السابق بالمدينة المنورة اهتم أفرادها كذلك بالعلم، واستطاعوا أن يضفوا على الحياة العلمية بمكّة والمسجد الحرام نشاطا فكريا وثقافيا، وقد سلطت الضوء في مبحثي هذا على هذه الفئة من المجتمع المكي لما لها من أهمية بالغة تدخل في صلب الموضوع المتعلق بنشاط المغاربة في مكّة والمدينة معا فهما شيئان متلازمان لا نستطيع ذكر واحد دون ذكر الآخر معه، وسأحاول في هذا المبحث بسط حديثي عن نشأة الأسر العلمية ذات الأصول المغربية فقط، وامتدادها التاريخي والحضاري ببلاد مكّة، ومن أهم هذه الأسر المغربية "أسرة القسطلاني" و"أسرة الفاسي". وكما هو معلوم أنّ المغاربة قد آثروا المجاورة بمكة مثلما آثروا أيضا الجوار بالمدينة المنورة، غير أنّ الملفت للانتباه هو نسبة الوجود المغربي في مكّة كان يفوق الوجود بالمدينة بحكم قداسة المكان وعظمته.

أولا –أسرة القسطلاني:

حسب المرويات التاريخية التي اطلعنا عليها تبيّن أنّ جذور هذه الأسرة تنحدر من منطقة ببلاد المغرب تسمى "قَسْطَلِّينَه" أو "قسطيليه"، وهي من إقاليم إفريقية بمنطقة بلاد الجريد[1] التونسي.

أمّا نسبهم الأول فيرجع إلى الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون بن راشد القيسي القسطلاني، وجدت أنّ لهذه الأسرة فرعين لأصل واحد وفق التقسيم الآتي:

[1]– ارجع إلى ص، 25.

- **الفرع الأول:** وينسب إلى أحمد بن علي بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون بن راشد القيسي القسطلاني[1]، وقد ذكر الفاسي أنّ عميدها "أحمد" قد قدم مكّة سنة 583هـ بنية الحج، أي أنّ مجيئه إلى الحجاز كان خلال فترة حكم الأيوبيين للحجاز، وقام بالحج مرات عديدة قبل حلول عام 600هـ، ثم أتى سنة 602هـ مكّة عازما على المجاورة بها، ومكث بها إلى غاية 608هـ وعاد إلى بلده، ثم عاود المجيء من مصر مع ركب الحجاج سنة 619هـ أو 620هـ، واستوطن مكّة المكرمة، وبقى بها يحدّث بقبة الشراب[2].[3]، وقد سمع منه جماعة من الحفاظ، وبقي أثر أسرته العلمية يتواصل نسلا وعلما إلى ما بعد العصر المملوكي(ما بعد القرن 09هـ).

وتذكر لنا المصادر التاريخية مناقب دالّة عن عظم شأنه ومكانته بمكّة، ومن ذلك ما ذكره الشيخ عبد الله اليافعي (ت:698هـ/1298م) من أنّ النّاس احتاجوا في المدينة المنورة إلى

---

[1]- هو الفقيه الزاهد كمال الدين أبو العباس أحمد بن علي بن محمد بن الحسن القيسي القسطلاني الأصل، المصري المولد المالكي المذهب، حيث تفقّه على مذهب الإمام مالك بن أنس ﷺ، وسمع بمصر، سمع بمكّة أيضا، ومن الذين سمع منهم بمصر نجد العلامة عبد الله بن بري النحوي، وقد تولى التدريس بمدرسة المالكية بمصر، لقد جمع في علمه بين الفقه والزهد وكثرة الإيثار مع الاقتار والانقطاع التام عن مخالطة الناس، (ت: 636هـ) بمكّة (انظر، المنذري زكي الدين أبو محمد، **التكملة لوفيات النقلة**، تح، بشّار عواد منذر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط، 03، 1405هـ، 1984م، ج، 03، ص، 508، 509؛ وانظر، الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 03، ص، 67، 68؛ وانظر، السيوطي جلال الدين، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط، 01، 1387هـ، 1976م ج، 01، ص، 455.

[2]- **قبة الشراب**: هي التي تلي قبة بئر زمزم، حيث كان خلف البئر قبّتان أحدهما سقاية العباس بن عبد المطّلب وهي المعروفة بقبة الشراب، والأخرى لحفظ الأشياء الموقوفة على المسجد الحرام، وباب قبة الشراب يقع إلى الشمال. للمزيد انظر، الأزرقي أبو الوليد محمد بن عبد الله، **أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار**، تح: رُشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط، 03، 1403هـ، 1983م، ج، 02، ص، 59، 60؛ ابن جبير، **رحلة ابن جبير**، ص، 57.

[3]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 03، ص، 68.

الاستسقاء أثناء مجاورته لها، وعزموا أن يستسقى أهل المدينة يوما والمجاورون يوما، فبدأ أهل المدينة بالاستسقاء فلم يسقوا، فعمل هو طعاما كثيرا للضعفاء والمساكين، واستسقى مع المجاورين فسُقُوا[1]. ما دلّ على صلاح حاله وورعه وحسن سريرته.

- **الفرع الثاني**: ينسب الفرع الثاني للأسرة إلى عمر بن محمد بن عمر بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون بن راشد القيسي القسطلاني[2](ت:644هـ/1246م)، غير أنّ الفرع الأول من الأسرة نجد أنّه نال بركة التناسل والتكاثر أكثر من الفرع الثاني مثلما سنرى لاحقا إن شاء الله.

ثانيا/ تفريعات الأسرة وانتشارها

1- الطبقة الأولى (الأبناء):

هذه الطبقة من الأسرة قد عاصرت وعايشت القرن السابع للهجرة (07هـ/13م)، وكان يشار لها بالبنان بمكّة المكرمة خاصّة إذا ذكر علم الحديث بمكّة، فإن رائده بلا منازع "ضياء الدين" وهو أحد أبناء هذه الطبقة مثلما سنأتي على ذكره في الفصول والمباحث القادمة.

- **الفرع الأول**: أسرة أحمد بن علي بن محمد القسطلاني:

أنجب أحمد ولدين اثنين هما محمد القطب (ت:686هـ/1287م)، وعلي النور (ت:665هـ/1266م).

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 03، ص، 69.

[2]- عمر بن محمد بن عمر القسطلاني، إمام مقام المالكية بالحرم الشريف. سمع بالحرم الشريف من أبي عبد الله بن أبي الفضل المرسى، الجزء الثاني والثالث والرابع من صحيح مسلم، وكانت وفاته يوم الأربعاء رابع صفر سنة أربع وأربعين وستمائة 644هـ بمكّة، ومولده في السابع عشر من شوال، سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة 572هـ، انظر، الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 05، ص، 371.

1- **محمد القطب بن أحمد:** هو محمد بن أحمد بن على بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون ابن راشد القيسي، قطب الدين أبو بكر بن أبى العباس القسطلاني المكي الشافعي(ت:686هـ/1287م)[1]:

سمع بمكّة من أبي الحسن بن البنا جامع الترمذي، ومن الشيخ شهاب الدين السهروردي كتابه: "عوارف المعارف"، ولبس منه خرقة التصوّف[2]، كما أنّه سمع أيضا بالكوفة وأماكن عدّة، وعنى بهذا الشأن، فكان فيه من ذوي الحفظ والإتقان.

وقد قرأ الشيخ قطب الدين القسطلاني علم الفقه والتفسير والخلاف، وأنواع العلوم على شيخ الحرم نجم الدين بشير بن حامد التبريزي[3]، وحدّث بعلمه في مكّة المكرّمة[4].

2- **علي بن أحمد بن علي** بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون القيسي تاج الدين، أبو الحسن، بن الشيخ أبى العباس القسطلاني المصري المكي المالكي (ت:665هـ/1267م):

سمع بمصر صحيح البخاري، وجامع الترمذي، ومسند الشافعي، وسنن أبى داود والنسائي وانتقل إلى مكّة وأقام بها سنين كثيرة مع والده، ونشط هناك في مجال الحديث وسمع منه الأعيان.

1- الفاسي، **المصدر السابق**، ج،02، ص، 35، الفاسي، **ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والأسانيد**، تح، محمد صالح بن عبد العزيز المراد، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، مكة المكرّمة، ط، 01، ص، 1418هـ، 1997م. ج، 01، ص، 99، 100.

2- يقول الإمام السهروردي عن المصطلح: لبْسُ الخرقة ارتباط بين الشيخ وبين المريد وتحكيم من المريد للشيخ في نفسه، والتحكيم سائغ في الشرع لمصالح دنيوية، يتقصد شيخا بحسن ظن وعقيدة ويحكمه في نفسه لمصالح دينه، يرشده ويهديه ويعرّفه طريق المواجيد ويبصّره بآفات النفوس وفساد الأعمال...فيسلم نفسه إليه ويستسلم لرأيه ويعمل به في جميع تصاريفه فيلبسه الخرقة إظهارا للتصرف فيه، فيكون لبس الخرقة علامة التفويض والتسليم ودخوله في حكم الله وحكم رسوله وإحياء سنّة المبايعة مع رسوله ﷺ، انظر، السهروردي أبو حفص عمر، **عوارف المعارف**، تح، أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط، 01، 1427هـ، 2006م، ج، 01، ص، 108.

3- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 35.

4- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 01، ص، 230.

ولعل شهادة جدّ الفاسي أبلغ تعبير عن مكانته وقيمته حين قال: "كان أحد المشايخ المشهورين بالفضل والدين، المعروفين بحسن الخلق، وطيب الأصل، ولين الجانب، ومحبة الحديث وأهله، والتواضع والخشونة في الدين"[1].

- **الفرع الثاني**: أسرة أبي البركات عمر بن محمد بن عمر بن الحسن القسطلاني[2].

سمع أبو البركات بالحرم الشريف أجزاء من "صحيح مسلم"، لكنني لم أجد له نشاطا يذكر به، غير أنّ شهرة أسرته ستبرز في أولاد "محمد الضياء" الذي انتشرت منه وتفرعت الأسرة الثانية، وقد سطع نجمها خلال القرن السابع والثامن فقط، لكنّنا سنجد أنّ نجمها أفل مع ذهاب عالمها "محمد" سنة 830هـ كما سنرى في الملحق آخر المبحث.

وقد أنجب عمر التقي هذا ولدا هو محمد الضياء الآتي ذكره:

محمد بن أبي البركات عمر بن محمد بن عمر بن الحسن القسطلاني(ضياء الدين)[3]: الفقيه، إمام الحطيم، أبو عبد الله التّوزري المالكي، المكي. (ت:663هـ/1264م).

انتقل إلى مكّة وسمع من أبي الحسن علي ابن البناء، وأبي حفص السُهْرَوَرْدي، روى عنه الدّمياطي، وغيرُ واحد. وقال عنه الصفدي: "كان إمَام حطيم الْمَالِكِية بِمكّة، وقد حدّث بِمكّة وَكَانَ شَيخا عَالما صَالحا [4].

---

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 05، ص، 238، 239.

[2]- هو عمر بن محمد بن عمر بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن ميمون التوزري الإمام أبو البركات القسطلاني المكي، إمام مقام المالكية بالحرم الشريف. سمع بالحرم الشريف من أبي عبد الله بن أبي الفضل المرسى، الجزء الثاني والثالث والرابع من صحيح مسلم، من تجزئة أربعة، ويقول عنه الفاسي أيضا، كان إمام مقام المالكية، وأُخبِر أنه صلّى في مقام المالكية سنة ست عشرة وستمائة 616هـ. وكانت وفاته سنة 644هـ بمكّة، ومولده سنة 572هـ، انظر، الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 05، ص، 371.

[3]- للتوسع في ترجمته انظر، اليونيني قطب الدين، **ذيل مرآة الزمان**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط، 01، 1374هـ، 1954م، ج، 02، ص، 329، كذلك انظر، الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 01، ص، 342.

[4]- الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج، 04، ص، 184.

2- الطبقة الثانية (الأحفاد):

هذه الفئة العمرية انتشر نسلها خلال القرن الثامن هجري، وهو القرن الذي عرفت فيه مكّة وكذا المدينة زخما علميا، وكثرة حضور للعلماء خاصة علماء الأمصار الخارجة عن حدود الحجاز، مما أعطى للحركة العلمية دفعا قويا من خلال بعض المعالم العلمية كالحرمين والأربطة والمدارس التي أحيوا فيها دروس العلم عن طريق عقدهم الحلق ومنحهم الإجازات التي كانوا ينشطون بهما كما سنرى في مباحث قادمة إن شاء الله.

الفرع الأول (أحفاد أحمد بن علي)

بالنسبة لعلي بن أحمد (ت:665هـ/1266م) لم أجد له ذرية تخلفه حسب ما اطلعت عليه في كتب التراجم، بينما أخوه محمد القطب فقد كثر نسله وذاع صيت أبنائه بمكّة المكرمة، على سبيل المثال نجد أوّلهم: محمد الأمين (ت:704هـ/1304م) الذي تفرّد بالإجازة من جدّه أبي العباس أحمد، ومن جدّه لأمّه تقي الدين عمر القسطلاني، حيث حدّث بمروياته، فسمع منه جماعة من الأعيان كقطب الدين الحلبي وعلم الدين البرزالي وغيرهم، وكان له إلمام بالفقه والحديث، وحدّث بالمدرسة المظفّرية بمكّة[1]، وثانيهم هو الحسن الكمال (ت:706هـ/1306م) الذي كان متأثّرا بالمنهج الصوفي، ولبس من شيخه نجم الدين التبريزي خرقة التصوف[2]، إضافة إلى إجازته إيّاه في سنة 649هـ، إضافة تصوّفِهِ فقد كان له أيضا اجتهاد في علم الحديث بمكّة، حيث حدّث بمكّة بـ"الأربعين الفُراوية"[3]، وثالث الإخوة هو أحمد الشرف المكنى بأبي الفتح (ت:713هـ/1313م) الذي سمع جزء ابن نجيد و"الأربعين الفراوية"[4]، و"المائة" للفراوي، وبعض

---

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 05، ص، 371.

[2]- الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 04، ص، 174.

[3]- الفاسي، **نفسه**، ج، 04، ص، 176.

[4]- **الأربعون الفراوية:** كتاب ضمّ بين دفّتيه أربعين حديثا للنبي ﷺ مستخرجة من كتب الصّحاح من روايات المحمّدين مسلسلا متّصلا إلى رسول الله ﷺ، لفقيه الحرمين الإمام محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي (ت: 530هـ)، تخريج =

"صحيح ابن حبان"[1]، وسمع سنة 658 "صحيح البخاري" على أبي عبد الله الهمذاني وجماعة من محدّثي مكّة المكرمة والقاهرة وقوص[2]، ثمّ حدّث بمسموعاته بمكّة التي جاور بها مدة، واستطاع هو أيضا أن يساهم في بناء الحركة العلمية كسابقيه أيضا[3]، وابنتين: عائشة[4] (ت:715هـ/1315م)، وفاطمة أم الرحيم[5](ت:721هـ/1321م) اللتين نشطتا في مجال علم الحديث كما سنرى في المبحث الثالث من هذا الفصل.

- **الفرع الثاني (أحفاد أبو البركات عمر بن محمد)**

بالنسبة لأحفاد الأسرة الثانية فنجد أنّ محمد ضياء الدين بن عمر التقي ترك خلفه ثلاثة أولاد هم: عبد الرحمان "بهاء الدين" (ت: 712هـ/1312م)، وزينب(ت:727هـ/1326م)، وأحمد شهاب الدين (ت:671هـ/1270م) الذي سمع بمكّة من ابن عساكر صحيح مسلم، أجيز سنة 642هـ من طرف الشيخ نجم الدين التبريزي، وابن أبي حرمي، وابن الجميزي، وغيرهم من شيوخ مكّة، ومن المناصب التي شغلها إمامة المالكية بالحرم الشريف بعد وفاة أبيه ضياء الدين، ثمّ خلفه في الإمامة أخوه عبد الرحمن بهاء الدين سنة 671هـ، وقد سمع بمكّة سنة 664هـ

=أبي المحاسن الطَّبَسِيُّ(ت:537هـ)، انظر الموقع الإلكتروني، https://www.alukah.net/library/0058940/ بتاريخ: 01،03،2021.، وله أيضا سداسيات الفراوي، وسباعيات الفراوي المسمّاة "أحاديث محمد بن هشام بن ملاّس النُميري.

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 03، ص، 126، 127 (انظر كذلك ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج، 01، ص، 244، 245).

[2]- ابن حجر، **المصدر نفسه**، ج، 01، ص، 245.

[3]- سأحاول ذكرها في المبحث القادم حول "اسهامات الأسر العلمية المغربية بمكّة".

[4]- محدّثة سمع عليها محمد الواني سنة 715هـ جزءا فيه سداسيات أبي عبد الله الداري تخريج السلفي بسماعها من أبي عبد الله محمد الإسكندري. انظر، كحالة عمر رضا، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط، 1379هـ، 1959م ج، 03، ص، 185.

[5]- ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج، 02، ص، 136.

من ابن عساكر "صحيح مسلم، وحدّث به[1]، وبعد وفاة أخيه السابق تولّى مكانه في إمامة المالكية بالمسجد الحرام[2].

3- الطبقة الثالثة من أسرة القسطلاني:

استطاعت الأسرة توريث أبنائها العلم لمواصلة مشعلها كبقية الأسر الأخرى، وسنقتصر الحديث فيما يلي على العلماء البارزين ذي المكانة العلمية المرموقة والمعروفة، أمّا الشخصيات الأخرى سأشير إليها دون تفاصيل، وإن اقتضت الحال ينظر إلى شجرة النسب في آخر المبحث.

أبرز شخصيات الأسرة العلمية خلال القرن الثامن هجري

- الفرع الأول: أبناء محمد الأمين (ت:704هـ/1304م):

محمد الزين حفيد قطب الدين القسطلاني(ت:721هـ/1321م)[3]، وسأقتصر على ذكره فقط لكون الأسرة تتواصل من نسله إلى ما بعد القرن التاسع هجري، فقد سمع من العز الطبري بعض الترمذي، ولعله سمعه عليه وسمع من جماعة بمكّة، ومنهم جدّه أبيه القطب القسطلاني، المحب الطبري الذي سمع منه سنن أبي داود، ومن أبيه الأمين "الموطأ" رواية يحي بن يحي، وقال عنه الذهبي: "كان من بيت علم وفضل"[4]، وأضاف الفاسي أنّه مات عن تسعة أولاد ذكور، جلّهم موجود في الشجرة التي تختم هذا المبحث والبعض الآخر ذكره الفاسي في عقده.

- الفرع الثاني: أبناء عبد الرحمن بهاء الدين (ت:712هـ/1312م):

لعبد الرحمن بن محمد الضياء ثلاثة أبناء هم عبد الله (ت: 736هـ/1336م)، وخليل (ت: 760هـ/1361م)، وزينب (ت: 760هـ/1361م)، لكنني سأركز على شخصية خليل المالكي لكونه ذاع صيته، وحمل عنه طلبة العلم علوما مثلما هو آت.

---

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج،03، ص، 158.

[2]- الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 05، ص، 405.

[3]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 01، ص، 421.

[4]- ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج،04، ص، 214.

خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر القسطلاني (ت:760هـ/1361م) المكي المالكي أبو الفضل ضياء الدين بن بهاء الدين بن ضياء الدين: إمام المالكية بالمسجد الحرام، وشيخ الحرم وبركته[1].

ولد بمكّة سنة 688هـ، وسمع بها من أعلامها كالعماد الطبري والقسطلاني والفخر التوزري، وبالمدينة على العفيف الدلاصي الذي قرأ عليه بالروايات، وأخذ التصوّف عن الشريف أبي عبد الله الفاسي، وصحب العديد من الصالحين، ما جعله ينال حظوة الخاص والعام كيف لا وهو من كبار علماء مكّة والمدينة، وصفه ابن الجزري بشيخ المالكية والمحدثين بالحرم الشريف[2]. وقد أثنى عليه البلوي ثناء منقطع النظير في رحلته المشهورة تاج المفرق، وانتفع به أعظم الانتفاع واستفاد بالالتزام له والاتباع، وسمع عليه وأجازه جميع ما يحمله ويرويه إجازة مطلقة عامّة[3] على حد قوله.

عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر أبو البركات (ت:637هـ/1336م): أخو الشيخ السابق خليل المالكي، سمع من الرضي الطبري جزءا من الترمذي، ومن الشريف أبي عبد الله الفاسي بالمدينة المنورة كتاب "العوارف" للسُهْرَوَردي، وقد ذكر العفيف بن المطري أنه ناب عن أخيه في الإمامة، وكان رجلا فقيها مباركا[4].

بعد هذه الاستفاضة في تراجم الطبقة الثالثة سأحاول فيما يلي التركيز على أهمّ شخصيات وتراجم الطبقة الرابعة من الأسرة للفرع الأول، لأنّ الفرع الثاني من الأسرة سيغيب

---

[1]- المقريزي تقي الدين، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، تح، محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، ط، 01، 1423هـ، 2002م، ج، 02، ص، 62، 63؛ ابن تغري بردي، **النجوم الزاهرة**، ج، 10، ص، 333، السخاوي، **التحفة اللطيفة** ج، 02، ص، 21، 22، السخاوي، **وجيز الكلام**، ج، 01، ص، 104.

[2]- ابن الجزري محمد أبو الخير، **غاية النهاية في طبقات القراء**، تح، ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 01، 2006م.ج، 01، ص، 249

[3]- البلوي، **تاج المفرق**، ج، 01، ص، 314.

[4]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 05، ص، 200.

ذكره لعدم وجود معلومات في كتب التراجم أو الطبقات ما يدلّ على استمرارها عدا شخصين اثنين هما جمال الدين بن أحمد بن أحمد بن الضياء بن عمر التقي(ق 08هـ/14م)، وعمر بن عبد الله بن عبد الرحمان بهاء الدين بن الضياء بن عمر التقي(ت: 765هـ/1363م) فقط.

3- الطبقة الرابعة من الأسرة: (من أبناء الزين بن محمد الأمين)

محمد إمام الدين (ت:754هـ/1355م): محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد القسطلاني سمع "الموطأ" رواية يحي بن يحي، و"سنن أبي داود" من الرضي الطبري والفخر التوزري[1] وحدّث بمكّة فسمع منه ابن سكر -شيخ التقي الفاسي-شيئا من "سنن أبي داود"، وأجاز له إضافة إلى جانبه العلمي كان تاجرا ذا ثروة ومال اكتسبها من تجارته إلى اليمن[2].

علي نور الدين (ت:759هـ/1360م): علي بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي القسطلاني[3]: كان من أهل العلم فقيها، لكونه متحصّلا على إجازة في الفقه المالكي أجازه إيّاها جدّه أمين الدين القسطلاني الفخر التوزري، وقد حدّث بعلمه في مكّة وسمع منه الشيوخ كابن سكر، هذه المكانة العلمية أهّلته ليكون صاحب قاضي مكّة النجم الطبري[4].

طبقة عالمات الأسرة القسطلانية:

لم تخل هذه الأسرة من نساء فضليات استطعن فرض أنفسهن، وأبلين بلاء حسنا بفضل ما أوتين من علم عن طريق الإجازة أو التلقي من أفواه من جلسن إليهم خاصة بمكّة المكرمة من ذلك:

---

[1]، وقد زاد الفاسي في ذيل التقييد أنه سمع من عمته أم فاطمة وعائشة ابنتي القطب القسطلاني سداسيات الرازي وغير ذلك، وأنّه أجاز له البدر بن جماعة والعفيف الدِّلاصي وابن تيمية وغيرهم، للمزيد (انظر، الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 01، ص، 440).

[2]- السخاوي، **الدرر الكامنة**، ج، 04، ص، 228.

[3]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 03، ص، 185.

[4]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 06، ص، 235.

- فاطمة بنت القطب القسطلاني[1]، وأختها عائشة بنت القطب القسطلاني[2] من أصول الفرع الأول للأسرة، وقد اشتهرتا بمدارسة علم الحديث بمكّة، إضافة إلى منحهما الإجازة العلمية للعلماء والطلبة، وإلباس خرقة التصوّف[3] التي أخذتاها من أبيهما القطب القسطلاني.
- **زينب بنت الضياء محمد بن عمر بن محمد بن عمر القسطلاني(ت:727 هـ/1326م)**

هي من أصول الفرع الثاني للأسرة، ذكر الفاسي عبارة "وما علمتها حدّثت "لكنّ ابن رافع بن هجرس السلامي(ت: 774هـ/1374م) ذكر في معجمه، أنّها أجازت له[4].

[1]- اطّلع على ترجمتها عند الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 08، ص، 286، ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ص، 03، ص، 227؛ كحالة عمر رضا، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط، 1379هـ، 1959م، ج، 04، ص، 96.

[2]- اطّلع على ترجمتها في، الفاسي، **العقد الثمين** ج، 08، ص، 270، كحالة، **المرجع نفسه**، ج، 03، ص،185.

[3]- مثلا عائشة القسطلانية نجد أنّها ألبست حفيدها إمام الدين أحمد بن محمد بن محمد بن القطب (ت، 776هـ) الخرقة. (انظر، ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج، 01، ص، 355)

[4]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 08، ص، 235.

شجرة عائلة القسطلاني التي نشطت بمكّة خلال القرون (07-08-09) للهجرة[1]

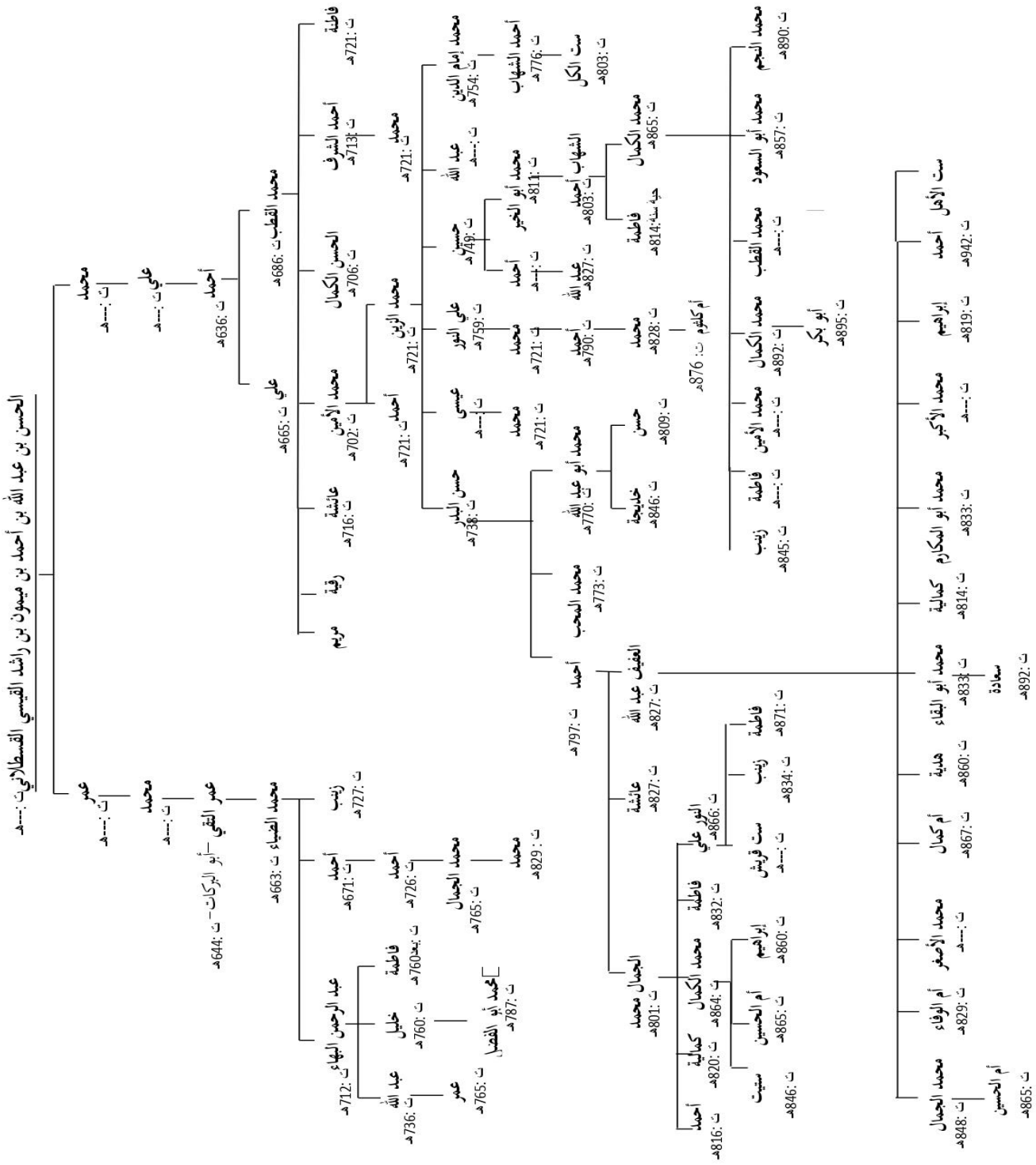

[1]– استعنت في رسم شجرة النسب برسالة صالح يوسف معتوق المعنونة بـ، "**علم الحديث في مكّة المكرمة خلال العصر المملوكي**"، ص، 178.

2- ثانيا أسرة الفاسي:

أصولها:

يرجع نسب الأسرة إلى الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ معتمدا في ذلك على ما ذكره صاحب العقد الثمين عن نسب أسرته، واعتمادا على ما هو موجود في كتابه ذيل التقييد حينما ترجم لنفسه فقال: محمد بن أحمد بن علي بن محمد ...إلى أن يصل إلى عبد الله بن إدريس[1] بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله ﷺ[2].

وأول من نزل من الأسرة إلى الحجاز من بلاد المغرب هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الإدريسي[3] أبو عبد الله الفاسي[4]، كان ذلك سنة 686هـ حينما قدمها للحجّ، ثمّ استوطن مكّة في السنة التي تليها أي 687هـ، وسمع بها عن جماعة من شيوخها العلماء هو وأولاده، وأخذ عنهم العلم من أمثال الشيخ محب الدين الطبري المكي(ت:694هـ/1295م)، الفقيه أبو محمد عبد الله بن عبّاد إضافة إلى بعض العلماء المجاورين لمكّة والوافدين إليها[5]، واستمرّ في تحصيله

---

[1]- إدريس هذا حسب كتاب جمهرة أنساب العرب، هو أول من بنى مدينة فاس (المغرب)، ويضيف صاحب الطبقات أنّ إدريس هذا من أبناء عبد الله بن الحسن بن الحسن، انظر، ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، تح وعناية، ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر، ط، 1368هـ، 1948م.، ص، 43.

[2]-الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 01، ص، 100، 101؛ وانظر، معتوق صالح يوسف، **علم الحديث في مكّة المكرمة خلال العصر المملوكي (648هـ-923هـ)**، رسالة دكتوراه في فرع الكتاب والسنة، إشراف أد، أبو ضيف مجاهد حسن، قسم الكتاب والسنّة بكلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1407هـ.ص، 183.

[3]- نزيل مكّة، ولد في سنة 644هـ، وتوفي في صفر سنة 719هـ. (ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج، 04، ص، 181.

[4]- **الفاسي**، بفتح الفاء وفي آخرها السين المهملة، وهذه نسبة إلى فاس، بلدة بالمغرب في أقصاها تقارب سبتة، وهي مدينة عظيمة يسكنها الصالحون وعامتهم من حفظة القرآن، على مذهب الإمام مالك بن أنس وهي على طرف الأندلس (انظر، السمعاني أبو سعد عبد الكريم، **الأنساب**، تصحيح وتعليق، عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط، 01، 1397هـ، 1977م، ج، 10، ص، 131، 132).

[5]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 372.

العلمي هذا حتى نبوغه فيه وارتقاؤه لمرتبة "المحدّث" بمكة فيما بعد، ثمّ انتقل إلى المدينة المنورة وحدّث بها ببعض مروياته واستفاد منه جمع في العلم من أمثال المحدّث عز الدين الزرندي نزيل الحرم النبوي[1].

الطبقة الأولى من الأسرة:

كان لأبي عبد الله الفاسي خمسة أبناء ثلاثة ذكور هم: محمد أبو الخير (ت:747هـ/1346م)، وأحمد أبو المكارم (ت:753هـ/1353م)، وعلي (ت:769هـ/1369م)، وابنتين فاطمة الأولى (ت: بعد727هـ/1327م)، وفاطمة الثانية (بعد 770هـ/1370م)، وقد حرص أبوهم أبوعبد الله على تعليمهم حتى وصل بهم إلى مصاف العلماء. وكوّنوا بفضل مصاهراتهم مع أهل مكّة أسرا استطاعت مواصلة امتدادها العلمي والحضاري وحتى الاجتماعي، وذلك خلال القرن الثامن والتاسع الهجريين كما سنرى.

ومن أبناء الأسرة الذين ذاع صيتهم في المجال العلمي، وقد وفّقتُ في إحصاء من كان له حضور ونشاط بمكّة وحتى المدينة التي ربما ولد بها أحدهم أو هاجر إليها مدة أو بقي مجاورا بها إلى إن وافاه الأجل ومنهم:

أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي عبد الله الفاسي، المكي المالكي، الملقب بالمحب (ت:747هـ/1347م):

سمع بمكّة "أربعين المحمدين" للجيلاني، و"جزء ابن عرفة" -بحضور والده محمد على يحيى الطبري وعلى الفخر التوزري "الصحيحين، و"السنن الأربعة"، وسمع "صحيح البخاري" و"صحيح ابن حبان" على الصفي والرضى الطبريين، وغيرهم من شيوخ مكّة والقادمين إليها، وسمع أيضا بالمدينة كتاب "العوارف" للسهروردي على والده، وعلى المحدث عز الدين بن الحسن الزرندي وغيرهما في مجال الحديث النبوي. وتدرّج في سلم الارتقاء المعرفي حتى أصبح يحدّث بمكّة، وقد روى عنه ابنه مفتي الحرم، تقى الدين الفاسي.

[1]- الفاسي، **المصدر السابق**، ج، 02، ص، 366.

أمّا فيما يخصّ مجال القراءات فقد تلا على مقرئها العفيف الدِّلاصي بالرّوايات بمكّة المكرمة وسمع منه، وعلى قرأ على الشيخ أبي عبد الله محمد بن إبراهيم القصرى، وتفقّه في العلوم. وسمع منه جماعة من الأعيان، وقد أثنى عليه ابن فرحون في كتابه" تاريخ المدينة المنورة" وذكر أنّ له اشتغالا بالمذهب المالكي مكّنه ذلك من التدريس والإلقاء والإفادة فدرّس واشتغل في التدريس[1].

أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن على الحسنى، أبو المكارم بن أبي عبد الله الفاسي المكي(ت:753هـ/1353م)[2]:

سمع على أبيه: "العوارف" للسهروردي، و"الفصول" للقسطلاني، و"فضائل الترمذي" و"جزء البانياسي"، وسمع على الفخر التوزري "صحيح مسلم" و"سنن النسائي"، وعن أبي عبد الله بن قطرال، وعلى فاطمة وعائشة ابنتي القطب القسطلاني، وعلى غيرهم من الشيوخ القادمين إلى مكّة[3].

علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن، الشريف نور الدين أبو الحسن بن الشريف أبي عبد الله الفاسي، المكي (ت:769هـ/1369م):

ولد سنة 708هـ، بدار مظفّر من السّويقة بمكّة، وأحضره والده صبيا (ذو الأربع سنوات) إلى شيوخ مكّة، فلازم سماع الحديث بمكّة من أفواه العلماء حيث قرأ "الموطأ" و"صحيح مسلم" على الشيخ فخر الدين التوزري، و"صحيح البخاري" على الصفي الطبري وأخيه الرضى و"مسند الشافعي"، و"اختلاف الحديث"، و"صحيح ابن حبّان" على الرضىّ فقط، وسمع عليه أيضا "صحيح البخاري"، و"جامع الترمذي"، و"سنن أبي داود" و"النسائي" و"الثقفيات"، وعلى

[1]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص، 114، 115.

[2]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 03، ص، 109.

[3]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 01، ص، 252.

العفيف الدلاصي "رسالة القشيري"، وعلى والده: "العوارف للسهروردي"، وسمع على غيرهم من شيوخ مكّة والقادمين إليها هذا في جانب تلقي علم الحديث[1].

نجده يفيد في علم الحديث وأسماء رجاله وأسانيده طلبة العلم طيلة مكوثه بمكّة، وقد لزمه في السماع بمكة الحافظان أبو الفضل العراقي، وأبو الحسن الهيثمي وغيرهما[2]. وما تجدر الإشارة إليه ها هنا أنّه رغم ما تلقّاه من كمٍّ هائل في علم الحديث، لكنّه حدّث بالقليل من مروياته فقط، لتوقفه عن التحديث بمكّة طبعا لسبب[3]، وممن كان له الفضل في إدراجه للتدريس بالحرم المكي هو بدر الدين الخروبي (أحد تجار الكارم)[4]، وهذه دلالة على أنّ تجار مصر آنذاك كانت لهم وجاهة ونفوذ عند أمراء الحجاز، لأنّهم كانوا على قدر عال من العلم والثقافة، ومن المواظبين أيضا على حضور المجالس العلمية بمصر والحجاز، إضافة إلى ذلك كانوا يساهمون بالمال لأجل الارتقاء بالحياة الاجتماعية والثقافية، وتشييد المساجد ومساعدة المحتاجين من أمثال نور الدين علي الخروبي أخو السابق الذي ساهم بألف درهم فضة لعمارة الحرم المكي[5]، أفلا يحق له التوسط لتوظيف علي الفاسي في الدرس بالحرم المكي.

---

[1]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 03، ص، 186؛ الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 06، ص، 236، 237؛ المقريزي، **درر العقود الفريدة**، ج، 02، ص، 500، 501.

[2]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 03، ص، 187.

[3]- السبب في امتناعه عن التحديث في مكّة كان احتراما وإجلالا لشيخه المحدّث خليل بن عبد الرحمن القسطلاني المالكي الذي كان محدث مكّة وقتها، فقال صاحب الترجمة، هو أولى بذلك أي أولى بالتدريس منه فقدم شيخه على نفسه، وهذا الموقف يقدم لنا صورة رائعة لطالب العلم الذي يعلي من قدر شيخه ومعلمه ويؤثره على نفسه، لا كما نراه اليوم من سوء الأدب أعاذنا الله من ذلك. (انظر، الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 06، ص، 236).

[4]- **تجار الكارم**، هم فئة من التجار السودانيين المشهورين ببيع البهارات الهندية، لكنّهم في الأصل من بلاد الكانم الإسلامية الواقعة قرب بحيرة تشاد جنوب الجزائر، ثمّ حُرّفت الكلمة من الكانم إلى الكارم فيما بعد، وبقيت هذه الصفة من الكلمة تلازمهم (للمزيد انظر، القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج، 04، ص،32).

[5]- القحطاني منيرة بنت مدعت، **تجار الكارم ودورها في تحقيق التواصل الحضاري بين مصر والعراق في عصر المماليك**، مجلة عصور (مجلة علمية محكمة) مج، 15، ع، 30، 31، جويلية، ديسمبر 2016، ص، 17.

نعود إلى علي بن محمد الفاسي (ت:769هـ/1369م) الذي تقلّد وظائف هامّة بمكّة كالقضاء والنظارة كما سنرى في المبحث القادم، غير أنّ الملاحظ على علي الفاسي هذا أنه كان كوالده أبي عبد الله، حيث لم تذكر لنا كتب التراجم والطبقات تدوينه للمؤلفات، بل كان مهتمّا بتدوين التعاليق عليها الأمر، الذي مكّن حفيده المؤرخ التقي الفاسي من الرجوع إليها أثناء ترجمته لمعاصري جدّه[1].

الطبقة الثانية:

في هذه الطبقة سأركّز في دراستي على ثلاثة شخصيات هم "منصورة" و"أحمد شهاب الدين" من أبناء محدّث مكّة الشهير علي بن محمد السابق، والثالث هو "عبد الرحمن بن أبي الخير"، فقد كان لهم إسهام علمي متميّز، خاصّة أحمد الشهاب والد مؤرخ مكّة الشهير: تقي الدين الفاسي، وعبد الرحمن بن محمد.

1- **منصورة بنت الشريف علي بن محمد** بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي: تدعى أم عبد الله المكية وتسمى فاطمة، جدّها لأمّها أبو عبد الله محمد بن علي بن يحي الغرناطي وهو من علماء المغرب المجاورين بمكّة وذاع صيته بها، سنراه في مباحث قادمة.

كانت ولادتها سنة 733هـ بمكّة، وحصّلت على الإجازة من علماء مكّة ومصر والشام كأبي بكر الرضي وزينب بنت الكمال، واستطاعت هي الأخرى الإسهام بنصيبها المعرفي بمكّة، فكانت لها مشاركات علمية ورّثت من خلالها العلم في مكّة المكرمة، وكان التقي الفاسي ممن نال أجازتها[2].

[1]- الدامغ فهد عبد العزيز، **تقي الدين الفاسي ومنهجه في التدوين التاريخي**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف أد، أحمد غنيم أبو سعيد، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية بجامعة أم القرى، السعودية، سنة، 1412هـ، ص، 60.

[2]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 08، ص، 318.

2- **أحمد الشهاب أبو العباس والد تقي الدين الفاسي:** أحمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن، القاضي شهاب الدين أبو العباس المكي(ت:819هـ/1419م):

تشيّخ في الفقه والنحو بالشيخ أبي العباس بن عبد المعطي المكي النحوي، أخذ الإذن في الإفتاء من الشيخ موسى المراكشي المغربي.

شارك والد التقي الفاسي في مجالات عديدة في الحديث والقضاء وغيرها من الأمور التي تتطلّب شرحا أرجئه إلى مبحثنا الموالي المرتبط بتأثيرهم العلمي في الحجاز. وقد جاور أبو العباس بالمدينة أوقاتا كثيرة وكانت له مكانة خاصّة عند ولاتها وقضاتها، كما أنّه أتحف مكّة بمدائح نبوية للمصطفى ﷺ سأحاول الإشارة إليها في حينها.

ومما يحسب لأبي العباس وولده التقي الفاسي، هو مصاهرته لأمير مكّة حسن بن عجلان في ابنته أم هانئ[1]، فكان لتلك المصاهرة مساهمة فعّالة في صقل شخصية ابنه العلمية والسياسية أيضا فيما بعد، وكان لها أثرا معنويا في شخصية التقي الفاسي، ومكانته الاجتماعية بمكّة والحجاز كلّها.

3- **عبد الرحمن بن محمد أبي الخير الفاسي (ت:805هـ/1405م):**

من علماء وفقهاء الحرم المكي خلال القرن الثامن الهجري، كان متصوّفا زاهدا، ونلمس ذلك من خلال الخرقة التي ألبسها إيّاه والده أبو الخير خلال سنة 747هـ، إضافة إلى تصوّفه منذ الصغر نجده أيضا يهتم بالحديث والفقه معا أثناء بدايات تعلّمه أي منذ الخامسة من عمره، فنجد والده يقحمه في علم الحديث والفقه معا حيث قرأ "أحاديث مسند ابن عباس" من مسند الإمام أحمد بن حنبل على ابن النحاس[2]، و"جامع الترمذي" على القاضي عز الدين ابن جماعة وشهاب الدين أحمد الهكاري وغيرهما، وقرأ الفقه أولا على والده الذي سمع عليه بعض "الموطأ" برواية يحي بن يحي الليثي، ثمّ فيما بعد تفقّه بخليل القسطلاني المالكي، وموسى المراكشي المالكي

[1]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 01، ص، 208.

[2]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 05، ص، 58.

الذي أطال ملازمته لسنين، وتصدّر بعد للفتوى والتدريس بمكّة[1]، وكان القاضي شهاب الدين النويري(ت:827هـ/1427م) ممن نال حظوة التفقّه عليه بمكّة[2]، وكذلك الإمام السخاوي سمع منه "الموطأ" وغيره، وقال أنّه انتفع به في معرفة المذهب المالكي[3].

الطبقة الثالثة:

وهم الذين حملوا المشعل وأناروا الحياة العلمية بمكّة والمدينة من خلال إسهاماتهم خلال القرن التاسع للهجرة من أبناء محمد الولي بن أحمد أبو المكارم (ت:796هـ/1395م)، وأبناء عبد الرحمن بن محمد أبو الخير (ت:805هـ/1405م)، وأبناء أحمد الشهاب بن علي (ت:819هـ/1420م) سأقتصر في الدراسة عل اثنين المشهورين من أبناء أحمد الشهاب فقط، وباقي العلماء سأكتفي بذكر الاسم مع الصفة أو اسم الشهرة لديه بمكّة كما سيأتي:

أولا: أبناء محمد الولي بن أحمد أبو المكارم (ت:796هـ/1395م):

من أبناء هذا العالِم المغاربي نجد أوّلهم المحيوي عبد القادر (ت:827هـ/1426م) غير أنّي لم أجد له نشاطا علميا ماعدا استخلاف أخيه عبد اللطيف الآتي ذكره في القضاء بمكّة إذا غاب، والثاني هو عبد اللطيف(ت:853هـ/1452م) الذي سمع من شيوخ عصره، ما أهّله لإمامة المقام الحنبلي بعد وفاة ابن عمّه علي بن عبد اللطيف سنة 806هـ، واستطاع أن ينظّم لنا التقي بن فهد مصنّفا ضمّ فيه مشيخة السابق، دلّ ذلك على سعة اطلاعه على العلوم التي أخذها عن مشايخه، لعلّ هذا المخزون العلمي ساهم في اعتلائه منصب القضاء بمكّة سنة 809هـ- كون هذا المنصب لا يتولاه إلا المقرئ الحافظ الفقيه المحدّث الأصولي كما هو معلوم لأنّه منصب سام يشبه منصب الحاكم إن صدق التشبيه- ثمّ ألحق به قضاء المدينة المنورة سنة747هـ واستمر فيهما إلى أن وافاه أجله، ثمّ خلفه من بعد وفاته ابنه عبد القادر (ت: 898هـ/1496م)، وقد اشتهر أيضا باسم القاضي الحنبلي أو بقاضي الحرمين الحنبلي لأنّه الثاني

[1]- الفاسي، **المصدر السابق**، ج، 05، ص، 58.

[2]- بن تغري بردي جمال الدين، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، تح، د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ط، 1984، ص، 401.

[3] - السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 04، ص، 149.

بعد والده عبد اللطيف الذي أسندت إليه مهمّة تولي قضاء مكّة أولا، ثمّ في سنة 755هـ أضيفت إليه مهمّة قضاء المدينة فأصبح أول مغربي يولّى قضاء الحرمين معا وفي آن واحد[1]، وكان إماما مقرئا، حيث أخذ القراءات السبعة عن شيخه عمر الحموي النجار، ولشدّة علمه وذكائه أسندت إليه مهمة التدريس بالمدرسة البنجالية، ثمّ بالمدرسة الأشرفية[2]، وساهم في تفقّه العديد من الأعيان في الفقه والعربية والمعاني والبيان والقراءات، أضف إلى ذلك توسّعه في النظم والنثر.

ثانيا: أبناء عبد الرحمن بن أبي الخير محمد الفاسي(ت:805هـ/1405م):

لم أعثر في كتب التراجم والطبقات على نشاط لأبناء عبد الرحمن عدا ابنه محمد أبو عبد الله(ت: 823هـ/1422م) الذي وجدت أنّه حدّث بالإجازة عن شيوخه، وأنّه أولى عنايته واهتمامه بالفقه الذي أخذه عن والده وعن الشيخ موسى المراكشي، وأحيانا كان المراكشي يخلفه في تصديره بالمسجد الحرام[3]

1- محمد التقي بن أحمد الشهاب (ت:832هـ/1433م)

2- أبو الشفاء عبد اللطيف بن أحمد بن علي الفاسي المكي الشافعي (ت:822هـ/1421م)

جوّد وحفظ القرآن بمكّة، وصلى به التراويح في مقام الحنابلة من المسجد الحرام سنة 791هـ، ثم أقبل على درس العلم فلازم العز بن جماعة في الفقه والأصلين والتفسير والعربية والمعاني والبيان والمنطق[4]، ثمّ لازم الجمال بن ظهيرة كثيرا فانتفع به في الفقه وغيره، وانتفع بالفقه من شيخه الأبناسي الذي منحه الإذن في التدريس بالحرم الشريف، فدرّس بالحرم وأفتى وكان مجيدا في الإفتاء والتدريس والفهم والكتابة، ولشدة براعته ونباهته رُشّح لتولي الإعادة بالمدرسة المجاهدية لكنّه لم يستطع مباشرتها كونه كان بمصر[5].

---

[1]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص، 52.

[2]- السخاوي، **المصدر نفسه**، ج، 03، ص، 53.

[3]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 114، السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 08، ص، 40.

[4]- الداوودي شمس الدين محمد، **طبقات المفسّرين**، راجعه، لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 01، 1403هـ، 1983م، ج، 01، ص، 352.

[5]- السخاوي، **المصدر نفسه**، ج، 01، ص، 322.

شجرة عائلة الفاسي التي نشطت بمكّة خلال القرنين (08-09) للهجرة [1].

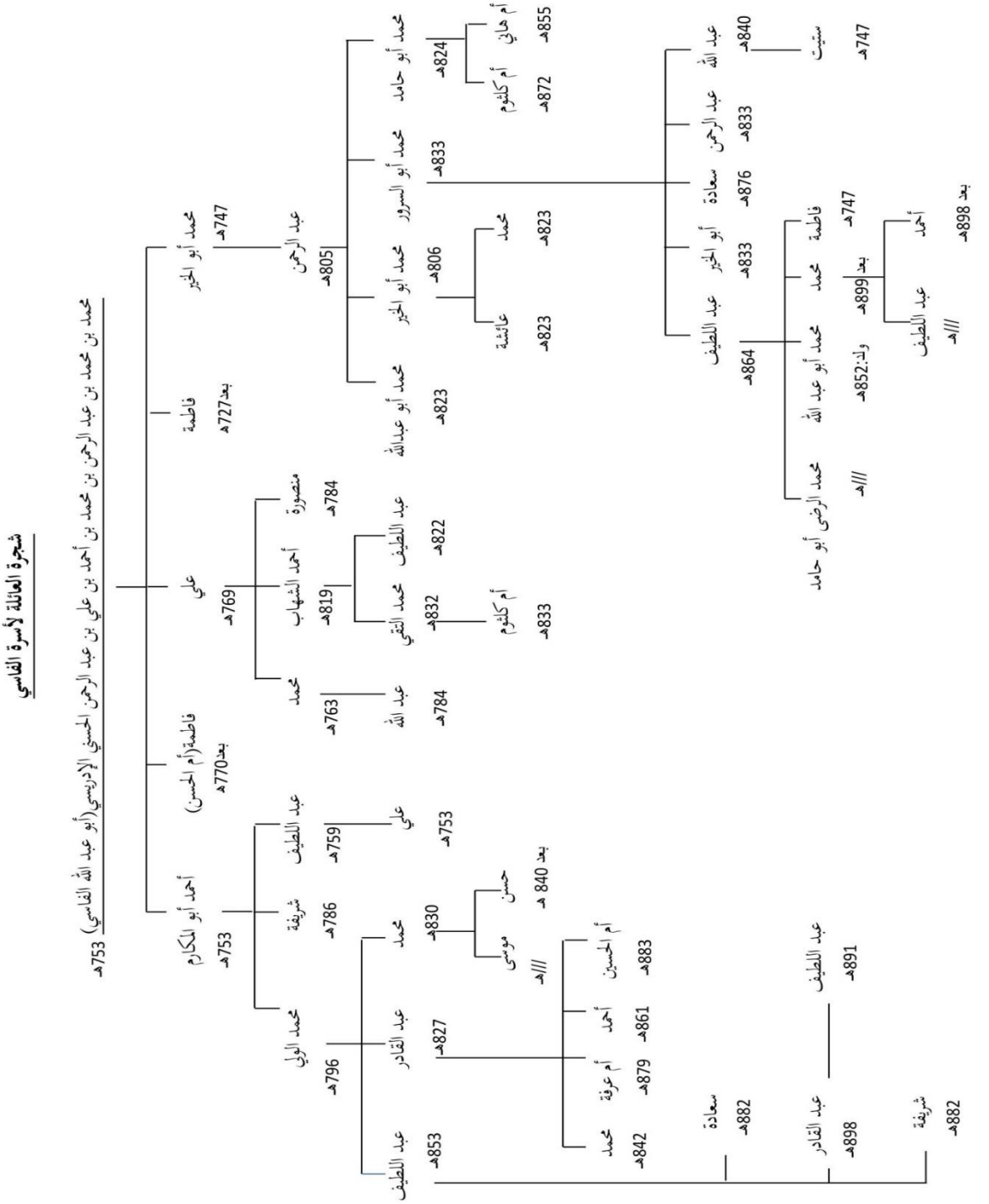

[1]- استعنت في رسم الشجرة برسالة، "**علم الحديث في مكّة المكرمة خلال العصر المملوكي**" لصاحبها، صالح يوسف معتوق، ص، 186.

❖ المبحث الثالث

الإسهامات العلمية للأسر المغربية في الحجاز

1- إسهامات الأسر العلمية في المدينة المنورة

أولا: إسهامات أسرة ابن فرحون:

استطاع علماء هذه الأسرة العلمية وضع بصماتهم، وتدوين تراثهم بأحرف من ذهب طيلة قرنين من الزمن، وأقصد بذلك القرن الثامن والتاسع هجريين، واستنادا إلى حديث أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ الذي يقول فيه "...إنّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنّ الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنّما ورثوا العلم.."[1] فقد استطاعت نخبة هذه الأسرة العلمية إثراء الحياة العلمية بالمدينة بزاد وفير من المعارف الشرعية المتنوعة، كعلم القراءات والتفسير والحديث والفقه وغيرها من العلوم المتنوعة خاصّة في الجانب الشرعي منها، فلا نكاد نعرج على مجال إلا ونجد فذا من أفذاذ هذه الأسرة متصدرا له أو له باع فيه. وسأحاول في هذا المبحث تسليط الضوء على جوانب علمية معينة سعينا إلى استخراجها من بطون الكتب والمصنفات التي اهتمّت بتراجم أولئك العلماء، واستطعنا الوصول إليها بواسطة التقصي والبحث عن المعلومة وفق التصنيف الآتي:

أ/ في مجال العلوم الدينية:

- في مجال العلوم الدينية سطع نجم أفراد من هذه الأسرة في مجال علوم القرآن والحديث والفقه والقضاء، وأبدأ حديثي بمجال علوم القرآن وفي مجال علوم القرآن حيث نجد مشاركة للعالم

[1]- حديث صحيح رواه ابن ماجة في سننه، انظر، ابن ماجة، **سنن ابن ماجة**، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى الحلبي، د ت ط، ج، 01، ص، 81، (حديث رقم 227).

برهان الدين ابن فرحون (ت:799هـ/1398م)، الذي أجاز القراءات لبعض طلبته من أمثال ابن علبك إِبْرَاهِيم بن أَحْمد بن غَنَّام البعلي الْمدنِي(ت: بعد819هـ/1418م)[1]، والخجندي إبراهيم بن أحمد(ت:751هـ/1350م) الذي سمع عليه القراءات أيضا بالمدينة[2].

- وفي مجال التفسير، فنجد البدر بن فرحون المفسّر كفيل بملء هذا الجانب العلمي، لأنّ شهادته على نفسه أكبر دليل حينما قال: "لازمت تفسير ابن عطية حتى كدت أحفظه"، وقد ألّف فيه مصنفا سمّاه "نهاية الغاية، في شرح الآية"[3]، وهو عبارة عن أسئلة وأجوبة عن آيات من القرآن الكريم.

- وفي مجال الحديث النبوي وعلومه فقد تزيّنت الأسرة بشخصية علمية فريدة من نوعها، هو عبد الله بن فرحون الملقب بالبدر بن فرحون (ت:769هـ/1368م) السابق، وقد لقّب بقاضي المدينة ومؤرخها كما هو آتٍ، وعلى ذكر هذه الشخصية الهامّة في تاريخ المدينة فقد استطاع الشريف ابن سكر[4] المصري (نزيل مكة) أن يجمع لنا مشيخة للبدر ابن فرحون ضمّت جميع مروياته وشيوخه الذين تتلمذ عنهم[5]، إذن فهذه الشخصية العلمية استطاعت الإسهام في

---

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 01، ص، 22.

[2]- السخاوي، **المصدر نفسه**، ج، 01، ص، 24.

[3]- ابن فرحون إبراهيم، **الديباج المذهب**، ج، 01، ص، 457.

[4]- **ابن سكر**: هو شمس الدّين أبو عبد الله محمد بن علي... البكري بن سكر الحنفي المصري، نزيل مكة. ولد سنة 718هـ، وطلب الحديث والقراءات، وسمع ما لا يحصى من خلق، وجمع شيئا كثيرا، سمع منه ابن حجر بمكة وقد أقرأ القراءات بها. وكان ضابطا للوفيات، محبا للمذاكرة. مات في صفر 801هـ، الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 202؛ وانظر ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج، 02، ص، 207؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 08، ص، 196؛ ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب**، ج، 09، ص، 23، 24.

[5]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 406.

علم الحديث من خلال مشاركته في التحديث بالمدينة المنورة من ذلك أنه حدّث بالخلعيات[1] عن البغوي بقراءة المحدّث نور الدين البغوي[2]، كذا تحديثه بكتاب "الأنباء المبينة عن فضل المدينة "[3]، قد حدّث به عن الرضي الطبري والشرف أبي بكر محمد بن عبد الحميد القرشي المصري الشافعي إجازة منهما في سنة 717هـ كما ذكر ذلك صاحب التحفة اللطيفة، وكِلا الكتابين السابقين كان يحدّث بهما، فكان يسمعهما منه أهل العلم وطلبته بمسجد رسول الله ﷺ، وبالروضة الشريفة أيضا أين كان يعقد بهما معظم حلقاته العلمية والتدريس، وممن حمل عنه علم الحديث نذكر "الزين أبوبكر المراغي"[4]، وعبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الناصر الزين أبو محمد الصبيبي- نزيل الحرمين- فقد سمعا منه كتاب "صحيح البخاري" سنة 757هـ[5]،و كذلك نجد عبد الرحْمن بن أَحْمد القلقشندي الشَّافِعِي الذي حجّ سنة 757هـ وسمع عليه بالمدينة المنورة كتاب "الأنباء المبينة"[6]، وسمع عليه بالمدينة أيضا الفقيه أحمد أبو زرعة الكردي المعروف بابن العراقي (ت:826هـ/1425م)[7] وقد اشتهر عليه كثرة السماع والشيوخ[8] بالحرمين.

---

[1]- **الخلعيات**: مصطلح يطلق على كتاب " **الفوائد المنتقاة الحسان من الصحاح والغرائب المعروفة بالخلعيات** لمؤلفه، علي بن الحسن بن الحسين الخلعي أبو الحسن (405-492هـ) تخريج أحمد بن حسن الشيرازي.

[2]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 404.

[3]- **الأنباء المبينة**: هو كتاب بعنوان **الأنباء المبينة عن فضل المدينة** لمؤلّفه القاسم بن علي بن عساكر (ت، 600هـ).

[4]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 404.

[5]-السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 04، ص، 140.

[6]- السخاوي، **المصدر نفسه**، ج، 04، ص، 47.

[7]- العراقي أحمد ولي الدين، **تحرير الفتاوي على التنبيه والمنهاج والحاوي المسمى النكت على المختصرات الثلاث**، تح، عبد الرحمن فهمي محمد الزواوي، دار المنهاج، بيروت، لبنان، ط، 01، 1432هـ، 2011م، ج، 01، ص، 33.

[8]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 01، ص، 337.

على الرغم من كبر سنّ المحدّث البدر بن فرحون لكنّه آثر منهج الترقي في سلم الوصول إلى أعلى مقامات المحدثين بالمدينة، فعن ابن أخيه إبراهيم بن علي صاحب الديباج أنّه " انفرد آخر عمره بعلو الإسناد فلم يكن بالمدينة أعلى منه سندا "[1]، والفضل في ذلك يعود إلى والده وجماعة من علماء المدينة المنورة الذين تتلمذ على يديهم وأخذ عنهم علم الحديث[2]، مثلما رأينا ذلك فيما سبق.

وكان لهذا العالِم تآليف في علم الحديث وغيره على أن أُأَجِّل ذكرها، ودراسة مضامينها إلى الفصل الرابع والأخير من هذه الرسالة.

لقد كان هذا العالم فارس وقته بكل ما تحمل الكلمة من معنى في الحديث، وفي مجالات عدة.

- عَلَم آخر دوّن اسمه في باب علم الحديث هو نور الدين علي بن محمد بن فرحون (ت:746هـ/1345م) الذي تلقى مبادئ علم الحديث من والده، ومن الشيخ المغربي الأصل أبي عبد الله بن حريث وعلى الشيخ عز الدين الزرندي وجمال الدين المطري والوادي آشي[3]، وكوكبة من علماء الحديث بالمدينة المنورة، حيث ساهم مع أخيه البدر السابق في علم الحديث بمدينة رسول الله ﷺ وقد قدّم لنا ابنه برهان الدين صاحب الديباج وصفا دقيقا لوالده فقال "إنّه كان محدثا متقنا ضابطا عارفا بضبط الحديث وأسماء رجاله ولغته"[4] ليس علم الحديث فقط بل كان بحرا جهبذا في علوم شتى أحاول صبّها في مظانها ومجالها، وكان من جملة ما اشتغل عليه في

[1]- ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج، 01، ص، 455وما بعدها.

[2]- سبق الإشارة إلى ذلك في المبحث الأول من هذا الفصل في ص، 130..

[3]- ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج، 02، ص، 124.

[4]- ابن فرحون، **المصدر السابق**، ج، 02، ص، 125.

الحديث شرحه لحديث أم زرع [1] المشهور عند علماء الحديث. له مؤلّف في الحديث كان يشتغل عليه بالمسجد النبوي كل جمعة وهو "الزاهر في المواعظ والأحاديث والذخائر"[2]، وقد أشار إليه أخوه البدر في تاريخه فقال أنه اشتمل على فوائد غرائب في مواعظه كان يلقيها بالروضة الشريفة كل جمعة بعد الصلاة بالمسجد النبوي[3].

وممن اشتهر أيضا في الحديث نجد برهان الدين ابن فرحون(ت:799هـ/1396م) فقد ذكر صاحب الضوء أنّ إِبْرَاهِيم بن أَحْمد الخجندي الْمدنِي الْحَنَفِيّ(ت:851هـ/1447م) قد سمع ختم الصَّحِيح عَلى البرهان ابْن فَرِحُونَ[4].

- في مجال الفقه ظهر علماء أسرة ابن فرحون بالمدينة المنورة، حيث نشطوا في مجال الفقه إبان القرن السابع إلى بدايات القرن الثامن للهجرة منهم: مؤسّس الأسرة وعميدها الشيخ محمد بن فرحون أبو القاسم (ت:721هـ/1320م) الذي كان يلقي دروس الفقه بالمدرسة الشهابية التي اتخذها سكنا له يوم استوطن المدينة وجاور بها بعد أن أُلزِم حضور الدروس مع بقية الطلبة القاطنين بها وكم كانت دهشتهم عظيمة لما كان يكتنزه من علمي الفقه والعربية وعظُم شأنه بين رفاقه وأحبوه ولزموه، واشتغلوا عليه بالفقه والعربية[5]، وكان بالمسجد النبوي يشار إليه بالبنان في الفقه، وقد أشار إلى ذلك ولده البدر حينما تطرّق لشخصية أبو الربيع الغماري فقيه المدينة

---

[1]- **حديث أم زرع:** هو حديث مشهور ذكرت فيه أم المؤمنين عائشة ﵂ ما مفاده أنّ عشرة نساء اجتمعن، وكل زوجة تدلي بمحاسن زوجها للأخرى، وقد ألّف العلماء في ذلك الكثير واستخرجوا منه فوائد عظيمة في الجانب الشرعي واللغوي أيضا، انظر، العسقلاني ابن حجر، **فتح الباري**، ج، 15، ص، 502، 503.

[2]- بدر عبد الباسط عبد الرزاق، **الحياة الثقافية في المدينة المنورة خلال العصر المملوكي**، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ع، 05، ص، 70.

[3]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 249.

[4]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 01، ص، 24.

[5]- ابن فرحون، **مصدر سابق**، ص، 244.

المنورة(ت:714هـ/1314م) وذكر أنّ أي مسألة فقهية تطرح عليه لا يبت فيها أمرا حتى يعرضها على الشيخ أبي عبد الله فيجتمعان ويقرّران معا في المسألة المطروحة، دلّ ذلك على تمكّنه وممارسته الفقه، وما يؤكّد ذلك توليه درس سلار[1] عوضا عن أبي الربيع الغماري[2].

ثمّ ورثه ابنه البدر في ذلك لأنه كان عالما عارفا بالفقه الذي أخذه عن والده وعن شيخه أبي عبد الله محمد بن علي الغرناطي الأندلسي المغربي كما أشرنا إلى ذلك في ترجمته، وللإشارة هنا أنّ ابن فرحون وابنه البدر كان لهما الفضل الكبير في تعزيز الفقه المالكي وانتشار المذهب المالكي في المدينة[3]،، وما يدلّ على علو كعبه في الفقه أنها انتهت إليه الرئاسة بالمدينة المنورة، فأقام مدرسا للطائفة المالكية، ومتصدرا الاشتغال والتدريس بالحرم النبوي بالمدينة أكثر من خمسين سنة[4].

ويحكي هو عن نفسه قائلا: "وكان لي في ظهور مذهب مالك ونشره بالمدينة عمل عظيم أرجو به من الله الثواب الجسيم والنعيم المقيم، إذ لم يكن له ظهور من قبل ذلك بسنين"[5]، ونذكر هاهنا لطيفة لا بد من ذكرها أنّ المذهب المالكي وأتباعه بالمدينة المنورة كانوا مهمّشين بالحرم النبوي، وأشار أنّه لاقى من الكيد والحقد والشر ممن كانوا يترصدون له ولوالده –أبي عبد الله– كي لا تقوم للمالكية قائمة بالمسجد النبوي والمدينة حسب قوله، لكن أبى الله إلاّ أن يتمّ نوره وتتأصّل جذور هذا المذهب بفضل الله أوّلا، ثمّ بفضلهما رحمهما الله.

[1]– من الدروس التي رتّبها الأمير سلار(744هـ/1343م) بالمسجد النبوي، ينظر، ابن فرحون، المصدر السابق، ص، 143.

[2]– السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 188.

[3]– ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص، 258.

[4]– السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 406؛ وانظر، ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج، 01، ص، 454.

[5]– ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 90.

كذلك اشتهر في هذا المجال أخوه نور الدين علي(ت:746هـ/1345م) فكان رحمه الله فاضلا في الفقه والأصلين، ولزم تعليم الفقه وتدريسه في المسجد النبوي[1]، وكانت له وجاهة عند العلماء وطلبة العلم، حيث نُقِل عن حجة العرب وترجمان الأدب الشيخ سراج الدين الدمنهوري[2](ت:752هـ/1351م) المجاور للمدينة المنورة سنة 745هـ أنّه إذا جلس للدرس يحثّ طلبته قائلا: "إذا حضر الفقيه نور الدين فأحضروا معكم الدواة والورق، حتى تقيّدوا من فوائده وأشعاره واستشهاداته"[3]، وقد وصفه بالفقيه وهي درجة استحقاق لا ينالها إلاّ من بلغ مبلغ العظماء في ذلك العلم، ويحكي عنه أخوه البدر أنّه لم يكن في زمانه بالمدينة والحجاز من برع براعته ولا ساد سيادته...، وكان يلقي درس الفقه في "مختصر ابن الحاجب" فيحضره الشيخ حسن الحاحائي، وعبد السلام بن غلام-[4] وهما مغربيا الأصل-وقد كانا على قدر كبير من الفقه بالمدينة المنورة ويتدارسان معه ويدقّقان معه في البحث ما دلّ على امتلاكه لذهن ثاقب وحفظ وإتقان جيد للمذهب المالكي كيف لا وقد كان لوالده وأخيه فضل انتشار مذهب مالك بالمدينة كما لاحظنا ذلك سابقا.

أضف إلى فقهاء الأسرة "برهان الدين" إبراهيم بن نور الدين علي السابق "صاحب الديباج" فقد كانت له أيضا مساهمة فعّالة في مجال الفقه، فكان يشار إليه في المدينة، وأخذ عنه جمع غفير من العلماء الموطأ سماعا من أمثال الكازروني جمال الدين الذي سمع عليه سنة 799هـ

[1]-، ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج، 01، ص، 454.

[2] - عمر بن محمد بن علي بن فتوح سراج الدين الدمنهوري المصري المقرئ الفقيه المفتي –شيخ القراء- (ت، 752هـ) أقرأ القراءات بالحرمين الشريفين وأفاد، وكان ضنينا بعلمه، توفي سنة 752هـ بمكة، **ينظر**، ابن الجزري شمس الدين، **غاية النهاية في طبقات القراء**، ج، 01، ص، 527.

[3]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 249.

[4]- ابن فرحون، **المصدر نفسه**، ص، 249.

الموطأ[1]، كذلك محمد بن أبي بكر المراغي الْمدنِي الشَّافِعِي (ت:843هـ/1439م) الذي سمع الموطأ رواية يحي بن يحي تاما سنة 789هـ[2]، وقد أحصى لنا صاحب التحفة ما يقارب الأربعة عشر شيخا أخذوا "الموطأ" سماعا وإجازة من البرهان، سأحاول تصنيفها في فصلنا القادم أضمّ فيه سماعات برهان الدين بن فرحون.

ب/ في مجال علوم اللغة:

في مجال اللغة العربية وعلومها قدّم ابن فرحون الوالد جهودا معتبرة بالمدرسة الشهابية حين كان قاطنا بها، واستطاع زملاؤه الاستفادة من علومه في العربية والفقه والأصول وعلوم عديدة حملها عن شيوخ بلده (بالمغرب) الذي أتى منه، ثمّ ورث عنه ذلك ابنه البدر بن فرحون فقد كان بارعا في العربية وعلومها حتى أنّ شيخه أثير الدين أبو حيان عالم زمانه في العربية وقف على كلامه في إعراب قصيدة البردة "بانت سعاد" في مدح الرسول ﷺ لصاحبها الصحابي الجليل كعب بن زهير والتي مطلعها:

بَانَت سُعَادُ فَقَلبِي اليَومَ مَبتُولُ مُتَيَّمٌ إثْرَها لم يُفَدْ مَكْبولُ

وَمَا سُعَادُ غَداةَ البَيْن إِذْ رَحَلوا إِلاّ أَغَنُّ غضيضُ الطَّرْفِ مَكْحُولُ

إلى أن يقول: لا يَقَعُ الطَعنُ إِلّا في نُحورِهِمُ ما إِن لَهُم عَن حِياضِ الموتِ تَهليلُ

[1]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 441.

[2]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 07، ص، 161.

وبعد أن رأى ما رأى وذلك من خلال إعرابه للبردة: "بانت سعاد" وكيف صال وجال فيها بعلمه، واتضح له براعة فكره ورجاحة عقله في إعرابها لها قدّم شهادة علو القدر والتمكّن له فقال عنه: "ما ظننت أنّه يوجد في الحجاز مثله (أي البدر بن فرحون) واستعظم علمه وأثنى عليه"[1].

لعل السائل يسأل هنا: من أين أوتي بكل هذا الفضل؟ والجواب قدّمه بنفسه حين أعلن أنّه اشتغل في علم العربية وهو ابن ثمان عشرة سنة[2] وقبل ذلك كان الملهم له منذ نعومة أظافره والده العالم "محمد بن فرحون" الذي منحه المبادئ الأولى في علم العربية حتى أصبح بارعا فيها، ولعل تآليفه في ذلك شاهدة على ذلك، وساهمت أيضا في كتابته للنظم والشعر، وقد وجدت له تراثا وتآليف في هذا المضمار منها [3]:

- "التيسير في علمي البناء والتغيير" في النحو، والباقي أدّخره إلى معلومات الفصل الأخير.

وختاما لما سبق ذكره من المعلومات فإنّه يمكن القول بأنّ أسرة ابن فرحون قد أدّت دورا هامّا ومحوريا في مجال العلوم الفكرية بالمدينة المنورة، وذلك من خلال اهتمامهم بعلوم القرآن وعلم الحديث والفقه وأصوله وعلوم اللغة بشقّيها (اللغوي، والأدبي)، وقد برز ذلك المجهود فعليا في عقدهم لحلقات التدريس والخطب ومساهمة بعض أفرادها في تعزيز المذهب المالكي بالمدينة المنورة، مما أسهم بشكل كبير ومباشر في ازدهار الحركة العلمية بالمدينة المنورة خلال الحقب التاريخية التي وجدوا فيها.

[1]- ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج، 01، ص، 455.

[2]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص، 09؛ السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص، 406.

[3]- ابن القاضي أبو العباس أحمد بن محمد، **ذيل وفيات الأعيان المسمّى درة الحجال في أسماء الرجال**، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، المكتبة العتيقة، تونس، ط، 01، 1391هـ، 1971م، ج، 03، ص، 51، 52.

2- إسهامات الأسر العلمية في مكة المكرمة:

أولا: إسهامات أسرة القسطلاني

هذه الأسرة كسابقتها إلاّ أنّ حضورها بمكة كان أكثر حضورا وعددا، واستمر إلى أن وصل إلى مصر حيث انتهى المقام بمؤسسها قطب الدين القسطلاني، حيث لم يخلُ تاريخها من اسهامات علمائها في المجال الديني والحضاري ابتداء من القرن السادس إلى غاية القرن التاسع للهجرة، سوف أحاول فيما يلي ذكر أهم الشخصيات مع التخصّصات العلمية التي ساهمت في رسم المكانة العلمية لهذه الأسرة.

أ/ مجال العلوم الدينية:

اتّفقت جميع المعلومات المبثوثة في بطون المصادر على أن هذه العائلة اختصّت برواية الحديث أكثر من أي علم آخر، فكان من شيوخها من اشتهر أو اهتمّ بعلو الإسناد (من خلال دراسة قام بها الأستاذ هشام صمايري أكّد فيها أنّ عدد علماء عائلة القسطلاني بلغ حوالي 103 عالما، وكان لـ 81 من أفرادها له عناية بالحديث والرواية)[1].

إن هذا الاهتمام بمجال علم الحديث، كان نتاج توفر ظروف توحّدت وتظافرت فيما بينها فصقلت شخصيات الأسرة بعلم الحديث أكثر من أي علم آخر، ومن بينها أنّ بلاد الحجاز الذي كان قبلة المحدّثين من بلدان عديدة تتجمّع فيها كوكبة علماء الحديث محيطين بمكة ينقلون

[1]- صمايدي هشام، **عائلة القسطلاني من خلال كتب التراجم والطبقات، محاولة في الإحاطة بصنف من النخب العلمية المهاجرة إلى المشرق ومكانتها في المجتمع**، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية (مجلة فصلية علمية محكمة تعنى بالبحوث الأكاديمية)، مج، 01، ع، 04، بتاريخ ديسمبر 2017، ص، 123.

ويتناقلون حديث النبي ﷺ، زاد ذلك حرص الأبناء على الانكباب على حب العلم وطلبه من منابعه، ومظانه.

في هذا الجوّ العلمي وهذا الزخم المعرفي الذي أصبحت مكة تنعم به، أصبحت عائلة القسطلاني منذ ظهورها خلال القرن السابع إلى ما بعد القرن التاسع الهجري، من أكبر الأسر العلمية بمكة وأعلاها قدرا ومكانة في تخصّص علم الحديث، والفضل كلّه يعود إلى الطبقة الأولى من أفرادها، وبخاصّة شخصيتين رئيسيتين، هما: تاج الدين علي(ت:665هـ/1266م) الذي أخذ مبادئ علم الحديث بمكة على يد يونس بن يحي الهاشمي، وزاهر بن رستم، وأبي عبد الله بن البنا[1]، ثمّ أصبح من المحدّثين الكبار بمكة، وساهم في منح علومه إلى الأعيان الذين نقلوا عنه حديث رسول الله ﷺ من أمثال أبي الفتح الميدومي الذي نال منه شرف الإجازة[2]. والشخص الثاني هو قطب الدين محمد(ت: 686هـ/1287م) الذي رأيناه أيضا تتلمذ في الحديث على الحافظ أبي الحسن علي بن البنا، وأبي العميد الحُفَيْفي إمام المقام، وغيرهما من كبار شيوخ الحديث الذين أجازوه في هذا العلم[3]، ثمّ نجده فيما بعد يورّث مروياته في علم الحديث لمن طلبوه حيث بدأ مسيرة تعليمه سنة 633هـ بالمسجد الحرام فحدّث ببعض مسموعاته وتصانيفه، فسمع منه الأعيان من أمثال الحافظ شرف الدين الدمياطي وأبي الفتح بن سيد الناس و قطب الدين الحلبي وأبي عبد الله الفاسي (عميد ومؤسّس أسرة الفاسي بمكة)، أضف إليهم أحمد بن هبة الله

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 06، ص، 136.

[2]- الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 06، ص، 136.

[3]- معتوق، **علم الحديث في مكة**، ص، 133.

القادري[1]، وفاطمة بنت محمد الدربندي[2] غيرهم، ولعل شهرة هذا العالم المحدّث هي التي دفعت بالأيوبيين بمصر لاستدعائه من مكان إقامته بمكة، إلى مصر لتولي "دار الحديث الكمالية" عقب موت ابن أخيه عبد المولى بن التاج منذ 636 هـ إلى حين وفاته سنة 665 هـ، كذلك برز في الأبناء من حمل مشعل علم الحديث حتى سمّي بشيخ الحديث بالحرم بمكة وهو أمين الدين محمد بن القطب(ت:704هـ/1304م) فبعدما أخذ الإجازة من جدّيه المحدّثين الأول من جهة أبيه أحمد بن علي(ت:636هـ/1236م) والثاني من جهة أمّه أبي البركات عمر التقي بن محمد(ت: 644هـ/1264م) اعتلى هو منصة التحديث والتدريس بالحرم المكي وبالمدرسة المظفّرية بمكة، وصار من كبار المحدّثين، وقد سمع منه أبو بكر بن عبد الحميد، والحافظان قطب الدين الحلبي، وعلم الدين البرزالي[3].

كذلك من وجد له نشاط في الحديث خلال القرن الثامن الهجري نجد الشهاب أحمد بن حسن بن محمد الزين (ت:797هـ/1396م)، فبعدما أجيز في الحديث من علماء مصر والشام، نجده يخطو على نهج أجداده ويحدّث ببعض مروياته، فروى عنه عالما مكة "التقي الفاسي" و"الجمال بن ظهيرة"[4]، وأيضا أبو الخير محمد بن حسين بن محمد الزين(ت:811هـ/1410م) الذي حدّث بمروياته فسمع منه التقي الفاسي أحاديث من سنن أبي داود، وحديثا من سنن الترمذي[5]، وقريبه قاضي القضاة الكمال محمد بن أحمد بن الجمال محمد بن أحمد بن حسن

---

[1]- ابن رافع، **الوفيات**، تح، صالح مهدي عباس، معروف، بشار عواد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط، 01، 1402هـ، 1982م، ج، 01، ص، 500.

[2]- ابن رافع، **المصدر نفسه**، ج، 01، ص، 175، 176.

[3]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 278.

[4]- معتوق، **علم الحديث بمكة**، ص، 331.

[5]- الفاسي، **مصدر سابق**، ج، 02، ص، 08.

(ت: 864هـ/1459م) المدرّس بالحرم المكي الذي أجاز للإمام السخاوي والنجم ابن فهد[1]، وأخذ أيضا عن أخيه المحدّث نور الدين علي بن محمد بن أحمد بن حسن كما ورد في المعجم[2].

من شخصيات الأسرة في مجال الحديث أيضا نجد محدّث مكة خلال القرن الثامن الهجري خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر التقي(ت:750هـ/1349م) –وهو من أبناء الفرع الثاني للأسرة– والمشهور بشيخ المالكية والمحدثين بالحرم الشريف[3]، وأمين الدين أبو المعالي ابن القطب (ت:702هـ/1302م) الموصوف بشيخ الحديث بالحرم، فقد ذكر عنه علم الدين البرزالي: أنّه قرأ عليه أحاديث من الثقفيات عن ابن الجمّيزي[4]، وأحمد بن محمد الزين القسطلاني المكي(ت: 790هـ/1388م) الذي قرأ على يديه محمد بن أحمد بن علي الحجازي شيئا من صحيح ابن حبان"[5].

وفي جانب الفقه نجد الأسرة تشارك في مكة بفقهائها وعلمائها من أمثال محمد الأمين القسطلاني (ت:702هـ/1302م) الذي سمع عليه القاضي جمال الدين بن فهد (ت:683هـ/1284م) الموطأ برواية يحي بن يحي الليثي[6]، وكذلك نجد أبا المعالي أمين الدين ابن القطب الذي كان له إلمام بالفقه والحديث أيضا، وذكر المؤلف أنّه حدّث بالمدرسة المنصورية

---

[1]- ابن فهد، **معجم الشيوخ**، تح، محمد الزاهي، منشورات دار اليمامة والنشر للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط، 01، 1402هـ، 1982م ص، 256، والسخاوي، **الدر الكمين**، ج، 01، ص، 279.

[2]- ابن فهد، **المصدر نفسه**، ص، 176.

[3]- ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج، 01، ص، 276.

[4]- الصفدي، **أعيان العصر وأعوان النصر**، تح، د. علي أبو زيد، وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط، 01، 1418هـ، 1998م.، ج، 05، ص، 110.

[5]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 01، ص، 56.

[6]- الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 01، ص، 143.

بمكة[1]، ونجد من الأسرة أيضا عبد الله بن أَحْمد بن حسن بن الزين مُحَمَّد بن الْأمين مُحَمَّد بن القطب الْقُسْطَلَانِيّ الْمَكِّيّ الشَّافِعِي المعروف بِابْن الزين(ت:827هـ/1426م) الذي كَانَ يذاكر بمسائل من الْفِقْه، وذكر أنّه ناب فِي الْقَضَاء بمرسوم الدولة المظفّرية أَحْمد بن الْمُؤَيد وَلَكِن لم يباشره كون المرسوم لم يَظْهر إِلَّا قبل مَوته فلم يتسنّ له المباشرة فيه[2].

ولم تقتصر الأسرة في نشاطها العلمي على ميدان الحديث فقط، بل تجاوزت ذلك ليلمس نشاطها ميادين أخرى، منها التصوّف والزّهد. وسأحاول الاقتصار في مجال التصوّف على ثلاث شخصيات مشهورة بلغوا في تصوّفهم درجة عالية إلى حدّ استقطاب وجلب المريدين إليهم أولهم: القطب محمد (ت:686هـ/1287م) فهو إلى جانب تبحّره في علم الحديث، كذلك يعتبر أحد أقطاب وأعلام التصوّف بمكة خلال القرن السابع الهجري، طبعا بحكم نشأته في بيئة صوفية وترعرعه في كنف أبيه، أبي العباس أحمد(ت:636هـ/1238م) الذي كان على درجة عالية من التصوّف بمصر حتى سمي بـ "زاهد مصر"، وأمّه "الولية الصالحة" زوجة الشيخ الصوفي أبي عبد الله القرشي –زوجها قبل أبي العباس- أضف إليهما الشيخ أبا حفص عمر السهروردي (ت: 639هـ/1241م) الذي سمع منه القطب كتابه "عوارف المعارف" ثم ختم ذلك بتلقيه خرقة التصوّف التي لبسها منه، ومن غيره من الشيوخ والقادمين إلى مكة[3]. كل هؤلاء كانوا على قدرٍ عالٍ من التّصوف والزّهد، وقد نقل القطب بدوره تصوّفه إلى ابنتيه

[1]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 01، ص، 244.

[2]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 05، ص، 05.

[3]- ابن فهد تقي الدين، **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ**، مطبعة التوفيق، دمشق، سوريا، ط: 1347هـ، ص، 55؛ وانظر، السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص، 486.

"عائشة"(ت:716هـ/1315م) و"فاطمة"(ت:721هـ/1321م) وألبسهما الخرقة المعتادة عند المتصوفين، إضافة إلى الرحالة ابن شيد السبتي الذي لبس منه الخرقة وهو بمكة[1].

وقد تتلمذ محمد قطب الدين القسطلاني على الشيخ السهروردي كالعديد من أعلام الصوفية في تلك الفترة، التي غلب عليها الفكر الصوفي، وهذه ميزة كانت تطبع الحياة العلمية في المشرق الإسلامي والحجاز على وجه الخصوص في خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، إضافة إلى التصوّف نجد قطب الدين يمارس مهنة القضاء أيضا حينما أسندت إليه المهمّة بمكة سنة 645هـ لكنّه توقف عن الاستمرار في ذلك.

ويبدو أنّ الشخصية الثّالثة من الأسرة هي شخصيتا عائشة وفاطمة ابنتا القطب اللتين تأثّرتا بأبيهما ولبستا منه الخرقة، وبدورهما منحتاها إلى الحفيد شهَاب الدّين أَحْمد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن القطب الْقُسْطَلَانِيّ (ت:776هـ/1374م)[2].

وواصلت العائلة تقديم العديد من الشخصيات المشهورة حتى أنّها ورّثت العلم إلى الرجال والنساء على حد سواء جيلا بعد جيل، فاشتهرت من الأسرة فاطمة (ت:721هـ/1321م) وعائشة (ت:716هـ/1316م) ابنتا القطب محمد بـ "سداسيات الرّازي"[3] في علم الحديث، فقد تواتر ذكر الرجال الذين أخذوا عنهما خلال القرن الثامن الهجري، ومن ذلك أحمد بن محمد

[1]- ابن رشيد السبتي، **ملء العبية**، ج، 05، ص، 314.

[2]- ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج، 01، ص، 355.

[3]- **سداسيات الرازي**: ونعني به "السداسيات المخرجة من سماعات ابن الحطاب أبو عبد الله الرازي (ت: 525هـ)"، وهو مخطوط قام بروايته وانتقائه وتخريجه عالم مصر الإمام الحافظ أبو طاهر السِلفي (ت:576هـ) بروايته عنه.

الفاسي المكي (ت:753هـ/1354م) فبعدما سمع من أبيه توجّه شطر عائشة وفاطمة ابنتا القطب القسطلاني فسمع "سداسيات الرازي"[1].

ب/ مجال علوم اللّغة والأدب:

لم يقتصر نشاط علماء أسرة القسطلاني في علم الحديث والفقه فقط، بل تعدّى الأمر إلى مجال علوم اللغة والأدب، حيث نجد أنّ العالم يتقن الكثير من العلوم، ويهتم بها بل يحق تسميته بالعالم الموسوعي، ولم تخلُ هذه الأسرة من الأدباء والشعراء على غرار الأسر العلمية الأخرى، ولعلّ أبرز العلماء من الأسرة في مجال الأدب واللغة نجد أحمد بن علي (ت:636هـ/1238م) والد قطب الدين القسطلاني الذي كان أديبا شاعرا، ووجدنا له نظما من بحر الطويل رواه عنه ابنه القطب يقول فيه[2]:

إذا اجْتَمَعَتْ في الـمَرْءِ خَمْسُ خَلاَئِقَ فقَدْ عُدّ في أَقْرَانِهِ مُتَقَدِّما

حياءٌ، وعِلْمٌ، ثُمّ جُودٌ، وعِفَّةٌ وخَامِسُها: التّقْوَى، فَكُنْ مُتَعَلِّما

ثمّ يأتي من بعده ولده قطب الدين (ت: 686هـ/1287م) وذكر عنه عنايته بالشعر، ومن شعره من بحر الطويل قوله[3]:

إذا كانَ أُنْسِي فِي التِزَامِي لخَلْوَتِي وقَلْبِي عَنْ كُلّ البَرِيَّةِ خَالِيا

فما ضرَّنِي مَنْ كَانَ لِي في الدَّهْرِ قاليًا ولا سَرَّنِي مَنْ كانَ فيَّ مُوالِيا

[1]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 01 ص، 252.

[2]- السخاوي، **المصدر نفسه**، ج، 01، ص، 191.

[3]- الذهبي، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تح، بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط، 01، 1424هـ، 2003م، ج، 15، ص، 578.

ومن شعره بمكة أيضا ما أنشد عنه إبراهيم بن محمد الصوفي بالحرم الشريف سابع عشر رجب سنة 805هـ نقلا عن الحافظ قطب الدين الحلبي أنّ الشيخ قطب الدين القسطلاني أنشده لنفسه من الطويل[1]:

ألا هلْ لِظِلٍّ بالأراكِ مَعَادُ وهلْ ذلكَ العَيشُ الـهَنِيُ يُعادُ؟

وهلْ زَائرُ الزّوْراءَ زائرُ أبْطُحٍ وخيفُ مُنَى دَارَ تحُلَّ سُعَادُ؟

وهلْ لطُوَى والـمَأزَمِينَ ومِشْعَرٌ تَدَانٍ فقَدْ أضْنَى الفُؤادَ بِعادُ؟

وهلْ مُدْنِفٌ باكٍ تَكَدَّرَ عَيْشُهُ وأقْلَقَهُ داعِي الغَرَامِ بِعادُ؟

وهلْ ذلِكَ السِّرُّ الذِي كانَ بَيْـنَـنا وما فَطِنَ الوَاشِي لذَاكَ يُعادُ؟

من شعره بمكة أيضا قوله من الطويل [2]:

ألا هلْ لـهَجْرِ العَامِرِيّةَ إقْصارُ فيُقْضَى مِنَ الوَجْدِ الـمُبَرّحِ أوطارُ

ويُشْفَى غَلِيلٌ مِنْ عَلِيلٍ مُوَلَّهٍ لَهُ النّجْمُ والـجَوْزاءُ فِي اللّيلِ سُمّارُ

أغارُ عَلَيْهِ السَّقم من جَنَبَاته وأغْراهُ بالأحْبَابِ نَأيٌ وتِذْكارُ

ورقَّ لَهُ ممّا يُلاقي عَذُولُهُ وأرَّقَهُ دَمْعٌ تَرَقْرَقَ مِدْرَارُ

يـَحِنُّ إِلَى بَرْقِ الأُبَـيْـرِقِ قَلْبُهُ ويـَخْفِقُ إنْ نَاحَتْ حَمَامٌ وأطْيارُ

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 01، ص، 324.

[2]- الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج، 15، ص، 578.

كذلك نجد من الأسرة محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن الحسن القسطلانيّ، إمام الحطيم (ت:663هـ/1262م)،فقد روى الذهبي أنّه كان فقيها أديبا وشاعرا[1]، وأمّا في مجال العقليات فوجدنا من كان طبيبا مثل محمَّد نجم الدّين الذي (توفي قبل 890هـ/1485م) حيث ذكر لنا ابن فهد أنّه اشتغل بالطب والرمل[2].

واستنادا إلى ما سبق ذكره فإنّه يمكننا القول بأنّ أسرة القسطلاني قد أدّت دورا محوريا في الدفع بعجلة الحركة العلمية والفكرية بمكة من خلال اهتمام أفرادها وأبنائها بعلم الحديث وتفرّعاته والفقه واللغة والأدب، وقد تجدّد دور علماء الأسرة القسطلانية فعليا في عقد حلقات التدريس والخطب والوعظ، مما أسهم بشكل كبير ومباشر في ازدهار الحركة العلمية بمكة المكرّمة خلال الحقب التاريخية التي وجدوا فيها.

ثانيا: إسهامات أسرة الفاسي

هذه الأسرة أيضا كسابقتها القسطلانية، فقد وجدت بمكة خلال القرن الثامن فالتاسع الهجريين، حيث لم يخلُ تاريخها من إسهامات علمائها في المجال العلوم الدينية وعلوم اللغة، سوف نتطرّق فيما يلي إلى ذكر أهم الشخصيات مع التخصّصات العلمية التي أسهموا فيها بمكة المكرّمة.

أ/ في مجال العلوم الدينية:

لم تختلف هذه الأسرة عن سابقتها في معدل نشاطها وإسهامها العلمي بمكة، والمدينة المنورة أيضا فقد ظهر من صلبها أفذاذ في صنوف العلوم الدينية واللغوية مبتدئا بمجال علوم

[1]- الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج، 15، ص، 90.

[2]- ابن فهد، **الدر الكمين**، ص، 298.

القرآن فقد أبدى فيه مؤسس الأسرة الأوّل أبي عبد الله الفاسي (ت:656هـ/1255م) مجهودا معتبرا كون كان عالما بالعربية والقراءات، وكتب وألّف في علم التجويد والقراءات ما سمّاه "شرح الشاطبية في القراءات"، ثمّ قدّم بعده التقي الفاسي جهودا في علم القراءات إذ نجد أنّ مقرئ الحرمين أبي إسحاق إبراهيم بن مسعود الأربلي المشهور بابن الجابي(ت:745هـ/1345م) قد قرأ عليه بالروايات المتواترة[1]، ما دلّ على أنّه كان مقرئا مجوّدا.

وفي مجال الحديث وجدت عشرة أشخاص ممن كان لهم اهتمام بجانب الحديث بمكة وشاركوا في إحياء ودفع علم الحديث بمكة، أذكر بعضا منهم فقط اختصار للوقت، وأوّلهم هو محمد بن محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله الفاسي (ت:753هـ/1353م) فهو الأب الأول لأسرة الفاسي المعروفة، وكان له اهتمام بالحديث حيث سمع على العز عبد العزيز عبد المنعم الحراني "صحيح البخاري"، وسمع على الشيخ قطب الدين القسطلاني "جامع الترمذي" و"عوارف المعارف" للسهروردي، و"ارتقاء الرتبة للمسمع والفصول" جمع الشيخ أبي العباس أحمد القسطلاني، ولبس منه خرقة التصوف، وسمع على غازي بن أبي الفضل الحلاوي الفوائد المعروفة بـ"الغيلانيات"[2] من حديث أبي بكر الشافعي رواية ابن غيلان عنه، وعلى القطب اليونيني "صحيح مسلم"[3]، كذلك سمع بمكة والمدينة معا وحدّث ببعض مروياته بالحرمين، فكان ممن جمع الله له بين العلم والعمل، ويخلفه في ذلك ابنه علي بن محمد الفاسي المكي المالكي (ت:769هـ/1369م) فبعد أخذه لعلم الحديث من منابعه، وأقصد بذلك علماء عصره كفخر

[1]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 01، ص، 147.

[2]- وهو كتاب الفوائد لمؤلّفه الحافظ أبي بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم الشافعي (ت، 354هـ) الشهير بـ "الغيلانيات" يضم بين دفتيه أحاديث النبي ﷺ مبوبة (ارجع لتفاصيله إلى، أبي بكر الشافعي، **كتاب الفوائد**، تح، حلمي كامل عبد الهادي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط، 01، 1998م، مقدّمة الكتاب ص، 04 وما بعدها.

[3]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 01، ص، 230.

الدين التوزري الذي درس عليه "صحيح مسلم."، والأخوين صفي الدين ورضي الدين الطبريين "صحيح البخاري"، وغيرهم، نجده هو الآخر يفيد مكة بعلمه حينما حدّث بيسير مروياته في الحديث سمع منه الحافظان زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي ونور الدين علي بن أبي الهيثمي المصريان وغيرهما[1].ثمّ خلفه في الحديث ابن أخيه محمد الولي(ت:796هـ/1393م) فبعدما قرأ بمكة "سنن أبي داود" على عثمان بن الصفي، وبعض "الملخص" للقابسي على عمّه أبي الخير الفاسي، وقرأ بالمدينة على الزبير الأسواي "الشفا" للقاضي عياض"، و"إتحاف الزائر" على الجمال المطري، وحصّل منهم على إجازات في علم الحديث، ثمّ جلس هو أيضا للتحديث بمكة، وكان التقي الفاسي ممن روى عنه الحديث[2]، وهناك محدّث لا يقلّ أهمية عن سابقيه بل هو نجم هذه الأسرة بلا منازع خاصّة مجال علم الحديث وهو "التقي الفاسي" فبعدما حصّل جلّ العلوم، وحاز فيها المراتب العالية تربّع بدوره على عرش الحديث فأصبح محدّث مكة ومقرئها وحافظ معالمها وتاريخها، وبعد أن أتقن صنعة علم الحديث ومعرفة رجاله الذي أخذه عن علماء مكة من أمثال أبي بكر بن المحب، وإبراهيم بن السّلار، أذن له الْحافظ زين الدّين العراقي بإقراء الحديث، والدرّس به[3]، فسمع منه الأفاضل أمثال: سليمان بن أبي السعود بن عمر بن علي الريغي المغربي المؤذن بالمسجد الحرام (ت:859هـ/1454م) الذي سمع بمكة منه "سنن النسائي"

[1]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 03، ص، 186.

[2]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 01، ص، 384.

[3]- السيوطي جلال الدين، **طبقات الحفاظ**، مراجعة وضبط، لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط، 01، 1403هـ، 1983م، ص، 550.

و"سنن ابن ماجة"[1]، وعبد القادر بن عبد المعطي بن مكي بن طراد الأنصاري السعدي العبادي المالكي(ت:878هـ/1473م) فقد سمع منه "السنن الصغرى" للنسائي و"سنن ابن ماجة"[2]

أضف إلى من سبق ذكره نجد المحب أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن (ت:826هـ/1422م) –هو ابن أم هانئ بنت علي الفاسي عمّة التقي– الذي درّس بمكة يسيرا، وحدّث بها[3]، وآخر المحدّثين من أسرة الفاسي هو عبد القادر المحيوي بن عبد اللطيف (ت:898هـ/1492م) المسمّى بقاضي الحرمين حيث وجدت له إقراء بعض مسموعاته في الحديث حينما كان يدرّس بالمدرسة البنجالية بمكة، وهو آخر محدثي القرن التاسع الهجري، وفيما يخص فئة النساء العالمات من أسرة الفاسي لم أصادف خلال تقصي عن المادة ما يدلّ على ذلك عدا امرأة واحد ورد اسمها بزينب أم الهدى(وأم هانئ عند ابن فهد) بنت محمد بن أحمد (ت:855هـ/1451م) حيث ذكر صاحب التبر أنّها حدّثت باليسير، وأجازت له[4]، وكذلك أجازت لابن فهد لأنّه ذكرها من ضمن شيوخه[5].

وفي مجال الفقه نجد أنّ جلّ أفراد الأسرة كان ميلهم ومشاركتهم في الفقه أكثر من أي علم آخر حسب ما اطلعت عليه من معلومات، فكان السّباق فيه هو الفقيه عبد الرحمن بن أبي الخير (ت:805هـ/1402م) ويسمّى بشيخ المالكية بمكة لإجادته التّامة بالفقه، وقد تفقّه عليه أعيان مكّة وطلبتها من أمثال شمس الدين السّخاوي الذي قرأ عليه الموطّأ وانتفع به في مذهب

---

[1]- ابن فهد، **الدر الكمين**، ج، 01، ص، 756.

[2]- ابن فهد، **المصدر نفسه**، ج، 01، ص، 861، 862.

[3]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 08، ص، 40.

[4]- السخاوي، **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، تح، د. لبيبة إبراهيم مصطفى، نجوى مصطفى كامل، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط، 1426هـ، 2005، ج، 03، ص، 149.

[5]- ابن فهد، **معجم الشيوخ**، ص، 307.

مالك[1] والقطب أبي الْخَير بن أبي السُّعُود بن ظهيرة المالِكي الذي كان يحضر دروس الشريف بمكة،وقرأ عليه بعض كتب[2]، الْفِقْه وأحمد بن علي الحميري الشوابطي اليمني ثم المالكي الشافعي(ت: 863هـ/1458م) الذي تفقّه عليه بمكة[3]، كذلك نجد أخاه أحمد الشهاب والد التقي الذي كان أيضا مهتما بالفقه بارعا فيه كونه كان تلميذا مُجازا من طرف الشيخ الفقيه موسى المراكشي، والذي بدوره منحه إذن الإفتاء به[4]، أيضا وجدت الفقيه عبد الرحمن بن محمد أبو السرور حفيد عبد الرحمن السابق (ت:833هـ/1429م) فقد أخذ عنه الفقه أبي الْقسم بن أَحْمد بن أبي الْعَبَّاس الْأنصارِي الْمكِي الْمَالِكِي (ت:833هـ/1429م)[5]، وللإشارة هاهنا أنّ هذه الشخصية قد نابت في القضاء عن التقي الفاسي بمكة.

ب/ في علوم اللغة والأدب:

وجدنا مشاركات لبعض أفراد الأسرة الفاسية في مجال اللغة والأدب، وأوّل أفرادها هو والد التقي الفاسي الشهاب أحم بن علي بن محمد الذي رحل من مكة إلى القاهرة، وأخذ علوم اللغة عن علمائها، فبرع في مجال اللغة والمعاني والبيان والأدب والأحكام، واستطاع أن يصنف في مسائل النظم والنثر[6]، وله مدائح نبوية كثيرة، ومدائح مدح بها أمراء مكة، منهم الأمير حسن بن

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 04، ص، 149.

[2]- السخاوي، **نفسه**، ج، 09، ص، 78.

[3]- السخاوي، **نفسه**، ج، 02، ص، 29.

[4]- ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج، 01، ص، 404.

[5]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 11، ص، 132.

[6]- محمد أحمد درنيقة، **أعلام شعراء المدح النبوي**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط، 2003، ص، 78.

عجلان (تزوج أحمد أم هانئ ابنة الأمير حسن)، وقد نظّم أحمد الشهاب في حق صهره الأمير نظما من الطويل جاء فيه[1]:

عدَلْتَ فما تُؤْوِي الـهلالَ الـمَشارِقُ لِيَنْظُرَهُ بالـمَغْرِبينِ الـمَشَارِقُ

فمَا رَائِحٌ إلاَّ بِخَوْفِكَ أعْزَلٌ ولاَ صَامِتٌ إلاَّ بِفَضْلِكَ نَاطِقٌ

وكذلك أسهم أبو الفتح محمد الولي (ت:796هـ/1393م) في الإنشاد والقصائد، ومنها قصيدة من البحر الكامل أسمعها للتقي الفاسي يقول فيها[2]:

يا حَادِيًا يَحْدُو بِزَمْـزَمَ والصّفَا عَرِّجْ فَدَيتُكَ نَحْوَ قَبْرِ الـمُصْطَفَى

وانْزِلْ عَلَى ذَاكَ الضَرِيحِ ولُذْ بِه فهُنَاكَ تَلْقَى مَا تَرُومُ مِنَ الشِّفَا

وارْتَعْ هُدِيتَ بِرَوْضَةٍ مِنْ جَـنّـةٍ وادْعُ فثَمَّ يـُجَابُ مَنْ قَدْ أسْرَفَا

واقْـرَأْ سَلاَمِي عِنْدَ رُؤْيَةِ قـبْـرِهِ وقُلِ الكَـئِيبَ الـمُسْتَهَامَ عَلَى شَفَا

وفي العقليات لم أصادف أحدا نشط أو اشتهر في العلوم العقلية، في مجال الوظائف والمهن التي مارستها أسرة الفاسي أحاول إرجاءها إلى الفصل الأخير من هذه الرسالة والمتعلّق بتراث المغاربة حتى تكون مادة الفصل دسمة أكثر.

وخلاصة القول لما سبق نجد أنّ أسرة الفاسي وعلماءها، قد كانت لهم إسهامات علمية متميّزة في مكة المكرّمة، حيث برز عدد من الفقهاء والعلماء في مجال علوم الفقه والحديث، مما أهّلهم بأن يرتقوا إلى مراتب علماء الحديث والفقه واللغة والأدب بمكة، وأن يسهموا بشكل ملفت للانتباه في الحياة العلمية والدينية واللغوية والأدبية بمكة المكرّمة خلال فترة الدراسة.

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 02، ص، 36.

[2]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 01، ص، 385.

الفصل الثالث

جهود المغاربة في العلوم النقلية والعلوم الأخرى في بلاد الحجاز

وفيه المباحث:

1-جهود علماء المغرب الإسلامي في العلوم النقلية بمكّة المكرّمة.

2-جهود علماء المغرب الإسلامي في العلوم النقلية بالمدينة المنوّرة.

3-جهود علماء المغرب الإسلامي في العلوم الأخرى بمكّة المكرّمة.

4-جهود علماء المغرب الإسلامي في العلوم الأخرى بالمدينة المنوّرة.

❖ المبحث الأول:

جهود علماء المغرب الإسلامي في العلوم النقلية بمكة المكرّمة

حينما نتحدّث عن العلوم النقلية فإننا نعني بها العلوم التي تعتمد على الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال للعقل فيها، وأصلها الشرع من الكتاب والسنة وهي علوم القرآن (القراءات والتفسير)، وعلوم السنة (الحديث) والفقه وأصوله[1]، وقد وجدت كوكبة من علماء المغرب والأندلس أتحفوا مجالس الحرمين بعلمهم الوافر خلال الحقبة الزمنية المضبوطة، ولكي أُسهّل العملية على القارئ وضعت مخططا جزّأت فيه المادة العلمية وفق منطقتي مكة (الحرم المكي)، والمدينة (الحرم المدني) مبتدئا في مبحثي هذا بالجزء الأول وهو العلوم النقلية بمكة المكرّمة وفق الآتي:

1- جهودهم في علوم القرآن الكريم:

1-1-**علم القراءات**: ونعني به تلك المجالس التي يتحلّق حولها العلماء وطلبة العلم على مائدة القرآن الكريم لمدارسة كلّ ما له علاقة بكتاب الله تعالى في مجال القراءات، والرّوايات المتواترة عن النبي ﷺ، وغيرها، وقد أبلى في هذا المجال علماؤنا المغاربة فتزاحم العلماء والطلبة لسماع قراءتهم المتواترة جيلا بعد جيل عن النبي ﷺ أو لنيل فضل الإجازة عنهم في علم القراءات بمكة المكرمة، من هؤلاء نذكر:

- الإمام المقرئ أبا محمد عبد الله بن عمر القيرواني المعروف بابن العرجاء[2](ت:500هـ/1097م)، وابنه أبا علي الحسن بن عبد الله القيرواني المعروف أيضا بابن

[1]- عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة**، تح، عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط، 01، 1425هـ، 2004م، ج، 02، ص، 172.

[2]- مقرئ حاذق رحّال ثقة، رحل فقرأ على أحمد بن نفيس، وعبد الباقي بن الحسن، وأبي المعز الطبري، وأقام مجاورا زمانا يؤمّ بالمقام، فقرأ عليه جمع من الطلاب والمقرئين من بينهم ابنه أبو على الحسن، انظر ابن الجزري، **غاية النهاية في طبقات القراء**، ج، 01، ص، 392.

العرجاء (ت:544هـ/1139م) الذي روى بمكة عن عبد الملك بن هشام الجُذامي القُرطُبي[1]، وبدوره أخذ عنه الأكابر من العلماء وطلبة العلم بمكة، نذكر لمعا منهم على وجه التمثيل مثل عبد الرحمن بن علي التُجيبي، الأندلسي المشهور بابن الأديب(ت:541هـ/1136م) الذي حجّ سنة 529هـ، وأخذ عنه بمكة القراءات[2]، وأبو أحمد محمد بن أحمد بن معط التجيبي الأريولي المقرئ(ت:565هـ/1160م)، الذي حجّ وقرأ أيضا عليه -أي ابن العرجاء-[3]، وأبو القاسم عبد الرحمن بن أبي رجاء البلوي، المعروف باللّبشي المقرئ الخطيب (ت:545هـ/1140م) الذي حجّ سنة 498هـ، وقرأ عليه القراءات أمام المقام[4]، وبدوره نقل عنه القاضي أبو القاسم بن محمد القراءات السبع وغيرها، وأخذ عنه أيضا أبو العبّاس أحمدُ بن محمد بن أحمدَ بن كَوْثَر المحارِبِيُّ، الغَرْناطيُّ (ت:550هـ/1145م) مع ابنه أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن كوثر المحاربي (ت:589هـ/1184م)، فقد كانت لهما رحلةٌ إلى المشرِق حَجّا فيها سنة 547هـ، وسَمِعا القراءاتِ عن أبي علي ابن العَرْجاء[5].ومنهم أيضا أبو العبّاس أحمدُ بن علي بن أحمد الأنصاري السَرَقُسْطي، المعروف بابن الفقيه (حي خلال ق06هـ/12م) فقد تلا أيضا بمكّة على المقرئ

[1]- هو العالم المقرئ الإمام "إمام المقام" روى بالأندلس عن أبي محمد بن عتاب، وله رحلة إلى المشرق حيث لقي بالإسكندرية أبا طاهر السّلفي، وأخذ عنه علمه سنة 567هـ وحجّ، ومن تلاميذه بمكّة أبو علي ابن العرجاء، انظر، المراكشي أبو عبد الله محمد، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تح، د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط، 01، 2012م، ج،03، ص، 41.

[2]- الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج، 11، ص، 789.

[3]- الذهبي شمس الدين، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، تح: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط، 1408،02هـ، 1988م، ج، 02، ص، 558.

[4]- الضبي أبو جعفر أحمد بن حيان بن أحمد، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، تح، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة؛ دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط، 01، 1410هـ، 1989م، ج، 01، ص، 472، 473؛ وينظر ابن الأبّار أبو عبد الله محمد، **التكملة لكتاب التكملة**، تح، د. عبد السلام الهرّاس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط، 1415هـ، 1995م، ج، 03، ص، 24.

[5]- المراكشي، **الذيل والتكملة**، ج، 01، ص، 549.

ابن العَرجاء[1]، ووصفه هنا بإمام الحرمين دلالة منه على توليه الإقراء بمكة والمدينة معا، و لعلّ القائمة تطول بذكرهم، سأحاول أن أشير إليهم في الهامش[2]، ومن بين المقرئين المغاربة نجد أبا الحسن بن خيرة الإشبيلي(ت:634هـ/1229م) الذي كان مُقرئًا مجوِّدًا للقرآن، وتَلا بالسَّبع على أبي جعفر ابن عَوْنِ الله الحَصّار، وأقرأ بمكة خلال القرن فسمع منه رضي الدين أبو إسحاق إبراهيم الطبري المكي(ت:722هـ/1317م)[3].

– ومن المقرئين أيضا نجد أبا الحسن علي بن حمود المكناسي(ت:573هـ/1177م) وأبا حفص الميانشي(ت:583هـ/1187م)، فقد سمع عليهما بمكة كلّ من علي بن هشام اللخمي (ت:616هـ/1211م) حينما أقام بمكة بعد حجّه سنة 570هـ[4]، وأبا محمد عبد المؤمن بن علي الزاهد (ت:625هـ/1227م)[5]، وأمّا علي بن عتيق الأنصاري الخزرجي(ت:598هـ/1193م)[6]، وعتيق بن علي الْأَنْدَلُسِيّ المعروف بابن قَنَترال (ت:612هـ/1207م)[7]، ويَحْيَى بن أَحْمَد الْأَنْصَارِيّ القُرْطُبِيّ(ت:614هـ/1209م)[8] فقد سمعوا

---

[1]- المراكشي، **المصدر السابق**، ج، 01، ص، 474.

[2]- ممن أخذ علم الرواية عن ابن العرجاء، عبدُ المنعِم بن محمد الغَرناطيٌّ (ت، 597هـ/1192م)، وعَتِيقُ بن أحمدَ الأُوريُوليٌّ (ت، 551هـ/1146م)، علي بن أحمد المحاربي، الغرناطي، المقرئ (ت، 589هـ/1184م)، محمد بن إبراهيم اللّخمي الغرناطي (ت، 587هـ/1182م)، انظر، المراكشي، **الذيل والتكملة** (ج، 03، ص، 47)، (ج، 03، ص، 93)، (ج، 04، ص، 180)، وانظر، الذهبي، **معرفة القراء الكبار**، ج، 01، ص، 306.

[3]- محمد مخلوف، **شجرة النور**، ج، 01، ص، 290.

[4]- ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، ج، 03، ص، 229؛ المراكشي أبو عبد الله، **السفر الخامس من كتاب الذيل**، تح، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط، 1965م، 1442هـ، ج،01، ص، 418.

[5]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 05، ص، 520.

[6]- المراكشي، **الذيل والتكملة**، ج، 01، ص، 256.

[7]- ابن الأبّار، **التكملة**، ج، 04، ص، 25.

[8]- ابن الأبّار، **نفسه**، ج، 04، ص، 188.

معا من الأول-أي من علي بن حمود المكناسي- بمكة قراءة وسماعا وأجاز لهم كلّ ما سمعوه من القراءات.

- ومن القامات المغربية التي برزت أيضا بمكة وذاع صيتها في علم القراءات فخر الدين بن عثمان التوزري(ت:713هـ/1308م)[1] فرغم انشغاله بجانب الحديث والفقه، إلا أنّه استطاع أن يسهم بنصيبه ويكون من المبرزين في هذا المجال، ويتبيّن لنا ذلك في الإجازات والسماعات التي أخذها عنه كوكبة من علماء مكة، ومن هؤلاء نجد: أحمد شهاب الدين السِّجِستاني ثم المكي(ت:762هـ/1357م) -كان حينها إماما لمقام الحنفية بالمسجد الحرام- حيث ذكر المقريزي أنّه سمع عليه بمكة "الشاطبية"[2]، وكذلك أبا عبد الله محمد بن علي الأندلسي الغرناطي المقرئ المعروف بالشامي(ت:715هـ/1310م) الذي تلا عليه بالسبع[3]، وبدوره انتقل هذا الأخير من دور من طبقة التلمذة إلى طبقة الأستاذية وأصبح يمنح ما تلقّاه من علم الرواية إلى طلابه بمكة، وأصبح يقرئ بالحرم الروايات المتواترة، فسمعها منه الأعيان من أمثال أبي عبد الله القابسي الذي تلا عليه بالسبع، والشيخ مهدي السلاوي[4]وغيرهم.

- كذلك نجد من المقرئين المغاربة محمَّد بن أَحْمد بن إبراهيم بن محمَّد المغربي الفاسي(ق:09هـ/15م) الذي أسماه ابن عزم بشيخ الإقراء[5].

---

[1]- ذكر البرزالي أنّ شيوخه يزيدون على ألف (1000) شيخ وذكر أنّه قرأ القرآن بالسبع على ابن وثيق والكمال الضرير الذي سمع منه الشاطبية، ومن خمسة ممن رواها عن الناظم، وتلا عليه نفر يسير، وحدّث بالكثير، وسمع منه خلق كثير، انظر، الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 06، ص، 64.

[2]- المقريزي، **درر العقود**، ج، 01، ص، 277.

[3]- ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج، 02، ص، 187؛ الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 218.

[4]- ابن الجزري، **المصدر نفسه**، ج،02، ص، 187؛ الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 02، ص، 218، 219، ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج،04، ص، 97.

[5]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 10، ص، 207.

-وآخر هؤلاء القرّاء شيخ الحرمين، أبو عبد الله محمد بن جابر الوادي آشي(ت: 749هـ /1344م) الإمام المقرئ المحدّث، إذ يعتبر من أهمّ مشاهير القرّاء والمحدثّين المجاورين بالحرمين، فقد حمل علم القراءات عن أبيه، وحمل أيضا كتاب "التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني" عن القاضي أبي العباس بن الغماز، وتلا بالسبع عن أبي العباس البَطَرْني[1]، وغيرها من الروايات المتواترة[2]. كلّ هذه الإجازات أهّلته كي يصبح من كبار القُرّاء بمكة والمدينة معا كما سنرى في مبحث المدينة المنورة أيضا، وممن استجازه في علم القراءات قراءة أو سماعا أو كلاهما معا نجد: شمس الدين أبي عبد الله الذهبي (ت:748هـ/1343م) الذي قرأ عليه كتاب "التيسير"[3]، ولعلّ هذا الكتاب "التيسير في القراءات السبع" لأبي عمرو الداني، اشتهر بتدريسه دون غيره بمجالس مكة، وقد سمعه منه خلق كثير نذكر بعضهم: شيخ المالكية نور الدين أبا الحسن النويري المكي المالكي(ت:724هـ/1319م)[4]، وإبراهيم برهان الدين الصنهاجي (ت:779هـ/1374م)[5]، وعبد الله بن أحمد الطبري المكي.(ت:787هـ/1382م)[6]، وقاضي مكة شهاب الدين أحمد بن ظهيرة (ت:792هـ/1387م)[7]، ومحمد بن أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد الطبري المكي إمام المقام(ت:795هـ/1390م)[8]، وشهاب الدين أحمد بن حسن بن

[1]- الذهبي شمس الدين، **طبقات القراء**، تح، د. أحمد خان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط، 01، 1418هـ، 1997م.

[2]- بامخرمة أبو محمد الطيب، **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**، عناية، بوجمعة مكري، وخالد زواري، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدّة، السعودية، ط، 01، 1428هـ، 2008م، ج، 06، ص، 148.

[3]- الذهبي شمس الدين، **طبقات الحفاظ**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.ط، ج، 03، ص، 1284.

[4]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 02، ص، 176.

[5]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 03، ص، 171.

[6]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 02، ص، 26.

[7]- ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج، 01، ص، 326.

[8]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 03.

الزين القسطلاني (ت:797هـ/1392م)[1]، وبرهان الدين أبو إسحاق الأبناسي المصري الشافعي (ت:802هـ/1397م)[2]، وقد تلا عليه بالروايات أيضا محمد بن عبد الله الأنصاري، ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن شداد المعافري، والشريف محمد بن عيسي الحسني، وعلى بن أبي بكر بن سبع المكناسي[3].

– ونختم عنصرنا هذا بأندلسي ذاع صيته بالحرم المكي، وهو يحي بن أحمد بن صفوان الأندلسي المالقي المكي(ت: 772هـ/1370م)، فقد جاور بمكة وأقرأ بها القرآن العظيم فكان من أئمة القرّاء المغاربة بالحرم المكي الشريف، وكان عالما بالقراءات الغريبة[4] أيضا، وقد قرأ عليه نور الدين علي بن أحمد بن محمد بن سلامة المكي وغيره[5]، وألّف في ذلك كتابا نذكره في حينه، إضافة إلى خلق لا نملك لهم وقتا لذكرهم.

1-2 التفسير:

التفسير من الفَسْرِ أي الإبانة والكشف، واصطلاحا هو علم يُفهم به كتاب الله المنزل على نبيّه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه[6] لكونه من أهم العلوم المرتبطة بفهم القرآن وآياته، والبحث عن بيان معاني ألفاظه، وما يستفاد منها كما قال الإمام الطاهر بن عاشور[7]، ويعرّف بأنّه علم يعرف به نزول الآيات وشؤونها، وأقاصيصها والأسباب النازلة فيها، ثمّ ترتيب مكّيّها ومدنيّها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصّها وعامّها، ومطلقها

[1]- الفاسي، **المصدر السابق**، ج، 03، ص، 16.

[2]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 01، ص، 458

[3]- الذهبي، **طبقات القراء**، ج، 03، ص، 1284.

[4]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج،07، ص، 427، ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج، 02، ص، 364.

[5]- الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 07، ص، 429.

[6]- عتر نور الدين، **علوم القرآن الكريم**، مطبعة الصباح، دمشق، ط: 01، 1414هـ، 1993م، ص، 72.

[7]- بن عاشور محمد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، ط، 1984، ج،01، ص، 11.

ومقيّدها...[1]،ولكونه من أجلّ علوم الشرع وأرفعها شأنا فقد اهتم بعض المغاربة بهذا العلم في مكّة، لكنّه ليس بالعدد الكبير مقارنة بالعِلم السابق "علم القراءات" حيث لم أتوصل حسب ما اطّلعت عليه إلى زاد في هذا المجال عدا ثلاثة علماء مغاربة فقط، ويتعلّق الأمر بأبي العبّاس أحمدُ بن مَعَدِّ بن عيسى التُّجيبيّ (ت: 551هـ/1146م) الذي ذكر أنّه كان مُفسّرًا للقُرآن العظيم، ومُحدّثًا راوية عدلاً، وشاعرًا مجوّدًا، أديبًا، متصوّفًا[2]، قد صنَّفَ في علوم القُرآن والحديث وذكر عنه صاحب الذيل أنّه حجّ سنة 542هـ، وأخَذ عنه جماعة من أهل مكة ومن بينهم أبو حَفْص الميَانِشيُّ، وأبو الفَضْل أحمدُ بنُ عبد الرّحمن بنِ محمد بن مَنْصور الحَضْرميّ الإسكندريّ وغيرهم، والثاني هو محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي المفسّر، المعروف بابن أبي الفضل المرسي السلمي (ت:655هـ/1257م) حيث كان له إلمام بعلوم الشرع من القراءات والفقه والأصلين والنحو واللغة ، وقد ذكر المحب الطبري له بمكة مؤلفا في علم التفسير يزيد عن عشرين جزءا سمّاه "ري الظمآن"، و"التفسير الأوسط" من عشرة أجزاء، و"التفسير الصغير" من ثلاثة أجزاء[3]، هذا إضافة إلى تأليفه في علوم أخرى ذكرناها آنفا، وثالث هؤلاء المفسّرين المغاربة هو إبراهيم بن محمد المهيبي الصدقاوي البجائي المالكي المعروف بالمصَعْصَع(882هـ/1477م) إذ كان قدومه مكّة سنة 869هـ مجاورا بها، وكان كثير البحث في مجال التفسير، مركّزا في مذاكرته على تفسير ابن عطية[4]، وهذه دلالة قاطعة على اهتمامه بالتفسير.

[1]- التهانوي، **كشاف اصطلاحات الفنون**، ج، 01، ص، 24.

[2]- المراكشي، **الذيل والتكملة**، ج، 01، ص، 721.

[3]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 82.

[4]- ابن فهد، **الدر الكمين**، ص: 618.

2-جهودهم في علوم الحديث

وهي الحلقات التي يُتدارس فيها سنّة النبي المصطفي ﷺ، ورواية أحاديثه، وقد كانت للمغاربة عناية فائقة بهذا الجانب، واهتموا به أشدّ اهتمام، بل كان شغف الكثير منهم الاستزادة والتعمّق أكثر في مجال الحديث النبوي، فكانت رحلاتهم نحو الحجاز لغرض نبيل ألا وهو الحصول على السند العالي المتصل بالنبي ﷺ، وكانت مكة آنذاك هي المرجع الذي ينتهي إليه كل باحث أو عالم، فتسابق في ذلك علماء ومحدّثون مغاربة اِرْتَوَوْا ثمّ رَوَوْا علم الحديث من منابعه الصافية، وأتحفوا حلقات دروس علم الحديث الخاصّة بهم، مما جلب إليهم الكثير من الطلبة والمهتمين بهذا العلم وسنورد فيما يلي أبرز المحدّثين المغاربة بمكة:

-أوّل محدّث هو أبو بكر محمَّد بن الوليد الطرطوشي المالكي:(ت: 520هـ/1126م) فبعدما سافر من بلده سنة 476هـ/ 1083م قاصدا الحجّ، نزل بمكة وأدّى مناسك الحج جلس للحديث بمكة، وسمع منه: أَبُو الْحَسَن على بن عبد اللَّه بْن حمُّود المِكناسي (ت: 573 هـ/1177م) إمام المالكية بالحرم الشريف وأخذ عَن الطرطوشي "سنن أبي داود"، و"صحيح مسلم" حين حج سنة 512هـ[1]، وروى عنه أيضا أبو العَبَّاس أحمد بن عبد الله بن أَحْمد بن هشام اللخمي المقرئ المشهور بابن الحُطَيْئَة(ت: 560هـ/1164م) الذي سَمِعَ مِنه بمكة حينما حجّ[2].

-المحدّث الثاني هو إمام المالكية بالحرم أَبُو الحسن رَزِينُ بن مُعَاوِيَةَ العَبْدَرِيُّ السَّرَقُسْطِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ (ت:535هـ/1140م) فبعدما سمِعَ بِهَا "صحيح مُسلِم" من أبي عَبْدِ اللهِ الطَّبَرِي و"صحيح البخاري" مِن عيسي بن أبي ذَرٍّ الهروي، حينها أصبحت له معرفَة بِالْحَدِيثِ

[1]- الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج، 12، ص، 526.

[2]- الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، دار الحديث، القاهرة، ط، 1427هـ، 2006م، ج، 15، ص، 125.

وَالرِّجَال[1]،فأهّله ذلك لنيل مرتبة "المحدّث" بمكة، ويروي عن شيخه الأخير[2] أحاديث المصطفى ﷺ، فروى عنه غير واحد من أهل مكة والمجاورين لها، ونجد من بين هؤلاء: القاضي أبا عبد الله محمَّد بن يوسف بن سعادة (ق 06هـ/12م) الذي رحل إلى المشرق سنة 520هـ وسمع منه[3]،وعلي بن أحمد بن أبي بكبر الكِنَانيّ، القُرطُبيّ الطُلَيْطُليّ (ت:564هـ/1168م) فقد سمع منه وصَحِبَه مُدّةَ مقامِه بمكة[4]، وأبا الحُسَين محمدُ بن خَلَف بن صاعِد الغَسّانيّ، المشهور بابن اللَّبْليّ (ت:547هـ/1152م) فقد حدّث بمكة عن شيخه رزين بن معاوية[5].

وآخر المتلقين عنه هو الحَافِظ ابْن عَسَاكِرَ(ت: 571هـ/1175م) ومن الأحاديث التي رواها ابن عساكر عن شيخه رزين وذكرها في معجمه، حديث النبي ﷺ الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه في قوله: "السفر قطعة من العذاب، تمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه ، فإذا قضى أحدكم نَهْمَتَه[6] من وجهه، فليُعَجِّلْ إلى أهله"[7] –أخرجه الشيخان– وقد ذكر ابن عساكر إنّه

---

[1]– ابن نقطة أبو بكر محمد، **تكملة الإكمال**، تح: د. عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى، مكّة المكرّمة، ط، 01، 1408هـ، 1987م، ج، 04، ص، 245.

[2]– ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك، **كتاب الصلة**، تح، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط، 01، 1410هـ، 1989م، ج، 01، ص، 296،297.

[3]– مخلوف محمد، **شجرة النور**، ج، 01، ص، 216.

[4]– المراكشي، **الذيل والتكملة**، ج، 03، ص، 126.

[5]– المراكشي، **المصدر نفسه**، ج، 04، ص، 202.

[6]– **النهمة**، هي الحاجة وبلوغ الهمّة في الشيء، ينظر، ابن منظور، **لسان العرب**، ج، 12، ص، 593.

[7]– البخاري محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط، 01، 1423هـ، 2002م، كتاب العمرة، باب السفر قطعة من العذاب (حديث رقم، 1804)، ص، 434؛ وانظر، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، تح، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.ط، كتاب الإمارة، باب السفر قطعة من العذاب، واستحباب تعجيل المسافر إلى أهله، بعد قضاء شغله (حديث رقم، 1927)، ج،03، ص، 1526.

أخبرهم به الشيخ رزين بن معاوية عن أبي العباس أحمد بن الشاطبي عن أبي عمر يوسف بن عبد البر النّمري، عن سعيد بن نصر، عن قاسم بن أصبغ، عن محمد بن وضّاح[1].

-ثالث هؤلاء المحدثين المغاربة هو شيخ الحرم المحدِّث أبو حفص عمر الميانشي (ت:581هـ/1185م) الذي كان محدّثا متقنا عالما بالحديث، فبعد أن أخذ علم الحديث من مشايخ عصره كأبي عبد الله محمد الدارمي الذي روى عنه "سداسياته"، وأبي عبد الله محمد بن أحمد الرازي الذي أخذ عنه "سداسياته"[2]، ومن الكروجي "جامع الترمذي"، فبعد رحلة الأخذ والتلقي عن علماء عصره، جاءت مرحلة الإلقاء والإفادة، حيث أمضى ما تبقى من عمره في مدارسة علم الحديث بمكة والمدينة، وقد أحصيتُ جمعا ممن سمع أو روى عنه علم الحديث بمكة فوجدتُ خلقا كثيرا؛ اقتصرت على بعضهم فقط مثل الشيخ أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن السدراتي المغربي المعروف بابن الركابي(ت:599هـ/1202م)[3]، وأبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن على اليمني المعروف بابن أبي الصيف الشافعي(ت:603هـ/1206م) الذي حدّث عنه كتاب "جامع الترمذي"[4]، وأبي القاسم عبد الرحمن بن فتوح بن بنين المعروف بابن أبي حرمي (ت:645هـ/1247م) الذي سمع منه أيضا "المجالس المكية" للميانشي، و"المعلم بفوائد مسلم" للمازري، عنه، وغيرهم بمكة[5]، وتفرّد أبو محمَّد عَبْد السلام بْن الحُسَيْن السَّفاقُسيّ

[1]- بن عساكر أبو القاسم، **معجم الشيوخ**، تح، د. وفاء تقي الدين، دار البشائر للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط، 01، 1421هـ/2000م، ج،01، ص، 345.

[2]- الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج، 12، ص، 736.

[3]- الصابوني جمال الدين، **تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب**، تح، مصطفى جواد، المجمّع العلمي العراقي، العراق، ط، 1377هـ، 1957م، ص، 183.

[4]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 112.

[5]- الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 05، ص، 51؛ الفاسي، **ذيل التقييد**، 02، ص، 91.

(ت:657هـ/1259م) برواية الحديث عنه بمكة، كما أنّ الدمياطي سَمِعَ منه كتاب "المعلم فِي شرح مُسْلِم" للمازري[1]، وختام المتلقّين عنه علم الحديث حفيده صَدْرُ الدِّين الحسن بن محمد النَّيسَابوري المحدّث (ت:656هـ/1258م)-حفيد الميانشي لأمّه- حيث سمع من جَدِّه المِيَّانِشي الحديث[2]، وقد كان آخر من حدّث عن جدّه الميانشي بمكّة.

-محدّث مغربي آخر اسمه أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى ابن مسدي الأندلسي (ت: 663هـ/1264م) لكنني وجدت منتقديه في علم الحديث أكثر من مادحيه فارتأيت أن أغض الطرف عن ذكر نشاطه في مجال الحديث بمكة، والسبب هاهنا كما علماء الحديث أنّ فيه تشيّع[3]، لكنه برع في مجال الأدب والشعر بمكة كما سنرى في حينه.

-أنتقل بعدها إلى محدث آخر هو أبو عمرو فخر الدين عثمان بن محمد التوزري (ت:713هـ/1313م) من طبقة المحدّثين الحفاظ بمكة ثمّ المدينة المنورة فيما بعد، فقد رآه الشيخ عبد الله اليافعي: "وهو يحدث في المسجد الحرام، وحضر له في بعض مجالسه، وسمع من أحاديثه المقروءة عليه"[4]، ومن كتب الحديث التي امتاز بتدريسها بالحرم المكي نجد: "الموطّأ" برواية يحي بن يحي الليثي[5]، وصحيحي "البخاري ومسلم"، و"جامع الترمذي" لصاحبه أبي عيسى محمد

---

[1]- الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج، 14، ص، 862.

[2]- الصالحي أبو عبد الله محمد، **طبقات علماء الحديث**، تح، أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط: 02، 1417هـ، 1996م، ج، 04، ص، 231؛ الذهبي، **طبقات الحفاظ**، ج، 04، ص، 158.

[3]- قال الذهبي عن ابن مسدي، "ولكونه كان فيه تشيّع فنقم عليه أهل العلم في وقته لكونه تكلّم في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكان مداخلا للزيدية بمكّة فولّوه إمامة الحرم، وأكثر تأليفه كانت عن الزيدية، الأمر الذي جعل الجماعة يضعّفونه في الحديث"، انظر، الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج، 04، ص، 1449.

[4]- اليافعي عبد الله، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، تح، خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 01، 1417هـ، 1997م، ج، 04، ص، 190.

[5]- هو شيخ الأندلس الفقيه أبو محمد يحي بن يحي بن كثير (ت:234هـ/848م) راوي الموطأ عن مالك بن أنس وبه انتشر مذهب مالك في جهة الأندلس، ينظر، ابن العماد، **شذرات الذهب**، ج، 02، ص، 82.

الترمذي[1]، و"الشمائل" للترمذي، و"الملخص" للقابسي، و"الشفا" للقاضي عياش، و"الثقفيات" لأبي عبد الله القاسم بن أحمد الثقفي، و"الخلعيات" و"الغيلانيات"[2]، ومشيخة ابن الجميزي، و"سنن أبي داود"، وغيرها[3]، وقد سمعها منه عدد من طلبة العلم، سأكتفي بذكر بعضهم، وأحيل الباقين إلى هامش الصفحة[4]: بادئا بخليل بن عبد الرحمن القسطلاني(ت:760هـ/1358م) الذي قرأ عليه "الصحيحين" و"جامع الترمذي" و"سنن أبي داود" و"الشفا" للقاضي عياض[5]، وسمع منه أبو عبد الله جمال الدين محمد بن فهد "مسند الدارمي"، و"مسند الشافعي"[6]، كذلك سمع منه محب الدين محمد بن محمد الفاسي (ت:747هـ/1346م) سمع منه بمكة "الكتب الستة" خلا سنن ابن ماجة[7]، وسمع منه أيضا أبو المكارم أحمد بن محمد الفاسي

---

[1]- الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج، 02، ص، 633.

[2]- **الغيلانيات**، هي فوائد حديثية من رواية أبي طالب محمد بن محمد بن إبراهيم بن غيلان البزار (ت: 440هـ/1048م)، ينظر، الكتاني محمد جعفر، **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت.ط، ص، 69.

[3]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 01، ص، 296 /ج، 02، ص، 19 /ج، 03، ص، 116.

[4]- تتمة لما سبق من تلاميذ التوزري الذين نقلوا عنه علو الرواية نجد، أَحْمد بن قَاسم بن عبد الرَّحْمَن بن أبي بكر الْقرشِي الْعمريّ الْحَرَازِي الْمَكِّيّ(ت، 755هـ) وقرأ عليه "صحيح مسلم وسنن أبي داود"، وعبد الله بن على الكازروني المكي، مؤذن الحرم الشريف.(ت، 744هـ) سمع من الفخر التوزري أجزاء من "صحيح البخاري"، وفخر الدين عثمان بن الصفي الطبري (ت، 749هـ) الذي سمع عليه "صحيح البخاري"، وأبو عبد الله محمد بن سالم بن إبراهيم بن على الحضرمي الشافعي، (762هـ) سمع عليه "الصحيحين"، و"السنن الأربعة"، ومحمد بن طراد الأنصاري المكي المعروف بابن الصفي (ت،776) الذي سمع عليه "صحيح مسلم، وجامع الترمذي، والشمائل له، والملخص للقابسي، والشفا للقاضي عياض، والثقفيات، والخلعيات، والقبلانيات، والقصائد الوترية لابن رشيد عنه، ومشيخة ابن الحميري، والفوائد المدنية من حديثه عنه"، (انظر، بن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج، 02، ص، 61، بامخرمة، **قلادة النحر**، ج، 06، ص، 259، الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 03، ص، 107، الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 01، ص، 296،و ج، 02، ص، 19).

[5]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 01، ص، 524.

[6]- الفاسي، **المصدر نفسه**، ج،01، ص، 143.

[7]- الفاسي، **نفسه**، ج،01، ص، 252.

(ت:753هـ/1352م) "صحيح مسلم"[1]، وآخرهم تلقيا عنه هو المحدّث شهاب الدين أبو العباس الحرازي الشافعي (ت:755هـ/1354م) حيث سمع منه "صحيح مسلم"، و"سنن أبي داود"[2].

-ومن المحدّثين المغاربة أيضا الفقيه ابن حُريث القُرشي العبْدَري البلنْسي. ذكره ابن فرحون في تاريخه واعتبره من شيوخه الذين تتلمذ عليهم في علم الحديث[3]، وكان يغتنم فترة إقامته بالحرمين، بالعلم مساهما ومشاركا في علمي الحديث والفقه، بدءا من المدرسة الشهابية التي أقام بها وقتا إلى حين جلوسه في مجالس الحرمين والحديث بأحاديث المصطفى ﷺ، وأكثر ما كان يلقيه على طلبة علمه من كتب الحديث هو كتاب "الشفاء" للقاضي عياض.

وقد حدّث ابن حريث بكتاب "الشفا" في مجالس مكة والمدينة معا، فسمعه منه الأعيان[4]، ولعل من أبرز من سمع عنه "الشّفا" بمكة نجد: إمام المالكية خليل بن عبد الرحمن القسطلاني (ت:760هـ/1358م)[5]، وسمعه منه أيضا أحمد شهاب الدين بن المحب القسطلاني المكي(ت:776هـ/1374م) حيث سمع منه "الشفا" بمكة[6]، وجمال الدين محمد بن طراد الأنصاري، المكي، المعروف بابن الصفي(ت:776هـ/1374)[7]، ومحمد بن أحمد بن عثمان التستري (ت:785هـ/1383م)[8].

---

[1]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 02، ص، 186.

[2]- بن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج، 02، ص، 61.

[3]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 76.

[4]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 390.

[5]- الفاسي، **المصدر نفسه**، ج،01، ص، 524.

[6]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج،01، ص، 401.

[7]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج،01، ص، 297.

[8]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 01، ص، 88.

- وآخر المحدّثين بمكة من المغاربة هو مُحَمَّد بن موسى بن علي المراكشي(ت:823هـ/1420م) –سبط الشيخ عبد الله اليافعي (ت:768هـ/1367م)- فقد كانت له عناية فائقة بالحديث، وتقدّم فيه كثيرا لجودة معرفته به، ضابطا بالعلل وذا دراية بالرّجال، وبمروياتهم، وتمييز عَالِيَها من نازلها، ثمّ إنّ شهادة الحافظ ابن حجر العسقلاني لأكبر دليل على علو كعبه في علم الحديث حينما سمّاه بعمدة المحدثين[1]، ورخّص لَهُ فِي إقراء عُلُوم الحَدِيث، فلم يكن بالحجاز خلال القرن التاسع الهجري من بلغ مبلغه في علم الحديث، كما قال السخاوي مع عنايته بفنون الْعلم والحدِيث[2]، وكما يقال تقاس قيمة العلماء بقدر عدد تلاميذه الآخذين عنه؛ ومن تلاميذه نجد الشهاب أحمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي المكي (ت:819هـ/1416م)[3]، والجمال محمد بن يعقوب بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله الجاناتي المكي –أخوه لأمّه (ق09هـ/15م) الذي وجدنا له سمعا للحديث من الشيخ ذاته[4].

3- جهودهم في الفقه وأصوله:

الفقه في اللغة هو العلم بالشيء، وفي الاصطلاح نعني به علم الأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلّتها التفصيلية[5].

---

[1]- الذهبي شمس الدين، **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، تح، محمد عوامة، أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن، جدة، ط، 1413، 1992، ج، 01، ص، 115.

[2]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 10، ص، 56.

[3]- بن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج، 01، ص، 403.

[4]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج،02، ص، 432.

[5]- خلاف عبد الوهاب، **علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع الإسلامي**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط، 1996، ص، 13.

والمعروف عن العلماء المغاربة والأندلسيين الذين آثروا جوار الحرمين تشبعهم وتمسّكهم بمذهبهم الأصلي لبلاد المغرب الإسلامي "مذهب مالك بن أنس رضي الله عنه"، فجلّ -إن لم أقل كلّ -من انتقل من العلماء نحو الحجاز كان مالكي المذهب، عدا بعض المولّدين بمصر وما يليها من الأراضي الشامية-كانوا شافعية المذهب- لكن يبقى منبتهم وجذورهم المغربية تغلُب على أصلهم كونهم مغاربة مالكية، هذه الصبغة كان لها بالغ الأثر في حياة المغاربة، قد ساهم هذا الانتماء في إعادة إحياء المذهب المالكي الذي غاب عن الحجاز – والأصل أنّ أول ظهوره كان بالمدينة المنورة مقرّ سكن الإمام مالك بن أنس- إضافة إلى ذلك فقد تمذهب بعضهم بالمذهب الشافعي أو الحنبلي كما هو الحال لأسرة القسطلاني وأسرة الفاسي التي وجدنا جلّهم على المذهب الشافعي كونه قطن مصر أو على المذهب الحنبلي لأنّه ولد بالحجاز، عموما هذه المعلومات سابقة لأوانها سأبسط حديثي عنها في عنصر الإمامة والخطابة في آخر فصل من رسالتي هذه.

أعود إلى مساهماتهم الفقهية، فأبدأ بأول فقيه مغربي وهو الفقيه الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الفتوح المكناسي المجاصي -إمام المالكية بالحرم الشريف-(ت:592هـ/1195م) فقد نقل لنا الميورقي أنّه تولى مقام المالكية بمكة سنة 588هـ، ومن جملة حسناته أنّه أوقف كتاب "المُقرب" لابن أبي زمنين المالكي على المالكية والشافعية والحنفية الذين هم بمكة، وجعل مقرّه بخزانة الملكية بمكة[1].

ثاني فقهاء مكة هو فخر الدين التوزري الفقيه(ت:713هـ/1313م)، فبعدما رأيناه فيما سبق محدّثا نجده فقيها من الفقهاء المتقدّمين بمكة، تمثّل ذلك في إقرائه لكتاب "الموطّأ" للإمام مالك، وقد قرأ عليه هذا المصنَّف جملة من علماء مكّة وطلبتها، فنجد من هؤلاء: أحمد

[1]- ألحيان، **الجوار في الحرم المكي**، ص، 350.

بن قاسم الحرازي الشافعي (ت:755هـ/1354م)[1]، وظهيرة بن أحمد بن عطية المخزومي(ت:743هـ/1342م)[2]، وإمام الدين محمد تقي الدين بن محمد القسطلاني المكي(ت:754هـ/1353م)[3]، وغيرهم.

– ثالث هؤلاء الفقهاء المغاربة بمكّة هو خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر القسطلاني (ت: 760هـ/1358م) حيث كان في وقته إماما للمالكية بالحرم المكي، فبالرغم من أنّه تلقّى في صباه مبادئ المذهب الشافعي على يد خاله القاضي النجم الطبري؛ الذي أقرأه "التنبيه في الفقه الشافعي" للإمام الشيرازي، وكتاب "الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي" للماوردي، وكان يودّ بذلك أن يصبح من كبار الأئمة الشافعية[4]، لكن شاءت المقادير أن يتحوّل إلى المالكية، ويصبح من كبار فقهائها؛ بل إمامها بالحرم بعد موت والده سنة 713هـ، ويبقى حاملا لواء المالكية حتى وفاته بها –أي لمدّة 47 سنة–،وخلال تلك الفترة التي امتدّت لقرابة نصف القرن؛ فقد أحيا معالم الفقه المالكي بمكة، وقصده القاصي والداني لأخذ الأصول المالكية عنه، فكان من جملة من أخذ عنه الفقه بمكة: خالد بن عيسى البلوي (ت:780هـ/1378م) حيث يقول في ذلك: "وممن لقيتهم بمكة الشيخ الفقيه الخطيب بالحرم الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر المكي المالكي المشتهر بخليل لقيته بحرم مكة الشريف تجاه الكعبة

[1]– تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج،02، ص، 61؛ الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 01، ص، 366.

[2]– تغري بردي، **المصدر نفسه**، ج، 07، ص، 47.

[3]– الفاسي، **ذيل التقييد**، ج،01، ص، 260.

[4]– كما هو معلوم أنّ بلاد الحجاز كان يسوده المذهب الشافعي فقط كون الحجاز كانت خاضعة للحكم المملوكي الذي كان في مصر، وطبعا كانت السلطة بمصر ويستمر نفوذها على البلاد الشامية إضافة إلى بلاد الحجاز، فكان المذهب المعمول به هو المذهب الشافعي، إلى أن أصدر السلطان الظاهر بيبرس مرسوما يقضي بتعميم المذاهب الأربعة بالحرمين الشريفين في سنة 663 هـ، ووصل هذا المرسوم إلى مكة سنة 806هـ، **للمزيد** انظر، المقريزي، **السلوك**، ج، 01، مج، 02، ص، 540.

المعظمة وبمنزله أيضا بقرب حرمه الشريف فأكثرت الاختلاف إليه، وكنت ممن استفاد في مناسك حجّه تفقّها ومعاينة بين يديه، فانتفعت به أعظم الانتفاع واستفدت بالالتزام له والأتباع، وسمعت عليه وأجازني"[1].

– الفقيه الرابع هو الفقيه أبو محمد موسى بن علي بن عبد الصمد المراكشي المالكي (ت:710هـ/1310م) فقد كانت له مشاركات عديدة في مجال الفقه زيادة على التدريس، حتى لقّب بالفقيه عند أصحاب التراجم، وكان من جملة مشاركاته الفقهية أنّه يمنح الإجازة لمن يرى أنّه جدير بالفتوى أو بلغ مرتبة تؤهّله لاعتلاء كرسي الدرس والإفتاء، وسنرى فيما هو آت نماذج تتلمذوا عليه في مجال الفقه، وأجازهم كي يرتقوا لمرتبة الفتوى، ومن هؤلاء: محمد المعروف بالأريصي (ت:800هـ/1397م) حيث أشار الفاسي أنّه اشتغل عليه في الفقه بمكّة[2]، ونجد أيضا عبد الرَّحمن بن أبي الخَير الفاسي المالِكي (ت:805هـ/1402م) فقد سمع الفقه منذ سنّ الخامسة على أبيه وعلى الشيخ موسى المراكشي، ثمّ إنّه لزِمَ الفقيه الشيخ موسى المراكشي سِنِين[3]، كونه في البداية كان تلميذه المقرّب، ثمّ أصبح فيما بعد ملازما له في إقراء الفقه بمكة، لأنّنا حينما نتصفّح تراجم بعض تلاميذ عبد الرحمن الفاسي نجدهم قد لازموا الاثنين معا (الفاسي والمراكشي)، ثمّ إنّنا نجد الشيخ عبد الرحمن الفاسي يكثر فيما بعد من إحضار ابنه محمد بن عبد الرحمن (ت:806هـ/1403م) معه في المجلس كي يتفقّه بالفقيه موسى المراكشي[4] وينهل من علمه وفقهه، ومن خلال هذا نستنتج أنّ عددا لا بأس به من أسرة الفاسي قد تلقّت تعليمها في الفقه وأسسه الأولى على يد شيخنا الفقيه المراكشي خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي،

[1]– البلوي، **تاج المفرق**، ج،01، ص، 313، 314.

[2]– الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 417.

[3]– السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 04، ص، 149.

[4]– السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 516.

ومن تلاميذ الفقيه أيضا برهان الدّين إبراهيم بن محمد القاهري المعروف بالموصلي (ت:815هـ/1412م) الذي كان شديد الملازمة والحضور لدروس الشَّيْخ موسى بن على المراكشي[1]، وكذلك شهاب الدين أبا العباس أحمد بن علي بن محمد الفاسي المكي المالكي(ت:819هـ/1416م) الذي لازمه مدّة في الفقه، وختم مجهوده ذاك بإجازة تسمح له بالإفتاء في مكة المكرّمة خلال تلك الفترة.

-خامس فقهائنا المغاربة بمكة هو الفقيه أبو عبد الله محمد علي بن يحي الغرناطي المعروف بالشامي (ت:715هـ/1315م) فقد ذكر البرزالي أنّه جاور الحرمين نحو 15 سنة، إلاّ أنّ مُقامه بالمدينة كان أكثر منه بمكة، غير أنّني وجدت أنّه كان يحدّث بمكة، فكان فقيها مشاركا في عدّة فنون خاصة مجال الفقه، بل إنّه كان يناظر في فقه مالك والشافعي[2]، وأضاف الفاسي أنّه أقرأ وحدّث بالموطأ في الفقه بمكّة[3].

ومن الفقهاء أيضا عبد القوي بن محمد بن عبد القوي البجائي المغربي (ت:816هـ/1413م)، وهو والد أديب مكة والحجاز وشاعرهما كما يسميه أصحاب التراجم، وقد أخذ علم الفقه عن الفقيه السابق موسى المراكشي، ودرّس الفقه بالحرم الشريف وأفتى به قليلا، ومن بين الآخذين عنه الفقه نجد: أَبا القسم بن أحمد بن محمد بن عبد الْمُعْطِي الْأَنْصَارِيّ الْمَكِّيّ الْمَالِكِي (ت:833هـ/1429م) الذي أخذ عنه الفقه بمكة[4].

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج،01، ص، 137.

[2]- ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج، 04، ص، 97.

[3]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 218.

[4]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج،11، ص، 132.

فقيه آخر وجدت له مشاركات فقهية بمكة، وهو محمد بن موسى الغماري المغربي (ت:817هـ/1414م) حيث أشار الإمام السخاوي إلى وجود إجازات مؤرّخة بسنة 832هـ لقاضي مكة عبد القادر بن أبي القاسم المحيوي الفاسي المالكي، تبيّن حضور هذا الأخير لدروس وصفها بالكثيرة لمختصر "ابن الحاجب" و"المختصر الفرعيين" وغيرهما من كتب المالكية، قرأها وسمعها من صاحب الترجمة، وقد أُذِنَ فيها للمحيوي بتدريس جميع كتب المالكية[1].

كذلك وجدنا الفقيه التونسي إبراهيم بن علي بن محمد بن هلال الريعي التونسي التريكي[2] الذي ذاع صيته في الفقه خاصّة الفقه المالكي لكونه تونسي الأصل، والمعلوم أنّ أهل تونس مستمسكون بمذهب الإمام مالك بن أنس ﷺ، ومن الآخذين عنه الفقه وأصوله بمكة القاضي عبد القادر المحيوي الفاسي المكي، ثمّ منحه إذن تدريس الفقه سنة 830هـ[3].

- وفي جانب الأصول –أصول الفقه- برع الفقيه الأصولي محقق الزمان أبو الفضل محمد المشدالي البجائي (ت:864هـ/1459م) حيث وجدنا له إسهامات في مجال الأصول، ومن ذلك أنّ إبراهيم بن علي بن ظهيرة الشافعي (ت:891هـ/1486م) قد أخذ عنه أصول الفقه، وانتفع به ما لم ينتفع بغيره، وقرأ عليه سنة 850هـ كتاب "العضد على مختصر المنتهى الأصولي" للإمام ابن الحاجب المالكي، فعلا به علوا كبيرا[4]، كذلك أخذ عنه أصول الفقه علي بن أحمد بن

---

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 375؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 10، ص، 55.

[2]- انظر ترجمته عند السخاوي، **المصدر نفسه**، ج، 01، ص، 99.

[3]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ج، 01، ص، 56.

[4]- ينظر، مدّاح نور الدين، **أبو الفضل محمد بن محمد المشدالي "العلامة الموسوعي الرّحالة"**، مجلة الشهاب (مجلة دورية تصدر عن جامعة الوادي، الجزائر)، ع، 07، رمضان 1438هـ، جوان، 2017م، ص، 196.

محمد بن مخلوف القاهري(ت:870هـ/1465م)، حيث أخذ عنه أصول الفقه والعربية يوم كان بمكة[1].

وختام هؤلاء الفقهاء المغاربة بمكة هو أبو زكريا يحيي بن أحمد بن عبد السلام المعروف بالعُلمي القسنطيني (ت:888هـ/1483م) ذكر السخاوي أنّه حجّ سنة 875هـ فقطن مكة، وروى بها "البخاري" و"مسلم" و"الشفا" في الحديث، وأقرأ "شرح التحفة"[2]، وكتب أيضا على "المدونة" و"المختصر" و"الرسالة" في الفقه المالكي فكان مداوما في الإقراء حتى انتفع به الفقهاء بمكة في الفقه وأصوله وعلوم شتّى[3].

[1]- نور الدين مدّاح، **المرجع نفسه**، ص، 197.

[2]- التنبكتي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تح: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط، 1421هـ، 2000م، ج، 02، ص، 275،276؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص636.

[3]- التنبكتي، **المصدر نفسه**، ص، 636.

❖ المبحث الثاني:

جهود علماء المغرب الإسلامي في العلوم النقلية بالمدينة المنورة

كباقي إخوانهم المغاربة بمكة المكرّمة، برزت أيضا بالمدينة المنورة كوكبة من علماء المغرب الإسلامي وتوزّعوا في مختلف صنوف العلوم، وأتحفوا مجالسهم العلمية بما كانوا يختزنونه من زخم علمي ومعرفي، فأبدعوا وأذهلوا عقول من جالسوهم وأسندوا ركبهم إليهم، بل أصبحوا مثالا يضرب في كلّ فنّ أو تخصص شاركوا فيه، متتبّعا النسق نفسه في المبحث السابق سأحاول توزيع المادة حسب كلّ تخصّص وفق ما هو آت:

1-جهودهم في علوم القرآن الكريم:

1-1-مجال القراءات: ازدانت مدينة رسول الله ﷺ خلال الحقبة الزمنية الممتدة من القرن 06-09هـ/12-15م بقُرَّاءٍ مغاربة كمثيلتها مكة المكرّمة، واستطاعوا أن ينقلوا السند العالي في القراءات المتواترة من جيلهم إلى جيل من أخذوا عنهم، وقد وجدت مجموعة لا بأس بها من المغاربة والأندلسيين مع ملاحظة أنّ البعض منهم كانت له مشاركات مزدوجة بين مكة والمدينة المنورة لكونه كان نزيل الحرمين معا مثلما سنرى، لأبدأ مع أوّل القرّاء من عدوة الأندلس وهو الفقيه المقرئ أبو عبد الله القرطبي محمد بن عمر بن نعيم الأنصاري المالكي (ت:631هـ/1233م) فبعدما نال حظّه من علم القراءات بالمغرب على يد أبي محمد عبد الله الحجري، وبمصر من الشاطبي أبو القاسم، وبمكة من عبد المنعم الفراوي نجده يخلف شيخه أبا القاسم الشاطبي في إقراء القرآن بالحرم المدني، وقد وجدت جماعة قرأت عليه بالروايات في الحرم النبوي من بينهم: أبو الحسن علي بن محمد الحرالي الأندلسي:(ت:637هـ/1239م)، الذي

أخذ عنه بالحرم[1]، وكذلك قطب الدين القسطلاني(ت:686هـ/1287م)حيث قرأ عليه ختمة بالمدينة المنورة، وسمع منه[2]، وفي رواية للسخاوي أنّه صَحِبَ الشيخ أبي عبد الله القرطبي بالمدينة وقرأ عليه فيها ختمة وسمع عليه[3].

من الأندلس أيضا نجد المقرئ كمال الدين محمد بن عبد الله الغرناطي (ت:715هـ/1315م) الذي أسهم أيضا في مجال علم القراءات، وسمع منه الأماثل من أمثال المقرئ أبي عبد الله محمد بن علي الأندلسي الغرناطي المعروف بالشامي(ت:715 هـ/1315م) الذي قرأ "الشاطبية" في القراءات[4].

ومن القرّاء الأندلسيين أيضا بالمدينة نجد أبا عبد الله محمد بن غصن القصري الأنصاري (ت:724هـ/1324م) الإمام العلامة المقرئ المحقّق، فقد كان عالم زمانه بعلم القراءات، وبعدما حصّل القراءات السبع على عبيد الله بن أحمد بن أبي الربيع، وروى القراءات عن أبي الحكم بن منظور ببلده الأندلس، انتقل إلى الحجاز بنية الحج فحجّ، وجاور بمدينة رسول الله ﷺ بعد سنة 720هـ، وأوّل ما بدأ به هو ملازمة الصلاة مع الإقراء حتى ذاع صيته واشتهر بين العامّة ومشايخ الحرم النبوي مثلما نقل عنه ذلك ابن فرحون[5]، ثمّ تنوّع حضوره بين مكة والمدينة المنورة فأقرأ بهما معا، وأوّل من صحبه هو صديقه ورفيقه أبو عبد الله محمد بن فرحون (ت:721هـ/1321م) حيث يعتبر أول من وصفه بالإمام العلامة المقرئ، وقال إنّه قرأ عليه، وحدّث عنه وجوّد القرآن

[1]- محمد قاسم مخلوف، **شجرة النور**، ج،01، ص، 260.

[2]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 01، ص 323.

[3]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 557.

[4]- ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج، 02، ص، 187.

[5]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص 77.

عنده[1]، ثمّ زاد من مدح شيخه فقال "إنّه لم ير أحدا من أقرانه"[2]، وسمع منه أيضا شمس الدين محمد الكناني الشافعي (ت:782هـ/1380م) فقد جوّد القرآن عليه بالقراءات السبع وأتقنها[3]، وورث من شيخه ما كان يعلمه منها وانتفع به أهل المدينة وغيرهم من الواردين وحصَّلوا وانتفعوا، وكان شمس الدين هذا الأخير ملازما للشيخ أبي عبد الله القصري أينما حلّ وارتحل، حتى كأنّه ولده[4] حسب رواية ابن فرحون، وآخر الأندلسيين إقراء بالمدينة هو شمس الدين بن الشرف الششتري الأندلسي (ت:891هـ/1486م) فقد وجدنا له طلبة تَلَوْا عليه القرآن برواية أبي عمرو، ونافع، وابن كثير من أمثال الشيخ عبد القادر بن عبد اللطيف بن محمد الولي الفاسي (ت:898هـ/1492م) الملقّب بقاضي الحرمين[5]، كذلك جوّد عليه بالمدينة المنورة إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن القاضي فتح الدين أبي الفتح بن القاضي ناصر الدين المدني الشافعي (ت بعد:897هـ/1491)[6]، وأحمد بن محمد بن عبد الله بن داود الشهاب القليوبي الشافعي المعروف بابن خبطة (ت:871هـ/1466م) حيث تلا عليه هذا الأخير بالروايات العشر، واستظهر عنده حفظ الشاطبية[7]بعدما شكّ أنّه نسيها، وآخرهم هو أحمد بن محمد بن أحمد الشهاب البسكري المدني المسمّى "ابن ثائر" الذي نال شرف التلاوة بالقراءات عليه[8].

---

[1]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص 77؛ السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج 02، ص 559.

[2]- ابن فرحون، **المصدر نفسه**، ص 77.

[3] - يعني الشيخ أبا عبد الله القصري.

[4]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص 81.

[5]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج 03، ص 53.

[6]- السخاوي، **نفسه**، ج 01، ص 140.

[7]- السخاوي، **نفسه**، ج 01، ص 239.

[8]- السخاوي، **نفسه**، ج، 01، ص، 230.

لم ينفرد الأندلسيون بالإقراء لوحدهم، بل شاركهم القرّاء من المغاربة أيضا، وفي مقدّمتهم المقرئ الفخر التوزري التونسي (ت:715هـ/1315م) فإضافة إلى جهوده الحديثية والفقهية بالحرم الشريف بمكة، نجده ينتقل في المجاورة بالمدينة، ويثري المجالس العلمية بالمسجد النبوي، حيث تسابق الآخذون عنه في القراءات، وسنجد اسمه أيضا في الحديث والفقه معا، ومن المزاحمين لحضور مجلس الإقراء عنده: مُحَمَّد بن عَليّ بن يحيى بن عَليّ الغرناطي الْمَعْرُوف بالشامي (ت:715هـ/1315م) حيث قَرَأَ بالسبع على الْفَخر التوزري[1].

ومن المنطقة نفسها-تونس- سطع نجم عالم آخر، وهو المقرئ أبو فارس عبد العزيز بن زكنون التونسي(ت:746هـ/1341م) حيث ذكره ابن فرحون في تاريخه، وقال إنّ له في علم القراءات إضافة إلى علم التاريخ، وذكر بعض أولاد المجاورين ممن قرأ عليه بالمدينة المنورة أمثال شمس الدين الحليمي وشمس الدين الششتري وبعض أقرانهما[2].

ومن جهة مكناس اشتهر الشيخ المقرئ إبراهيم المكناسي(ت: 744هـ/1339م) حيث كان حافظا لكتاب الله ذا صوت حسن مع الأداء، وكان من القرّاء في سُبع ابن السلعوسي[3]، وقد خلّف من بعده أولادا قرّاء اشتغلوا بعلمهم بالمدينة المنورة.

ومن سبتة نجد المقرئ المدني أبو عبد الله محمد بن عبد الله السبتي(ت:720هـ/1320م) الذي قرأ عليه الشمس محمد بن صالح بن إسماعيل الكناني(ت:785هـ/1380م) ثلاثة أرباع القرآن بمكتبة[4].

---

[1]- ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج،05، ص، 353؛ درنيقة محمد أحمد، **معجم أعلام شعراء المدح النبوي**، ص 383.

[2]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 153.

[3]- ابن فرحون، **نفسه**، ص، 166.

[4]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص، 583.

1-2- مجال التفسير:

في هذا المجال لم أتوصّل إلى عالم مغربي اشتهر في مجال التفسير من المغاربة بالمدينة المنورة بخلاف البدر عبد الله بن فرحون (ت:769هـ/1367م) الذي أشرنا إلى خوضه في مجال التفسير، ووجدنا له مصنّفا في ذلك ذكرناه في فصلنا السابق المتعلّق بإسهامات الأسر العلمية بالمدينة المنورة[1].

2- جهودهم في علوم الحديث

لقد كان المسجد النبوي، وروضته الشريفة منبرا لامعا لتدارس علم الحديث من أفواه رجاله وأوّل هؤلاء المحدّثين بالمدينة المنورة في هذا العنصر هو المحدّث خلف بن عبد العزيز الغافقي القَبتُوري[2] (ت:704هـ/1304م) حيث ذكر صاحب التحفة أنّه رأى طبقة بتحديثه لكتاب "الشفا" للقاضي عياض بالمدينة المنورة[3] لدرجة وصفه بالشيخ المحدّث الأديب المسمع الرواية، وقد كان يحدّث به كثيرا، وكانت روايته لكتاب "الشفا" عن شهاب الدين أحمد بن قاسم الحرازي عن أبي محمد عبد الله بن أبي القاسم الأنصاري عن أبي زيد عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي عن أبي جعفر الحصار عن مؤلفه[4] القاضي عياض اليحصبي رحمهم الله.

---

[1]- ارجع إلى ص 165، للمزيد من التوضيح.

[2]- **القَبتوري**: نسبة إلى قَبتُورة أو كَبتورة، وهي بلدة من بلاد المغرب الإسلامي، ينظر، مرتضى الزبيدي، **تاج العروس**، ج، 07، ص، 198.

[3]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج 02، ص 20.

[4]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج 02، ص 358.

وقد نقل عنه ابن فرحون قائلا:" وكان من شيوخنا وله علو سند في "الموطأ" و "الشفاء"[1]، وممن سمع عليه الحديث نجد أبا عبد الله محمد بن علي بن يحي الأندلسي الغرناطي المعروف بالشامي(ت:715هـ/1315م) حيث سمع بالمدينة كتاب "الشفا" للقاضي عياض على أبي القاسم خلف القبتوري[2]، ومفتي مكة شهاب الدين أحمد بن قاسم العمري الشافعي الذي سمع منه أيضا "الشفا"[3]، كذلك سمع منه كتاب "الشفا" الجمال أبو عبد الله المطري الأنصاري(ت:741هـ/1340م)[4].

ومن المحدّثين الذين تألّقوا بعلمهم في المدينة المنورة شيخ المحدّثين "البدر عبد الله بن فرحون" المحدّث والمفسّر معا، الذي كان من كبار علماء الحديث بالمدينة المنورة، ويعود الفضل في ذلك إلى والده محمد بن فرحون (ت:721هـ/1321م) ابن حريث العبدري وشرف الدين الأسواني وسراج الدين الدمنهوري والوادي آشي وزين الدين الطبري، من علماء الحديث الذين تتلمذ على يديهم يوم كان طالب علم بالمدينة إلى أن أصبح يُشار إليه بالبنان، ومما زاد من علو شأنه أنّنا نجده آخر عمره ينفرد بعلو الإسناد وحصول أعلى المراتب في الحديث، إذ لم يكن بالمدينة المنورة أعلى منه سنداً وانتهت إليه رئاسة الحديث في زمانه، حيث وجدنا أنّه درّس كتبا شتى في علم الحديث لكنّ أشهر الكتب مدارسة لها كان كتابي "صحيح البخاري"، و"الأنباء المبنية عن فضل المدينة" للإمام ابن عساكر الدمشقي (ت:600هـ/1203م)، وقد نال فضل مجالسته، ومدارسته لهذين الكتابين في علم الحديث بالمسجد النبوي فئة من كبار علماء عصره

[1]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص 117.

[2]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج 01، ص 193.

[3]- الفاسي، **المصدر نفسه**، ج 01، ص 366.

[4]- المطري محمد بن أحمد، **التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة**، تح، محمد بن عبد المحسن الخيال، مطبعة فؤاد الصيداوي، دمشق، د ت ط، ص، 83.

أذكر ثلاثة نماذج فقط على سبيل المثال لا الحصر، وهم القاضي عبد الرحمن بن علي بن يوسف الزرندي المدني الحنفي (ت:817هـ/1414م)[1]، وإبراهيم بن محمد البرهان المراكشي المدني[2] اللذان سمعا عليه "صحيح البخاري"، وأبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمد البدر المكناسي أيضا سمع عليه بعضا من "الأنباء المبينة" في سنة 767هـ[3].

ومن المحدّثين بالمدينة نور الدين علي ابن فرحون، الذي كان محدّثا متقنا ضابطا عارفا بضبط الحديث، وأسماء رجاله ولغته[4] كما أشرنا إلى هذه المعلومة في فصلنا الثاني المتعلّق بإسهامات الأسر العلمية بالمدينة المنورة.

ومن المحدّثين بالمدينة أيضا الأندلسي أبا عبد الله القصري الأنصاري (ت:724هـ/1324م)، فإضافة إلى أنّه كان مقرئا ضابطا للقراءات، نجده أيضا محدّثا يحدّث بالمسجد النبوي معتمدين في نقلنا للمعلومة على معلومات نقلها عنه ابن فرحون في أنّه كان يدرّس الحديث بمدينة رسول الله ﷺ، بل إنّه قدّم لنا صورته وهو يتدارس علم الحديث يتكلّم جالسا، فإذا غلب عليه الحال قام على قدميه وصاح بأعلى صوته، وقد انتفع الناس بكلامه رحمه الله[5] كحديث أبي سعيد الخدري "إنّ الحلال بيّن والحرام بيّن" الذي اشتهر بتدريسه إيّاه بالمسجد النبوي.

---

[1]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج02، ج 519.

[2]- السخاوي، **نفسه**، ج01، ص 145.

[3]- السخاوي، **نفسه**، ج 02، ص 290.

[4]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ج 02، ص 125.

[5]- ابن فرحون، **المصدر نفسه**، ص 78.

ومن المحدّثين المغاربة الذين وجدناهم أسهموا بالمدينة هو المحدّث أبي عبد الله مُحَمَّد ابن حريث العبدري(ت:722هـ/1322م)، فبعدما أتحف مجالس الحديث بمكة المكرّمة، انتقل منها إلى المجاورة بالمدينة المنورة، وجلس بمسجد رسوله ﷺ ليواصل ما بدأه بمكة، وقد غصّت حلقاته العلمية بالناقلين عنه علم الحديث من تلامذته وطلبته، ومن بينهم هؤلاء: أَحْمد بن قَاسم الْحَرَازِي الْمَكِّيّ الشافعي (ت:755هـ/1354م) الذي سمع منه "كتاب الشِّفَاء"[1] في الحديث للقاضي عياض، أضف إليه البدر ابن فرحون (ت:769هـ/1367م)[2]، وأخاه أبا الحسن علي النور (ت:746هـ/1345م)[3] اللّذان سمعا منه الحديث بالمدينة المنورة.

ختام هؤلاء المحدّثين المغاربة في هذا العنصر هو إمام المحدثين الفقيه المسند الراوية شمس الدين محمد بن جابر الوادياشي (ت:749هـ/1348م) الذي رحل إلى مكة: وسمع بها من الرضى الطبري، وقَرَأَ أيضا على أبي مُحَمَّد عبد الله بن عبد الْحق الدلاصي، وخرّج التخاريج، وَقَرَأَ الحَدِيث بفصاحة تامّة وطلاقة تَنِمُّ عن امتلاكه مَلَكَةَ علم الحديث ضبطا وفهما، وقد قام برحلتين إِلى بلاد الحجاز، الأولى كانت 720هـ لتلقّي العلم، والثانية سنة 734هـ للإلقاء والإقراء بالحرمين خاصّة بالمدينة المنورة التي اتّخذها مقرّ إقامته ومجاورته، وبها أقرأ وحدّث بالحرم النبوي سنة 746هـ، فأفاد واستفاد من أعلام[4]،وقد نقل لنا عنه ابن الخطيب "أنّه جال فِي الْبلاد المشرقية والمغربية واستكثر من الرّوَايَة وأكثر من ذلك حتَّى صَار راوية وَقته"[5]، وتوارث عنه علم الحديث كوكبة كبيرة من أهل العلم الذين تتلمذوا على يديه، سأقتصر في ذلك على بعضهم من أمثال أبي الحسن

[1]- ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج،01، ص، 278.

[2]- مخلوف، **شجرة النور**، ج، 01، ص، 291.

[3]- مخلوف، **المصدر نفسه**، ج، 01، ص، 291.

[4]- مخلوف، **نفسه**، ج، 01، ص، 302.

[5]- ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج، 05، ص، 152.

علي بن محمد بن فرحون (ت:746هـ/1345م) الذي سمع منه الحديث بالمدينة المنورة[1]، وأخيه عبد الله البدر (ت:769هـ/1367م) الذي سمع منه أيضا الحديث[2]، وحسن بن خلف اللّه القيسي القسنطيني(ت:784هـ/1382م) الذي لقيه في رحلته للحجاز وأخذ عنه وأجازوه في الحديث[3]، وآخرهم تلقيا للحديث عنه بالمدينة المنورة هو القاضي برهان الدين بن علي بن فرحون (ت:799هـ/1396م)[4].

3- جهودهم في الفقه وأصوله:

لم تنفرد مكة لوحدها في استقطاب الفقهاء المغاربة للجوار بها، بل إنّ المدينة المنورة كانت أرضا لإعادة إحياء المذهب المالكي خلال القرن الثامن الهجري على يد أسرة ابن فرحون كما تناولنا ذلك سابقا، لكن لا يعني هذا أنّهم الوحيدون الذين انفردوا بالفقه، بل وجدنا من سبقهم في ممارسة الفقه وأصوله خلال القرن السابع الهجري كما سنرى في عنصرنا هذا، وقد برز فقهاء مغاربة أثحفوا مجالسهم العلمية بتدريس مصنّفات الفقه سواء المالكي أو الشافعي أو الحنبلي وسيظهر ذلك جليا في أسمائهم وكناهم التي تعبّر عن انتمائهم المذهبي، وفيما يلي نذكر كوكبة منهم وأهم ما تخصّصوا في تدريسه إن وجد، بدء بأول الفقهاء ذكرا وهو أبو الحسن علي بن محمَّد بن أحمد الخزرجي الإشبيلي المعروف بابن الحصار الفقيه:(ت:611هـ/1214م)، كانَ إمامًا فاضلًا، بارعًا في أصول الفقه، وله تصانيف كثيرة، وقد وجدنا له نشاطا فقهيا بالحجاز تمثّل ذلك في إقرائه لأصول الفقه بمكة والمدينة معا، لكنّ نشاطه بالمدينة كان أكثر منه بمكة، حيث

[1]- مخلوف، **شجرة النور**، ج، 01، ص، 291.

[2]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 85؛ محمد مخلوف، **المصدر نفسه**، ج، 01، ص، 291.

[3]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص 160.

[4]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج 01، ص 81.

حدّث بالفقه وأصوله، فروى عنه بالمدينة أبو عبد الله بن عبد الكريم الجُرشي، وأبو محمَّد عبد العظيم المنذري[1]، روى عنه أيضا زكي الدين المنذريّ، وذكر لَهُ كتابا سمّاه: "تقريب المدارك في رفع الموقوف ووصل المقطوع من حديث مالك" اختصر فيه بعض معاني كتاب "التّمهيد" لابن عَبْد البّرّ في الفقه، وقد صنفّ أيضا في مجال أصول الفقه كتابًا، وصنّف في النّاسخ والمنْسوخ كتابا آخر، و له أيضا كتاب" البيان في تنقيح البُرْهان"[2].

ثمّ يأتي من بعده أبا الربيع سليمان الغماري (ت:714هـ/1314م) فقيه المدينة، حيث نقل عنه ابن فرحون في تاريخه أنّه كان مفتي المدينة على مذهب الإمام مالك بن أنس رحمه الله خلال القرن الثامن الهجري، وكان إذا سئل عن مسألة فقهية، لا يبت فيها حتّى يستشير زميله ورفيقه الشيخ أبا عبد الله بن فرحون (ت:721هـ/1321م)، فيجتمعان معا ويحرران المسألة، ثم يجيبان السائل بما يتفقان عليه، ولم يزل كذلك حتى توفّاه الله تعالى سنة 714هـ، وللإشادة هاهنا فقد عُرضت عليه وظيفة التدريس[3] بالمدينة المنورة، لكنّه رفضها وتنازل عنها لصالح ابن فرحون[4]، ورأى أنّه أعلم منه، وأحقّ بها منه[5] لكونه كان ذا فاقة ومحتاج كي يعول أسرته، فالصورة هنا تعبّر عن قمّة التواضع أولا، ثمّ قمّة الإيثار معا، فالأولى دالّة على عدم افتخاره بما آتاه الله من علم وقبول بين أهل المدينة، والثانية دالّة على إيثار صاحبه على نفسه ولو كانت به خصاصة.

---

[1]- محمد مخلوف، **مصدر سابق**، ج، 01، ص، 249.

[2]- الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج، 13، ص، 319.

[3]- وهي دروس أقرّها ورتّبها الأمير سلار بالمدرسة الأركوجية، وهذه الدروس هي: درس المالكية، ودرس الشافعية، درس الحنفية، انظر، ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 143.

[4]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج 02، ص 188.

[5]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 75.

الفقيه الثالث بالمدينة المنورة هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن حريث (ت:722هـ/1322م) فقد جمع الله له بين الحديث والفقه معا في العلم، وبين مكة والمدينة معا من حيث التدريس والإلقاء وأكثر ما كان يلقيه على طلبته بالمدينة هو كتاب "الموطّأ" عن ابن أبي الربيع عن ابن بقي وكان يختصّ بالروضة الشريفة أثناء عقد حلقاته الفقهية، وممن سمع منه الموطّأ بالروضة الشريفة البدر ابن فرحون[1].

ومن فقهاء المدينة المغاربة أيضا أبو عبد الله الواديّاشي كذلك كسابقه ممن جمع الله له بين الحديث والفقه فنجده حينا محدّثا، وحينا آخر فقيها مفتيا، وقد أشرنا ذلك في نقطة سابقة أنّه عنى عناية فائقة بمجال الفقه، إضافة إلى امتلاكه لأسانيد كتب المالكية يرويها عن مؤلفيها ككتاب "الموطأ" في الفقه، الذي حدّث به بالمسجد النبوي سنة 746هـ، حيث أخذه عنه جمع من العلماء والطلبة نشير إلى البعض منهم مبتدئا بعلي بن يوسف بن الحسين الأنصاري الزرندي(ت:772هـ/1370م) الذي سمع منه "الموطأ"[2]بالمدينة المنورة، وكذلك قاضي المدينة برهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون المالكي (ت:799هـ/1396م) الذي سمع منه أيضا "الموطأ" برواية يحي بن يحيى[3].

ومن الفقهاء أيضا الجزائري إبراهيم التلمساني (ت:755هـ/1350م) إلاّ أنّه كان على المذهب الشافعي، حيث انتفع به جموع الطلبة في مذهبه، وتخرّج على يديه جماعة أذكر منهم إبنا الشيخ أحمد الشويكي الشافعي[4]، وصفي الدين[5] وعبد السلام ابنا محمد الكازروني الشافعي

---

[1]- ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص 77.

[2]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج 02، ص، 305.

[3]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج 01، ص 435، ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج 01، ص 52.

[4]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج،01، ص، 161.

[5]- السخاوي، **نفسه**، ج،01، ص، 154.

أيضا[1]، وعبد القادر بن محمد القرشي المعروف بالحجار[2] وغيرهم من أهل المدينة المنورة[3]، وقد خلّف الفقيه كتبا جليلة في الفقه والأصول والحديث واللّغة وأوقفت مقاسمة بين المدرسة الشهابية بالمدينة المنورة ومكة المكرّمة، وكان أغلبها موقوفا بمكة.

فقيه مغربي آخر لا يقلّ أهمّية عن سابقيه؛ وهو عبد السلام بن سعيد بن محمد بن عبد الغالب القيرواني المغربي المالكي الفقيه (ت: 765هـ/1360م) الذي قَدِمَ المدينة المنورة وأقام بالمدرسة الشهابية مدّة سنين، فكان خلالها عالما سيّدا، انتفع به الطلبة في المذهب المالكي، وكان قد جمع إلى العلم الغزير التفقّه، وقد درّس في الحرم الشريف في موضع أخيه صفي الدين، وقد انتفع به أهل المدينة المنورة في الفقه خلال القرن الثامن الهجري.

ومن فقهاء القرن التاسع الهجري بالمدينة المنورة نجد الفقيه مُحَمَّد بن مُوسَى بن عَليّ بن عبد الصَّمد بن مُحَمَّد بن عبد الله الْجمال أَبُو البركات وَأَبُو المحاسن المراكشي الأَصْل الْمَكِّيّ الشَّافِعِي سبط الْعَفِيف اليافعي. (ت:823هـ/1420م) فبعدما حفظ كتب الفقه كالتنبيه والمنهاج في الفقه والحديث ككتاب العمدة في الحديث والألفية في النحو واللغة وغيرها، نجده يسهم ويشتغل في: الحديث والفقه والعربية فظهرت نجابته واشتهرت نباهته بين أقرانه ثمّ تلاميذه، وقد أخذ علم الفقه من منابعه الصافية على يد علماء عصره بمكة أوّلا، ثمّ المدينة المنورة، فتفقه في مكة على يد شيخ الإسلام جمال الدين بن ظهيرة والشيخ شمس الدين العراقي، وأخذ علم العربية عن الشيخ شمس الدين المعيد والشيخ خليل بن هارون الجزائري[4]، وبعد تمام الأخذ بمكة

[1]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج،02، ص، 173.

[2]- ابن حجر، **إنباء الغمر**، ج، 03، ص، 351.

[3]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 156.

[4]- ابن فهد، **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ**، مطبعة التوفيق، دمشق، سوريا، ط، 1347هـ، ص، 176.

انتقل إلى المدينة الشريفة حيث واصل بها التلقي، فقرأ بها الكثير على قاضيها العلامة أبي بكر بن الحسين العثماني وأم محمد رقية بنت يحي بن مزروع وغيرهما[1]، من شُيُوخه أيضا بِالْمَدِينَة المنورة الزين المراغي الذي قَرَأَ عَلَيْهِ تأليفه "الْعمد فِي شرح الزّبد" فِي الْفِقْه، وهذا الأخير منحه الإجازة والإذن فِي الْإِفْتَاء والتدريس بالمدينة النبوية[2].

ويليه الفقيه محمد بن محمد الأنصاري الزموري (ت:840هـ/1437م) الذي عاش بالمدينة المنورة خلال القرن التاسع الهجري، وكانت له مساهمات علمية في مجال التدريس بالمسجد النبوي خاصة في مجالي الفقه والعربية، ومن جملة من تتلمذ على يده وأخذ عنه عِلْمَي الفقه والعربية "الشهاب أحمد بن عقيبة القفصي"[3].

وآخر هؤلاء الفقهاء ذِكْرًا في عنصرنا هذا هو الفقيه مُحَمَّد بن مبارك القسنطيني المغربي الْمَالِكِي(ت: 868هـ/1463م) فهو الفقيه اللغوي ونزيل الْمَدِينَة النَّبَوِيَّة، حيث ذكر السخاوي "أنّه رأى أهل المدينة متفقين على صلاحه، مَعَ تقدُّمِه فِي الْعُلُوم، وأَنه أَقرَأ طّلبَة العلم بالمدينة المنورة فِي عِلْمَي "الْفِقْه والعربية" وَغَيرهمَا من العلوم التي كان يتقنها، وقد انتفعوا بِهِ على الرغم من أَنه اشْتَغل بالعلم بعد كبره فقط رحمه الله"[4].

[1]- ابن فهد، **المصدر السابق**، ص، 176.

[2]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 10، ص، 56.

[3]- السخاوي، **المصدر نفسه**، ج،10، ص، 42؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص، 521.

[4]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج 08، ص 295؛ التنبكتي، **المصدر السابق**، ج 01، ص 545.

❖ المبحث الثالث:

جهود علماء المغرب الإسلامي في العلوم الأخرى بمكة المكرّمة

كان للمغاربة إسهامات ليس في المجال الديني؛ الذي تعتمد ركائزه على المصدرين الصافيين "الكتاب والسنّة"؛ وما يلحق بهما من أصول وفروع فحسب، بل إنّ أرض مكّة قد حملت على ترابها كوكبة مغاربية ذاع صيتها في مجالات أخرى وعلوم أخرى، ونقصد بذلك العلوم الخارجة عن نطاق العلوم الشرعية، وهي العلوم المرتبطة بالجانب الروحاني (التصوّف)، والجانب اللغوي والأدبي، وجانب يختلف عنهما، له علاقة بالعقل أو ما يسمّونه بـ "الطبيعة"، حيث سأذكر في هذا المبحث بعض إسهاماتهم وفق تقسيم أعددته لبسط مادتي العلمية، ووفق ما هو آتٍ:

1- جهودهم في الزّهد والتّصوّف:

كان التصوّف منتشرا في مكة المكرّمة فترة العصر الأيوبي ثمّ المملوكي، وظاهرة التصوّف عبارة عن ظاهرة دينية بدأت بالإعراض عن الدنيا والإقبال على العبادة، ثمّ ما لبثت إن تطوّرت إلى طريقة لها متتبّعوها ومُرِيدُوها، وتهدف في أصلها إلى تربية النّفس وتهذيبها للوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة، وتأثّرت بفلسفات هندية ويونانية[1]، ثمّ إنّ مكّة قد حوت عددا لا بأس به من الزهاد والمتصوّفة المغاربة خلال فترة دراستي هذه، وقد انقسم هؤلاء الزّهاد المغاربة إلى فئتين اثنتين، فئة اتّخذت من الأربطة المحيطة بالمسجد الحرام مسكنا لمرابطتها، وفضّلت الجوار في المسجد الحرام، وانحصر نشاطهم في التعبّد فقط، وفئة ثانية اهتمّت بنشر تصوّفها، مع مساهمتها في إلباس خرق التصوّف لمُرِيدِيهِم ومتتبّعيهم المتأثّرين بمنهجهم، وما أسعى إليه في مبحثي هذا هو ذكر الفئتين معا بغض النظر عن تصنيفاتهم، لأنّهم في كِلا الحالتين زهّاد أو متصوّفة أثّروا بمنهجهم وفكرهم على طلبة العلم وغيرهم، خاصّة وأنّ تلك الفترة –أي القرن السابع الهجري وما بعده–

[1]- مانع بن حماد الجهني، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط 04، 1420هـ، ج، 01، ص، 251.

طغت على الساحة الاجتماعية بصفة أخص ظاهرة التّصوّف؛ الذي ساد المشرق الإسلامي عموما والحجاز خصوصا، مبتدِئا هذا العنصر بأحمد بن علي القسطلاني – والد القطب محمد(ت:636هـ/1238م)، "الذي صحب جماعة من مشايخ الطرق كأبي الربيع سليمان المالقي، وتلميذه أبي عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي، وجمع في أخبارهما كتابا حدّث به"[1]، ومما يدلّ على زهده ما ذكره عفيف الدين اليافعي من أنّهم احتاجوا في المدينة النبوية إلى الاستسقاء وكان مجاورا بها، فاتفقوا على استسقاء أهلها يوما والمجاورين يوما، فبدأ أهل المدينة فلم يُسْقَوا، فعمل أحمد القسطلاني طعاما كثيرا للضعفاء والمساكين واستسقى مع المجاورين، فَسُقُوا بفضل الله[2]. زيادة على ذلك فقد أُثِرَ عنه أنّه كان يعول ثمانين فقيرا كل يوم، وهذا ما نعرفه عن الزّهاد في استغنائهم عن الدنيا وزخرفها ومتاعها.

وأمّا عن تَصَوُّفِهِ فقد تلقّى مبادئه الأولى على يد والده، ثمّ من بعده الشهاب علي بن البناء السهروردي الذي أَلْبَسَه خرقة التّصوّف[3]، ثمّ إنّنا نجده بدوره يورّث ما كان يحمله من تصوُّفٍ لطلبة علمه، فسمعوا منه كتاب "العوارف" للسهروردي، ولبسوا بدورهم عنه الخرقة.

ثاني المتصوّفة هو الإمام ضياء الدين محمد بن عمر القسطلاني (ت:663هـ/1264م) حيث كان شأنه شأن جلّ عائلة القسطلاني في تأثّرهم بالتّصوّف، وكان يحدّث بكتاب السهروردي "العوارف" بمكة، وممن سمع منه هذا المصنّف بمكّة نجد إمام مقام الخليل أبا إسحاق الطبري المكي الشافعي[4].

كذلك نجد في التصوّف أبا بكر قطب الدين القسطلاني(ت: 686هـ/1287م) فإضافة إلى تدريسه لكتاب العوارف للسهروردي نجده يلبس متتبّعيه الخرقة الدالة على التصوّف من أمثال

---

[1]، السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 01، ص، 122.

[2]- السخاوي، **المصدر نفسه**، ج، 01، ص، 122.

[3]- ابن فهد، **لحظ الألحاظ**، ص، 55، السخاوي، **المصدر نفسه**، ج، 03، ص، 486.

[4]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 01، ص، 436.

ابن رشيد السبتي الذي سمع منه كتابه في التصوّف المسمى "ارتقاء الرتبة باللباس والصحبة" ولبس منه الخرقة[1]

ومن المتصوّفة خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي بمكة الشيخ الجزائري أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان المزالي الهنياني التلمساني (ت:683هـ/1284م)نزيل مصر ومؤلف كتاب "مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام"، حيث وجدناه يحدّث بكتابه السالف في مجالس مكة المكرّمة، وقد سمعه منه الرضي إبراهيم بن محمد الطبري(722هـ/1322م) إمام مقام الشافعية بالمسجد الحرام، وحدّث به عنه[2].

ونجد أيضا العالمة الزاهدة عائشة ابنة القطب القسطلاني(ت:716هـ/1316م) فبعدما تلقّت مبادئ التّصوّف من شيخها نجم الدين بشير التبريزي ولبست منه خرقة التّصوّف[3]، نجدها بدورها تُلبِسُهَا (الخرقة)لحفيدها شهَاب الدّين أَحْمد بن محمد بن محمد بن القطب الْقُسْطَلَانِيّ (ت: 776هـ/1374م)[4].

كذلك نجد مغربيا آخر هو أبو الْخَيْر مُحَمَّد بن مُحَمَّد الفاسي (ت:747هـ/1346م) الذي كان متصوفا أيضا، ويمنح الخرقة لغيره، ودليل ذلك ما ذكره السخاوي حينما ذكر ترجمة ابنه عبد الرحمن الفاسي، فأشار إلى أنّه سمع من أَبيه شَيْئا من الحديث، ثمّ ألبسه الْخِرْقَة[5].

من المتصوّفة أيضا محمد بن علي بن موسى المراكشي (ت:823هـ/1420م) فقد ذكر ابن فهد "أنّه لبس من المراكشي خرقة التّصوّف"[6].

---

[1]- ابن رشيد، **ملء العيبة**، ج، 05، ص، 314.

[2]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 01، ص، 269.

[3]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 06، ص، 416.

[4]- ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج، 01، ص، 355.

[5]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 04، ص، 149.

[6]- ابن فهد، **لحظ الألحاظ**، 275.

أضف إلى من سبق أحمد الشّهاب البرنسي المغربي المعروف بزروق:(ق09هـ/15م) حيث كان من مجاوري المدينة المنورة خلال القرن التاسع الهجري، وكان يغلب عليه طابع التّصوّف؛ وقد كان ميّالا إلى أقوال وأفكار ابْن عَرَبِيّ الأندلسي الصوفي صاحب كتاب الفتوحات المكية، ونقل لنا الإمام السخاوي أنّه التقى به في مكّة سنة 894هـ، وجد لَهُ أَتبَاعا ومحبون كثر ممن تأثروا بمنهجه التّصوّفي، وذكر أيضا أنّه كتب شيئا عن الحكم العطائية[1].

هذه نماذج من زهاد المغرب الإسلامي ومتصوّفته الذين أثّروا بمنهجهم خلال فترة وجودهم بمكة المكرّمة، لأنتقل إلى مجال آخر له علاقة باللغة والأدب.

2- جهودهم في اللغة والأدب:

وكما هو معلوم أنّ اللّغة العربية قسمان اثنان، جانب يختصّ باللغة والنحو والصرف وما يلحق بهم، وجانب آخر يختص بالأدب والقافية، وفي كلا الجانبين قد أسهم علماؤنا المغاربة في مكّة بنشاطهم في مجالسهم الدرسية، وسأحاول تصنيفهم وفق هذا التقسيم بادئا بالجانب اللغوي، ثمّ يليه الجانب الأدبي.

2-1- الجانب اللغوي:

لقد برز العديد من العلماء المغاربة في مجال الدراسات اللّغوي والنّحوية في مكة المكرّمة، حيث أسهموا في إنجاح الدرس النحوي بمكة من خلال حلقات الدروس ومجالس العلم التي كانوا يعقدونها، واستقطابهم للعديد من طلبة العلم الذين أُعجِبُوا بتفوّقهم ونبوغهم في علم اللّغة العربية، وبصفة أخصّ علم النحو والمعاني والبيان، ومن أشهر من برعوا في هذا العلم وبرزوا فيه بمكة، نجد مُحَمَّد بن حجاج بن إِبْرَاهِيم الْحَضْرَمِيّ الْمَعْرُوف بِابْن مطرف الإشبيلي النحوي

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 01، ص، 222.

(ت:707هـ/1307م) ووجدنا أنّه قَرَأَ النَّحْو على أبي علي الشلوبين[1]، وكان يحفظ "كتاب سِيبَوَيْه" في النحو، وَله في المجال نفسه مؤلّف سمّاه "تَقْيِيد على جمل الزجاجي في النحو"[2].

وقد ذكر الإمام الذهبي أنّه جاور بمكة نحو ستين عاما[3]، وما دام أنّه جاور كلّ هذه المدّة فلا محالة من أنّه أسهم بإلقاء درس النحو على من رغب تعلّمه.

يليه العالم اللغوي أَبو البركات محمَّد بن موسى بن علي المراكشي الشَّافِعِي الْمَكِّيّ (ت:823هـ/1420م) الذي كان مدمنا على الِاشْتِغَال بالعربية وَالْعرُوض والمعاني وَالْبَيَان وَغَيرهَا حَتَّى برع فيها، وَتقدم كثيرا فِي الْأَدَب نظما ونثرا[4].

ثالث هؤلاء النّحاة المغاربة هو أبو الفضل محمد بن محمد المشدالي البجائي المغربي (ت:864هـ/1459م) وهو عالم جزائري من أبناء زواوة، عاش خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وكان من العلماء الموسوعيين في العلوم والمعارف، بارعا في فنون عدّة من بينها اللغة والبيان والنحو والصرف، وما يدلّ على ذلك شهادة الإمام جلال الدين السيوطي فيه من أنّه نادرة الزمان وأعجوبته[5]، وقد قام برحلته الحجيّة عام 849هـ وجاور حينها بمكة، وتصدّر لتدريس علم للنحو بها، وكان من جملة من أخذ عنه علم النحو بمكّة: علي بن أحمد بن محمد بن مخلوف القاهري(ت:870هـ/1465م) الذي تعلّم علم العربية وأصول الفقه علي يد أبي الفضل[6]، وممن أخذ عنه علم العربية بمكة نجد أبا زكريا يحي بن شاكر الدمياطي

---

[1]- المقريزي تقي الدين، **المقفي الكبير**، تح، محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط، 02، 1427هـ، 2006م، ج، 05، ص، 282.

[2]- السيوطي، **بغية الوعاة**، ج، 01، ص، 74.

[3]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 145.

[4]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 10، ص، 56.

[5]- السيوطي جلال الدين، **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، تح، فيليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت، ط، 1927، ص، 160.

[6]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 05، ص، 187.

الشافعي المعروف بابن الجيعان(ت:880هـ/1475م) فقد استفاد هذا الأخير من أبي الفضل المشدالي أثناء مجاورته الأولى بمكة سنة 849هـ[1]، وأخذ عن المشدالي أيضا عالم الحجاز وفقيهها القاضي برهان الدين إبراهيم بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي(ت:891هـ/1486م)، حيث سمع منه بمكة بعضا من "ألفية بن مالك" في النحو[2].

ورابع النّحاة المغاربة بمكة هو خَلِيل بن هارون الصنهاجي الجزائري المغربي الْمَالِكِي نزيل مَكَّة (ت:826هـ/1422م) انْقطع بِمَكَّة نَحْو عشْرين سنة، وَقَرَأَ بها على ابن صديق والزين المراغي وَالْقَاضِي علي النويري والشريف عبد الرَّحْمَن الفاسي وَأبي الْيمن الطَّبَرِيّ وَغَيرهم، جلس بعدها لإقراء العربية والنحو، فأخذ عنه جمع كثير ممن كانوا يحضرون مجلسه أخذوا علم النّحو عن الشيخ، سأقتصر على لمع فقط منهم: مُحَمَّد بن يَعْقُوب الْجمال الجاناتي الْمَكِّيّ (ت:823هـ/1420م) [3]، وأخوه لأمّه مُحَمَّد بن مُوسى المراكشي(ت:823هـ/1420م) [4]اللذين انتفعا معا فِي علم الْعَرَبيَّة بزوج أمّهما خليل بن هارون الجزائري، وانتفع به أيضا أديب مكّة وشاعرها الشيخ مُحَمَّد بن عبد الْقوي البجائي المغربي الْمَكِّيّ (ت:853هـ/1449م) الذي أخذ عنه النَّحْو بمكة[5]، وآخر من أخذ عنه علم النحو محمَّد بن عثمان بن أيُّوب اللُّؤلؤي الدمشقي الشَّافِعِي(ت:867هـ/1462م) حينما حج سنة 824هـ[6].

ومن اللغويين بمكة نجد مُحَمَّد بن مُوسَى المراكشي الْمَكِّيّ الشَّافِعِي(ت:823هـ/1420م) فكان كثير الاشْتِغَال بالعربية وَالْعَرُوض والمعاني وَالْبَيَان، والفضل في ذلك يعود إلى إمام المقام

---

[1]- ينظر، مدّاح، **أبو الفضل محمد بن محمد المشدالي**، ص، 201.

[2]- مدّاح، **نفسه**، ص، 197.

[3]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 10، ص، 87.

[4]- السخاوي، **نفسه**، ج، 10، ص، 56.

[5]- السخاوي، **نفسه**، ج، 08، ص، 71.

[6]- السخاوي، **نفسه**، ج، 08، ص، 141.

الحنفي شمس الدين الخوارزمي ويعرف بالمعيد(ت:813هـ/1410م)، ثمّ زوج والدته خَلِيل بن هارون الجزائري اللذين انتفع بهما كثيرا فِي مجال الْعَرَبيَّة، ثمّ نجده بعد أن تمكّن من أدوات اللغة العربية ومفاتيحها يسهم هو أيضا في تدريسها بمكة، ونلمس ذلك في طلاّبه الذين أخذوا عنه ذلك العلم، ومن هؤلاء نجد: أَحْمد بن عَليّ بن مُحَمَّد الفاسي المكي الْمَالِكِي (ت:819هـ/1416م) الذي أخذ عنه علم العربية[1].

وختام هؤلاء اللغويين والنحاة المغاربة هو موسى الحاجبي الفاسي (ق09هـ/15م) الذي وجدنا له مشاركة فعّالة في مجال اللغة والنحو بمكة، واستنبطنا ذلك من تلميذه الجمال محمَّد بن ظهيرة الْمَكِّيّ الشَّافِعِي (ت:817هـ/1414م) حينما تطرّق السخاوي إلى شيوخه في النحو ذكر منهم موسى الحاجبي صاحب الترجمة[2].هذا ما تعلّق بجانب اللغة والنحو، لنعرّج الآن على ذكر علماء المغرب في الشق الثاني من الدراسة، وهو الجانب الأدبي.

2-2- الجانب الأدبي:

لقد برع المغاربة والأندلسيون في مجال الأدب والشعر بمكة، وأسهموا بقرائحهم بما كانوا ينظّمونه من أشعار؛ تنوّعت بتنوّع أغراضها ومشاربها ومناسباتها، مستهلا عنصري هذا بشاعرين اثنين من الشعراء، أوّلهما أبو بكر الأطرابلسي المغربي(ق06هـ/12م) الذي نظَم الشعر بمكة، ومن ذلك ما نقله أبو عبد الله محمد بن عياش القرطبي عنه، وهو على المنبر بالحرم الشريف سنة 588هـ حينما سُئل عن سبب الطواف بالكعبة على جهة الشمال وسنّة المصطفى ﷺ التيمّن في العبادات، فأجابه بشعر من بحر الرمل يقول فيه[3]:

---

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 02، ص، 35.

[2]- السخاوي، **نفسه**، ج، 08، ص، 75.

[3]- السبتي ابن رشيد، **ملء العيبة**، ج، 05، ص، 263، وانظر كذلك، الجاسر حمد، **الحجاز في القرن السابع الهجري علي ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي**، مجلة العرب السعودية (مجلة شهرية جامعة تصدر عن دار اليمامة للبحث=

إنّما الكَعْبَةُ في ضَربِ الـمِثالِ كعَروسٍ جُلِيَتْ بينَ رِجالِ

فاسْتَحَتْ مِنْهُمُ، فغَطَّتْ وَجْهَهَا بأكفٍّ وخِمارٍ، ودَلالِ

وثِيابٍ كُحلٍ، نُوريّة دلّلُوها، فتَنَاهَتْ في الدَّلالِ

وادِي إبراهيمَ كُرْسِيٌّ لها ثمّ نَصُّوا شَخْصَها بينَ الـجِبالِ

تاجُها مِيزابُها، إكْلِيلُها ما عَلاهَا مِنْ بَهَاءٍ وجمَالِ

زَمْزَمُ خَادِمُها زَمَّلها مَشْعَلَ الحُسْنِ فَتاهَتْ في الكَمَالِ

فنرى هاهنا أنّ أبا بكر الطرابلسي قد آثر إجابة سائله بما سبق قوله لكونه كان شاعرا فقيها مفتيا في الوقت نفسه.

ويليه الشاعر قطب الدين محمد (ت:686هـ/1287م) حيث أشَرتُ في فصل سابق إلى أنموذج واحد من شعره، لأحاول هنا بسط تفصيل أكثر في هذا العنصر الذي يجمع شعراء مكة المكرّمة من المغاربة، ومن جملة ذلك ما أنشده إبراهيم بن محمد الصوفي بالحرم الشريف سنة 805هـ نقلا عن قائله الأول الشيخ قطب الدين القسطلاني من بحر الطويل قوله[1]:

ألا هلْ لِظِلٍّ بالأراكِ مَعَادُ وهلْ ذلكَ العَيشُ الـهَنِيُ يُعادُ؟

وهلْ زَائرُ الزّوْراءَ زائرُ أبْطُحٍ وخيفُ مُنَى دَارَ تَحُلَّ سُعَادُ؟

ومن شعره في وقوفه على الأطلال ما رواه الدمياطي قوله من بحر الطويل[2]:

أرَاعَكَ وَشَكُ البينِ أمْ أنتَ غَافِلُ أمِ القَلْبُ في إثْرِ الظَعَائِنِ رَاحِلُ؟

تَحَيَّرْتُ حَتّى لوْ سُئِلْتُ عنِ الهوَى لفَرْطِ الجوَى لم أَدْرِ مَا أنَا قَائِلُ

=والترجمة والنشر بالرياض، السعودية)، ج، 01، السنة 04، رجب 1389هـ، تشرين الأول (أكتوبر) 1969م، ص، 59، 60.

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 01، ص، 324.

[2]- الفاسي، **نفسه**، ج، 01، ص، 324.

كتَمْتُ هَواه بُرْهَةً فنَمْتُ بِه دموعُ علَى خَدِّي هَوَامِلُ
رعَى اللهُ هَاتِيكَ المَعَاهِدَ كمْ بها عُهُودٌ بِقَلْبٍ أحْرَقَتْهُ البَلَابِلُ

وله في الزّهد من بحر الطويل هذا الشعر[1]:

إذا كان أُنْسِي في التزامي لخلوتي وقلبي عن كلّ البرية خالي
فما ضرّني من كان لي الدّهر قاليا ولا سَرّني من كان فيّ موالي

وله في باب علم الحديث أبيات من البسيط يقول فيها[2]:

عِلْمُ الحَديثِ مُفِيدٌ كُلَّ مَكْرُمَةٍ فَاِذْأَبْ فَدَيْتُكَ يا ذا الجِدِّ والأَدَبِ
وَاعْكُفْ على الدَّرسِ ليلاً إنْ أردْتَ عُلاً فالعِلْمُ يُعْلِي دَنِيَ الأصْلِ في الرُّتَبِ

وفي باب الحكمة من الطويل قوله:

ستأتِي مِنَ الرَّبِّ الرّحِيمِ لَطَائِفٌ تُوسِّعُ ما قدْ ضاقَ في السِّرِّ والجَهْرِ
فكُنْ واثِقًا باللهِ وارْضَ نَوَالَهُ تنَلْ ما تَشاءُ مِنْ مَالِكِ الخَلْقِ والأمْرِ

وله أيضا في الحكمة ما نقله عنه ابن رشيد في رحلته المسمّاة ملء العيبة" قوله في البسيط[3]:

لأجْهَدَنَّ علَى أنْ لا أرَى أحَدَا وأنْثَنِي خَالِيًا عَنْ قُرْبِ مَنْ بَعُدا
وأُعْمِلُ الفِكْرَ فيمَا أسْتَفِيدُ بِه يَومَ النُّشُورِ غدًا عنْدَ الإلَهِ يَدَا
إنِّي اعْتَبَرْتُ بَنِي الدُّنيْـــا فمَا ظفِرْتُ كفَى بِوُدِّ امْرِئ ألْقَاهُ مُعْتَمِدَا

لعلّ شعره في باب الزهد والحكمة أسال حبرا كثيرا، ولا أستطيع له حصرا غير الاكتفاء بما يفي بالغرض في هذا الباب، لأنتقل إلى شاعر أندلسي آخر وهو ابن مسدي (ت:663هـ/1264م)، فقد نقل غير واحد عنه أنّه كان من شعراء الحجاز خلال القرن السابع الهجري، ومن شعره ما أنشده الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن إسماعيل الطبري،

[1]- الفاسي، **المصدر السابق**، ج، 01، ص، 326.
[2]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 427.
[3]- الصفدي، **فوات الوفيات**، ج، 03، ص، 312، الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج، 02، ص، 94.

عن قريبه الإمام رضي الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الشافعيّ إمام مقام إبراهيم الخليل بالمسجد الحرام، حيث قال: أنشدنا الإمام جمال الدين أبو بكر محمد بن يوسف بن موسى بن مسدي الأندلسي إجازة لنفسه نظمها من بحر الطويل بقوله[1]:

تَحُومُ عَلَينَا لِلمَنايَا حَوَائِمُ كأنَّا حُبُوبٌ والحِمَامُ حَمَائِمُ

ولم أرَ كَالدُّنْيَا حِبَالَةُ صَائِدٍ تَرَى النّمْلَ في أشْرَاكِهَا والضَّرَاغِمُ

حياةٌ ومَوْتٌ ذا لذاكَ مُبَايِنٌ وبَيْنَهُما للنّائِباتِ تَلَازُمُ

فيا صَاحِبي رافِقْ رفِيقًا يَمَانِيًا فإنّكَ للبَرْقِ الشّآمِيّ شَايِمُ

ومن شعره في باب الزهد من الطويل قوله[2]:

أُعَفِّرُ وَجْهِي في التُّرابِ لِعِزِّهِ عَسَى عَطْفَةٍ مِنْهُ تَرِقُّ لِذِلَّتِي

وأُطْرِقُ تَعْظيمًا وأُغْضِي مَهَابَةً ويَحْرُسُنِي فَرْطُ الحيَاءِ لِزَلَّتِي

وأمْرِجُ خَوفِي بالرّجاءِ لأَنّني أرَى عِلَّتِي في حُبِّهِ وتَعِلَّتِي

ومن الشعراء أيضا الضياء بن عمر القسطلاني (ت:663هـ/1264م) الذي أتحف مجالس مكة بقصائد متنوعة الأغراض الشعرية، ومن شعره في باب الزهد قوله من البسيط[3]:

الناسُ خُدَّامُ مَنْ أثْرَى وإنْ أمَرُوا وهُمْ عَدُوٌّ لمنْ قدْ خَانَهُ القَدَرُ

ذنْبُ المُقِلِّ كطَوْدٍ لا يُحـرِّكُـــهُ ريحُ التَنَصُّلِ مهْمَا جاءَ يَعْتَذِرُ

وصاحِبُ الـمَالِ مَكرُومٌ وإن عَظُمَتْ منهُ الإساءَةُ مَقْبولٌ ومُغْتَفَرُ

[1]- الفاسي، **العقد الثمين** ج، 02، ص، 437.

[2]- الفاسي، **نفسه**، ج، 02، ص، 437.

[3]- الفاسي، **نفسه**، ج، 02، ص، 322.

ومن شعره في الزّهد من بحر الخفيف[1]:

حسدُوني وليسَ عندِي مِمَّا حَسَدُوني عَليهِ غيرَ الكَفَاف

بذَلُوا أوْجُهًا رَجَاءَ ازْدِيادِ وحَمَانِي عنْ بَذْلِ وَجْهِي عَفَافِي

أنَا فِي نِعْمَةٍ وأَحْمَدُ رَبِّي رَوْضَتِي مَسْجِدِي وَزَهْرِي طَوَافِي

وله في شعر الحِكمة أبيات من البسيط يقول فيها[2]:

لا يُدْرَكُ السُّؤْدَدُ العالي بِلَا نَصَبِ مَا المَجْدُ في طولِ أَكْمَامٍ وأَرْدَانِ

ولَيْسَ يَرفَعُ ذَا جَهْلٍ سُمُوُّ أَبٍ ولو عَلَتْ قَدَمَاه رأسُ كِيوَانِ

إن رُمْتَ نَيلَ المعَالي فاِسْتَفِدْ أَدَباً جودًا وحلماً وصفحاً عن أَذَى الجَانِي

ما يمكن التوصل إليه أنّ ما يغلب على شعر ضياء الدين هو جانب الزهد، طبعا لكونه من كبار الزّهاد والمتصوّفة فلا بد أن يغلّب ذلك على شعره.

يليه من شعراء القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي مُحَمَّد بن عمر بن عَليّ الجزائري المليكشي(توفي بعد 712هـ) فبعدما أدّى ركنه الخامس وأدّى فريضة الحج سنة 712هـ، وصادف حجّه وقتها حضور السلطان المملوكي النَّاصِر مُحَمَّد بن قلاوون(ت: 741هـ/1341م) بِمَكَّة فابتدره المليكشي بالمدح، وَمن نظمه من بحر الكامل قوله[3]:

بلد رَملَة مَا أتَمَّ سَنَاكا قدْ فَضَّلَ اللهُ الْعَظِيمُ نَدَاكَا

قَالَتْ عَائِشَة الصَّدُوقَةَ عِنْدَنَا فعُدْتُ لطَيْبَةَ أَنْ ترَى مَدَاكا

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 322.

[2]- الفاسي، **نفسه**، ج، 02، ص، 322.

[3]- ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج، 04، ص، 109، 110.

أيضا الشيخ أبا محمد عبد الله بن عمران البسكري(حي سنة 765هـ/1364م)[1]، حيث وصفه ابن رشيد في رحلته أنّ أيسر شيء عليه هو النظم حيث كان شاعرا متفننا، ويروي عنه صاحب الرحلة أنّ أصحابه أرادوا كسر عزيمته واختبار مدى صبره على مفارقته الحرم، فارتجل جملة من الأبيات تعلّق شيء منها بحافظة ابن رشيد السبتي يقول من الطويل فيها[2]:

عليكُمْ سلامُ اللهِ إنّي عَائدٌ إلى حَيثُ لا أُخْزَى ولا أتَنَدَّمُ

إلى حَرَمٍ فِيهِ لقَوْمٍ هِدَايَةٌ وفيهِ لأَرْبَابِ الـمَطَالِبِ زَمْزَمُ

ومنْ عرَفَ الرَّزَّاقَ سَكّنَ سِرَّه ودَرَّ عَلَيهِ الرّزقُ مِنْ حَيثُ يُقْسَمُ

ومن الشعراء المغاربة الذين ذاع صيتهم خلال القرن الثامن الهجري الرّحالة خالد بن عيسى البلوي:(ت: 780هـ) حيث وجدنا له مشاركات شعرية مدوّنة في صفحات رحلته الموسومة بـ"تاج المفرّق"، ونلمس ذلك جليا في مواضع عدّة سنذكر نماذج منها، أوّلها حين وصوله إلى مكة، وتراءى له البيت العتيق أنشد من الطويل قائلا[3]:

وضَعْنَا جِبَاهًا في الثّرَى قدْ تَهَلَّلَتْ أسَارِيرُهَا مِنْهَا وَزَادَ سُرُورُها

وطُفْنَا بِهَا سَبْعًا وزُفَّتْ ظِلَالُـهـا عَلَى خَائِفٍ مِثْلِي أتَى يَسْتَجِيرُها

وحينما دخل البيت الحرام ووقع نظره عليه، غلب على لسانه الشعر فأنشد قائلا[4]:

إلهِي هَذا الَبيتُ بَيتُكَ جِئْتُهُ وعادةُ ربِّ البَيتِ أنْ يُكْرِمَ الضَّيْفا

فهَبْ لِي قِرًى فِيهِ رِضاكَ وأنَّنِي مِنَ النّارِ خَوْفِي فلتُؤمّنِّـيَ الخوفَا

---

[1]- صاحب قصيدة: " دار الحبيب أحق أن تهواها" وسنذكر تفاصيلها في المبحث القادم حينما نذكر أدباء المدينة المنورة، ينظر الملحق رقم 02، ص، 328،329.

[2]- ابن رشيد، **ملء العيبة**، ج، 05، ص، 268.

[3]- البلوي، **تاج المفرق**، ج،01، ص، 294.

[4]- البلوي، **المصدر نفسه**، ج، 01، 294.

وحينما قاربت الرّحلة على نهايتها، سار وهو يكفكف الدّمع منشدا في المتقارب[1]:

أيا شِعْبَ مَكَّةَ نَوْمِي حَرَامُ مَتَى قَوَّضْتَ عنْ رُباكَ الخِيامُ

أَلِفْنَاكَ إلْفَ الرّضيعِ الرّضَاعَ وقدْ يؤْلِمَنّ الرّضِيعَ الفِطامُ

سأَبْكيكَ ما بَكَتِ الثّاكِلاتُ وهَيهاتَ يَبْرُدُ مِنّي أوامُ

وأحْنُو إليكَ حَنينَ النّياقِ لهُنَّ بأكْنافِ نَجْدٍ غَرَامُ

سننتقل إلى شعراء القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي، وسأستهلّه بأحمد بن علي الفاسي والد الحافظ التقي الفاسي(ت:819هـ/1416م) الذي استطاع تأليف الشعر ونظمه من خلال مدح النبي ﷺ، إضافة إلى مدائح نظّمها في أمراء مكة ،ومن مدائحه النبوية قوله في قصيدة من الطويل مطلعها [2]:

عدَلْتَ فما تُؤْوِي الـهلالَ الـمَشارِقُ ليَنْظُرَهُ بالـمَغْرِبينِ الـمَشَارِقُ

فمَا رَائِحٌ إلاَّ بِخَوْفِكَ أعْزَلُ ولاَ صَامِتٌ إلاَّ بِفَضْلِكَ نَاطِقُ

ثمّ يليه شاعر مكة وأديبها بلا منازع وأقصد بذلك الجزائري محمد بن عبد القوي البجائي (ت: 852هـ/1448م) فبعدما تلقّى تعليمه الأول في النحو على يد خَلِيل بن هارون الجزائري وَالشَّمْس الوانوغي وَأبي الْقسم العقباني، واستفادته الكثيرة من مجد الدين مؤلف الْقَامُوس المحيط في اللُّغَة، نجده أيضا يبدع في الأدب ويتعانى الشّعْر حتى تميّز فِيهِ[3]، وقد ذكر المقريزي فِي عقوده أنَّه برع فِي الْأَدَب وَقَالَ الشّعْر الْجيد وشارك في عدة فنون[4]، وكان في بعض شعره مدحا لأعيان مَكَّة وأمرائها، وبمقابل ذلك كان في شعره أيضا هجاءً قلّ من يسلم من أهل مَكَّة منه[5]،وقد

[1]- البلوي، **المصدر السابق**، ج، 02، ص، 07.

[2]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 01، ص، 207، 208.

[3]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 08، ص، 71، 73.

[4]- المقريزي، **درر العقود**، ج، 03، ص، 392.

[5]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 08، ص، 71، 73.

كتب النَّاس عَنهُ من نظمه الْكثير منهم المقريزي الذي كتب بعضا من نظمه، وكذلك النَّجْم بن فَهد الذي انفرد بجمع مجلد له أيضا[1].

ومن بين إسهاماته الأدبية رثاؤه لابن موسى المراكشي بقصيدة سمعها منه ابن فهد؛ أُنشِدَتْ يوم وفاة الشيخ في ملأ من المسلمين يقول في مطلعها من بحرها البسيط[2]:

مَنْ لِلْمَحَابِرَ والأقلامِ والكُتُبِ بعدَ ابنِ مُوسَى ومَنْ للعِلْمِ والأدَبِ

مَنْ للرّوايةِ أو منْ للدّرايةِ أوْ منْ للقِراءةِ مَنْ للجِدِّ في الطّلَبِ

منْ للتّفاسيرِ مَنْ للفِقْهِ يَنْشُرُهُ مَنْ للأُصوُلِ وللّتدْرِيسِ والنُّخَبِ

وطرح أسئلة عديدة عن علوم عدّة كـ (الأسانيد، والفرائض، والحساب، والتاريخ، والنحو، والفتاوي، والبلاغة.. وغيرها) كان الفقيد عالما جهبذا فيها، نظّمها في أبيات متتالية لا يسع نطاق البحث ذكرها كلّها أُرجِئها إلى قسم الملاحق[3]، واقتصرت على ذكر بعض من أبياتها فقط.

وله أيضا في الخفيف نظم في ذكر مدح قريش يقول فيه[4]:

لِقُرَيْشَ علَى الأنَامِ فَخَارُ وبنُو هَاشِمَ فَخَارُ الفَخَارِ

شُبِّهُوا بالنُّضَارِ ظُلْمًا فهَلاَّ شُبِّهُوا بالشُّمُوسِ والأقْمَارِ

وفي باب الحكمة له إسهامات أيضا أذكر منها قوله من الطويل[5]:

متَى مَا امْرُؤٌ نَالتْكَ منْهُ إسَاءَةٌ فَسَامِحْهُ عنْها واغْتَنِمْ مِنْ ثَوَابِهِ

---

[1]- السخاوي، **المصدر السابق**، ج، 08، ص، 71، 73.

[2]- ابن فهد، **لحظ الألحاظ**، ص، 179، 181. (بقية القصيدة في الملحق رقم، 01، ص، 326، 327).

[3]- ينظر الملحق رقم 01، ص، 326، 327.

[4]- السخاوي، **التبر المسبوك**، ج، 02، ص، 149.

[5]- السخاوي، **نفسه**، ج، 02، ص، 149.

وَكِّلْهُ إلَى صَرْفِ اللَّيَالِي فإنَّها سَتُبْدِي لهُ ما لم يَكُنْ فِي حِسَابِهِ

وَقَوله في الحكمة من مجزوء الرجز[1]:

يَا غافلا عَنْ نَفسِهِ أخَذَتْكَ أَلْسِنَةُ الوَرَى

السّهْلُ أَهْوَنُ مَسْلَكًا فدَعِ الطَّرِيقَ الأَوْعَرَا

وَاعْلَمْ بأَنّكَ مَا تَقُلْ فِي النَّاسِ قَالُوا أَكْثَرَا

وله في الزهد أبيات من بحر الطويل يقول فيها[2]:

فيَا نَفْسُ عَنْ كمْ زفرَةٍ تـتـنَفَّسِي وَمِنْ طَيْبَـةَ الجرْعاءَ كمْ تَـتَـجرّعِي

أَرَاكِ إذا مَا الْوُرْقُ بالجِذْعِ غَرَّدَتْ بِتِذْكارِهَا عَهْدَ الْمَحَبَّةِ تجْـزَعِي

وإنْ ناحَ مَصْدُوعُ الفُؤادِ مِنَ الهَوَى ظَلَلْتِ لهُ ممَّا شَكا تَتَصَدَّعِي

وفي باب التزكية أنشد شاعر مكة الأديب قطب الدين مجيبا صاحب الدليل الشافي ابن تغري بردي حينما سأله عن مولده لمّا طلب منه حصول الإجازة فأنشده أبياتا من الطويل يقول فيها[3] :

أجَزْتُ لَكُمْ مَا قَدْ رَوِيتُ بِشَرْطِهِ ومَالِيَ مِنْ نَظْمٍ بَدِيعٍ ومِنْ نَثْرِ

بثانِيةٍ بعدَ الثَّمَانِينَ مَوْلِدِي بِمَكَّةَ مِنْ شَوَّالِهِ ثالثُهُ الْعَشْرِ

[1]- المقريزي، **درر العقود**، ج، 03، ص، 393.

[2]، السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 08، ص، 72.

[3]- بن تغري بردي جمال الدين، **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، تح، فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي، جامعة أم القري ط، 1983، ج، 02، ص، 639؛ المقريزي، **درر العقود**، ج، 03، ص، 394.

كذلك بعث بأبيات من البسيط يمدح بها المقريزي يقول له فيها[1]:

يَا أَحْمد بن عَليّ دُمْتَ فِي نِعَمٍ مَدَى الزَّمَانِ مَصُوناً مِنْ تَقَلُّبِهِ

هَذَا الَّذِي كُنْتُ أَرْجُو أَن أفُوزَ بِهِ مِنْ فَيْضِ فَضْلِكَ قدْ جَاءَ البَشيرُ بِهِ

هذا غيض من فيض شعره أتحف به مجالس مكة والحرم خلال القرن التاسع الهجري، ثمّ إنّه أورث شعره وقريحته لابنه يحي بن محمد البجائي(ت:859هـ/1454م) الذي نجد أيضا تعانى نظم الشعر فنظم وأنشد منه اليسير إذا ما قارنّاه بوالده الشاعر، سأورد بعضا من مقتطفات أسمعها لابن فهد منها ما أنشده سنة 841هـ بالمسجد الحرام قوله في الطويل[2]:

ألا ليتَ شِعْرِي هَلْ أَزُورَنْ مَنْ أتىَ بِدينٍ قَويمٍ للإِلهِ رَسُولُ

وهلْ أَرِدُ الزّرْقاءَ يومًا وأبْتَغِي مَقِيلاً بِهاتِيكَ النّخيلِ ظَلِيلُ

وأنشده في السنة نفسها بدار الندوة من المسجد الحرام قائلا[3]:

ألاَ ليتَ شِعْرِي هلْ أبِيتَنَّ لَيْلَةً أطوفُ بِبيتٍ للخَلِيلِ جَميلُ

وهلْ أرِدَنَّ منْ ماءِ زَمزمَ مَورِدًا ويَحْسُنُ سَعْيِي بالصّفَا ومِيلُ

وأنشده من الطويل أيضا[4]:

ألا ليتَ شِعْرِي هلْ أقَبّلُ مِبْسَمًا به اللُّؤْلُؤُ الرّطْبُ الأَصَمُّ فَطِيمُ

وهلْ أرِدَنَّ مِنْهُ زُلالاً ليُشْتَفَي فؤادٌ تَلَظّى بالغَرَامِ سَقِيمُ

---

[1]- المقريزي، **المصدر السابق**، ج، 03، ص، 393، السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 08، ص، 73.

[2]- ابن فهد، **الدر الكمين**، ص، 1250.

[3]- ابن فهد، **نفسه**، ص، 1250.

[4]- ابن فهد، **نفسه**، ص، 1251.

وأنشده بالمسجد الحرام قوله من بحر الوافر[1]:

أقولُ لِعُصْبَةٍ عَاثُوا وجَارُوا على الأعْرَاضِ بالبَلَدِ الأمِينِ

سَتُطْفَى نارُ دَولَتِكُم سَرِيعًا ونَقْتَبِسُ الضّياءَ منَ الأمينِ

ومن خلال بحثي عن المغاربة في مجال الأدب وجدت أنّ أسرة عبد القوي البجائي انفردت بالشهرة عن غيرها، كونها أسرة أدبية تناقلت نظم الشعر أبًا عن جدٍ انطلاقا من والد قطب الدين محمد "عبد القوي" النحوي واللغوي فابْنَيْهِ قطب الدين وأحمد الشاعرين وصولا إلى الحفيد يحي بن محمد القطب، واستطاعت تخليد اسمها بما نظّمته من أشعار خلال قرن من الزمن.

ويلي يحي بن محمد شاعر تونسي آخر لا يقلّ أهمية عمّن سبقوه، وهو علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله السفاقسي المشهور بابن الصّباغ (ت:855هـ/1451م) فقد نقل عنه ابن فهد من شعره بدار الندوة بمكة المكرّمة سنة 841هـ قوله في الطويل[2]:

ألاَ ليتَ شِعري هلْ أبِيتَنَّ لَيْلَةً بوادِي مِنَى والخيفَ وهُوَ سَيْلُ

وحَولِي أصحابٌ كالصّباحِ وُجُوهُهُم وظَبيةُ أنْسٍ في الحَلَيّ تَجُولُ

ومن الشعراء المغاربة بمكة المكرّمة جمال الدين محمد بن عمر بن عزم التونسي (ت:891هـ/1486م) حيث نقل عنه ابن فهد أنّه كان ممن ينظّم الشعر وينشده بمكة، وذكر لنا أبياتا سمعها منه يقول فيها[3]:

دِينِي وفَقْرِي وهُمْ عَائِلَتِي دَعَتْ بِذاكَ لعَلَّ تَرْحَمُهُم

حاشَا يـُخَيّبُوني إنْ دَعَوتُ وهُمْ ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ

[1]- ابن فهد، **الدر الكمين**، ص، 1251.

[2]- ابن فهد، **نفسه**، ص، 1058.

[3] - السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 08، ص، 256.

وله موضع آخر من بحر البسيط، أنشده إيّاه برباط المغاربة سنة 864هـ يقول فيه[1]:

إن رُمْتَ للْحَرَمِ الـمَكّيّ مَعْرِفَةً فَاسْمَعْ وكُنْ واعيًا قَوْلِي ومَا أَصِفُ

واعْلَمْ بأنّ سُيُولَ الحِلّ قاطِبَةً إذا جَرَتْ نحوَهُ فَدُونَهُ تَقِفُ

وختام هؤلاء الشعراء المغاربة هو أبو عبد الله محمد بن أحمد اللوّاتي التونسي(موجود سنة 899هـ/1493م)، حيث أُثر عنه نظمه للشعر بمكّة المكرّمة، ومنها ما نقله السخاوي حينما التقى به في مكة سنة 894هـ، فأنشده قصيدة لنفسه يقول في مطلعها من بحر البسيط[2]:

يا ربِّ عبدُكَ قدْ وافَى الَمقامَ وفَى الحِجْرِ والحَجَرِ الَمعْلوُمَ والحَرَمَا

وطافَ بالبَيتِ في حَالِ الصّفا وسَعَى ودُونَ مَوقِفِهِ حالَ الزّمانُ بمَا

فجُدْ عليه بيُمنِ الأمْرِ يَنْجُ بِهِ مِنْ كُلّ مُعْضِلَةٍ يا مَالِكِي كَرَمَا

3- جهودهم في التاريخ والسير:

استطاعت مكة المكرّمة أن تضمّ إليها طبقة من المؤرّخين المغاربة، صنعوا مجد وتاريخ الحجاز، واستطاعوا أن يسهموا في التأريخ لمكة وآثارها ومعالمه من جهة، ومن جهة ثانية مساهمتهم في تدريس طلبة العلم لمؤلّفات مرتبطة بجانب التاريخ والسير، فعدّوا بذلك من مؤرّخي مكة والحجاز عموما كما سنرى ذلك، وأوّل هؤلاء المؤرّخين ظهورا خلال القرن السادس الهجري هو رزين بن معاوية السرقسطي الأندلسي (ت:525هـ/1130م) الذي كان من السّبّاقين للتأريخ للحجاز حيث كتب عن تاريخ مكة[3] كتابا، وعن المدينة أيضا كتابا فكان إن صحّت الكلمة أول المغاربة

[1] - ابن فهد، **الدر الكمين**، ج، 01، ص، 251.

[2]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 08، ص، 166.

[3]- الهيلة محمد الحبيب، **التاريخ والمؤرّخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر "جمع وعرض وتعريف"**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط، 01، 1994م، ص، 34، 35.

تدوينا للتاريخ الحجازي عموما، ثمّ يليه في المرتبة الثانية محمد بن أحمد بن علي القسطلاني (ت:686هـ/1287م) فقد ذكرت المرويات التاريخية التي اطّلعت عليها أنّ له إسهاما في كتابة التاريخ بمكة المكرّمة، منها كتابان اثنان الأول يتعلّق بكتاب وصف فيه الحريق الذي نشب بالمسجد النبوي سنة 654هـ/1255م سمّاه "عروة التوثيق في النار والحريق"[1]، والثاني دوّن في تاريخ اليمن سمّاه "فواضل الزمن، في فضائل اليمن"[2].

وخلال القرن الثامن الهجري ظهر مؤرّخون مغاربة بمكة من أمثال ابن مسدي الأندلسي، حيث ذكر صاحب العقد الثمين أنّ مجد الدين أحمد بن ديلم الشَّيْبِي الحَجْبِي، شيخ الحجبة وفاتح الكعبة(ت: 712هـ/1312م) سمع منه "السيرة" لابن إسحاق، و"النجم والكوكب" للإقليشي[3]، مما يدلّ على أنّه درّس علم التاريخ بمكة.

مؤرخ مغربي آخر هو أبو عبد الله محمد بن محمد الفاسي(ت:719هـ/1319م) جدُّ التقي الفاسي، فقد كان من المساهمين في التأريخ للعلماء وأهل الخير بمكة وذكر الفوائد العلمية عنهم وعن شعرهم، وعن مناقب الصالحين فيها، في كتاب سمّاه " تعاليق في التاريخ والأخبار" [4]، فهذا المصنّف سهّل العملية فيما بعد لحفيده تقي الدين الفاسي، حيث استعان به في كتابته لعقده الثمين في تاريخ البلد الأمين.

ويلي أبا عبد الله المؤرّخ أحمد بن حسن بن الزين محمد القسطلاني (ت:797هـ /1394م)، فبعدما سمع من جمال الدين المظفري "إتحاف الزائر" لابن عساكر، ومن جمال الدين الآمدي الحنبلي وجمال الدين المطري كتاب "الرياض النضرة" للمحب الطبري، نجده يعتلي كرسي

[1]- الهيلة، **التاريخ والمؤرخون بمكة**، ص، 52.

[2]- الهيلة، **المرجع نفسه**، ص، 52.

[3]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 03ص، 23.

[4]- الهيلة، **مرجع سابق**، ص، 60.

الدرس، ويُحَدِّثُ بكتاب "الرياض" السابق، وكان مؤرخ مكة التقي الفاسي ممن سمعه منه هذا الكتاب "أي كتاب الرياض"[1].

من المؤرّخين المغاربة بمكة خلال القرن التاسع الهجري المؤرّخ تقي الدين الفاسي (ت:832هـ/1428م) فقد قال عنه المقريزي: إنّه كان بحر علم وكنز فوائد، ولم يخلف بالحجاز بعد مثله[2]، وَكَانَ ذَا يَد طولى فِي مجال التَّارِيخ، فكتب في مجالات تاريخية متعدّدة وكان من أهمها التأريخ لمكة المكرّمة، حيث اعتنى بأخبارها "مكة"؛ فأحيا معالمها، وأوضح مجاهلها وحدّد مآثرها وَترجم لأعيانها، فَكتب مصنّفا حافلا في تارِيخ مكةّ سمّاه "شِفَاء الغرام بأخبار الْبَلَد الْحَرَام"، إلى جانب مصنّفات تاريخية تزيد عن الأربعة عشر مصنّفا في التاريخ ما بين كتب ومختصرات؛ سأحاول سرد تفاصيلها في فصلنا القادم والمتعلق بمصنّفاتهم العلمية.

ثاني مؤرّخي القرن التاسع الهجري هو القطب أَبُو الْخَيْر مُحَمَّد بن عبد الْقوي البجائي المغربي (852هـ/1448م)؛ فتشير المرويات التاريخية إلى أنّه كان يكْثر من مطالعة التَّارِيخ وصار يحفظ منه كثيرا خاصّة تاريخ الْحجاز وَمَا يتَعَلَّق بعربها ومحالها، وتميّز أيضا فِي الْأَنْسَاب الْجَاهِلِيَّة[3]، وما انفرد به عن غيره من المؤرّخين هو قوّة الحافظة فِي التَّارِيخ مع ذكاء متّقد عادة يتسلط بِهِ على الْخَوْض فِي فُنُون كثيرة، وذكر السخاوي أنّ ذلك الذّكاء وتلك الحافظة سمحا له بأن يكون عونا للتقي بن قاضي شهبة في تقييده لأخبار الحجاز بعد التقي الفاسي[4].وممّا يدل على مشاركته في مجال التاريخ أنّ التقي ابْن قَاضِي شُهْبَة افتقده فِي حج سنة 837هـ/1433م فأراه أبو الخير كلّ مكان بِمَكَّة، وكلّ مَزَار؛ ومن وقف به؛ وما قيل فيه؛ ومقابر كَثِيرَة لا يعرِفُهَا النَّاس؛ ومواضع

[1]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج،01، ص، 308.

[2]- المقريزي، **درر العقود**، ج، 03 ص، 123.

[3]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 08، ص، 71، 73.

[4]- السخاوي، **نفسه**، ج، 08، ص، 71.

يجهلونها، وغيرها مع العلم أنّه لم يكن حاضرا في الحج وقتها، دلّ على إحاطة كَبِيرة واطلاع كثير[1] في مجال التاريخ.

وختام المؤرّخين المغاربة هو محمد بن عمر ابن عزم التميمي التونسي (ت:891هـ/1486م) فإضافة إلى كونه كان شاعرا فحلا، كذلك امتاز بكونه يتعانى التاريخ وكتابته، لكنّه لم يظهر منه شيء، وترك مؤلّفات في مجال التاريخ[2] منها مؤلّفَان اثنان في مجال التراجم، سأرجئ ذكرهما إلى الفصل الأخير من هذه الرسالة، وقد ذكر جلال الدين السيوطي صداقته معه، وأنّه كان مرجعا له في مواليد بعض العلماء أو تاريخ وفياتهم بقوله: "أفادني صاحبنا المؤرّخ شمس الدين بن عزم"[3]. هذا ما استطعت جمعه وترتيبه من مؤرّخي المغرب الإسلامي بمكة المكرّمة لأنتقل إلى إسهاماتهم في علوم العقل في عنصرنا الموالي.

4- جهودهم في العلوم العقلية

والمقصود بالعلوم العقلية التي هي طبيعية للإنسان من حيث أنّه ذو فكر، فهي ليست مختصّة بملة ولا شرع وتسمّى علوم الفلسفة والحكمة حسب قول ابن خلدون في المقدمّة[4]؛ وهي مشتملة على أربعة علوم (المنطق، الطبيعة، الإلهيات، المقادير) ومع قلة مشاركة المغاربة في ذلك لأسباب جعلت العلوم العقلية لم تلق اهتمام علمائنا المغاربة بالحجاز منها[5]:

- اهتمام علماء الحجاز والمجاورين به بالعلوم الشرعية.

---

[1]- السخاوي، **نفسه**، ج، 08، ص، 71، 73.

[2]- ابن فهد، **الدر الكمين**، ص، 250.

[3]- محمد محفوظ، **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط، 02، 1994م، ج، 03، ص، 377.

[4] - ابن خلدون، **المقدمة**، ج، 02، ص، 248، 249.

[5] - الجابري، **الحياة العلمية في الحجاز**، ج، 02، ص، 562.

- عدم استقرار العلماء المعروفين في العلوم العقلية خاصة الطب بالحرمين الشريفين بسبب احتياج سلاطينهم لهم وعدم استغنائهم عنهم.

- امتناع الآباء من تعلّم أبنائهم لتلك العلوم كمنع أحدهم من تعلّم ابنه في الابتداء من الاشتغال في العقليات ثمّ أذن له[1].

وما يدعم الفكرة السابقة هو كلام قاله الشيخ الذهبي (ت: 748هـ/1347م) عن علماء المغرب الإسلامي عموما حيث يقول: "كانت علماء المغرب لا يدخلون في الكلام، بل يتقنون الفقه أو الحديث أو العربية، ولا يخوضون في المعقولات"[2]، لكنّنا لا نجزم بعدم وجود مغاربة خاضوا أو اجتهدوا في مجال العقليات، ودليل ذلك أنّنا وجدنا من أثبتوا حضورهم ونبوغهم في ذلك الاختصاص رغم عددهم القليل، إلاّ أنّهم وُجِدوا، لأبدأ بأول فرع من العقليات وهو علم الطب والصيدلة والكيمياء:

4-1- الطب والصيدلة والكيمياء:

يعرِّفُ ابن خلدون علم الطّب بأنّه "صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح، فيحاول صاحبها حفظ الصّحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية بعد أن يتبيّن المرض وأسبابه التي تنشأ عنه مستدلا على ذلك بأمزجة الأدوية..."[3]، فعلى الرّغم من أهمية هذا العلم الذي يعتمد على مساعدة الناس وإنقاذهم من الهلاك إلاّ أنّنا لاحظنا من خلال البحث شحّ الأطباء المغاربة ببلاد الحجاز عموما إذا ما قارنّاها ببلاد الشام التي توافد عليها المغاربة مظهرين تفوّقهم ونبوغهم

---

[1] - السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 03، ص، 109.

[2]- الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج، 16، ص، 557، وانظر، البغدادي أبو الحسين محمد، **طبقات الحنابلة**، تح، عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط، 01، 1425هـ، 2005م، ج، 01، هامش ص، 405، و**انظر**، عزّون جمال، **وصية الحافظ الذهبي لمحمد بن رافع السّلامي**، مكتبة العمرين العلمية، الإمارات العربية المتحدة، ط، 01، 1430هـ، 2000م، ص، 142.

[3]- ابن خلدون، **المقدّمة**، ص، 493.

بينما محل دراستنا "الحجاز" لا نكاد نحصي سوى ثلاثة أطباء مغاربة قدّموا خدماتهم الجليلة خلال فترة الدراسة وأقصد بذلك الطبيب أبو عثمان الحكيم المغربي[1](ت: أوائل القرن 08هـ/14م)، المجاور بمكة، وقد كان عارفا بالطّب، ودليل ذلك أنّ أهل مكة نقلوا عنه حكايات دالّة على معرفته بالطب؛ منها أنّ شخصا شكى إليه ضعفا بامرأة، فأمره أن يأتيه بإراقتها، فأتاه بإراقة نفسه، لأنّ المرأة امتنعت، فقال له عثمان: ما هذه إراقة المرأة، وصاحب هذه الإراقة لا يعيش إلا ثلاثة أيام، فكان الأمر كذلك.

الشخصية الثانية هو الجمال محمد بن الشهاب أحمد البوني المغربي، حيث نجده في أوائل القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، يوقف بعض الأماكن بالحجاز وتسخيرها على شكل البيمارستان[2].

ثالث هؤلاء المغاربة هو عيسى بن يحي الريغي المغربي المالكي (ت: 827هـ/1423م)، حيث نقل لنا عنه السخاوي مساهمته في مساعدة المرضى في الطرقات وإسعافهم، وحملهم إلى البيمارستانات[3].

رابع المغاربة هو الطبيب محمد بن محمد بن أحمد بن الزين القسطلاني المغربي المكي(ت: قبيل 890هـ/1485م) الذي كانت له عناية واشتغال بالطب بمكّة المكرّمة خلال القرن التاسع الهجري، ثم سافر بعدها إلى الهند ولقي هناك قبولا بالطب[4].

---

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 06، ص، 302.

[2]- أحمد عيسى، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط، 02، 1401هـ،1981م، ص، 246.

[3]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 06، ص، 158.

[4]- ابن فهد، **الدر الكمين**، ج، 01، ص، 298، 299.

4-2- الحساب وعلم الفلك:

هذا العلم يساعد الفقيه والأصولي للاستعانة به في علم الفرائض الذي يبحث عن كيفية قسمة تركة الميت بين مستحقّيه، فرغم أنّه من ضمن الدراسات الفقهية إلاّ أنّ بعضهم أدرجه ضمن فروع علم الحساب تحت مسمّى "حساب الفرائض" فهو مرتبط بالحساب اتباطا وثيقا، وممن كانت له مشاركات فيه نجد أبا الحسن علي بن محمد بن فرحون القيسي من أهل قرطبة (ت:601هـ/1204م) عالم بالحساب[1]، وقد استوطن خلال القرن السادس الهجري مكة مدّة من الزمن، ثمّ انتقل بعدها إلى المدينة المنورة أين أمضى بها وقتا ليس باليسير.

من المغاربة أيضا أحمد بن يونس بن سعيد القسنطيني(ت:878هـ/1473م) الذي عكف على تدريس علم الحساب بمكة، وأخذه عنه بعض أهل مكة والمجاورين بها[2].

وختام هؤلاء المغاربة في مجال الحساب هو أبو الغمر السائب بن عبد الله بن السائب الأنصاري الخزرجي الطنجي المغربي (ت:718هـ/1318م)، فقد نقل السخاوي تخصّصه في علم الفرائض والحساب[3]، وذكر استوطانه بمكة والمدينة معا.

4-3- علم المنطق:

وهو علم يعصم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة، وتمييز الخطأ من الصواب فيما يلتمسه الناظر في الموجودات وعوارضها، ليقف على تحقيق الحق في الكائنات بمنتهى فكره[4]، بعبارة أخرى يعني حماية الذهن من الوقوع في الخطأ، ويوجهه إلى الصواب خاصّة في مجال العقيدة، وفي هذا العلم وجدنا من المغاربة من كان له إلمام بعلم المنطق

---

[1]- ابن القاضي، **جذوة الاقتباس**، ص، 483.

[2]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 02، ص، 252.

[3]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 405.

[4]- ابن خلدون، **المقدمة**، ج، 02، ص، 284.

كأحمد بن يونس الحميري القسنطيني(ت:878هـ/1473م)، فإضافة إلى كونه كان عالما بالعربية والحساب، كانت له أيضا مشاركات في علم المنطق، وقد تصدّى لإقرائه لأهل مكة والقادمين إليها، وانتفع به جماعة منهم[1].

كذلك في علم المنطق نجد أبا الفضل محمد بن محمد المشدالي البجائي (ت:864هـ/1459م) حيث ذكر صاحب السخاوي أنّه أسهم في إقراء علم المنطق بمكة، وممن أخذ عنه هذا العلم يحي بن شاكر بن عبد الغني الدمياطي الشافعي المعروف بابن الجيعان (ت:880هـ/1475م) أثناء مجاورته الأولى بمكة[2].

وما نودّ الإشارة إليه من استنتاج في هذا الجانب أنّ علماء المغرب الإسلامي في الحجاز خلال حقبة الدراسة لم يولوا اهتماما كبيرا بعلوم "العقليات" بمكة، ما نتج عنه شحّ علمي في إنتاجهم مقارنة بعلوم الشريعة التي صبوا جلّ اهتمامهم فيها، وانجرّ عن ذلك إنتاج وفير في مجال الفقه والحديث وعلوم القرآن الكريم بدل العلوم الأخرى(العقلية).

[1]- ابن فهد، **الدر الكمين**، ج، 01، ص، 567؛ السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 01، ص، 274.

[2]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 10، ص، 227.

❖ المبحث الرابع:

جهود علماء المغرب الإسلامي في العلوم الأخرى بالمدينة المنورة

كان للمغاربة إسهامات علمية بالمدينة المنورة، حيث أنّ هذه الأخيرة قد حَوَت كوكبة من المغاربة أيضا ذاع صيتهم في مجالات أخرى وعلوم أخرى، وأقصد بذلك العلوم الخارجة عن نطاق العلوم الشرعية، وهي العلوم المرتبطة بالجانب الروحاني (الزهد والتصوّف)، والجانب اللغوي والأدبي، وجانب بعيد عنهما له علاقة بالعقل أو ما يسمّونه بـ "العقليات"، وسأذكر في هذا المبحث بعض إسهاماتهم وفق التقسيم الذي انتهجته في المبحث السابق لبثّ مادتي العلمية وفق ما هو أتٍ:

1-جهودهم في الزهد والتصوف

علم التصوّف علم يعرف به كيفية ترقي أهل الكمال الإنساني في مدارج سعادتهم والأمور العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطاقة البشرية[1]، وفي هذا المجال لم تحظ المدينة المنورة بالعدد الكبير من الزّهاد والمتصوّفة من أهل المغرب الإسلامي إذا ما قورنت بمكّة المكرّمة خلال فترة دراستي، إذ لم أعثر إلاّ على شخصية واحدة حسب ما اطّلعت عليه من معلومات، تمثّلت في الفقيه داود بن موسى الغماري الفاسي المالكي(ت:820هـ/ 1419م) فبعدما سكن المدينة المنورة أكثر من عشرين سنة، وجدت له عناية بفنون من العلم وتنبّه في ذلك، حتى صار في ذهنه فوائد ونكت منها يذاكر بها، ثم أقبل على التّصوّف والعبادة وجَدّ فيهما كثيرا[2].

[1]- القنوجي صدّيق بن حسن، **أبجد العلوم: السحاب المرقوم الممطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم**، تح، عبد الجبار زكّار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ط، 02، 1978م، ج، 02، ص، 152.

[2]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 37.

2-جهودهم في اللغة والأدب

أمّا عن نشاط المغاربة في حلقات علوم اللغة العربية، فقد وجدت اهتمام البعض منهم في عقد حلقات الدرس بالمسجد النبوي لتدريس علوم اللغة من لغة ونحو، وصرف وشعر، إضافة إلى المعاني والبيان، حيث أبدوا براعتهم ونبوغهم، وما دلّ على ذلك نسبة حضور طلبة العلم إلى مجالسهم وحلقاتهم، وسأحاول فيما يلي اتّباع الطريقة نفسها من تقسيمي لعلوم اللغة إلى جانب اللغة، وجانب الأدب لأبدأ بأول الفروع منها، وهو الجانب اللغوي.

2-1- الجانب اللغوي:

برع في مجال اللغة والنحو كوكبة من علمائنا المغاربة، أتحفوا مجالسهم العلمية التي كانت تعقد في جنبات وعرصات المسجد النبوي، فكان ينشّطها أولئك اللّغويون بما امتلكوه من مفاتيح اللغة والبيان، وأوّل من ظهر نشاطه بها هو عالم المدينة أبو عبد الله محمد بن فرحون (ت:721هـ/1321م)، حيث قدّم ابن فرحون الوالد جهودا معتبرة بالمدرسة الشهابية حين كان قاطنا بها، واستطاع زملاؤه الاستفادة من علومه في العربية والفقه والأصول وعلوم عديدة حملها عن شيوخ بلده (بالمغرب) الذي أتى منه. لقد استطاع أن يؤدي دورا هامّا بالمدرسة الشهابية التي ألقى فيها دروس العربية على زملائه أثناء إقامته بها ولزموه حتى استفادوا منه[1]، كذلك كان له نشاط درسي في اللغة والنحو بالمسجد النبوي، تمثّل في حلقة النحو التي كان يلقيها بالمسجد النبوي ذاته[2]، أضف إلى من سبق فقد استفاد منه في العربية ولداه عبد الله وعلي النور في العربية حسب تصريح ابنه الأكبر عبد الله[3]. ومن هؤلاء المتلقّين عنه علم العربية نجد خليل بن عبد

[1]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 244.

[2]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص، 71.

[3]- السخاوي، **نفسه**، ج، 03، ص، 707.

الرحمن بن محمد القسطلاني (ت:760هـ/1355م) الذي قرأ على ابن فرحون الوالد العربية ولازم درسه حتى انتفع به وحصّل علما كثيرا، وعادة ما كان يسأل البدر ابنه عمّا يكتبه والده من العربية فيجيبه بشيء من شرح الجمل لابن عصفور؛ وكأنّه شيء قليل، فيعظّم خليل شأن ابن فرحون الوالد ويقول عنه: "ما هذا من حوائج ابن عصفور فهذا الذكر العظيم وحسن الإلقاء والتفهيم لا يكون إلاّ عن إلهام أو كثرة اشتغال، وكتب كثيرة يلتقط محاسنها ويرتب قوانينها"[1] دلالة منه على عِظم الشخص وعِظم ما كان يلقيه من العلم، ومن الآخذين عنه علم العربية الإمام الشمس محمد بن صالح بن إسماعيل الكناني (ت:785هـ/1383م) حينما زار المدينة المنورة فقال: "حضرت حلقته في النحو وسمعت كلامه"[2] أي في النحو، وبعد وفاته نجد أنّ ابنيه "البدر عبد الله وعلي النور" قد حملا مشعل والدهما وسطع نجمهما معا في مجال العربية والنحو، وما دلّ على ذلك أنّ عبد الله البدر كان من أعمدة العربية بالمدينة المنورة بعد وفاة والده محمد، ويعود الفضل الأول في بروز نجمه في العربية بالمدينة إلى والده الذي تلقى على يديه المبادئ الأولى في العربية منذ صغره فقال "اشتغلت في علم العربية وأنا ابن ثمان عشرة سنة[3]، فكان –رحمه الله– بارعا في هذا العلم – علم العربية– حتى صار زعيمها في وقته بالمدينة المنورة، وآخر علماء القرن الثامن الهجري ذكرا هو أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري الأندلسي (ت بعد:765هـ/1363م) حيث وجدناه خلال مجاورته بالمدينة المنورة سنة 756هـ/1364م يشرح في حلقاته العلمية "ألفية بن مالك" في النحو شرحا مفيدا عمّ به النفع، واشتهر به اشتهارا عظيما[4].

[1]– السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 2، ص، 22.

[2]– السخاوي، **نفسه**، ج، 03، ص، 710.

[3]– ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 09.

[4]– ابن فرحون، **نفسه**، ص، 119.

وخلال القرن التاسع الهجري برز علماء أيضا نذكر منهم خليل بن هارون الصنهاجي الجزائري المغربي المالكي(ت:826هـ/1421م) وهو من الذين زاوجوا المجاورة في الحرمين الشريفين، وقد رأيناه في مبحث سابق ينشّط حلقات النحو بمكّة، كذلك استطاع أن يبرز في علم النحو بالمدينة المنورة خلال القرن التاسع الهجري، وممن تتلمذ عليه الشاعر الأديب مُحَمَّد بن عبد الْقوي بن مُحَمَّد بن عبد الْقوي البجائي حينما زار الْمَدِينَة، فذكر أَنه أَخذ النَّحْو عَن خَلِيل بن هارون الجزائري[1].

ويليه في القرن نفسه العالم النحوي الشهَاب أَحْمد بن يُونُس المغربي (ت:878هـ/1473م) الذي اشتهرت حلقاته بالمدينة بتدريس علم العربية والنحو، وأُثِرَ عن غير واحد من أهل المدينة والمجاورين بها تلقيهم العلم عنه، ومن بينهم عبد الْعَزِيز بن مُسَدّد بن مُحَمَّد الكازروني الْمدنِي الشَّافِعِي (ت:882هـ/1477م)[2]، وإبراهيم بن محمد بن إبراهيم الخجندي المدني الحنفي إمام الحنفية (ت:897هـ/1492م) [3]، ومعمر بن يحيى بن مُحَمَّد السراج أَبُو الْيُسْر الْمَكِّيّ الْمَالِكِي (ت:897هـ/1492م)[4]، ومحمد بن عبد الله بن محمد الزرندي المدني الحنفي (ت: ق09هـ/15م)[5]، وخلق كثير لا نجد لهم عدا ولا حصرا أخذوا علم العربية والنحو وعلوم أخرى أثناء مجاورته للمدينة خلال القرن التاسع الهجري.

---

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 04، ص، 59.

[2]- السخاوي، **نفسه**، ج،04، ص، 235.

[3]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 01، ص، 83.

[4]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 10، ص، 162.

[5]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 500.

2-2- الجانب الأدبي:

حفلت المدينة المنورة بكوكبة من شعراء مغاربة وأندلسيين كانت لهم اهتمامات مختلفة ومتعدّدة فتنوّعت أغراض الشعر لديهم من مدح ورثاء وحكمة وغزل ووصف وغيره، فأسهموا بقرائحهم بما كانوا ينظّمونه من شعر خلال المناسبات التي كانت تحلّ بمدينة الرسول ﷺ خلال فترة الدراسة، ولعل من أبرز شعراء ذلك العصر نجد أبا الحسن علي بن إبراهيم بن محمد التجاني(ت: 675هـ/1276م) وهو أحد طلبة تونس ومقرئيها للعربية والأدب، وكان قدومه إلى بلاد الحجاز قبل قيام ابن رشيد لرحلته الحجية خلال القرن الثامن الهجري؛ أي خلال القرن السابع الهجري تحديدا، ويحكي عنه ابن رشيد السبتي أنّ له سرعة نَظم لم ينته إليها أحد في زمانه، وحين استقبلا الروضة الشريفة، طلب ابن رشيد من الأديب أبا الحسن أن ينشده شيئا عند رأس المصطفىﷺ انطلق لسانه بالشعر من بحر الطويل قائلا[1]:

أقولُ إذَا ما نحنُ صِرْنَا بِطَيْبَةٍ نَزَلْنَا بَحَمْدِ اللهِ بالـمَنْزِلِ الرَّحْبِ

نزَلْنَا بمَغْنَى أَكْرَمِ الخَلْقِ كُلِّهِمُ قِرانَا عَلَيهِ اليَومَ مَغْفِرَةَ الذّنْبِ

وخلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي برز ثلة من شعراء المدينة المنورة نجد منهم، خلف بن عبد العزيز القبتوري (ت: 704هـ/1304م) فقد قال عنه الذَّهَبِيّ أنّ له بَاعا مديدا في التّرسل والنّظم[2]، ومن نظمه من البحر الطويل[3]:

رَجَوتُـك يا رَحْمَنُ، إنّك خَيرُ مَنْ رَجَـاهُ لغُفرانِ الجَرَائمِ مُرتَجِ

فَرحمتُك العُظمَى التي ليسَ بابُها -وحاشاك- في وجهِ المسيء[4] بمُرْتَجِ

---

[1]- ابن رشيد، **ملء العيبة**، ج، 05، ص، 274.

[2]- ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج، 02، ص، 58.

[3]- الصدفي، **أعيان العصر**، ج، 02، ص، 324؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج، 13، ص، 231.

[4]- وعند السخاوي في التحفة "**المشيء**" انظر السخاوي، السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 20.

ونظمه في باب الزهد قوله من الوافر[1]:

أسِيلي الدّمعَ يا عَيْني، ولكنْ دَماً ويَقلُّ ذلك لي، أسِيلي

فكم في التُّرْبِ[2] من طَرَفٍ كحَيلٍ لِتربٍ لي، ومِنْ خَدِّ أسيلِ

ومن الزهد أيضا قوله من البسيط[3]:

ماذا جَنَيتُ على نفسي[4] بما كَتبتْ كَفِّي، فيا وَيْحَ نفسي من أذَى كفِّي

ولو يَشَاءُ الذي أجرَى عَليَّ بذا قَضَاءَهُ الكفَّ عنهُ كُنْتُ ذا كَفِّ

وله من البسيط أيضا[5]:

واحَسْرَتا لأُمُورٍ ليسَ يَبْلُغُها مالي[6]، وهُنَّ مُنَى نَفْسِي وآمالِي

أصْبَحْتُ كالآلِ لا جَدْوَى لَديَّ وما آلَوْتُ جُهْدًا، ولكِنْ جَدّيَ الآلي

من خلال النماذج الشعرية التي ذكرناها تبيّن لنا أنّه كان ميالا للزهد أكثر من الأغراض الشعرية الأخرى، وهذا يسوقنا إلى كونه كان من الزّهاد والمتصوفة حسب استنتاجي.

[1]- الصفدي، **أعيان العصر**، ج، 04، ص، 323؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج، 13، ص، 231.

[2]- وعند السخاوي "**الشرب**" انظر السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 20

[3]- الصفدي، **أعيان العصر**، ج، 04، ص، 323؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج 13، ص 231.

[4]- عند السخاوي "**كفّي**"، ينظر السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج 02، ص 20.

[5]- الصفدي، **أعيان العصر**، ج، 04، ص، 323؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج 13، ص 231.

[6]- عند السخاوي "آمالي"، انظر السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 20.

كذلك نجد من الشعراء بالمدينة المنورة الشاعر أبا البركات أيمن بن محمد السعدي التونسي(ت: 734هـ/1333م)[1] الذي خلّف بها ديوانا كبيرا في المدح النبوي[2]وغيره، سأقتصر على البعض من شعره في أغراضه المتنوّعة؛ لأبدأ بشعر الحكمة من بحر الطويل حيث يقول فيه[3]:

إذا طالَ عُمْرُ المرْءِ سُرَّ وسَاءَهُ علَى أيّ حَالٍ كانَ فَقْدُ الحَبائِبِ

وفي نَفْسِه إنْ ماتَ قَبْلَ انْتِهائِه مُصِيبَتُهُ فالمرْءُ رأسُ المصَائِبِ

وأنشد يوم العيد بالمدينة المنورة نظما من الخفيف يقول فيه[4]:

إنّ عيدًا بِطَيْبَةَ وصَلاَةٍ بمُصَلَّى الرَّسُولِ في يَوْمِ عِيدِ

نعَمْ ضَاقَ وَاسِعُ الشُّكْرِ عَنْهَا فَهِيَ بُشْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ سَعِيدِ

وإذا كانَ في البَقِيعِ ضَرِيحِي وتَوَسَّدْتُ طِيبَ ذلكَ الصّعيدِ

فاشْهدُوا لِي بِكُلِّ خَيرٍ ويُسْرٍ عندَ رَبّي ومُبْدِئي ومُعِيدِي

وله في الغزل مشاركة من بحر الطويل يقول فيها[5]:

وكم رُمتُ كَتْمَ الحُبِّ عَمَّنْ أُحِبُّـــهُ وكيفَ بِكَتْمِ الحُبِّ عنْ سَاكِنِ القَلْبِ

إذا اخْتَلَجَ السِّرُّ المَصُونُ بِخَاطِرِي تَقَلَّبَ مِنّي القَلْبُ جَنْبًا إلى جَنْبِ

---

[1]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 01، ص، 203.

[2]- يحكي عن نفسه أنّه رأى النبي ﷺ في منامه، فأنشده بعض قصائده فيه، فبصق في فيه وقال له: "لا فُضّ فُوكَ"، فلم تسقط له سنّ، ينظر، السخاوي، **المصدر نفسه**، ج، 01، ص، 203.

[3]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 149.

[4]- ابن فرحون، **المصدر نفسه**، ص، 149، 150.

[5]- ابن فرحون، **نفسه**، ص، 150.

فتَبْدُوا ولا تَبْدُوا سَرَائِرَ لَوْعَتِي وتَخْفَى ولا تَخْفَى وفِي الحالِ ما يُـنبْـِي

ومن شعراء القرن ذاته (ق08هـ/14م) نجد أبا محمد عبد الله بن عمر بن موسى البسكري المغراوي (حي سنة 765هـ/1364م) فقد ذكره صاحب كتاب تحقيق النصرة حينما التقى به بالمدينة المنورة ولازمه. بل نجده يتأثّر به فيما يقوله من أشعار ويحفظها لشدّة إعجابه بها، ومما روى عنه قصيدة من سبع وأربعين بيتا من بحر الكامل، مدح بها المدينة المنورة[1] يقول في مطلعها[2]:

دارُ الحبيبِ أحقُّ أن تهواها وتَحنُّ من طربٍ إلى ذِكراها

وعلَى الجُفُونِ إذَا هَمَمْتَ بزَورَةٍ يا ابنَ الكِرامِ عَليكَ أنْ تَغْشَاهَا

فلَأنْتَ أنْتَ إذا حَلَلْت بِطَيبةٍ وظَلَلْتَ تَرْتَعُ في ظِلال رُباهَا

ثمّ يختمها بـ: والحمدُ للهِ الكَريمِ وهذِه نَجَزَتْ وظنّي أنَّهُ يَرْضاهَا

ومن الشعراء أيضا البدر عبد الله بن فرحون (ت:769هـ/1364م) فإضافة إلى كونه عالم المدينة والحجاز عموما في اللغة حسب رأي أثير الدين أبي حيان-صاحب المحيط- فيه حينما استمع إلى شرحه وإعرابه لقصيدة بانت سعاد المسمّى "شفاء الفؤاد من بانت سعاد" ،كذلك كان أديبا شاعرا لا يشقّ له غبار، وقد وجدت بعضا من نظمه، ومن ذلك قصيدة نظّمها يشكو فيها حاله إلى رسول الله ﷺ بعدما تعرّض للغدر من طرف أعدائه الشيعة الإمامية، حيث أنشد نظما من البحر الطويل يقول فيه[3]:

إليكَ رَسُولُ اللهِ منْ عَبدِكَ الذي تعوَّقَ عَنْ مَغْنَاكَ مِنْ فَتْكِ ضَرْبَةٍ

[1]- ينظر لبقية القصيدة في الملحق رقم 02، ص، 328، 329.

[2]- المراغي أبو بكر بن عمر، **تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة**، تح، محمد عبد الجواد الأصمعي، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، السعودية، ط، 01، 1384هـ، 1955م، ص، 208، 210. (بقية القصيدة في الملحق 02، ص، 328، 329).

[3]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 251، 254.

عُبَيدُك عَبدُ اللهِ جارُكَ عُمْرَهُ نَزِيلُكَ لم يَبْرَحْ مُؤَمِّلَ عَطْفَةٍ

عليكَ رَسُولَ اللهِ أشْكُو مُصِيبَتِي وشِدَّةِ أهْوالٍ أطَافَتْ بُمْهجَتِي

أغَارُوا عَلَى نَفْسِي سُحَيرا بِمـُـدِيةٍ لإتلافِ رُوحِي بلْ وإذْهابِ جُثَّتِي

ثمّ يواصل شكواه في قصيدة تجاوزت الخمسين بيتا[1]، يسرد ما حصل له مع الطائفة الإمامية التي حاربها وكسر شوكتها وفضح أباطيلها يوم ناب في الحكم بالمدينة المنورة عن القاضي تقي الدين الهوريني سنة 746هـ/1345م[2].

وله أيضا قصيدة ثانية في مدح المدينة مكوّنة من سبع وسبعين بيتا، يذكر فيها فضائل المدينة المنورة[3]، والتشويق إلى سكناها سمّاها "تشويق النفوس إلى نص العروس يقول في مطلعها[4]:

بفضْلِ الإلهِ مَالكِ المُلكِ غافرٍ مُقَسِّمِ أَرْزاقِ العِبادِ وقاهِرِ

تَقَسَّمَتِ الأوْطانُ بينَ المعَاشِرِ فكانَ نَصِيبي كابرًا بعْدَ كابِرِ

مدينةَ خيرِ الرُّسْلِ مَهْبِطِ وَحْيِهِ سَقَاهَا إلـهِي مَاطرًا بعدَ ماطِرِ

يختمها بقوله: وهذا لتشويقِ النّفُوسِ وَسَمْتِها فَسارِعْ إلى نصِّ العروسِ وبادِرِ

كذلك ممن ظهر له نشاط أدبي بالمدينة المنورة علي نور الدين أخو البدر بن فرحون (ت: 746هـ/1341م) الذي بلغ في العلوم الأدبية مبلغا عظيما حتى أنّه كتب شعرا كثيرا غاية في الجودة[5]، كان من جملة ذلك إنشاؤه لديوان شعر في مدح النبي ﷺ، ومدح غيره، لكنّنا رأيناه فيما سبق يتأسّف ويندم على انشغاله بالأدب على حساب علوم الشرع "الكتاب والسنّة".

---

[1]- ينظر لبقية القصيدة في الملحق رقم 03، ص، 330، 331، 332.

[2]- ابن فرحون إبراهيم، **الديباج المذهب**، ج، 01، ص، 457.

[3]- ينظر لمحتوى القصيدة كاملة في الملحق رقم 04، ص، 333، 336.

[4]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 254، 257.

[5]- ابن فرحون إبراهيم، **مصدر سابق**، ج، 02، ص، 126.

وفي الفترة نفسها نجد حضور الرّحالة خالد بن عيسى البلوي (ت:767هـ/1365م) بالحرمين الشريفين لأداء ركن الحج، وقد أسهم هو بدوره بنظمه في المدينة المنورة، ونلمس ذلك الحس الشعري أثناء وصوله إلى ثنية المدينة المنورة فيرسل دمعا ويرتجل شعرا من بحر الكامل يقول فيه[1]:

اللهُ أكبرُ حبذَا إكبارُه لاحَ الهُدَى وبَدَتْ لنَا أَنْوارُهُ

لاحَتْ مَعَالِـمَ يَثْرِبَ ورُبُوعُها مثْوَى الرَّسُولِ ودَارُه وقَرَارُهُ

وهي قصيدة مكوّنة من ثلاثين بيتا ارتجلها ارتجالا، ثمّ يواصل نظمه حينما حلّ بالمدينة المنورة فأنشد بتلك الديار المقدّسة نظما مكوّنا من اثنين وعشرين بيتا من الطويل يقول في أوّله[2]:

سلامٌ كنَشرِ الوردِ من مسقطِ النَّدا عليكَ رسولَ الله يا مَنْزِلَ الهُدى

ويا مَهْبِطَ الأمْلاكِ والوَحْيِ لم تَزَلْ أنيسًا بزَوْراءِ الرّسولِ مُمَجّدا

ويا تُربَـةَ الـمُخْتَارِ أفْدِيـكِ تُرْبَـةً بنفْسِي، وإنْ كانَتْ أقَلَّ مِنَ الفِدَا

ثمّ يختمه بـ: صلاةُ الإلهي والسَّلام مضاعفٌ على المصطفى المختارِ ما اتّصلَ المدَى

ولم يتمالك البلوي نفسه، ولا كفكف دمعه حين المغادرة من المدينة، فأنشد والحزن يعتصره والقلب مكويا بفرق الفراق[3]:

للهِ أيُّ هَوَى بَرامَهْ حَيثُ القُلوبُ المستَهَامَهْ

[1]- البلوي، **تاج المفرق**، ج، 01، ص، 280،282.

[2]- البلوي، **نفسه**، ج، 01، ص، 283،284.

[3]- البلوي، **نفسه**، ج، 01، ص، 295.

لم يبقَ قَلْبٌ في الحِمَى إلاَّ وقدْ أعْطَى زِمَامَهْ

باللهِ يا حَادِي القُلُوبِ إذا رَجَعْتَ معَ السَّلاَمَهْ

فاحْدَعْ فُؤَادِي عَلَّهُ يَرْعَى لـمَنْزِلِهِ ذِمَامَهْ

وبالمدينة أيضا سطع نجم شاعر أندلسي آخر هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري الأعمى الأندلسي[1](ت:780هـ/1378م) حيث كان أبو عبد الله ممن ينظّم الشعر في مدح خير البرية محمد ﷺ، وكان صاحبه أبو جعفر أحمد بن يوسف الغرناطي ملازما له في حلّه وتَرحَاله، فقد رحلا معا من الأندلس وصولا إلى المدينة المنورة التي جاورا بها معا على قدم من الصحبة والصداقة، فكان ابن جابر يقول الشعر، وصاحبه الغرناطي يدوّن عنه كل ما نظّمه بالمدينة المنورة في مدح النبي ﷺ، ومن ذلك النظم قصيدة طويلة في وصف المدينة المنوّرة قرأها بالروضة النبوية سنة 766هـ/1364م على قافية الميم، اشتملت على فنون البديع يقول في مطلعها على وزن البحر البسيط[2]:

بطَيبةَ انْزِلْ ويَمّمْ سيّدَ الأمَمِ وانْشُرْ لهُ الـمَدْحَ، وانْثُرْ أطْيَبَ الكَلِمِ

فلُذْ ببَرٍّ رَحِيمٍ بالبرِيّةِ إنْ عَاقَتكَ شِدَّةُ دَهْرٍ عَقَّ واعتَصِمِ

وَافٍ كريمٍ رَحِيمٍ قدْ وفَا وَوَقاَ وعَمَّ نفعَا فكَمْ ضُرّاً شفَا وكَمِ

أمّا عن شعراء المغرب خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي فنجد الأمر لا يقل عن القرون التي سبقته، حيث برز خلاله شعراء مغاربة سأقتصر على شاعر واحد فقط هو

[1]- ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج، 03، ص، 339.

[2]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 118.

محمد بن محمد الأنصاري الزمّوري(ت: 860هـ/1455م) فبعدما رحل إلى المدينة وأقام بها[1]، اشتغل بعلوم العربية والأدب، وكان من شعره في مدح المدينة المنورة قوله من الكامل[2]:

لا كالمدينةِ منْزِلٌ وكَفَى بها شَرَفًا حُلُولَ محمدٍ بفَنَاهَا

حَظِيتُ ببَهْجَةِ خيرِ من وَطِئَ الثَّرَى وأجَلِّهِمْ قَدْرًا، فكَيْفَ تَرَاهَا

مما لاحظناه وشدّ انتباهنا في هذا العنصر المرتبط بالجانب الأدبي، أنّ فترة القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي قد نالت حصّة الأسد من حيث حضور الشعر المغربي بالمدينة المنورة إذا ما قارنّاه ببقية قرون الدراسة الأخرى، والسبب راجع حسب استنتاجي إلى أنّ هذا القرن هو القرن الذي تميّز بكثرة الرّحلات المغاربية نحو الحجاز، وهي فترة حكم المرينيين بالمغرب؛ الذين شجّعوا وحفّزوا التواصل العلمي مع المشرق، كما رأينا ذلك في الفصل الأول من هذه الرسالة.

3- جهودهم في التاريخ والسير

لم تنل المدينة المنورة نصيبها من المؤرّخين المغاربة بالقدر الذي نالته مكّة المكرّمة التي فاق في عدد المؤرّخين بها العشرة، ولم أتوصّل إلى إدراك السبب، لكن أعتقد أنّ من الأسباب ربما تفضيل المغاربة الجوار بمكّة أكثر منها بالمدينة المنورة، لكنّ هذا لم يمنع من مجاورة عدد قليل لا يكاد يذكر من المغاربة المجاورين، فخلال القرن السابع الهجري ظهرت شخصية أندلسية عُدَّت من علماء الحديث والأدب والسياسة، هو خلف بن عبد العزيز الغافقي القَبْتُورِي

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 07، ص، 252؛ التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص، 521.

[2]- السخاوي، **المصدر نفسه**، ج، 07، ص، 252.

(ت:704هـ/1304م) وهو من علماء الحديث بالمدينة المنورة حيث لمح تلميذه ابن رشيد السبتي إلى مزاولته لعلم التاريخ حينما وصفه بـ"شيخ الكتاب، وخاتمة أهل الآداب" [1].

ثم يليه ابنا محمد بن فرحون "علي النور وعبد الله البدر"، فالأوّل علي النور بن محمد بن فرحون (ت: 746هـ/1345م) لم نجد له مجالس أو حلقات درس في الأخبار والتاريخ، لكن من خلال المؤلّفات التي دوّنها في تاريخ المدينة منها "تواريخ الأخبار، والتعريف بنسب النبي المختار" دلّت على امتلاكه للتاريخ والأخبار، والثاني هو عبد الله بن فرحون صاحب كتاب "تاريخ المدينة المنورة" أو نصيحة المشاور، والمتتبّع لهذا الكتاب يدرك أنّ مؤلِّفه مؤرّخ من الطراز الأول.

4- جهودهم في العلوم العقلية

4-1- الطب والصيدلة والكيمياء:

يذكر ابن فرحون عن دينار المغربي (ت:734هـ/1333م) عن توفيره الأدوية بالمدينة المنورة فقال "وكان مسكنه بدار الشيرابي هيّأ فيه منزلا للخاص والعام، وجعل في منزله مارستانا[2] للمرضى، ولا يسمع بمريض من الخدام والمجاورين والفقراء والمسافرين، إلاّ ويحمل نفسه في الحين إلى عيادته، ويحمل إليه من الأشربة والأغذية الملوكية حسب شهوة المريض وإرادته، وإذا وصف لمريض دواء مفقود بذل في تحصيله النقود، ولا يبقي في ذلك شيئا من المجهود، فكان لا يدّخر جهدا ولا مالا لذوي الحاجة والفاقة رحمه الله، فهذه الشهادة دالّة على امتهانه لمهنة الطب والصيدلة في آن واحد.

---

[1]- الهيلة محمد الحبيب، **التاريخ والمؤرخون بالمدينة المنورة من العصر الأموي إلى القرن الرابع عشر الهجري**، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، السعودية، ط، 1436هـ، ص، 85.

[2]- **المارستان أو البيمارستان**، مستشفى لمعالجة المرضى وإقامتهم، وهو مصطلح فارسي مركّب من بيمار (مريض)، وستان (دار المرضى)، انظر أحمد عيسى، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، ص، 04.

وممن امتهن الطب بالمدينة من المغاربة أيضا أبا الحسن علي بن فرخوص التلمساني المغربي(ق14/08م) كان ذا معرفة كبير بعلوم الحرف والكيمياء وأسرار الطلاسم، وكان ذا فضل في علم الطب[1].

أضف إليهما محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري التونسي(كان موجودا سنة 899هـ/1493م)وقد ذكره السخاوي في التحفة من أنّه شارك في الطب بالمدينة وتردّد عليه بعض من أهل المدينة لمعرفتهم بمهارته فيه[2].

الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر مرزوق التلمساني (ت:08هـ/14م) حيث ذكر عنه ابن فرحون أنّه كان يتفقّد الفقراء، ويعالج الطرحاء (المرضى) في مكانهم، ويطوف على المرضى بالمدينة فيتفقّدهم أينما كانوا بالطعام والدواء"[3].

4-2-الحساب وعلم الفلك:

اهتمّ علماؤنا المغاربة بهذين العِلمين لكونهما مرتبطين ارتباطا وثيقا بأمور الدين، فالأول ذو علاقة بعلم الفرائض، وهو العلم الذي يبحث فيه عن كيفية قسمة تركة الميت بين الورثة وموضوعه قسمة التركة بين المستحقين وعدّوا بذلك هذا العلم بابا من الفقه[4]؛ فلا بد من أن يكون صاحبه ذا معرفة شاملة بالحساب، والثاني له علاقة بالفلك كونه علم يعرف به سمت القبلة، ووقت الزوال

[1]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص، 344، 345.

[2]- السخاوي، **المصدر نفسه**، ج، 03، ص، 674.

[3]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص، 71.

[4]- التهانوي، **موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تح، د، علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط، 01، 1996، ج، 02، ص، 42، وانظر، حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، تصحيح وترتيب وتعليق، محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.ط، ج، 02، ص، 1244.

وأوائل الشهور القمرية وأواخرها وأقات الصلاة لأنّ أوقات الصلاة تختلف من بلد إلى آخر[1]؛ ما جعل العلماء بالحجاز والمجاورين بها يهتمون بما يسمى علم الميقات الذي نتعرّف به على أزمنة الأيام والليالي وأحوالها ،وكيفية التوصل إليها ،ومنفعة معرفة أوقات العبادات[2].

ونظرا لأهميّة العِلْمَين السابقين، فقد سطع فيهما رواد مغاربة من أمثال محمد بن علي بن يحي الغرناطي المعروف بالشامي(ت:715هـ/1315م)، فخلال إقامته بالمدينة كان يدرّس ويحدّث بعلمي النحو والفلك[3]، وكذلك نجد الشيخ الفقيه أبا عبد الله محمد بن محمد الغرناطي(ق08هـ/14م) حيث ذكر ابن فرحون أنّه كان يحكم الفرائض والحساب، ولم يُرَ في المدينة مثله[4] في ذلك التخصّص خلال القرن الثامن الهجري.

ممن تناول عِلم الحساب بالمدينة المنورة من المغاربة الشيخ أبو الغمر الطنجي المغربي (ت:718هـ/1318م)، حيث كان برباط المغاربة المسمى "رباط دكالة" الذي كان يقرئ به العلم؛ حتى إنّ صاحبه ابن فرحون ذكره في تاريخه فقال: "قرأت عليه بالرباط الفرائض والحساب"[5].

ومنهم أيضا الشيخ علي بن فرغوص التلمساني(ت:738هـ/1337هـ) الذي كان مُلِمّا بعلوم العقل من علم الحرف(الأرقام)، وأسرار الطلاسم(الهيمياء)[6]، وعلم السيمياء (الخنقطيرة)[7]،

---

[1]- عسيري مريزن سعيد مريزن، **الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي**، رسالة مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية، إشراف أد، حسام الدين السامرائي، قسم الدراسات العليا الحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، السنة، 1404، 1405هـ، 1984، 1985م، ص، 497.

[2]- انظر، التهانوي، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون**، ص، 50.

[3]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 312، درنيقة، **معجم أعلام شعراء المدح النبوي**، ص، 383.

[4]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص، 143.

[5] - ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 115؛ الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 04، ص، 164؛ السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 01، ص، 378.

[6]- وهو الخارق الذي مبدؤه القوى السماوية الفعّالة الممزوجة بالقوابل الأرضية المنفعلة لتحدث به الأمور الغريبة (وهي من الشعوذة)، ينظر، التهانوي، **الموسوعة**، ص، 1138.

[7]- علم يكون به تسخير الجن، التهانوي، **نفسه**، ص، 999.

والروحانيات[1]، وإنّه كان في مجلسه غرائب ونوادر[2]، هذا ما جعل المجاورين من أهل المدينة المنورة يجتمعون حوله بما في ذلك كبار الدولة ووزرائها من أهل مكّة والمدينة لسماع نوادره العجيبة والاستمتاع بها.

ومن المغاربة أيضا الشيخ أبو علي الحسن بن عيسى الحاحائي المغربي(ت: 749هـ/1348هـ)، حيث نقل عنه ابن فرحون أنّه كان رُحلة في علم الحساب والفرائض إضافة إلى الفقه على مذهب مالك[3]، وقد انتفع الطلبة به من جميع المذاهب الأربعة فيما سبق من العلوم، وعند الفيروزآبادي "كان قبلة للقاصدين في علم الفرائض والحساب"[4].

أيضا القاسم السلاوي المغربي المالكي(عاصر ق 08هـ)، مدحه ابن فرحون بقوله: "كان نجيبا متفنّنا، ماهرا في علم الفرائض، نقّالا للفروع"[5]، وقد انتفع به الطلبة بالمدينة المنورة.

وخلال القرن التاسع الهجري تميّز في هذا العِلم، مغربي تونسي اسمه محمد بن أحمد بن عثمان التونسي المالكي المعروف بالوانوغي(ت:819هـ/1416م) حيث وُجد له اهتمام بعلوم العقل كالمنطق والفرائض، فضلا عن اشتغاله بعلم الحساب والجبر والمقابلة[6].

ويأتي في ختامهم الجزائري أحمد بن يونس القسنطيني (ت:878هـ/1477م) الذي تصدّى بمكّة لإقراء العربية والحساب والمنطق وغيرها، وأخذ عنه بعض أهلها والقادمين إليها، وقد وجدناه يجاور أيضا بمدينة النبيﷺ ويُقرِئ بها العلوم نفسها[7]، هذه المهارة جعلت صاحب "الضوء" يصفه بإمام علم الحساب والمنطق[8].

---

[1]- ويقصد به الإنسان والملاك، وقيل الذي هو روح بلا جسد كالملائكة والجن، وقيل الملاك الجنّي (وكلّ هذه التعريفات مرتبطة بعالم الجن وليس الإنس أعاذنا الله منها)، ينظر، التهانوي، **نفسه**، ص، 885..

[2]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص: 151.

[3]- ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص: 161.

[4]- السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج، 01، ص، 495.

[5]- ابن فرحون، **مصدر سابق**، ص، 407

[6]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص، 379.

[7] - السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 02، ص، 252

[8]- السخاوي، **نفسه**، ج، 02، ص، 253.

4-3- علم المنطق:

في هذا العلم ظهر مغاربة تركوا بصمتهم بالمدينة المنورة نجد منهم السابق أحمد بن يونس القسنطيني الذي برع حتى لقّب بإمام المنطق كما ذكر السخاوي[1]، والثاني هو أبو محمد عبد الله بن حجاج المغربي المشهور بمكشوف الرأس، حيث كان على اطّلاع بعلوم المنطق والهندسة بالمدينة المنورة، جمع كتبا مشتملة على تصانيف متنوّعة من تفسير وحديث وتاريخ وطب ومنطق وعلوم قلّ من يفهمها من أهل المدينة[2]، وقد وصفه مجد الدين في تاريخه الفلسفي المنطقي الحكيم.

وفي نهاية هذا العنصر يمكننا القول بأنّ المدينة المنورة خلال فترة الدراسة قد شهدت حركة علمية وثقافية كبيرة في مجال العلوم العربية والعقلية ساهم فيها علماء مغاربة، جعلت من الحجاز عموما والمدينة المنورة على وجه الخصوص منارة من منارات الحضارة الإسلامية خلال العصر الوسيط وفترة الدراسة.

جدول -01- يمثّل إحصاء لحضور المغاربة في العلوم النقلية حسب كلّ تخصّص:

التّخصّص	بمكة المكرّمة	بالمدينة المنورة
القراءات	06 على الأقل	07
التفسير	03	01
الحديث	07	06
الفقه وأصوله	10	09
المجموع	26	23

[1]- السخاوي، **نفسه**، ج، 02، ص، 253.

[2]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 310.

جدول -02- يمثّل إحصاء لحضور المغاربة في العلوم الأخرى حسب كلّ تخصّص:

التخصّص	بمكة المكرّمة	بالمدينة المنورة
الزهد والتصوّف	07	01
اللغة والأدب	06.لغويين / 11شعراء	06 لغويين/ 09 شعراء
التاريخ والسير	08	03
الطب والصيدلة	04	04
الحساب والفلك	03	08
المنطق	02	02
المجموع	41	33

الفصل الرابع

أثر المغاربة في المجتمع الحجازي

وفيه المباحث:

- الأثر العلمي للمغاربة في بلاد الحجاز (المصنّفات والمؤلّفات).
- الأثر الديني للمغاربة في بلاد الحجاز.
- الأثر التربوي الاجتماعي في بلاد الحجاز.
- الأثر الاقتصادي للمغاربة في بلاد الحجاز.

❖ المبحث الأول:

الأثر العلمي للمغاربة في بلاد الحجاز

"المصنّفات والمؤلّفات"

تعدّدت مصنّفات المغاربة التي ألّفوها ودوّنوها أثناء وجودهم في بلاد الحجاز خلال الفترة المحدّدة للدّراسة، وقد تنوّعت بتنوّع العلوم، منها ما له علاقة بالعلوم الشرعية، وأخرى لها علاقة بالعلوم غير الشرعية، وعلى هذا الأساس سأصنّف المادة الموجودة، ثمّ أضعها في إطارها وفق الآتي:

أولا: مصنّفاتهم في العلوم الشرعية:

اهتمّ العلماء المغاربة بجانب التأليف في مجال العلوم الشرعية، وصنّفوا فيه أكثر من تصنيفهم في العلوم الأخرى، وفيما يلي ذكر لمصنّفات كلّ تخصّص:

1- القراءات والتفسير: في مجال القراءات القرآنية بمكّة صنّف العالم الأندلسي يحي بن أحمد بن صفوان المالقي المكي(ت:772هـ/1370م) مصنّفا أسماه: "**البيان في الجمع بين القصيدة والعنوان**"، وهو مصنّف جمع فيه بين عنوانين اثنين في مجال القراءات، فالأول "القصيدة" للشاطبي في القراءات وهي المعروفة بـ "حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع"، وهي من القصائد التي اعتنى العلماء القرّاء بشرحها، والثاني اسمه "العنوان في القراءات السبع" لأبي الطاهر العمراني الأنصاري السرقسطي (ت:455هـ/1063م)[1]،حيث جمع ابن صفوان بين الكتابين لما لهما من الأهمية في مجال القراءات، ودرّسه بمكة فسمعه منه نور الدين بن سلامة المكي[2]، وهو

[1]- الجزري محمد بن محمد، **تحفة الإخوان في الخُلف بين الشاطبية والعنوان**، تح، خالد حسن أبو الجود، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، ع، 03، جمادى الآخرة، 1428هـ، ص، 331.

[2]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 07، ص، 429.

مصنّف قام بدراسته وتحقيقه هشام بن سليمان بن محمد الزريري، وهو موجود ضمن الرسائل العلمية المسجلة في قسم القراءات بكلية القرآن بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

وبالمدينة المنوّرة ألّف لنا أبو عبد الله محمد بن غصن القصري الأنصاري (ت:723هـ/1323م) مصنّفات الأول أسماه "**التقييد**" ثمّ علّق عليه تعليقا مفيدا، وآخر اسمه "**لمح الإشارات**" أو "**مختصر الكافي في القراءات**"، وهو مصنّف عظيم النفع والفائدة للمتخصّصين في علم التجويد والقراءات، حيث واختصر فيه كتاب "الكافي في القراءات السبع" للإمام المقرئ أبي عبدالله محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي الأندلسي (ت:476هـ/1083م)، وقد أشار إلى ذلك ابن الجزري حينما ترجم له[1].

وفي التفسير ظهر شحّ بَيِّنٌ في المصنّفات والرسائل للمغاربة، إذ عثرنا رسالة واحدة لقطب الدين القسطلاني أتحف بها مكتبة مكّة المكرّمة سمّاها "**رسالة في تفسير آيات من القرآن الكريم**"، وهي مخطوطة بدار الكتب المصرية، لكن لم يصلنا منها إلاّ ما أشار إلية الزركلي فقط[2]، كذلك ألّف في التفسير الأندلسي محمد بن عبد الله بن محمد، المعروف "بابن أبي الفضل المرسي السلمي"(ت:655هـ/1257م) تفسيرا كبيرا يزيد عن العشرين جزءا سمّاه "**ري الظمآن**"، وآخر أقلّ منه من عشرة أجزاء سماه "**بالتفسير الأوسط**"، وثالث أقلّ منهما من ثلاثة أجزاء سمّاه "**التفسير الصغير**"، وكلّها غاية في الاجتهاد[3].

وبالمدينة المنوّرة أيضا حصلنا على عنوان في التفسير للبدر عبد الله بن فرحون سمّاه "**نهاية الغاية في شرح الآية**"، وهو عبارة عن أسئلة وأجوبة على آيات من القرآن الكريم[4].

[1]- ابن الجزري، **غاية النهاية**، ج، 02، ص، 45.

[2]- الزركلي، **الأعلام**، ج، 05، ص، 323.

[3]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 82.

[4]- مخلوف، **شجرة النور**، ج، 01، ص، 291.

2- علم الحديث النبوي: في مجال الحديث بمكّة المكرّمة ظهرت لنا مصنّفات كثيرة منها مصنّفات المحدّث رزين بن معاوية السرقسطي (ت:535هـ/1140م) التي بلغت أربعة في الحديث فقط، حيث جاء الأول منها معنونا بـ "**أخبار دار الهجرة**"، وهو كتاب ذكره أبو بكر بن الحسين المراغي في كتابه "تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة"[1]، حيث استعان به في نقل مواضع كثيرة حينما تحدّث عن المدينة المنورة.

وجاء الثاني في "**أخبار مكّة**"[2] حيث قال عنه التقي الفاسي إنّه ملخّص من كتاب "تاريخ مكة" للأزرقي[3]، وقد أشار إليه مجموعة من العلماء أتوا من بعده كابن فرحون الذي ذكره في كتابه الديباج، والفاسي في عقده، وذكروا ما احتواه من فوائد جمّة.

وثالث المصنّفات هو كتاب "**تجريد الصّحاح**" الذي جمع فيه بين كتب الأصول الستة وهي الكتب الصّحاح الثلاثة "البخاري ومسلم والموطأ"، إضافة إلى كتب السنن الثلاثة لـ" أبي داود والترمذي والنسائي فسمّاها "الجمع بين الأصول الستة"[4]، لكنّه لم يحسن في ترتيبه وتهذيبه، إلى أن جاء أبو السعادات مبارك بن محمَّد المعروف بابن الأثير (ت:606هـ/1209) فهذّب الكتاب ورتّب أبوابه على حروف المعجم، وأضاف إليه ما أسقطه ابن رزين من الأصول، وشرح غريبه في كتاب سماه "جامع الأصول لأحاديث الرسول"، فجاء كتاباً فذاً في بابه لم ينسج أحد على منواله، فقرّب إلينا البعيد وسهّل علينا العسير[5]، واختصر هذا الجامع كثيرون منهم محمَّد

---

[1]- المراغي، **تحقيق النصرة**، ص، 23، 24، وصفحات متعددة.

[2]- السلفي أبو طاهر أحمد، **كتاب الوجيز في ذكر المجاز والمجيز**، تح، عبد الغفور البلوشي، مكتبة دار الإيمان، المدينة المنورة، ط، 01، 1414هـ، 1994م، ص، 98.

[3]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 63.

[4]- الكتاني، **الرسالة المستطرفة**، ص، 130.

[5]- مخلوف، **شجرة النور الزكية**، ج، 01، ص، 699.

المروزي المتوفى سنة 682هـ. للإشارة حول هذا الكتاب "تجريد الصحاح"، فقد اعتمده ابن الأثير، وجعله أصل كتابه "جامع الأصول"[1] لكونه قام بإعادة صياغته كما ذكرنا آنفا.

ومن المصنّفين المغاربة في الحديث نجد أبا حفص عمر الميانشي(ت:581هـ/1185م)

حيث ترك ذخائر ونفائس تدلّ على مكانته في مجال علم الحديث، ومن أهمّها ذكرا: كتاب "**المجالس المكية**"[2]، لكنّه عِيبَ فيه روايته لأحاديث باطلة فيها، والمصنّف الثاني اسمه "**إيضاح ما لا يسع المحدّث جهله**"[3]، وهي رسالة مختصرة جداً من عشر صفحات، غالبها نقل واختصار من (معرفة علوم الحديث) للحاكم، و(الكفاية) للخطيب[4]، لكنّها تخلو من فائدة، وقد كتبها بمكة في شعبان سنة 579هـ[5]، والثالث سمّاه "**تعليقات على الفردوس**"، وآخر سمّاه "**روضة المشتاق في الرقائق**"، وله "**الاختيار في الملح والأخبار**"، وله أيضا "**الانتقاء والانتخاب**" المستخرج من كتاب "الفردوس"، وله كتاب "**مساواة محمد بن علي بن ياسر الأنصاري الحياني مع الأئمة الأربعة**"، وكلّ هذه المصنّفات السالفة[6] ألّفها في مجال الحديث لكونه كان عمدة المحدّثين بمكة، والمدينة معا، لكنّني لم أتحصّل منها إلاّ على واحد منها وهي رسالة "الإيضاح".

---

[1]- التليدي محمد بن عبد الله، **المشارقة وعنايتهم بروايات المغاربة وكتاباتهم**، مجلة دعوة الحق، ع، 295، رجب، شعبان 1413هـ، يناير، فبراير 1993م، ص، 62.

[2]- الزركلي، **الأعلام**، ج، 05، ص، 53.

[3]- كاتب مجهول، **ثلاثة رسائل في علوم الحديث**، تح، علي حسن علي عبد الحميد، الوكالة العربية للتوزيع، الزرقاء، الأردن، د.ت.ط، ص، 21، 30.

[4]- العوني حاتم، **المنهج المقترح لفهم المصطلح**، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط، 01، 1416هـ، 1996م، ص، 208.

[5]- حاجي خليفة، **كشف الظنون**، ج، 02، ص، 1575.

[6]- مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، ينظر الموقع الإلكتروني:

.http://www.almajidcenter.org/search_details.php?keyword=

بتاريخ: 2021/06/03.

ونجد من المصنّفين أيضا أبا بكر محمد بن يوسف بن مسدي (ت:663هـ/1264م) حيث وجدنا له تأليفا في الحديث سمّاه "**الأربعين المختارة في فضل الحج والزيارة**"[1]، وهو كتاب يحوي أربعين حديثا تخصّ فضائل متعلقة بالحرمين مكة والمدينة وفضل الصلاة فيهما، إضافة أمور متعلقة بالحج وزيارة الأماكن المقدّسة، وهو كتاب قيّم ذكره كل من التجيبي وابن رشيد في رحلتيهما، حيث ذكر الأول أنّه قرأه على الإمام رضي الدين الطبري بحرم الله تعالى[2]، والثاني قرأ منه الوزير أبو عبد الله بن أبي القاسم صديق ابن رشيد ورفيق دربه، حيث قرأ منه أحاديث على رضي الدين الطبري بمكة[3]، وهذا المصنّف موجود الآن في شكل ميكروفيلم بمكتبة المخطوطات بجامعة الكويت تحت رقم الطلب: 7790[4]، وكذلك توجد منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية[5]، كذلك وضع تخريجا لكتاب: "**الفوائد المسلسلات الأسانيد**" قرأه عليه جمعا من العلماء والدارسين بمكة من أمثال رضي الدين العسقلاني، وله بمكة "**مسند في الحديث**"، و"**خصائص النبي ﷺ**"، و"**الفوائد المدنية من حديث ابن الجميزي**"[6]، لكنّني لم أتحصل على معلوماتهم.

وألّف بمكة قطب الدين القسطلاني المكي الشافعي(686هـ1287م) في الحديث مجموعة مختصرات نذكر منها "**المنهج المبهج عند الاستماع، لمن رغب في علوم الحديث على الاطلاع**"، لكنني لم أتوصل إلى معلومات عنه عدا عنوانه، وله أيضا "**المبهمات أو الأسماء المبهمة في الحديث**"، وهو مختصر في الأسماء وضع فيه توضيح لما وضعه الحافظ ابن بشكوال في

[1]- حاجي خليفة، **كشف الظنون عن أسامي الكتب**، ج، 01، ص، 58.

[2]- التجيبي، **برنامج التجيبي**، ص، 153.

[3]- السبتي ابن رشيد، **ملء العيبة**، ج، 05، ص، 133.

[4]- ينظر رابط الموقع:"

http://library1.kuniv.edu.kw/manuscript/Scriptslist.asp?start=254"، ص، 128.

[5]- ينظر، فهرس المخطوطات العربية الموجودة بدار الكتب المصرية لغاية سنة 1921م، ج، 09، ص، 87.

[6]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 06، ص، 45.

نوع من الغمض والمبهمات بأسانيده، وقد أثنى عليه صاحب كشف الظنون بكونه جاء بديعا في نوعه، لكنّه أطال فيه بالإسناد، وترك كثيرا ممّا يجب ذكره[1]، وله "**مجلس في فضل رمضان**"، وآخر اسمه "**وسيلة العباد في فضيلة الجهاد**"، وأيضا "**الأدوية الشافية في الأدعية الكافية**"، لكن لم يصلنا منها إلا الاسم فقط[2].

من المحدّثين أيضا محمد بن موسى بن علي المراكشي المكي الشافعي(ت: 823هـ/1420م) حيث وُجِدت له مجموعة من الآثار العلمية بالحجاز دالّة على سعة علمه نذكر منها ما له ارتباط بمجال الحديث، ويتعلّق الأمر بـ: "**أربعين حديثا منها عشرون موافقات وعشرون أبدال[3] لجماعة من المشايخ**"، والثاني تخريج لنفسه سمّاه "**أربعين متباينة الأسانيد والمتون موافقات لأصحاب الكتب الستة**" لكنّه تساهل فيهما بالإجازة[4]، والثالث عبارة عن "**مختصر في علم الحديث**" كابن الصلاح، لكنّ السخاوي ذكر عدم تقييده فيها بالسماع ولم يبيّضها أي لم يدوّنها[5]، فبقيت حبيسة ذهنه ولم يصلنا منها شيء، وآخر هذه المؤلّفات ذكرا هو تخريجه لمجموع من المشيخات في تراجم من درّسوه بالحجاز[6] **كمشيخة العلامة زين الدين أبو بكر بن الحسين الأموي**"، و" **مشيخة أبي بكر المراغي**"، و" **مشيخة المجد اللغوي الفيروز**

---

[1]- حاجي، **كشف الظنون**، ج، 02، ص، 1585.

[2]- الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج، 02، ص، 132، اليافعي، **مرآة الجنان**، ج، 03، ص، 310، الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 37؛ السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 425.

[3] - نعني بالموافقات والأبدال ومفردها بدل، وهو إسناد الحديث إلى شيخ أحد أصحاب الكتب الصحاح والسنن من غير طريقه يسمّى "موافقة"، وإلى شيخ شيخه يسمّى "بدلا"، فالاشتراك في الأول يكون في الشيخ، وفي الثاني في شيخ الشيخ، وكلّ منهما إمّا بسند عال أو بسند نازل، ينظر الجابري، **الحياة العلمية في الحجاز**، ج، 02، هامش ص، 462.

[4]- بن فهد تقي الدين محمد، **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ**، مطبعة التوفيق، دمشق، سوريا، ط، 1347هـ، ص، 275.

[5]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 10، ص، 56.

[6]- ابن فهد: **لحظ الألحاظ**، ص، 275؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 10، ص، 56.

أبادي"، و"**مشيخة للشيخ جمال الدين محمد بن إبراهيم المرشدي مسند الحجاز**" كتب له بها نسخة وقرأه عليه. كلّ هذا العطاء دالٌّ على سعة علمه وكثرة الرجال الذين أخذ عنهم العلم في مكة والمدينة.

ومن الذين دوّنوا في مجال الحديث بمكة المحدّث والمؤرخ تقي الدين الفاسي(832هـ/1428م) فكونه كان من محدّثي مكة نهاية القرن 08هـ، وبداية القرن 09هـ، فقد ترك ما يدل على ذلك، ومن مؤلّفاته الحديثية نجد "الأربعين حديثا متباينة الأسانيد والمتون بالسماع المتّصل من حديث العشرة المشهود لهم بالجنة، والصحابة الذين انتهى إليهم العلم والصحابة المكثرين والعبادلة الأربعة والأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتّبعة"[1]، وله في الحديث أيضا **تخريج "لجزء حديث"** حدّث به لشمس الدين الحبيشي سنة 796هـ، وتخريجه "**الأربعين حديثا متباينة المتن والإسناد**" للمحدّث شمس الدين محمد بن علي بن سكر البكري سنة 799هجرية، و" **تذكرة ذوي النباهات لجملة من الأذكار والدعوات**"[2].

وآخر هذه المصنّفات الحديثية بمكة ذكرا كتاب "**العبر فيمن شفه النظر**" لابن الصباغ علي بن محمد (ت:855هـ/1452م) فهو كتاب لم يُصنف مثله في باب الحديث، شاهد على غزارة علمه وتمكّنه في جانب الحديث، وقد اعتمده أهل العلم وعدّوه من الفرائد في مجال الحديث، فهما وإتقانا[3].

وبالمدينة المنورة دُوِّنت أيضا مصنّفات في الحديث منها كتاب لأحمد بن عبد الرحمن التادلي الفاسي(ت:741هـ/1340م) شرح فيه "**عمدة الأحكام**" في الحديث شرحه شرحا حسنا[4]،

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 01، ص، 331.

[2] - ابن فهد، **الدر الكمين**، ص، 08.

[3]- ابن الصباغ المالكي، **الفصول المهمة في معرفة الأئمة**، تح، سامي الغريري، دار الحديث للنشر والتوريع، ط، 01، 1422هـ، ج، 01، ص، 23.

[4]- ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ج، 01، ص، 255.

ومن مصنّفات الحديث بالمدينة المنورة "**الزاهر في المواعظ والأحاديث والذخائر**"، وهو كتاب لصاحبه نور الدين علي بن فرحون(ت:746هـ/1345م) كان يشتغل عليه بالمسجد النبوي كلّ جمعة[1]، وقد أشار إلى ذلك البدر ابن فرحون في تاريخه فقال: "إنّه اشتمل على فوائد غرائب في مواعظه كان يلقيها بالروضة الشريفة كلّ جمعة بعد الصلاة بالمسجد النبوي"[2]، وله أيضا "**شرح حديث أم زرع**"، وهو الحديث المشهور الذي روته السيدة عائشة رضي الله عنها[3].

ثمّ يليه مباشرة أخوه البدر ابن فرحون(ت: 769هـ/1367م) الذي ألّف مصنّفا في الحديث سمّاه "**الدرّ المخلص من التقصّي والملخّص**" وهو كتاب قيّم جمع فيه بين كتاب "التقصّي" لأبي عمر يوسف بن عبد البر النمري (ت:463هـ/1070م) في تقصي أحاديث الموطأ المرفوعة أو الموصولة أو المنقطعة، وكتاب "الملخص"[4] لأبي الحسن علي بن محمد بن خلف القابسي (ت:430هـ/1038م)، وقد اعتمدهما البدر بن فرحون في كتابه هذا الجمع بين هذين الكتابين السابقين[5]، وله في الحديث النبوي كتاب آخر سمّاه "**كشف الغطا في شرح مختصر الموطأ**" (في أربع مجلدات)[6]، وكتاب آخر سمّاه "**كفاية الطلاب في شرح مختصر الجلاب**"، وهو شرح لمختصر التفريع لابن الجلاب النيلي.

---

[1]- بدر عبد الباسط عبد الرزاق، **الحياة الثقافية في المدينة المنورة خلال العصر المملوكي**، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، ع، 05، ص، 70.

[2]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص، 249.

[3]- ارجع لمزيد تفاصيله إلى ابن حجر، **فتح الباري**، ج، 09، ص، 163.

[4]- **الملخص**، تلخيص للموطأ اشتمل على 520حديثا متصل الإسناد، مقتصرا على رواية أبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم من رواية سحنون عن مالك.

[5]- ابن القاضي، **درة الحجال**، ج، 03، ص، 51، وانظر، ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص، 10.

[6]- ابن فرحون، **المصدر نفسه**، ص: 10.

ومن المصنّفين المغاربة بالمدينة المنورة نجد خليل بن هارون الجزائري المغربي (ت:826هـ/14) فقد كتب "**الأحاديث القدسيات**"، و"**تذكرة الإعداد لهول يوم المعاد في الأذكار والدعوات**" وهو كتاب جليل حسن كثير الفوائد واختصره في "**مختصر التذكرة**"[1]، وله مولَّفٌ سمّاه "**أشرف مسموع في تحقيق أبحاث الموضوع**"[2].

وفي المجال نفسه وجدنا تآليفا في صورة مشيخات وفهارس ومعاجم تخصّ الشيوخ لبعض العلماء المغاربة الذين أخذوا عنهم علم الحديث، فقاموا بعمل مشيخات وفهارس لهم ضمّت جميع شيوخهم ومروياتهم الحديثية تكريما لهم ولعلمهم، وقد كان لهذا النوع من المصنّفات أهمية كبيرة في الحجاز، ومن أهم المغاربة الذين صنفوا في هذا الباب بمكة والمدينة نجد:

-ابن مسدي: وجِد له "**معجم الشيوخ**" في ثلاثة مجلدات جمعت مروياته في الحديث، لكنّ الذهبي قدّم انتقادات على هذا المعجم[3].

-الجمال المراكشي: ألّف "**مشيخة الفيروز آبادي**" و"**مشيخة زين الدين المراغي**"[4]، وله أيضا "**مشيخة الجمال محمد بن إبراهيم المرشدي**"، و"**معجم شيوخ الرحلة**"، واستطاع أن يعمل "**معجما لمشايخ التقي الفاسي**" كتب منه كراريس في المحمّدين، لكنّه لم يكمله[5].

---

[1]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 01، ص، 323؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 03، ص، 205.

[2]- مجموعة من الأساتذة، **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، منشورات دار الحضارة للنشر، الجزائر، ط، 2016، ج:02، ص، 231.

[3]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، ص، 404؛ الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج، 04، ص، 1448.

[4]- موجود، ومصوّر بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ميكروفيلم رقم، 981 حديث عن دائرة الكتب المصرية برقم 97، ويقع المخطوط في 197ورقة، والكتاب بدون ترقيم، ويوجد أيضا بالمركز نفسه ميكروفيلم رقم 1155، ذكر في فهارس المركز أنّها من تأليف المراغي نفسه بينما هي لابن مسدي.

[5]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 367.

-التقي الفاسي: جمع "**فهرست تشتمل على ذكر أشياء من مروياته في الحديث بالسماع والإجازة**"، ذكر في أوائلها أحاديث عالية من مروياته"، ألّفها بداية سنة 812هـ بمكة، وهي مدوّنة في عدّة كراريس؛ والسبب في تأليفها أنّ الشيخ عطاالله الهندي الحنفي سأله أن يسوغ له التدريس والفتوى على مذهب الإمام مالك، فأجابه بهذه الفهرسة[1].

3- مصنّفات الفقه وأصوله:

أوّل من ألّف من المغاربة في هذا الباب العالم قطب الدين القسطلاني(686هـ/1287م) سمّاه: "**المناسك في الحج**" في الفقه[2]، وقد أشار إلى ذلك الرّحالة ابن رشيد في رحلته المسمّاة ملء العبية، وقد وقف عليه، كذلك ألّف "**تكريم المعيشة في تحريم الحشيشة**"، ثمّ أتبعها بـ "**تتميم التكريم لما في الحشيش من التحريم**"[3]، وهما مؤلّفان من أوائل ما دوّن في الفتوى في مسألة تحريم الحشيشة، والسبب في تأليفه للثاني كان للردّ على كتاب "السوانح الأدبية في مدح القنبية" ألّفه رجل يُدعى الحسن بن محمد بن أبي البقاء العكبري كان قد ردّ به على الكتاب الأوّل للقطب "تكريم المعيشة"، فاضطرّ القطب إلى الردّ عليه بالكتاب الثاني فأصبح تتمّة للمؤلَّف الأول.

من تراثهم أيضا في مجال الفقه بمكة ما ألّفه الفقيه محمد الرضي بن عبد الرحمن بن محمد أبو الخير الفاسي، المشهور بأبي حامد المالكي(ت:824هـ/1421م)، حيث ألّف في الفقه

---

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 01، ص، 341.

[2]- ابن رشيد، **ملء العيبة**، ج، 03، ص، 423؛ الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 01، ص، 322.

[3]- كتاب يحوي العنوانين معا تحت عنوان، **تكريم المعيشة بتحريم الحشيشة** ويليه **تتميم التكريم لما في الحشيشة من التحريم** لقطب الدين القسطلاني (686هـ/1287م)، تح، د، أحمد جمعة عبد الحميد، مركز المخطوطات والتراث والوثائق، عدد صفحاته 108صفحة، إصدار 2019م/1441هـ، تحت الترقيم الدولي، 978-9921-726-12-1. وهناك رسالة دكتوراه بجامعة الزيتونة بتونس في المضمون نفسه عنوانها، " **قطب الدين القسطلاني وكتاباه "تكريم المعيشة بتحريم الحشيشة" و"تتميم التكريم لما في الحشيشة من التحريم**" دراسة وتحقيق، للنجدي عبد العزيز الحميدان، إشراف، التليلي المختار، عدد صفحاتها، 406صفحة، نوقشت سنة 1991.

"**الأداء الواجب في تصحيح ابن الحاجب**". وهو عبارة عن حاشية وتعليق على كتاب الأصول لابن الحاجب المسمّى "منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل"، حيث بيّن فيه الراجح مما فيه من مسائل الخلاف[1]، وله "**كراريس متعلّقة بمختصر الشيخ خليل الجندي**" وشارحيه صدر الدين أبي الفرات وتاج الدين بهرام[2]، لكنّني لم أقف على معلومات تبيّن وتوضّح ما سبق.

وألّف في الفقه بمكة تقي الدين الفاسي(ت:832هـ/1428م) ثلاثة مصنّفات في الفقه المالكي في المناسك، لم يظهر منها إلاّ "**إرشاد الناسك إلى معرفة المناسك على مذهب الإمامين الشافعي ومالك**"[3].

وبالمدينة المنورة ألّف نور الدين علي بن محمد بن أبي القاسم فرحون بن محمد (ت:746هـ/1345م) كتابا في الفقه سمّاه "**الجواب الهادي عن أسئلة الشيخ أبي هادي**" وهذا الشيخ هو أحد شيوخ القيروان أرسل إليه بمجموعة أسئلة، فأجابه بما سبق ذكره، وله في الفقه تعقيب وحواش على "**شرح ابن الحاجب لابن عبد السلام**"، حيث تكلّم في حاشيته هذه على ما لم يتكلّم عليه ابن عبد السلام في شرحه، وتعقّب على الشارح مواضع كثيرة إلى أن بلغ منه كتاب الحج[4]، ثمّ يليه أخوه البدر عبد الله ابن فرحون الذي قدّم في الفقه شرحا لمختصر التفريع لابن الجلاب سماه "**كفاية الطلاب في الفقه**"[5]، وهو كتاب قيّم ذو فائدة عظيمة في المجال نفسه.

ومن أهمّ مصنفات الفقه بالمدينة المنورة نجد مؤلّفات ابن نور الدين علي السابق وهو الفقيه القاضي برهان الدين إبراهيم بن علي السابق (ت:799هـ/1396م) حيث سنقف مطوّلا

---

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 08، ص، 41.

[2]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 115.

[3]- ابن فهد، **لحظ الألحاظ**، ص، 293.

[4]- ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج، 02، ص، 126.

[5]- مخلوف، **شجرة النور**، ج، 01، ص، 291.

مع مؤلّفاته التي فاقت قدرة المؤلّفين السابقين والمعاصرين له، فقد ألّف في الفقه ما يدلّ على نبوغه حتى وصفوه بالشيخ الإمام العمدة الهمام أحد شيوخ الإسلام في وقته، ومنها "**شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي**" مكوّن من ثمانية مجلدات، و "**تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**" أو "**منضدة الأحكام**" فالكتاب نفسه، حيث لم يسبقه لمثله أحد في التأليف في مجال القضاء الذي يُعدُّ أحد فروع الفقه، فالمؤلِّف ها هنا قد اعتنى فيه بالكشف عن غوامضه ودقائقه، ومهّد لأصوله وبيّن حقائقه، فكان غاية في الجودة والإتقان مبوّبا على أبواب الفقه المعروفة[1]، وله أيضا كتاب "**درّة الغواص في محاضرة الخواص**"[2] في الألغاز، حيث ألّفه على شكل ألغازٍ مرتّبة على أبواب الفقه لم يسبقه إليه أحد، وله مقدمة الشرح سمّاها: "**كشف انتقاب الحاجب عن مصطلح ابن الحاجب**" من عرفها وفهمها سهُل عليه ما في داخل هذا الكتاب، وهذه المقدّمة هي إشارة من لدن شيخه وصديقه أبي عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي التونسي حينما نزل عنده ضيفا في بيته بالمدينة المنورة في حجّه سنة 792هـ، فأشار عليه بإفراد مقدمة لشرحه على ابن الحاجب عن الشرح لينتفع بها على حدتها[3]، فكان لهذا المصنّف جمالية فنية من حيث التخريج، جمالية علمية من حيث العطاء، وله أيضا "**تسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات لابن الحاجب**"، وهو كتاب قيّم ومفيد جمع فيه كلام العز بن عبد السلام، وابن

---

[1]- لمزيد التفاصيل ارجع إلى، برهان الدين ابن فرحون، **تبصرة الحُكّام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، تخريج وتعليق، جمال مرعشلي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، طبعة، 1423هـ/2003م.

[2]- عبارة عن مخطوط مكوّن من 50 ورقة، مدرج تحت رقم، 2/122، (محمد حجي، فهرس الخزانة العلمية الصبيحية بسلا، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت، ط، 01، 0106هـ/1985م، ص، 109؛ وقد ورد هذا المخطوط باسم آخر "مسائل الغريب والنظر العجيب المعروفة بألغاز ابن فرحون" وهو مصوّر بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ميكروفيلم، رقم 77 –فقه مالكي–، مكتبة الأزهر برقم 22597/1282، عدد أوراقه، 95، ينظر الجابري، **الحياة العلمية في الحجاز**، ج، 02، هامش ص، 487.

[3]- التنبكتي، **نيل الابتهاج**، ص: 34؛ التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج، 01، ص،160.

راشد، وابن هارون، خليل، وغيرهم من الشراح، ونبّه فيه على مواضع من كلامهم مع زيادات له وإضافات عليها[1]، وهو مؤلّف من ثمانية مجلدات، وله أيضا كتاب "**إرشاد السالك إلى أفعال المناسك**"، وأيضا "**التبصرة في آداب القضاء**" في مجلد كبير في مجال القضاء، ومؤلّفات أخرى بدأها لكنّه لم يكتب له إتمامها مثل: "**بروق الأنوار في سماع الدعوى**"، و"**إقليد الأصول في اختصار تنقيح القرافي**"، وكتاب في" **الحسبة**" لم يذكر اسمه"[2].

ومن المؤلّفين المغاربة نجد ابن السابق أبا اليمن محمد بن برهان الدين بن فرحون المدني:(ت: 814هـ/1411م) حيث ألّف في الفقه "**المسائل الملقوطة من الكتب المبسوطة**"[3] المشتمل على فوائد جمة في مجال الفقه[4]، إذ يمكن عدّه من كتب الفقه، وقد جمع فيه المؤلّف حسب قوله "مسائل جمعتها في أثناء مطالعتي، وبعضها لقطتها من مجالس مشايخي ومن مصنّفات والدي وغير ذلك، من غير ترتيب على أبواب الفقه، بل مخلّطة بحس الاتّفاق، جعلتها لي تذكرة لقلّة حفظي وكلال ذهني وقصور همّتي"[5]، قام بتحقيقه وتصحيحه جلال الدين علي القذافي الجهاني، وهو مطبوع بدار ابن حزم للطباعة والنشر ببيروت.

وألّف محمد بن محمد بن إبراهيم بن القاضي الأنصاري الخزرجي ثمّ الزموري (ت:839هـ/1435م) في الفقه مصنّفا سمّاه "**اغتنام الفحاص لمحاذي درر الغواص**" [6]، وهو

---

[1]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج، 01، ص،161، الحفناوي، **تعريف الخلف**، ج، 01، ص، 198.

[2]- التنبكتي، **المصدر نفسه**، ج: 01، ص، 161.

[3] - وهو مخطوطة أصلية مكونة من 107 ورقة بدار الكتب المصرية، برقم 61 فقه مالك، رقم الميكروفيلم 4504، نسخها الشيخ يوسف بن أحمد البحيري في 12 رجب سنة 956هـ.

[4]- مخلوف، **شجرة النور**، ج، 01، ص، 344. (ينظر الملحق رقم 05، ص، 337)

[5]- بن فرحون أبو اليمن محمد، **المسائل الملقوطة من الكتب المبسوطة**، تح، جلال الدين علي القذافي الجهاني، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط، 01، 1424هـ، 2003م، ص، 17.

[6]- المنوني محمد بن عبد الهادي، **دور أعلام من دكالة في ربط الصلات الثقافية بين المغرب وجهات من العالم الإسلامي**، مجلة دعوة الحق المغربية، ع، 251 ذي الحجة 1405- غشت 1985 عبر الرابط:

http://habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/6515.

عبارة عن تذييل لكتاب "درر الغواص في محاضرة الخواص" للفقيه برهان الدين إبراهيم بن فرحون السابق.

وختام هؤلاء المؤلّفين المغاربة بالمدينة المنورة هو أحمد بن يونس القسنطيني(ت:878هـ/1473م) له "**رسالة في ترجيح ذكر السيادة في الصلاة**"، ومجموعة أجوبة عن أسئلة وردت عليه من صنعاء اليمن سمّاها "**المغالطات الصنعانية**"[1].

ثانيا: مصنّفاتهم في العلوم اللغوية

إنّ محصول التأليف المغاربي في مجال علوم اللغة العربية ضئيل وقليل إذا ما قارنّاه بما أُلِّفَ في مجال العلوم الشرعية بجميع تخصّصاتها، وهذه الظاهرة لم يختص بها علماؤنا المغاربة ببلاد الحجاز فقط، بل إنّها عمّت جميع مؤلّفات العلماء بالحجاز المغاربة وغيرهم، والسبب في ذلك مردّه في أنّ الغالبية العظمى من المؤلّفين كانت لديهم الرغبة القوية في نشر علوم الدين والحديث والفقه مثلما رأينا سلفا، لأنّ سلاطين الأيوبيين ومن بعدهم المماليك وأمراء الحجاز وعامّتهم كانوا يقدّرون العلماء أكثر من تقديرهم للشعراء[2]، ويُولُون اهتماما وتقديرا للفقيه والمحدّث أكثر ممّا يجلّون الكاتب والأديب، لكون كثير من مناصب الدولة يُختار لها من فقهاء الشرع كالقاضي الإمام والخطيب والمدرّس، هذا ما جعل العلوم الشرعية يكثر مؤلّفوها عوض المؤلّفات اللّغوية والأدبية لكنّ هذا لم يمنع المغاربة من التأليف، وممّن المؤلّفين في هذا المجال محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي (أبي الفضل المرسي) الذي ساهم في النهضة العلمية بمكةّ بكتابين في اللغة العربية الأول أسماه "**الضوابط الكلية في علم العربية**"[3]، وآخر سمّاه "**الكافي في النحو**"[4].

---

[1]- ابن فهد، **الدر الكمين**، ص، 578.

[2]- الجابري، **الحياة العلمية في الحجاز**، ج، 02، ص، 443.

[3]- وهو مخطوط مكوّن من 143 ورقة مصوّر بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ميكروفيلم رقم، 1336نحو، عن مكتبة برلين بألمانيا الغربية، برقم 242 (ينظر، الجابري، **الحياة العلمية في الحجاز**، ج، 02، ص، 500).

[4]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 82؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج، 01، ص، 145.

ومن المؤلّفين بمكة النحوي أبو عبد الله محمد بن داود الصنهاجي الفاسي المعروف بابن آجروم (ت:723هـ/1323م) النحوي، حيث ألّف بمكّة "**المقدّمة الآجرومية**"[1] في النحو، كانت من المقرّرات الدراسية لطلاب العلم المبتدئين بالحجاز.

وأخر هؤلاء المصنّفين بمكة هو أبو السراج اليسر معمر بن يحي بن محمد بن عبد القوي البجائي(ت:897هـ/1491م) إذ يُعتبر أحد علماء اللغة بمكة بارعا في الأدب والنثر، ودوّن في المجال "**شرحا على قطر الندى**" لابن هشام قال عنه السخاوي إنّه شرح بديع قرّضه له غير واحد من علماء ذلك العصر[2].

من المصنّفين المغاربة في مجال اللغة العربية بالمدينة المنورة نجد علي نور الدين (ت:746هـ/1345م)، ألّف وشرح وذيّل على كتب غيره، ومنها "**الشرح المغني، لقصيدة عمرو الجني**" المشتملة على مدح النبيﷺ، و"**شرح قصيدة كعب ابن زهير**" المسماة بالبردة، لكنّ هذه التآليف لم تلق من يزيح عنها الغبار، فبقيت حبيسة الأدراج، ولم يصلنا منها غير الاسم، وله في اللغة أيضا "**نزهة النظر ونخبة الفكر في شرح لامية العجم وذيلها**"، وقد اشتمل الكتاب كما ذكر ابنه إبراهيم برهان الدين في الديباج على لغة كثيرة، وصناعة بديعة[3].

---

[1]- تعدّدت طبعاتها حسب كل منطقة، إذ وجدت أكثر من 13 نسخة مطبوعة حسب سنوات مختلفة، فأول طبعة لها كانت بروما سنة 1593م، ثمّ بروما 31-1635م إعداد الأب اوبيتشيني Obicini المستشرق الإيطالي (ت: 1632م)، مع ترجمة لاتينية وشرح، ثمّ تلتها طبعة بولاق 1229هـ/1823م، ثمّ كامبردج 1832م، ثمّ بولاق 1252هـ/1836م، لتأتي بعدها طبعة الجزائر 1846م باعتناء برينيه Breanier المستشرق الفرنسي (ت: 1869م) مع ترجمة فرنسية، وملحق لتفسير الكلمات العربية (للمزيد ينظر، الفضلي عبد الهادي، **فهرست الكتب النحوية المطبوعة**، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط، 01، 1407هـ، 1986م، ص، 19.

[2]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 10، ص، 163.

[3]- ابن فرحون: **الديباج المذهب**، ج، 02، ص، 125.

وكذلك البدر ابن فرحون(769هـ/1367م) أخو السابق الذي وجدنا له مؤلّفات في المجال اللغوي، ويتعلّق الأمر بـ "**العُدَّة في إعراب عمدة الأحكام من كلام خير الأنام**"[1] وهو كتاب في الحديث للشيخ ابن قدامى المقدسي الحنبلي(ت:600هـ/1203م) فقدّم له إعرابا مفصّلا لجميع أحاديث المصنّف المبوّبة في شكل أبواب مثل الصحيح الجامع للبخاري حيث تجاوزت صفحاته 600 صفحة[2].

والمؤَلّف الثاني "**شفاء الفؤاد في إعراب بانت سعاد**" وهو إعراب لقصيدة كعب بن زهير بن أبي سلمى المسمّاة بالبردة "بانت سعاد" حيث صال وجال فيها بعلمه، واتضحت فيها براعة فكره ورجاحة عقله في إعرابها، جعلت شيخه أثير الدين أبو حيان عالم زمانه في العربية يثني على مؤلّفه وطريقة إعرابه للقصيدة واستعظم علمه وأثنى عليه"[3]، و"شفاء الفؤاد شرح بانت سعاد" عبارة عن مخطوط موجود بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم التسلسل 2305[4].

ومن مصنّفاته أيضا "**التيسير في علمي البناء والتغيير**"، و"**المسالك الجلية في القواعد العربية**"، "**شرح قواعد الإعراب لابن هشام**" وكل هذه المصنّفات ذكرها بنفسه في تاريخه[5].

---

[1]- مخطوط مصوّر بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ميكروفيلم رقم 667 لغة، عن مكتبة دار الكتب المصرية برقم 195، كما أنّ هناك نسخة أخرى ضمن مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة مكوّنة من 700ورقة، برقم، أ-120 علوم حديث، ينظر، الخاقاني علي، **مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة**، عالم الكتب، بيروت، الطبعة، 01، 1407هـ، 1986م، ص، 98،99.

[2]- ابن فرحون إبراهيم، **الديباج المذهب**، ج، 01، ص، 457، 458.

[3]- ابن فرحون، **نفسه**، ج، 01، ص، 455.

[4]- رابط الموقع، معجم_تاريخ_التراث_الاسلامي_في_مكتبات_العالم_المخطوطات_والمطبوعات http://books.islam-db.com/book/1429/ - بتاريخ: 2021/06/05.

[5]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص، 10.

كذلك نجد للأندلسي تاج الدين عبد الواحد بن عمر بن عياد الأنصاري المدني (ت،789هـ/1387م) مؤلّفان اثنان في العربية، الأول سمّاه "**مقدّمة في العربية**"، والثاني عبارة عن اختصار لكتاب "المغني اللبيب" لابن هشام حيث جعله في كراريس وسمّاه "**المدني إلى فوائد المغني**" ألّفه سنة 767هـ، وهو كتاب قيّم أثنى عليه ابن فرحون كثيرا، وقد سمعه منه شمس الدين بن سكر[1].

وفي باب الأدب فقد رأينا في فصلنا الثالث المتعلّق بالجهود جملة من النظم والشعر ألّفها جمع من الشعراء المغاربة في محافل ومناسبات متعدّدة تنوّعت بتنوّع أغراضها وألوانها، لا يسعنا الحال لإعادة ذكرها.

ثالثا: مصنّفاتهم في التّصوف

تنوّعت مصنّفات الزهد التصوّف بتنوّع أصحابها سواء بمكة أو المدينة المنورة، إذ أنّ حضور المتصوّفة بمكة زاد من حظ التأليف بها في هذا المجال، وممن ناله حظ التأليف نجد قطب الدين القسطلاني (ت:686هـ/1278م) حيث دوّن كتاب "**اقتداء الغافل باهتداء العاقل**"، و"**لسان البيان عن اعتقاد أهل الجنان**" ثمّ قام باختصاره[2]، له مؤلّف سمّاه "**ارتقاء الرتبة باللباس والصحبة**" وهو كتاب قيّم في الزهد والتصوّف ولبس الخرقة، وقد أشار إليه الرحالة ابن رشيد حينما التقى بالقطب القسطلاني، وقرأه عليه كاملا سنة 685هـ بمكة[3]، كذلك دوّن في التّخصص ذاته علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله السفاقسي المشهور بابن الصباغ المكي (ت:855هـ/1451م) حيث ألّف في التصوّف "**الفصول المهمّة في معرفة الأئمة وفضلهم، ومعرفة أولادهم ونسلهم**"، وهو مخطوط مكوّن من74ورقة، موجود بمكتبة الأحقاف

[1]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص، 102.

[2]- السخاوي، **المصدر نفسه**، ج، 02، ص، 425.

[3]- ابن رشيد، **ملء العبية**، ج، 05، ص، 314؛ السخاوي، **نفسه** ج، 02، ص، 425.

للمخطوطات بتريم حضر موت باليمن، وموجودة نسخة أخرى مكوّنة من 131ورقة بمكتبة الظاهرية الأهلية بدمشق تحت رقم 266، وكلا النسختين في الملاحق[1].

وبالمدينة المنورة ظهر مصنَّف لعالم جزائري اسمه أحمد أبو عصيدة البجائي(ت:865هـ/1460م) حيث صنّف في مجال التصوّف كتابا أثناء مجاورته بالمدينة المنورة فسمّاه "**أنس الغريب وروض الأديب**" حيث جمع فيه بعضا من أصناف التبتل في العبادات وأسرار الطاعات ما يجرّنا إلى ميله للتصوّف أكثر من فن آخر، حيث يتحدّث عن المريد وأداء الفرائض والسنن والنوافل والدعاء، ثمّ ضمّن جزء منه لسير شيوخ الطريقة في آدابهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وعقائدهم بقلوبهم وغيرها[2]، ثمّ جمع فيه حكايات وعجائب وشيئا من النوادر والنكت والطرائف، وأضاف إليه محاسن لأهل الهوى والعاشقين مما يعتقد أنّ له علاقة مباشرة بالجانب الصوفي، وقد أطلع أبو عصيدة كتابه "أنس الغريب" على علماء المدينة المنورة فأشادوا به من أمثال فخر الدين عثمان الطرابلسي الشامي[3].

رابعا: مصنّفاتهم في التاريخ والسير

لم يدّخر علماؤنا المغاربة في التدوين لتاريخ الحجاز، والتأليف في تراجم رجالها وعلمائها خصوصا في العصر المملوكي أي بعد منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، لأنّه قبل هذه الفترة لم تلق الحجاز دراسة مستفيضة في جانبها التاريخي عدا بعض الدراسات، وقد شهد على ذلك شاهد من أهلها، وهو التقي الفاسي نفسه حينما شكى من هذا الإهمال قائلا: " وإنّي لأعجب من فضلاء مكة في جمع تاريخ لها على المنوال الذي جمعته، خصوصا من الشيخ قطب الدين القسطلاني الذي جمع تاريخا لليمن، ولعمري لو جمع ذلك لبلده (مكة) لكان

[1]- ينظر الملحق رقم، 06، ص، 338.

[2]- أبو عصيدة أحمد البجائي، **رسالة الغريب إلى الحبيب**، تح، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط، 01، 1993م، ص، 26.

[3]- أبو عصيدة، **المصدر نفسه**، ص، 29.

أحسن، فإنّ الحاجة إليه داعية، وفي ذلك فوائد غير خافية"[1]، لكنّ هذا لا يمنع من وجود بعض المصنّفات المتعلّقة بذلك، لكنّها شحيحة مثل دوّن الشيخ رزين بن معاوية (ت: 535هـ/1140م)خلال القرن السادس الهجري تاريخا لمكة سمّاه " **كتاب مكة**"، وهو ملخّص من كتاب الأرزقي المسمى "أخبار مكة وما جاء فيها من الأخبار".

وخلال القرن السابع الهجري ألّف بمكة قطب الدين القسطلاني في حادثة الحريق الذي ألمّ بالمسجد النبوي سنة 654هـ، مصنّفا سمّاه "**عروة التوثيق في النار والحريق**"[2]، وقد ذكر فيه بدائع من حكم الله في حدوث ذلك[3]، وكان رحمه الله موجودا بمكة وقت حدوث ذلك الحريق فوثّق الوقائع في الكتاب سالف الذكر، وخلال القرن ذاته دوّن أحمد بن علي العبدري الميورقي(ت:678هـ/1279م) عن الطائف تاريخا سمّاه "**بهجة المُهج في بعض فضائل الطائف ووج**"[4] وهو كتاب محقّق من طرف الدكتور إبراهيم محمد الزيد مطبوع في مطبوعات نادي الطائف الأدبي في طبعته الأولى لسنة 1404هـ/1984م.

ثمّ يأتي مؤرخ مكة والحجاز خلال القرن الثامن الهجري وهو تقي الدين الفاسي، الذي غمرت مؤلّفاته الحجاز كلّه، فهو من أكثر المصنّفين في تاريخ مكة، وأصبحت مصنّفاته التاريخية مصدرا استفاد منه من أتى من بعد كابن حجر، وابن فهد، والسخاوي، وابن ظهيرة، والنهروالي، ومن أتى من بعدهم إلى حين اللحظة، وعن مؤلّفاته التاريخية التي فاقت العشرة عناوين أحاول ترتيبها وفق ما حصلت عليه من معلومات:

---

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج،01، ص، 10.

[2]- حاجي، **كشف الظنون**، ج، 02، ص، 397.

[3]- السمهودي، **وفاء الوفا**، ج، 01، ص، 150.

[4]- توجد النسخة الخطية الأصلية بمكتبة الأوقاف العراقية برقم 4796، وهي نسخة مكوّنة من اثني عشر-12- ورقة تمّ نسخها بالطائف في 12 ربيع الأول سنة 1079هـ، وهي نسخة ذات جودة في الخط رغم قِدمها، ينظر، الميورقي أحمد بن علي، **بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج**، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، الطائف، ط، 01، ص، 15.

-**شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام:** توجد منه نسخة خطّية محفوظة بمكتبة الدولة في برلين بألمانيا قام بتصويرها الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي[1]، وهي نسخة مكوّنة من 453 ورقة، ثمّ أعيد طبعها في شكل كتاب قام بتحقيقه الدكتور علي عمر، ونشرته مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة في طبعتها الأولى سنة 1428هـ/2008م.

-**تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام:** هو مختصر لشفاء الغرام رتّبه ونظّمه على أربعين40 بابا، وحذف منه الأسانيد[2] وهو تلخيص للكتاب السابق "شفاء الغرام"، حيث عَنِيَت المخطوطة بتاريخ مكة المكرمة، وإبراز معالمها الجغرافية وفضائلها، وذكر الأماكن الموجودة داخل مكة لأنّها مختصر للأصل "شفاء الغرام".

-**تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام:** وهذا اختصار للعنوان السابق "تحفة الكرام" وهو كتاب مطبوع دراسة وتحقيق الدكتور محمود خضير عباس مهنا العيساوي، الطبعة الأولى: 1435هـ/2013م، قام بطبعه ديوان الوقف السني بجمهورية العراق.

-**هادي ذوي الإفهام إلى تاريخ البلد الحرام:** وهو مختصر للعنوان السابق "تحصيل المرام" لكن لم أتوصل إلى أي معلومة عنه.

-**الزهور المقتَطفة من تاريخ مكة المشرّفة:** كان ابتداء تأليفه له سنة 819هـ، وهو نسخة من المخطوط الأم موجودة بمكتبة الأوقاف الكويتية برقم 296، وقد كتبت بخط نسخي واضح سنة 825هـ، وعدد أوراقها 113، جُعلت هي النسخة الأصل[3]، وقد أعيد طبعه في حلّته الجديدة في صورة كتاب من 405صفحة، وحقّقه الدكتور علي عمر، في طبعته الأولى سنة 1422هـ/2001م، ثمّ نُشر بمكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة[4].

---

[1]- ينظر الملحق رقم، 07، ص، 339.

[2]- حاجي، **كشف الظنون**، ج،01، ص، 372.

[3]- ينظر الملحق، رقم، 08، ص، 340.

[4]- الفاسي تقي الدين، **الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرّفة**، تح، علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط، 01، 1422هـ، 2001م، ص، 01.

-**ترويح الصدور بطيبات الزهور**: وهو مختصر للعنوان السابق "الزهور المقتطفة" لم نحصل منه إلاّ على العنوان فقط.

-**العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**: ويعتبر هذا العنوان أضخم مصنّف تاريخي ألّفه التقي الفاسي، وهو مخطوط من 233 ورقة موجودة بمكتبة الأزهرية خاص 709، برقم 10665[1]، حيث ترجم فيه الفاسي لولاة مكة وأعيانها وأدبائها منذ ظهور الإسلام إلى عصره الذي كان فيه، وقد رتّبه على حروف المعجم، بدأه بالمحمّدين والأحمدين وهكذا تباعا، وقد ابتدأ في تصنيفه سنة 812هـ، وقد ذكرنا آنفا سبب تأليفه له لعدم وجود دراسات بعد تاريخ الأرزقي متخصصة في تاريخ مكة المكرّمة.

-**عجالة القِرى للراغب في تاريخ أم القُرى**: مخطوطة من 280 ورقة (538ص) برقم 900/148 بمكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة، صوّرها الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي يوم 15-06-1404هـ، وهي موجودة بمكتبته[2]، وهو اختصار للعقد الثمين حينما رآه ضخما كي يسهل على القارئ تتبّعه وقراءته.

- **إيضاح بُغية أهل البَصارة في ذيل الإشارة**[3]: هو تأليف مكوّن من 15 كراسا صغيرا قام فيه باختصار كتاب "الإشارة" للحافظ الذهبي، فذيله الفاسي، وبسط فيه قليلا، ثم أوضح التراجم المذكورة فيه إيضاحا مناسبا بزيادة تراجم[4].

-**إرشاد ذوي الأفهام إلى تكميل كتاب الإعلام بوفيات الأعلام للذهبي**: وهو مؤلّف حسن من ثلاثة كراريس، ويسمى أيضا بـ "درّة التاريخ"[5] حيث ذيّل فيه الفاسي تذييلا مناسبا حتى يسهل على القارئ فهمه.

---

[1]- ينظر الملحق رقم، 09، ص، 341، 342.

[2]- ينظر الملحق رقم، 10، ص، 343.

[3]- ينظر الملحق رقم، 11، ص، 344.

[4]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 01، ص، 56.

[5]- الفاسي، **نفسه**، ج، 01، ص، 346.

-**ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد:** وهو تذييل لكتاب "التقييد" لابن نقطة، ويعود السبب في تذييله وتأليفه لهذا المصنّف أنّه استحسن التأليف لما فيه من الفوائد، غير أنّه وقف على بعض النقاط منها: أنّ صاحب "التقييد" ابن نقطة "ذكر جماعة مشهورين عاشوا قبله، وأهمل ذكر جماعة رواة عاصرهم، والثاني أنّه أهمل مرويات جماعة ذكرهم، وأهمل وفيات جماعة"[1]، هذا ما حفّزه لتدارك ذلك فألّف تذييله هذا كي يكون تتمّة لما سبق من النسيان أو الإهمال حسب رأيه.

وله أيضا "**المقنع من أخبار الملوك والخلفاء وولاة مكة الشرفاء**"، اختصر كتاب "حياة الحيوان" للشيخ كمال الدين موسى بن محمد الدميري سمّاه "**مطلب اليقظان من حياة الحيوان**" حيث نبّه فيه إلى أشياء مفيدة تتعلّق بما ذكره الدميري، وقد انتهى من تلخيصه هذا سنة 822هـ، وله "**تقريب الأمل والسول من أخبار السلاطين بني رسول**"، و"**ولاة مكة في الجاهلية والإسلام**"[2] وهي عبارة عن حبر على ورق لم يصلنا منها إلاّ اسمها وبقيت حبيسة الأدراج.

وألّف محمد بن موسى المراكشي(ت:823/1420م) مجلّدا ترجم فيه لشيوخ رحلته الحجازية[3].

وآخر المصنّفات بمكة كتابان لمحمد بن عمر ابن عزم التميمي التونسي (ت:891هـ/1478م) فقد أُثِر عنه مشاركاته في علم التاريخ، فكتب منه كثيرا، لكن مشكله يكمن في عدم وجود دليل على ذلك، وقد ترك بمكة مؤلّفان اثنان، جرّد فيهما لأعيان مكة وغيرها، فسمّى الأول "**الكتائب الكامنة من وفيات المائة الثامنة**"، وسمّى الثاني " **تقريب الشائعة من وفيات المائة التاسعة**"، وقد ابتدأ في تسويده سنة 859هـ[4]، لكن لم يصل منهما شيء للقارئ الكريم، حيث اعتُبرا من المفقودات العلمية خلال تلك الفترة وما بعدها.

---

[1]- الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 01، ص، 23.

[2]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 01، ص، 346؛ ابن فهد، **لحظ الألحاظ**، ص، 191.

[3]- الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 02، ص، 368.

[4]- ابن فهد، **الدر الكمين**، ص، 250.

وبالمدينة المنورة أُلِّفت مصنّفات ذات صلة بالتخصّص، نذكر منها كتاب علي نور الدين بن فرحون(746هـ/1345م) المسمّى "**تواريخ الأخبار والتعريف بالنبي المختار**"، وهو عبارة عن مخطوط موجود بخزانة الرباط تحت رقم: 1348د، كذلك صنّف بالمدينة البدر عبد الله بن فرحون أشرف كتاب عن تاريخ المدينة المنورة هو "**تاريخ المدينة المنورة المسمّى نصيحة المشاور وتعزية المجاور**"، حيث ترجم فيه لعلماء المدينة ومجاوريها، وهو غني عن التعريف به لكونه من الركائز التي اعتمدت عليها في أطروحتي هذه.

وألّف أبو محمد عبد الله بن عبد الملك المرجاني(ت:781هـ/1379م) للمدينة تاريخا سمّاه "**بهجة النفوس والأسرار في تاريخ هجرة المختار**"[1] ألّفه سنة 751هـ/1350م، وقد أشار الفاسي إلى رؤيته للمخطوط[2]، والعنوان عبارة عن كتاب من جزأين اثنين، قام بتحقيقه الأستاذ الدكتور محمد عبد الوهاب فضل، وقد طُبع بدار الغرب الإسلامي ببيروت، في طبعته الأولى سنة 2002م، وتطرّق فيه إلى المدينة المنورة وأسماءها وفضائلها وأوديتها وأبارها وكلّ ما يتعلّق بها، حيث شابه في تأليفه هذا كتاب "تاريخ مكة" للأزرقي، و"شفاء الغرام" للفاسي.

كذلك من المصنّفين في هذا الباب الفقيه القاضي برهان الدين إبراهيم ابن فرحون(799هـ/1396م) حيث دوّن بالمدينة المنورة كتابه المشهور "**الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**" [3]، جعله لتراجم علماء المذهب المالكي وقسّمه على شكل طبقات، كل طبقة ذكر فيها علماء المذهب المالكي في مختلف الأمصار الإسلامية.

---

[1]- مخطوط من 208 ورقة مصور بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ميكروفيلم برقم 79، عن مكتبة الحرم المكي برقم 63 تاريخ دهلوي.

[2]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 05، ص، 204.

[3]- من جزأين اثنين، قام بتحقيقه الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، وطبعته دار التراث للطبع والنشر بالقاهرة، ط، 1972م.

كذلك وجدنا للفقيه محمد بن موسى المراكشي(823هـ/1420م) مصنّفا تاريخيا سمّاه "**تاريخ المدينة**"، وقد أشار إلى ذلك الفاسي في عقده من أنّه ألّف شيئا متعلّق بالمدينة المنورة لكنّه لم يكمله، وأيّد هذه الفكرة أيضا الإمام السخاوي[1].

ختاما أودّ الإشارة إلى مصنَّف نستطيع أن نضمّه إلى جانب التاريخ، ويتعلّق الأمر بالعالم الجزائري أحمد أبي عصيدة البجائي(ت:865هـ/1460م) الذي رأيناه في التصوّف سابقا، حيث أدرج في مصنّفه "**أنس الغريب وروض الأديب**" -الذي كتبه بالمدينة أثناء جواره بها- جانبا تاريخيا أبرز فيه أخبار رحلته من تونس إلى المدينة المنورة، وما لاقاه فيها، ثمّ أبرز فيما بعد الأخبار التي جمعها من أفواه معاصريه ومرافقيه فيقول في ذلك: "وألممت في ذلك حال الأوطان والأهل والجيران، ونبذا من مآثر الأصحاب والإخوان، ثمّ من لقيت بطريقي في سائر البلدان، إلى هذا الأوان"[2]، ثمّ إنّ هذا العنوان قد كشف فيه أيضا تراجم لعدد من الرجال، لقيهم بالحرمين الشريفين من الأخيار ومن ورد علي بهما ممن يتعيّن ذكره من الزوار والأخبار[3]، فدلّ على أنّ المصنَّف يعدّ أيضا من كتب التاريخ.

في نهاية هذا العرض المتعلّق بمصنّفات المغاربة في بلاد الحجاز، رأيتُ غزارة علمية في التصنيف، خاصة ما تعلّق منها بالجانب الشرعي، ثمّ يليه في الترتيب الجانب التاريخي، ثمّ الجانب اللغوي، محاولا ها هنا وضع جداول بيانية تحوصل إنتاجهم في كلّ مجال أو تخصّص تسهيلا على القارئ الكريم:

[1]- الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 02، ص، 368؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 10، ص، 57.

[2]- أبو عصيدة، **رسالة الغريب**، ص، 26.

[3]- أبو عصيدة، **المصدر نفسه**، ص، 27.

جدول إحصائي لمؤلّفات المغاربة في العلوم الشرعية

التخصص	نسبة التأليف بمكة المكرمة	نسبة التأليف بالمدينة المنورة
القراءات	01	02
التفسير	04	01
علوم الحديث	30	10
الفقه وأصوله	05	17

جدول إحصائي لمؤلّفات المغاربة في العلوم اللغوية والتصوّف والتاريخ

التخصص	نسبة التأليف بمكة المكرمة	نسبة التأليف بالمدينة المنورة
اللغة	04	10
الأدب	مجموعة قصائد في الفصل 03	مجموعة قصائد في الفصل 03
التصوّف	04	01
التاريخ	20	05

❖ المبحث الثاني:

الأثر الديني للمغاربة في بلاد الحجاز

لقد تنوّعت أوجه الحياة وأنماطها التي انخرط فيها العلماء المغاربة ثمّ برزوا فيها، وإن كان معظمهم منشغلا بالجانب الديني العلمي بالحرمين، إلاّ أنّني وجدت عددا منهم تفرّغوا للعمل في بعض المناصب الدينية الرفيعة وقد يسمّيها البعض الآخر بالوظائف السلطانية التي يأتي تعينها من السلطان ذاته لكن يتبوّؤها العالم باجتهاده وسمعته لدى السلطة العلية، وقد وصلتنا أسماء عدد لا يستهان به ممن شغلوا هذه المناصب السلطانية في الحجاز، سآتي على ذكر المناصب أولا ثمّ ذكر الأسماء المغربية التي شغلتها.

1- الإمامة والخطابة بالحرمين الشريفين:

الإمام هو الذي يؤمّ المصلين لأداء الصلاة، وقد ظهرت هذه الوظيفة منذ العهد الإسلامي الأول "عهد النبي ﷺ حيث كان أول إمام المسلمين يؤمّهم في صلاتهم، واستمر الوضع في العالم الإسلامي على نفس الشاكلة باختيار إمام لكل مسجد، وهو الحال بالنسبة للمسجد الحرام بمكة، وكذا المسجد النبوي بالمدينة المنورة، وسأحاول ذكر كل مسجد على حدة لتوضيح الفكرة أكثر.

أولا: المسجد الحرام:

كان بالمسجد الحرام إمام واحد فقط يؤمّ المصلين؛ إلى أن تعدّدت المذاهب الفقهية السنّية، وأقصد بذلك المذهب الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي، ممّا جعلهم يستحدثون إماما لكلّ مذهب يؤمّهم في الصلاة، وأصبح بالمسجد الحرام أربعة أئمة[1]سنيين وخامس للطائفة الزيدية،

[1]- لم يُعرف متى استحدثت إمامة الأربعة أئمة بالمسجد الحرام إلاّ أنّه عندما قامت الدولة المملوكية بالحجاز (684، 923هـ) كان هناك أربعة أئمة بالمسجد إضافة إلى إمام خامس تابع للطائفة الزيدية (الشيعة)، انظر، = =

نقل ابن جبير هذه الصورة من التعدّد المذهبي فيقول في ذلك: "وللحرم أربعة أئمة سنيين، وإمام خامس لفرقة تسمّى الزيدية"[1]، وكان لكلّ إمام مكان خاصّ يؤدّي فيه الصلاة مع أتباع مذهبه، وأطلق عليه اسم "مقام"[2]، وقد جُعِل مقام الشافعية خلف مقام إبراهيم عليه السلام في الجهة الشرقية للحرم، بينما جعل مقام المالكية بين الركنين الغربي واليماني في الجهة الغربية من الحرم، أمّا المقام الحنبلي فمقابل الحجر الأسود في الجهة الجنوبية الشرقية من الحرم[3].

وكان الهدف من وراء هذا التّعدّد المذهبي والمكاني، هو تجنيبهم الدخول في صراعات مذهبية، وقد وجدنا حضورا مغربيا لهذه الوظيفة السامية سأحاول تقسيمها وفق كلّ مذهب.

أ/ المقام المالكي:

تداول على إمامة هذا المقام علماء مغاربة نذكر منهم:

السالمي عبد الحفيظ حمدي، **الحياة الدينية في مكة المكرّمة خلال العصر المملوكي 648، 923هـ**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف، أد. ضيف الله بن يحي الزهراني، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى بالسعودية، سنة، 1424، 1425هـ، ص، 140.

[1]- **الزيدية**، هم طائفة دينية إسلامية، وهي فرقة من الفرق الإسلامية ظهرت في منتصف القرن الثاني الهجري، تنسب إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ، حيث ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضي الله عنها، ولم يجوّزوا ثبوت الإمامة في غيرهم، إلاّ أنّهم جوّزوا أن يكون كل فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة سواء من آل الحسن أو من آل الحسين رضي الله عنهما. للمزيد انظر، الشهرستاني أبو الفتح محمد، **الملل والنحل**، تح، عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، ط، 1387هـ، 1968م، ج، 01، ص، 154.

[2]- **المقام**، عبارة عن اسطوانتان من حجارة عليها عقد مشرف أعلاه، وقبة خشبية معترضة فيها خطاطيف للقناديل، وما بين الاسطوانتين مبنى بالنسبة لمقام المالكية، ومقام الحنابلة بحجارة مبيضة، وفي وسطه محراب، أمّا المقام الشافعي فلا يوجد به بناء، وأمّا المقام الحنفي فجعل له أربعة أساطين، انظر، الفاسي، **شفاء الغرام**، ج، 01، ص، 401.

[3]- الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 01، ص، 461، 462.

- أبو الحسن رزين بن معاوية العبدري (ت: 535هـ/1140م) ذكر أبو الحسن السمعاني في كتابه التحبير من أنّه كان إمام المالكية بحرم الله تعالى والمصلي بهم إماما بالمسجد[1].

- أبو الحسن علي بن عبد الله بن حمود المكناسي (ت:573هـ/1177م) حيث رحل مرتين إلى المشرق؛ فالأولى كانت سنة 512هـ للتعلّم والتّشبّع بعلم الحديث، والثانية كانت لأجل المجاورة بمكة والإفادة، حيث تشرّف أثناءها بإمامة الحرم الشريف[2]، وقد ذكر صاحب كتاب الصلة أنّه كان إماما للمالكية بالحرم الشريف بمكة[3].

- جمال الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الفتوح بن محمد المكناسي المجاصي (ت:592هـ/1195)، إمام المالكية بالحرم الشريف، وذكر عنه الميورقي توليه لإمامة مقام المالكية بمكة، سنة 588هـ[4].

- أبو علي منصور بن حمزة بن عبد الله المجاصي المكناسي (نهاية ق06 هـ/12م)، تولّى هو أيضا إمامة المالكية بالمسجد الحرام[5].

- محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن الحسن القسطلاني (ت:663هـ/1264م) كان إمام حطيم المالكية بمكة شرفها الله تعالى[6]، وقد ورث الإمامة عن والده عقب وفاته سنة 644هـ، وبقيت إمامة المالكية حكرا على أبناء هذه الأسرة مدّة من الزمن حتّى سنة 765هـ أين انتقلت

---

[1]- السمعاني أبو سعيد عبد الكريم، **التحبير في المعجم الكبير**، تح، منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، ط، 01، 1395هـ، 1975م، ج، 01، ص، 286؛ السمعاني، **المنتخب من معجم شيوخ السمعاني**، تح، موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار عالم الكتب، الرياض، ط، 01، 1417هـ، 1996م، ص، 107.

[2]- ابن الأبار، **التكملة لكتاب الصلة**، ج، 03، ص، 245.

[3]- ابن الأبار، **المصدر نفسه**، ج، 04، ص، 188.

[4]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 217.

[5]- الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 07، ص، 284.

[6]- اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج، 02، ص،329.

الإمامة إلى أسرة أخرى هي أسرة العقيلي[1]-نسبة إلى علي بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي النويري[2].

- محمد بن محمد السبتي، الفقيه أبو عبد الله المالكي (توفي بعد: 710هـ/1310م) جاور بمكة نحو عشرين سنة ذكر الفاسي أنّه كان يؤمّ بالمالكية نيابة، بينما الميورقي اعتقد أنّه أبو عبد الله التوزري نائب المالكية.

- خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن محمد بن عمر القسطلاني المكي المالكي(ت:760هـ/1358م) فقد ذكر ابن فرحون أنه من أئمة الدين وأنّه ولي إمامة المالكية[3].

- يوسف بن عيسى بن عياش التجيبي الأندلسي المالكي(ت:794هـ/1391م) فقد ذكر الفاسي أنّه كان يؤمّ بمقام المالكية، نيابة عن القاضي نور الدين النويري[4].

- أبو البركات محمد بن أبي الخير محمد الفاسي(ت:823هـ/1420م) ذكر الفاسي أنّه عيّن إماما للمقام المالكي حينما عزل الأخوان "ولي الدين" و"أحمد شهاب الدين" ابنا عبد الرحمن بن علي النويري(ت:806هـ/1403م) وقد استمرّ في إمامته أربعة أشهر فقط، ثمّ استُبدِل بالأخوان السابقان[5].

- عبد اللطيف بن أبي السرور محمد بن عبد الرحمن بن أبي الخير محمد الفاسي المكي (ت:864هـ/1459م) ولي إمامة المالكية بمكة المكرمة أواخر سنة 842هـ، فباشر وظيفته مدّة ثمّ استُبدل فيما بعد بمحمد بن أبي عبد الله النويري وابن عمّه الفضل بن عبد الرحمن[6].

---

[1]- السالمي، **الحياة الدينية في مكة المكرّمة**، ص، 142.

[2]- ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، ج، 01، ص، 449.

[3]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 21.

[4]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 07، ص، 490.

[5]- الفاسي، **نفسه**، ج، 02، ص، 375.

[6]- ابن فهد، **معجم الشيوخ**، ص، 146، السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص، 70.

ب/ المقام الشافعي:

كان المذهب الشافعي الأكثر اتّباعا في مكة المكرّمة من منتصف القرن السابع الهجري وما بعده؛ "وهو مذهب أهل مصر وما تبعها من البلدان الخاضعة لحكم المماليك"، وكان إمام هذا المذهب يُقَدَّمُ على باقي المذاهب في إقامة الصلاة، وكلّ من أمّ في هدا المقام "الشافعي" كان يوصف بإمام المقام كونه يصلّي خلف مقام إبراهيم الخليل عليه السلام، ولحقت هذه التسمية أيضا علماء المغرب الإسلامي الذين كانوا على المذهب الشافعي وأمّوا بالمقام. ومن جملة من نال شرف هذه الوظيفة من المغاربة نجد:

- أبو علي الحسن بن عبد الله بن عمر المعروف بابن العرجاء(544هـ/1149م): فقد ذكر الفاسي أنّه كان إمام مقام الخليل عليه السلام[1]، وذكره السلفي في معجمه أنّه كان شافعي المذهب، وكان إمام مقام إبراهيم، وأنّه أول من يصلي من أئمة الحرم قبل المالكية والحنفية والزيدية[2].

- الشيخ محمد بن يوسف بن موسى الأزدي المهلّبي الشهير بابن مسدي (ت:663هـ/1265م) فقد ذكرت المرويات التاريخية أنّه تولّى إمامة وخطابة المقام معا بعد الشيخ سليمان بن خليل العسقلاني المكي(ت:661هـ/1262م) واستمرّ على ذلك إلى غاية وفاته سنة 663هـ[3].

- أبو الشفاء عبد اللطيف بن أحمد بن علي الفاسي المكي الشافعي (ت:822هـ/1419م) وهو أخو التقي المؤرخ (صاحب العقد الثمين)، أيضا وجدنا أنّه وُلِيَ نصف الإمامة بالمقام عوضا عن الشيخ أبي اليمن الطبري بعد وفاته سنة 814هـ، غير أنّ صاحب مكّة وأميرها السيد حسن بن عجلان الحسني منعه من ذلك للبس في عقيدته وهو اعتقاده في الشيخ أبي اليمن الطبري[4].

---

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 06، ص، 346.

[2]- السلفي، **معجم السفر**، ص، 141.

[3]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 433.

[4]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص،67.

ج/ المقام الحنبلي:

ما تجدر الملاحظة إليه هاهنا أنّ أسرة الفاسي كان جلّ أئمّتها وعلمائها حنابلة، والسبب يكمن في أنّ جلّهم كانت ولادتهم بمكّة؛ وحرص آباؤهم على تدريسهم على علماء الحرم المكي المنتسبون للمذهب الحنبلي، لهذا نجده يُكنّى بالعالم المكي الحنبلي، ولعلّ هذه الميزة مكّنت الأسرة من وراثة المقام الحنبلي بعدما كانت حكرا على أسرة عثمان بن موسى الآمدي (ت:674هـ/1275م) يتوارثونها من سنة 624هـ إلى 759هـ، وقد ابتدأت الأسرة الفاسية إمامة المقام الحنبلي بدءا من سنة 759هـ، وهي السنة التي تولّى فيها عبد اللطيف بن أبي المكارم أحمد الفاسي الملقّب بالسراج[1]، ثمّ توارثها أبناؤه من بعده، ثمّ انتقلت منه إلى ابن عمّه سراج الدين عبد اللطيف بن أبي الفتح الذي عيّن فيما بعد قاضيا للحرمين كما سنرى في عنصر القضاء.

ومن المغاربة الذين تداولوا على إمامة المقام الحنبلي:

- عبد اللطيف بن أحمد الشهاب بن علي بن أبي عبد الله الفاسي المكي (ت:822هـ/1419م) فبعدما ختم القرآن وجوّده، صلى به التراويح في مقام الحنابلة من المسجد الحرام سنة 791هـ[2].

[1]- كان السراج عبد اللطيف بن أبي المكارم أحمد الفاسي صهرا لمحمد بن محمد بن عثمان بن موسى الآمدي –آخر أيمة الحطيم بمكة– فتولّى من بعده الإمامة حينما توفي سنة 759هـ/1357م، **ينظر**، ابن فهد، **إتحاف الورى**، ج، 03، ص، 275.

[2]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص، 65.

- عبد اللطيف بن محمد أبي الفتح بن أبي المكارم أحمد الفاسي (ت:853هـ/1449م) وجدناه قد ولي الإمامة بحطيم السادة وهو مقام الحنابلة بالمسجد الحرام[1]، بعد وفاة ابن عمه علي بن عبد اللطيف سنة 806هـ[2].

- عبد القادر بن عبد اللطيف الأصغر الفاسي (ت:898هـ/1492)، ففي أوائل سنة 855هـ ولي بمكة إمامة مقام الحنابلة بالمسجد الحرام عوضاً عن والده وباشرها، ثم دخلها أيضا في سنة 862هـ وأقام بها إلى أن ولي قضاء الحنابلة بمكة في سنة 863هـ"[3].

ثانيا/ الحرم المدني:

كانت الإمامة خلال القرن السادس إلى منتصف القرن السابع الهجري- أي فترة الحكم الأيوبي وما قبله- بيد الشيعة الإمامية توارثها الأبناء عن الآباء، والسبب راجع إلى كون حكام المدينة المنورة وأشرافها كانوا إمامية المذهب، واستمر الحال إلى حين النصف الثاني من القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي وهو فترة حكم المماليك بمصر، والمعلوم أنّ نفوذ الحكم المملوكي كان ممتدا إلى منطقة الحجاز أيضا؛ الأمر الذي سهّل من عملية ظهور المذاهب السنّية الأخرى بدءا بالشافعي ثمّ المالكي فالحنفي وآخرهم ظهورا المذهب الحنبلي، وعلى إثر تنوّع المذاهب السُنّية بالمدينة، وعلى الرغم من التنوّع المذهبي إلاّ أنّ ذلك لم يسمح بتعدّد الأئمّة بالمسجد النبوي بسبب معارضة أهل المدينة[4]، وبقيت الإمامة حكرا على أئمّة المذهب الشافعي(وهو المذهب المعتمد عند المماليك)، إلى ما بعد منتصف القرن التاسع الهجرين. إذ في سنة 861هـ/1456م صدر مرسوم السلطان بإحداث محراب للحنفية إلى جانب محراب

[1]- ابن تغري بردي، **المنهل الصافي**، ج، 07، ص، 359.

[2]- ابن فهد، **الدر الكمين**، ج، 02، ص، 899؛ ابن فهد، **معجم الشيوخ**، ص، 145.

[3]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص، 52.

[4]- المديرس، **المدينة المنورة في العهد المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)** دراسة تاريخية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المدينة المنورة، ط:01، 1422هـ/2001م ص، 203.

الشافعية[1]، وتداول منذ ذاك الحين أئمة أحناف على الإمامة إلى ما بعد القرن التاسع الهجري، وما يهمّنا في هذه النقطة هو التأكيد على عدم استحداث محراب للمالكية مقارنة بالمسجد الحرام، الأمر الذي منع من ظهور علماء مغاربة وأندلسيين أمّوا به، غير أنّنا وجدنا اثنين من المغاربة أمّوا بالمحراب النبوي لكنّهم ليسوا على مذهب المالكية وهما:

- أبو عبد الله القرطبي(ت:631هـ/1233م) ذكر الفاسي أنّه كان شيخ الحرمين في زمانه، وأنّه قد أمّ بالحرم النبوي الشريف[2].

- يحي التونسي(ت:743هـ/1342م): ذكر الفاسي أنّه ولي الإمامة والخطابة بالمدينة المنورة نيابة عن شرف الدين الأميوطي[3].

2- تولي منصب القضاء

يعتبر القضاء من الوظائف الأساسية في المجتمع الإنساني، وبالخصوص المجتمع الحجازي لكونه يضمّ أعظم المدن "مكة والمدينة". فكان القضاء بهما ذا أهميّة خاصّة نابعة من أهميتها في نفوس المسلمين، لذلك كان لقاضي مكة أو المدينة مكانة محترمة في نفوس الحكام والعامّة، فكان يُعدّ في المرتبة الثانية بعد شريف مكة أو المدينة المنورة، ومن أجل ذلك كان لزاما أن يصدر قرار التعيين أو العزل من السلطان نفسه، وهذه المكانة السّامية جعلت ارتباطه الإداري مباشر بالسلطان لا بالشريف[4]، وبحكم فترة الدراسة التي تتوافق مع القرن السادس الهجري وما بعده – فترة الحكم الأيوبي ثمّ المملوكي على الحجاز- فكان المذهب السائد قبل المماليك أي قبل

[1]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 267.

[2]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 237.

[3]- الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 07، ص، 459.

[4]- الطاسان محمد صالح، **القضاء في مكة في العهد المملوكي**، مجلة العصور، وهي مجلة علمية نصف سنوية تعنى بنشر البحوث التاريخية والآثارية والحضارية، دار المريخ، لندن مج، 06، ج، 02، يوليو 1991م، ذو الحجة، 1411هـ، ص، 306.

منتصف القرن السابع الهجري/القرن الثالث عشر الميلادي هو المذهب الشافعي فكان القاضي يعيّن من المذهب المتّبع إلى حين سنة 663هـ حيث أحدث السلطان المملوكي الظاهر بيبرس القضاء على المذاهب الأربعة[1]، وعمّ هذا المرسوم الدولة المملوكية كلّها، لكنّ مكة وما جاورها كان يسري المذهب الشافعي وكان القاضي شافعيا، وحين وصل المرسوم السلطاني إلى مكة سنة 806هـ (القرن التاسع الهجري) استحدثت وظيفة القاضي الحنفي[2]، ثمّ القاضي المالكي سنة 807هـ[3]، أمّا القاضي الحنبلي فقد تأخّر إلى سنة 809هـ[4].

وفي هذا المنصب السلطاني الهام والحساس في الوقت نفسه؛ استطاع مغاربة أفذاذ تقلّد هذا المنصب، أو نيابته في مكة المكرّمة، والمدينة المنورة أيضا ونجد من جملة ذلك:

2-1 القضاء في مكة المكرّمة: استطاع مغاربة تقلّد هذا المنصب الهام والحساس في الوقت ذاته ومن أهمهم دورا وذكرا:

- أبو حفص عمر بن عبد المجيد الميانشي(ت:581هـ/1185م): وصفه عبد الله بن خليل بقاضي الحرمين دلالة منه على توليه قضاء مكة المكرّمة، وقد وسم بهذا الوصف والشرف سنة 546هـ[5].

- تقي الدين الفاسي المكي المالكي(ت:832هـ/1432هـ) لُقِّبَ بقاضي المالكية، وَقد ولي قَضَاءها بِمَكَّة سنة 807هـ، وعزل مرَارًا[6].

---

[1]- المقريزي، **السلوك**، ج، 01، مج، 02، ص، 540؛ القلقشندي، **صبح الأعشى**، ج، 04، ص، 35.

[2]- ابن فهد، **إتحاف الورى**، ج، 03، ص، 437، ابن فهد، **المصدر نفسه**، ج، 03، ص، 442.

[3]- ابن فهد، **المصدر نفسه**، ج، 03، ص، 442.

[4]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 04، ص، 333، الطاسان، **القضاء في مكة**، ص، 308..

[5]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 348.

[6]- الشوكاني، **البدر الطالع**، ج، 02، ج، 114.

- محمد بن عبد القوي البجائي (ت:852هـ/1448م) ذكر صاحب كتاب "التبر المسبوك" أنّه ناب في الحكم عن الكمال بن الزين القسطلاني، وأبي عبد الله النويري في العقود[1] بمكّة.

- عبد اللطيف بن محمد بن أحمد أبي المكارم الفاسي المكي الحنبلي(ت:853هـ/1452م)، ويسمّى بقاضي القضاة وقاضي الحرمين، ولي قاضي القضاة الحنابلة بمكة سنة 808هـ، وقد وصفه ابن فهد من القضاة العدول[2].

- عبد القادر المحيوي بن عبد اللطيف الأصغر الفاسي(ت:898هـ/1492م) ولي قضاء الحنابلة بمكة في منتصف شوال 863هـ بعناية الأميني الأقصرائى، ثم أضيف إليه في سنة 855هـ قضاء المدينة النبوية[3]، وأصبح ثاني المغاربة جمعا للقضاء بين الحرمين بعد والده عبد اللطيف، وأطلق عليه اسم قاضي الحرمين وكان يتّقد ذكاء وعلما.

- مُوسَى بن مُحَمَّد بن أبي الْفَتْح مُحَمَّد بن أَحْمد بن أبي عبد الله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن الشّرف الحسني الفاسي الْحَنْبَلِيّ. (ت:ق09هـ/15م) ناب فِي الْقَضَاء بِمَكَّة عَن عَمه عبد اللَّطِيف[4].

- مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن أبي الْخَيْر مُحَمَّد بن أبي عبد الله مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن الْجمال أَبُو البركات بن أبي الْخَيْر الحسني الادريسي الفاسي الْمَكِّيّ الْمَالِكِي. واشتغل وناب فِي الحكم بِمَكَّة [5]

- مُحَمَّد بن عبد اللَّطِيف بن محمد أبي السرُور بن عبد الرحمن الفاسي الْمَكِّيّ الْمَالِكِي(بعد 899هـ/1493م): ذكر السخاوي أنّه ناب فِي قَضَاء الْمَالِكِيَّة بِمَكَّة بمرسوم من السُّلْطَان[6].

---

[1]- السخاوي، **التبر المسبوك**، ج، 02، ص، 148.

[2]- ابن فهد، **الدر الكمين**، ج، 02، ص، 899.

[3]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص، 52، 53.

[4]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 10، ص، 189.

[5]- السخاوي، **نفسه**، ج، 10، ص، 104.

[6]- السخاوي، **نفسه**، ج، 08، ص، 76.

- مُحَمَّد بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن حُسَيْن الزين مُحَمَّد بن الْأمين ابْن القطب الْقُسْطَلَانِيّ الْمَكِّيّ الشَّافِعِي وَيعرف بِابْن الزين.(ت:865هـ/1460م) ناب فِي الْعُقُود عَن أبي الْيمن النويري، ثمّ ولي الْقَضَاء عَنهُ أَيْضا لَكِن فِي مرض مَوته[1].

2-2- القضاء في المدينة المنورة:

كان القضاء بالمدينة المنورة خاضعا للشيعة الإمامية قبل النصف الثاني للقرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي، وفي النصف الثاني من القرن نفسه جاء المماليك وبثوا سيطرتهم على الحجاز، أصبحت المدينة المنورة بذلك خاضعة للحكم المملوكي، لكنّ القضاء استمرّ بأيدي الشيعة الإمامية من بني سنان[2] إلى نهاية القرن 07هـ.

وفي سنة 700هـ/1300م تولى مشيخة الخدام بالحرم النبوي كافور المظفري المعروف بالحريري، وكان يمتاز بموالاته للمجاورين والإحسان إليهم، فعزّ المجاورون وقويت حرمتهم، وكثر عددهم[3] لما كانوا يلقونه من الاحترام. حينها استكتب المجاورون السلطان المملوكي "الناصر محمد بن قلاوون" كي يكون لأهل السنة قاض يحكمهم على مذاهب أهل السنة والجماعة طبعا لأنّ شوكة الشيعة رغم زوال حكمهم بالمدينة إلاّ أنّ نفوذها لا يزال قويا، كذلك استحواذهم على القضاء، واستمر الوضع على ذلك الحال إلى أن تولى تقي الدين عبد الرحمن بن عبد المومن الهوريني القضاء بالمدينة سنة 747هـ/1346م، وكان يستنيب في غيابه "البدر عبد الله بن محمد بن فرحون" الذي ساهم في إبعاد الناس عن قضاة الإمامية[4]، وحمل الناس على اتّباع السنّة، فلم يزد الناس إلاّ طاعة وإقبالا[5]، وكانت تلك البذرة الثانية لإحياء المذهب المالكي بالمدينة المنورة،

---

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج،07، ص، 61.

[2]- **بني سنان:** نسبة إلى علي بن سنان بن عبد الوهاب بن نميلة، ينظر، السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 278.

[3]- المديرس، **المدينة المنورة في العهد المملوكي**، ص، 229.

[4]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة**، ص، 203، المديرس، **المرجع السابق**، ص، 230.

[5]- ابن فرحون، **المصدر نفسه**، ص، 204، السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 509.

واستمر البدر بن فرحون في توليه القضاء بالمدينة المنورة ابتداء من 765هـ إلى غاية وفاته بها سنة 769هـ. إذا فهو أول القضاة المغاربة بالمدينة النبوية حسب المرويات التاريخية التي اطّلعت عليها، ليس هو وحده فقط بل هناك من مغاربة مارسوا القضاء بالمدينة المنورة ونجد من أهمهم حسب كلّ مذهب:

أ/على المذهب المالكي:

- عبد الله البدر بن فرحون(ت:769هـ/1367م) قلنا أنّه أوّل من تولّى القضاء من المغاربة على المذهب المالكي، ونيابة قضاء المدينة المنورة عن التقي عبد الرحمن بن عبد المؤمن الهوريني ابتداء من 765هـ/1363م إلى حين وفاته سنة 769هـ/1367م، ثمّ خلفه ابنه المحب أبو عبد الله محمد بن فرحون في قضاء المدينة، واستمرّ في منصبه فترة طويلة، عزل أثناءها مرّات عدّة، وبعد وفاته سنة 792هـ/1389م بمدة خلفه في منصبه إبراهيم بن علي بن فرحون سنة 793هـ/1390م إلى حين وفاته سنة 799هـ/1396م، ثمّ تولّى بعده ابنه أبو اليمن محمد بن إبراهيم (ت:814هـ/1411م)

- أبو الحسن برهان الدين إبراهيم علي بن فرحون المدني: (ت:799هـ/1396م) وصفه صاحب شجرة النور بالقاضي فقال: "قاضي المدينة المنورة برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي"[1] وذلك دلالة قاطعة على توليه منصب القضاء بالمدينة المنورة مسقط رأسه، كذلك ذكره الزركلي بأنه تولّى القضاء للمالكية بالمدينة[2].

نعم لقد قضى برهان الدين سنواته الأخيرة من حياته قاضيا بالمدينة المنورة، حيث تولى المنصب بداية من سنة 793هـ، إلى حين وفاته، فكان أنموذجا في العدل والانتصاف للمظلومين، لا يخشى في الحقّ لومة لائم، وقد ساعده نفوذه في ذلك المركز أن يظهر المذهب المالكي بالمدينة

[1]- مخلوف، **شجرة النور**، ج، 01، ص، 319.

[2]- الزركلي، **موسوعة الأعلام**، ج، 01، ص، 432.

بعد أن أصابه شيء من الخمول والضعف، وبفضله أصبح العامة من أهل المدينة يقدرون المذهب المالكي وهابت الرعية هذا القاضي العادل[1].

ومن العوامل المساعدة على نجاحه في مهنة القضاء بالمدينة هو علمه بمسائله وأحكامه وإجراءات التداعي، وكان لهذا القاضي مهام كثيرة ومتشعّبة، لذلك غالبا ما كان يحتاج إلى إقامة نائب عام له أو نواب ينوبون عنه في مهامه أو بعض البلدان التابعة له.

أحمد بن عبد الرحمن التادلي الفاسي: ذكر صاحب الديباج أنّه "كان فقيهاً فاضلاً متفنناً إماماً في أصول الفقه مشاركاً في علوم عدّة، ورحل إلى المدينة النبوية فاستوطنها. وولي بها نيابة القضاء على المذهب المالكي، فكان صدراً في العلماء ذا عفة ودين وصيانة وعبادة[2].

ب/ على المذهب الشافعي:

ممن ظهر له مرسوم تولّي القضاء بالمدينة المنورة على مذهب الشافعية نجد عبد الله بن أَحْمد بن حسن بن الزين مُحَمَّد بن الْأمين مُحَمَّد بن القطب مُحَمَّد بن أبي الْعَبَّاس أَحْمد بن عَليّ الْعَفِيف الْقَيْسِي الْقُسْطَلَانِيّ الأَصْل الْمَكّيّ الشَّافِعِي وَيعرف بِابْن الزين (ت:827هـ/1423م) ناب فِي الْقَضَاء بمرسوم الدولة المظفرية أَحْمد بن الْمُؤَيد، وَلَكِن لم يظْهر ذَلِك إِلَّا قبل مَوته بالمدينة المنورة[3].

ج/ على المذهب الحنبلي:

تولّى بعض من المغاربة القضاء بالمدينة المنورة على المذهب الحنبلي، ويتصدّرهم في ذلك القاضي سراج الدين عبد اللطيف بن أبي الفتح الحسني الفاسي المكي (ت:853هـ/1449م)

---

[1]- التنبكتي، **كفاية المحتاج**، ج، 01 ص، 160.

[2]- ابن فرحون، **الديباج المذهب**، ج،01، ص، 255.

[3]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 05، ص، 05.

الذي تقلّد منصب القضاء بها سنة 847هـ/1443م، ثمّ خلفه بعده ابنه عبد القادر بن عبد اللطيف المحيوي (ت:898هـ/1492م) لكنّ الملاحظ في هذه النقطة هو طول المدة بين وفاة الوالد وابنه الذي تولّى المنصب بالمدينة سنة 865هـ/1460م، فالمدة تقارب 45 سنة؛ دلّ ذلك على أنّ قضاة المذهب الحنبلي كانوا قلّة، ولم يبق للمذهب الحنبلي السيطرة الكلية. والسبب راجع حسب اعتقادي إلى انتشار المذاهب في المدينة المنورة خلال تلك الفترة الخاضعة للمماليك آنذاك بالحجاز هذا من جهة، ومن جهة ثانية كون المذاهب الثلاثة الأخرى كانت مقيمة مختصّة بالمدينة فقط على عكس المذهب الحنبلي الذي يوزّع إقامته بين مكة والمدينة، لذا كان يطلق عليه مصطلح قاضي الحرمين[1].

3- وظائف مرتبطة بالقضاء (تحرير العقود والوثائق والسجلات)

بمقابل وظيفة القضاء نجد المغاربة يشتغلون بوظائف ومهن لها ارتباط في الأساس بالقضاء إذ هي من الوظائف المساعدة للقاضي، ويستعين بها في النظر للقضايا والمرافعات، ومنها كتابة العقود بأمر من القاضي، كذلك تحرير الوثائق والسجلات[2] والدعاوى بين المتخاصمين وقد كان يشترط في هؤلاء المساعدين للقاضي شروطا لا بد مها كي يستطيع ممارسة مهامه بشكل رسمي[3]، وكلّ هذا داخل تحت سقف القضاء وقبته، ويماثله في وقتنا الحالي ما يقوم به المحامي والمحضر

[1]- هذه اللفتة أشار إليها السخاوي في التحفة، انظر، السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 01، ص، 60.

[2]- وهو ما ينعقد على أيدي القضاة، فيكتب القاضي ما يقع من إشهاد بين المتنازعين بالشهر والسنة ويسجّل ذلك ويقيّد في السجلات بأمر من القاضي لتحفظ بها حقوق الناس وأملاكهم وديونهم وسائر معاملاتهم، ينظر، ابن العطار محمد بن أحمد، **كتاب الوثائق والسجلات**، تح، ب. شالميتا، ف.كورنطي، مجمّع الموثقين المجريطي، المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، ص، 642؛ ابن خلدون، **المقدمة**، ج، 02، ص، 406.

[3]- للتوسّع في هذا ينظر، الطاسان، **القضاء في مكة**، ص، 313.

والموثّق، وقد مررنا من خلال تصفحنا لكتب المصادر والتراجم بعدد لا بأس به ممن تناول هذه الوظائف من المغاربة نذكر لمعا على سبيل التمثيل لا الحصر:

– شهَاب الدّين أَحْمد بن الْحسن بن الزين مُحَمَّد بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن أَحْمد الْقُسْطَلَانِيّ ثمَّ الْمَكِّيّ (ت:797هـ/1394م) كان يتكسب من كِتَابَة الوثائق[1].

– أَحْمد بن أبي الْخَيْر مُحَمَّد بن حُسَيْن بن الزين مُحَمَّد بن الْأَمِير مُحَمَّد بن القطب مُحَمَّد بن أبي الْعَبَّاس الشهَاب أَبُو الْعَبَّاس الْقُسْطَلَانِيّ الْمَكِّيّ(ت:803هـ/1400م) سمع بهَا من الْعَفِيف النشاوري وَغَيره أَجَازَ لَهُ فِي سنة 770هـ جمَاعَة، واشتغل بكتابة الوثائق وكان يسجل على الْحُكَّام[2].

– أحمد الشهاب بن علي بن محمد الفاسي المكي المالكي (ت:819هـ/1416م) فقد ذكر ابنه تقي الدين أنّه كان ذا فضل ومعرفة تامّة بالأحكام والوثائق، أهّله ذلك في تولّي العقود نيابة عن القاضي محب الدين النويري وولده عز الدين[3].

– أَحْمد بن عبد الله بن أَحْمد بن حسن بن الزين مُحَمَّد بن الْأمين مُحَمَّد بن القطب الْقُسْطَلَانِيّ وَيعرف بالحرضي(ت:822هـ/1419م)، فقد أشار السخاوي إلى أنّه تكسّب بِالشَّهَادَةِ والتسجيل على الْحُكَّام[4].

– عبد الله بن أَحْمد بن حسن بن الزين بن الْأمين بن القطب مُحَمَّد الْقُسْطَلَانِيّ الْمَكِّيّ " بِابْن الزين"(ت:827هـ/1423م) فقد كان ذا معرفَة بالوثائق والسجلات والدعاوى وصَار

[1]– ابن حجر: **الدرر الكامنة**، ج، 01، ص، 141.

[2]– السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 02، ص، 109.

[3]– الفاسي، **ذيل التقييد**، ج، 02، ص، 114؛ المقريزي، **درر العقود**، ج، 01، ص، 232.

[4]– السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 01، ص، 355.

مَقْصُودا فِيهَا بمكة، فهذه المعرفة المطلقة بأمور القاضي مكّنته من تحرير شَّهَادات والوثائق والسجلات[1].

– مُحَمَّد بن عبد الْقوي بن مُحَمَّد بن عبد الْقوي البجائي المغربي الأَصْل الْمَكِّيّ الْمَالِكِي(ت: 852هـ/1448م) حيث ناب عَن الْكَمَال بن الزين القسطلاني وَأبي عبد الله النويري فِي تحريره للْعُقُود[2].

– علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله السفاقسي الأصل المكي المالكي الشهير بابن الصباغ(ت:855هـ/1451م) فقد ذكر ابن فهد مباشرته الشهادة بمكة لكنّه لم يكن محمودا في ذلك، رغم أنّه كان عارفا حاذقا بصناعتها معرفة جيدة[3].

– أحمد بن عبد القوي بن مُحَمَّد بن عبد الْقوي البجائي الْمَكِّيّ الْمَالِكِي أخو السابق (ت: 861هـ/1456م) ذكر ابن فهد أنّه تكسّب بالشهادة والجلوس لها، غير أنّه لم يُحمَد في شهادته[4]، وهناك رواية أخرى للسخاوي تذكر تولّيه للحسبة نيابة عن أبي البقاء بن الضياء[5].

– فَخر الدّين أَبُو بكر بن أبي الْفضل بن أبي البركات الْقُسْطَلَانِيّ الْمَكِّيّ الشَّافِعِي (ت:895هـ/1489م) كان مِمَّن يتكسب بِالشَّهَادَةِ بِبَاب السَّلَام، وبالنساخة لعبد الْمُعْطِي المغربي وَغَيره[6]،وذكر السخاوي أنّه قرأ عليه كتبا منها: "المنهاج"، والسرّ المكتوم" و"النهاية في ابن

---

[1]– السخاوي، **الضوء اللامع** ج، 05، ص، 05.

[2]– السخاوي، **المصدر نفسه**، ج، 08، ص، 71، 73؛ السخاوي: **التبر المسبوك**، ج: 02، ص: 148.

[3]– ابن فهد: **الدر الكمين**، ص، 1057؛ ابن فهد: **معجم الشيوخ**، ص: 178. وزاد علي ابن الصباغ المالكي لفظة " باشر الشهادة مع إسراف على نفسه"، انظر، ابن الصباغ، **الفصول المهمّة في معرفة الأئمة**، ج، 01، ص: 15.

[4]– ابن فهد، **معجم الشيوخ**، ص: 61.

[5]– السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 01، ص، 353.

[6]– السخاوي، **نفسه**، ج، 11، ص، 66.

العربي"، إضافة إلى ذلك فقد نال شرف كتابة عدّة مصنفات لشيخه السخاوي الذي منحه الإجازة[1].

4- الأذان في الحرمين الشريفين:

تُعدّ مهنة الأذان بالحرمين من الوظائف الأساسية، لكون الأذان إشعار بدخول الصلاة، ونظرا لأهمية الحرمين الدينية، فقد كان اختيار القائمين بهذه الوظيفة اختيار دقيقا، فلابد أن يكون اختيارهم من العارفين بكتاب الله تعالى أولا، ثمّ من العارفين بالمواقيت التي لها ارتباط وثيق بالحساب والفلك معا، وفيما يلي نماذج مغاربة تولّوا هذه الوظيفة بالمسجدين "الحرام، والنبوي":

4-1- مؤذّنو المسجد الحرام:

أبو الربيع سليمان بن أبي السعود بن عمر بن علي الريغي المغربي (ت:859هـ/1454م) المؤذن بالمسجد الحرام والفراش به، حيث وُلِيَ نصف الأذان بمئذنة باب العمرة بنزول من عبد اللطيف بن أحمد بن عبد السلام الكازروني. وكان ينوب عن الرئيس في الأذان على زمزم والتكبير، وقد كانت له معرفة بالتوقيت[2].

أبو السعود بن سليمان المغربي(ق 09هـ/15م) قال السخاوي أنّه كان يؤذّن بباب العمرة[3]، وكان مقر سكناه برباط كاتب السر (الخاصكية)[4].

---

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 11، ص، 66.

[2]- ابن فهد، **الدر الكمين**، ج، 01، ص، 756؛ السخاوي، **نفسه**، ج، 03، ص، 264.

[3]- السخاوي، **نفسه**، ج، 11، ص، 113.

[4]- وهو رباط يقع بالصفا على حد قول ابن فهد، وبالمروة على حد قول السخاوي وكلاهما صحيح كونه يقع بالصفا على يسار الذاهب إلى المروة مقابل باب علي من الجهة الشرقية للمسجد الحرام، واكتسب اسم كاتب السر نسبة إلى واقفه كاتب السر زين الدين أبي بكر بن مزهر الذي أوقفه سنة 871هـ، أمّا الاسم الثاني "الخاصكية نسبة إلى امرأة تسمّى بالخاصكية، كون هذا الرباط يقع قرب دارها الذي أوقفته على أصلح الناس بمكة (انظر، ابن فهد، **إتحاف الورى**، ج، 04، ص، 474.

4-2- مؤذّنو المسجد النبوي:

من خلال تقصّي عن مادة هذا العنصر لم أتحصّل إلاّ على مغربي واحد تقلّد وظيفة الأذان بالمسجد النبوي، ويتعلّق الأمر بأبي عبد الله محمد بن محمد الغرناطي (ت: 754هـ/1353م) ذكره ابن فرحون في تاريخه، وذكر إتقانه للفرائض والحساب، وأنّه دخل خدمة الحرم الشريف فكان يؤذّن مع جملة المؤذّنين في الحرم الشريف بالمدينة المنورة[1].

فوظيفة الأذان إذاً لم تلق استقطابا من علماء المغرب الإسلامي لأنّ هذه الوظيفة كانت محصورة في أسر معيّنة "أسرة المطري[2]، وأسرة المرتضى الكناني[3]" بالمدينة المنورة يتوارثها الأبناء على الآباء إذا ما قورنت بمكة التي لم تُحصر في أسرة دون أخرى، وكانت متاحة لمن توفّرت فيه الشروط.

خلاصة لما سبق ذكره فالمغاربة لم يبقوا حبيسي مجالسهم العلمية رغم عظم قدرها ونفعها، لكنّهم أرادوا مخالطة الناس، ومعايشة همومهم وتفريج مصائبهم وإحقاق الحق ونصرة مظلومهم، وردّ الظلم عن ظالمهم، وقد حسُنت سيرتهم في تولّيهم القضاء، وما يلحق به من وظائف.

---

[1]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص، 144، الفيروز آبادي، **المغانم المطابة**، ص، 261، ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج، 04، ص، 236.

[2]- **أسرة المطري**، نسبة إلى أحمد بن خلف بن عيسى بن عشاش بن يوسف بن بدر بن علي الأنصاري الخزرجي العبادي الساعدي المطري، وقد كانت لهم رئاسة المؤذّنين بالمسجد النبوي خلال ق08هـ-09هـ، فترة حكم المماليك- ق08هـ-09هـ، حيث انتقل إلى المدينة المنورة وصار رئيسا للمؤذّنين بالمسجد النبوي، ينظر، السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 01، ص، 178.

[3]- **أسرة الكناني**: نسبة إلى إبراهيم بن محمد بن مرتضى الكناني العسقلاني ثمّ المصري حيث انتقل إلى المدينة المنورة وصار رئيسا للمؤذّنين بها، ينظر، السخاوي، **المصدر نفسه**، ج، 03، ص، 49.

في نهاية هذا العرض المتعلّق بأثر المغاربة في بلاد الحجاز في جانب الوظائف الدينية (السلطانية) رأيت ها هنا وضع جدول بياني يعكس نسب الحضور في كل مجال تسهيلا على القارئ:

جدول إحصائي لحضور المغاربة في الوظائف الدينية

المهنة	نسبة الحضور بمكة	نسبة الحضور بالمدينة
الإمامة	03شافعي/10مالكي/03حنبلي	02
القضاء	09	03شافعي/02مالكي/02حنبلي
السجلات والوثائق	04	//
العقود	02	//
الأذان	02	01

❖ المبحث الثالث:

الأثر التربوي الاجتماعي للمغاربة في بلاد الحجاز

لم يقتصر إسهام العلماء المغاربة على جانب التصنيف، بل إنّهم ساهموا بجهودهم الفردية والجماعية في ميادين الحياة، ومنها الجانب التربوي والاجتماعي، حيث أثبتوا فعاليتهم ونشاطهم بتقلّدهم لبعض المهن والوظائف تربوية كانت أو اجتماعية، بفضل علمهم وخبرتهم خصوصا وأنّها مرتبطة ارتباطا وثيقا بتعاملات المجتمع الحجازي، فقاموا بها على أحسن وجه طبعا بشهادة أهل البلد من أهل الحجاز أو "المجاورين" من البلدان الأخرى، ومن هذه الوظائف نذكر ما يلي:

أولا: إدارة الأربطة بالحرمين:

لقد وُجِدت الربط في بلاد الحجاز قبل فترة دراستي، وكانت مهمّتها تربوية من جهة، واجتماعية في جانب آخر بإيواء الفقراء والمنقطعين، وطلاب العلم والمجاورين للمسجد الحرام أو المسجد النبوي من جميع أنحاء العالم الإسلامي، وقد التجأ إليها العلماء الرّحالون طلبا للحديث النبوي أو علوم الدين، أو علوم العربية وغيرها، كما كان هؤلاء العلماء يجدون في هذه الربط متعة المطالعة والكتابة والاستنساخ والتأليف، ومما حفّزهم على ذلك هو وجود بعض المكتبات الموقوفة بتلك الرُبُط، هذا وقد أسهم علماؤنا المغاربة بنصيبهم الوافر في إدارة وتولّي مشيختها أو نظارتها، وسأحاول في عنصري هذا تسليط الضوء على نماذج منهم من باب التوضيح، محاولا في الوقت ذاته ذكر اسم الرباط، ثمّ أهم الشخصيات المغاربية التي تداولت على خدمته وإدارة شؤونه الاجتماعية بخاصّة، وفق الآتي:

أ/الأربطة بمكة:

1/ رباط الموفق: ويسمّى رباط عثمان، ورباط المغاربة فيما بعد، وهو منسوب إلى واقفه القاضي علي بن عبد الوهاب بن عبد الوهاب الإسكندراني المسمّى "الموفق" (ت:624هـ/1266م)، ويقع حسب رأي الفاسي أسفل مكّة[1]. وصفه ابن بطوطة في رحلته وصفا يليق به، وأشار إلى وجود كثير من المجاورين المغاربة به حتى أصبح يسمّى بهم "رباط المغاربة"، ومن المغاربة الذين تولوا مشيخته وإدارته نجد:

– مُحَمَّد بن مُوسى بن عَائذ أبو عبد الله الغماري المغربي الوانوغي المالكي، الذي قدم إلى مكة سنة 780هـ/1378م، وتولي مشيخة هذا الرِّباط والنَّظَر في مصالحه سِنِين كَثِيرَة [2]، وممّا يدلّ على حسن تسييره للرباط، أنّه لم يجد من يعارضه من قضاة مكة فيما يفعل.

– أحمد بن يحي بن عيسى بن عياش بن إبراهيم العوكلي القسنطيني (ت: 860هـ/1455م) ذكر السخاوي أنّه تولّى مشيخة رباط المغاربة بمكة، ونقل عنه مهارته بآلات التجارة[3]

– محمد بن سعيد بن محمد التامردي الزموري المغربي المشهور بابن سارة(ت:860هـ/1455م) وهو من أعلام مدينة أزمور المغربية، أقام بمكة مدة حتى تولّى مشيخة رباط الموفق" المغاربة" قبل سنة 840هـ إلى غاية وفاته سنة 860هـ[4]، وكان مشهورا بالجد وعدم الهزل والكذب، وقد وصفه ابن عزم بالفقيه[5].

---

[1]– الفاسي، **شفاء الغرام**، ج، 01، ص، 550.

[2]– الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 376؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 10، ص، 55؛ ابن تغري بردي، **الدليل الشافي**، ج، 02، ص، 708.

[3]– السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 02، ص، 243.

[4]– ابن فهد، **إتحاف الورى**، ج، 04، ص، 364؛ ابن فهد، **الدر الكمين**، ج، 01، ص، 143؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 07، ص، 252.

[5]– السخاوي، **المصدر نفسه**، 07، 252.

- محمد العربي المغربي (ت: 878هـ/1473م) تولّى هو الآخر مشيخة هذا الرباط "الموفق" بمكة[1] خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي.

- صالح بن عبد الله بن محمد بن عبد الله السجلماسي المغربي (ت:878هـ/1473م) كان من نزلاء رباط المغاربة، وقد وجدناه يقدّم خدمات جليلة للرباط منها قيامه بفهرسة مكتبة الرباط سنة 878هـ[2].

- محمد بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد: أبو عبد الله الرعيني الأندلسي المشهور بالطرابلسي (ت: ق09هـ/15م) قدم إلى مكة للحج سنة 884هـ مع أخيه، ويساهم في الدرس الفقهي واللغوي بمكّة، ثمّ تولّى مشيخة رباط الموفق(المغاربة)[3].

- علي الحيحي المغربي (884هـ/1479م) كان شيخ رباط الموفق[4].

- أحمد بن أبي القسم بن محمد بن علي أبو جعفر بن الرصافي الأندلسي الغرناطي (ت: 892هـ/1487م) تولّى مشيخة رباط الموفق، وكان له إلمام بالفقه[5].

2/ رباط ربيع: نسبة إلى مُنشِئِه ربيع بن عبد الله المارديني، ويقع في أجياد[6]، وقد بالغ ابن بطوطة في وصفه أثناء المجاورة فقال أنّه من أحسن الأربطة بمكة المكرّمة[7] خلال القرن الثامن الهجري، ومن خلال تصفحنا للمصادر التاريخية وجدنا بعضا من المغاربة الذين تولوا رعاية شؤونه، ومنهم:

---

[1]- ابن فهد، **إتحاف الورى**، ج، 04، ص، 572؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 10، ص، 123.

[2]- السخاوي، **نفسه**، ج، 03، ص، 312.

[3]- السخاوي، **نفسه**، ج، 07، ص، 288.

[4]- السخاوي، **نفسه**، ج، 06، ص، 61.

[5]- السخاوي، **نفسه**، ج، 02، ص، 63.

[6]- الفاسي، **شفاء الغرام**، ج، 01، ص، 548.

[7]- ابن بطوطة: **تحفة النظّار**، ص، 172.

- أبو العباس الغماري(ق08هـ/14م)كان شيخا للرباط وساكنا فيه أيام مجاورة ابن بطوطة بمكة[1].

- أبو الحسن علي بن رزق الله الأنجري الطنجي (ق08هـ/14م) حيث ذكر عبد العزيز شافعي أنّه تولى مشيخة رباط ربيع أثناء مجاورة ابن بطوطة بمكة[2].

- يوسف بن محمد بن محمد بن عمران الطنجي (ت: 775هـ/1373م) تولّى مشيخة رباط ربيع بمكة وقام بإصلاحات به منها إقامة صهريج بالرباط، وجدّد تبييض الرباط، إضافة إلى عمارة أماكن أخرى بالرباط نفسه[3].

3/ رباط العباس: يقع بين الصفا والمروة حسب ابن بطوطة في رحلته[4]، بينما يراه الفاسي من جهة المسعى وفيه العلم الأخضر، كان قبل ذلك مطهرة، ثمّ جُعِل في عهد محمد بن قلاوون رباطا[5]، وقد ذكرت المصادر جملة من المغاربة تولّوا مشيخة أو نظارة هذا الرباط من بينهم:

- عبد اللطيف بن محمد الولي بن أحمد أبو المكارم الفاسي (ت: 853هـ/1449م) ولي ناظرا لرباط العباس بعد وفاة والده محمد الولي سنة 796هـ[6].

---

[1]- ابن بطوطة، **المصدر السابق**، ص، 167.

[2]- شافعي، **الرباط في مكة المكرمة**، ص، 86.

[3]- شافعي، **المرجع نفسه**، ص، 87.

[4]- ابن بطوطة، **مصدر سابق**، ص، 162.

[5]- الفاسي، **الشفاء**، ج، 01، ص، 546.

[6]- جار الله ابن فهد، **تحفة الناس بخبر رباط سيدنا العباس**، تح، مشهور بن حسن آل سلمان، أحمد شقيرات، مجلة الحكمة (مجلة علمية شرعية محكمة نصف سنوية تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق المخطوطات بالمدينة المنورة، السعودية)، ع، 06، بتاريخ، صفر 1416هـ، جويلية 1995م، ص، 150.

- عبد القادر بن عبد اللطيف بن محمد الولي بن أحمد أبو المكارم الفاسي المكي الحنبلي (897هـ/1491م) ولّيَ النظر في رباط العباس بعد وفاة والده[1] سنة 853هـ، وقد ذكر ابن فهد أنّه استمر على ذلك أربعة وأربعين سنة حتى سنة وفاته 897هـ[2].

- عبد القادر بن أبي الفتح محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي (ت: 827هـ/1423م)تولّى أيضا نظارة الرباط من أول القرن التاسع للهجرة إلى غاية وفاته سنة 827هـ[3]، ثم ناب عنه بعد وفاته شهاب الدين أحمد بن الضياء القريشي الغمري المكي المتوفي سنة 854هـ.

- محمد بن محي الدين عبد القادر بن عبد اللطيف بن محمد الفاسي الحنبلي (ت: 900هـ/1494م) قال ابن فهد أنّه تولّى نظارة الرباط[4] أيضا.

4/ رباط حسن بن عجلان(جانب النساء): أُوقف هذا الرباط سنة 816هـ/1314م ويقع بالقرب من رباط ربيع، وهو ملتصق بأجياد حسب الفاسي وابن فهد[5]، وقد وجدت مغربيا واحدا تولّى مشيخة الرباط خلال القرن التاسع الهجري هو عبد الملك بن عبد الحق بن هاشم المغربي الحربي (ت:845هـ/1441م)[6].

5/ رباط كلالة: أوقفه أبو القاسم بن كلالة الطبيبي سنة 644هـ/1246م، ويقع بالمسعى قرب رباط العباس السابق[7]، ويعتبر هذا الرباط من أقدم الربط بالمدينة المنوّرة، وقد أخبر ابن مرزوق الخطيب أنّ جماعة من أهل دكالة المغارب أولياء وردوا المدينة المنورة واشتروا هذا الموضع

---

[1]- ابن فهد، **الدر الكمين**، ج، 02، ص، 869

[2]- ابن فهد، **تحفة النّاس**، ص، 150.

[3]- ابن فهد، **نفسه**، ص، 149.

[4]- ابن فهد، **نفسه**، ص، 151.

[5]- الفاسي، **شفاء الغرام**، ج، 01، ص، 335؛ ابن فهد، **إتحاف الورى**، ج، 03، ص، 508.

[6]- ابن فهد، **الدر الكمين**، ج، 02، ص، 940؛ السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 05، ص، 85.

[7]- الفاسي، **شفاء الغرام**، ج، 01، ص، 333.

بأموالهم وبنوا فيه هذا الرباط، وقد ذكر أنّه يحتوي على غرف يسكنها المجاورون غالبيّتهم من المغاربة[1]وممن تولّى شؤون هذا الرباط من المغاربة:

- عبد القادر بن محمد الولي بن أحمد أبو المكارم الفاسي الحنبلي (827هـ/1423م) حيث ذكر ابن فهد توليه لمشيخة هذا الرباط[2].
- نور الدين علي بن محمد القسطلاني الشهير بابن الزين (ت:866هـ/1461م) الذي تولّى مشيخة هذا الرباط أواخر سنة 843هـ/1439م[3].

6/ رباط السدرة: يقع بالجانب الشرقي من المسجد الحرام على يسار الداخل من جهة باب بني شيبة[4]، وحفظت لنا المصادر اسم مغربيّ واحد تولّى مشيخته ورعاية شؤونه هو:

- أبو الحسن نور الدين علي بن محمد بن أحمد بن حسن بن الزين القسطلاني المكي الحنفي (ت:866هـ/1461م) حيث تولّى نظارة "رباط السدرة"، و"رباط كلالة"، وعمّر "رباط كلالة" من أصوله عمارة حسنة.[5] وله أعمال جليلة تدلّ على تفانيه وإخلاصه في عمله لا يسعنا الوقت لذكرها ها هنا، لنكتفي بهذا القدر من المعلومة.

ب/الأربطة بالمدينة المنورة:

حسب ما اطّلعت عليه من كتب المصادر، لم يحصل وأن صادفت مغربيا نال شرف مشيخة أو نظارة أربطة المدينة، لكنّني وجدت من استغلّ سكناه لأجل نسخ الكتب وتدوينها كرباط دُكالة (ويُعرف بدار عثمان بن عفّان)مثلما هو الحال مع الشيخ عبد الواحد الجزولي

[1]- بن مرزوق محمد التلمساني، **المناقب المرزوقية**، تح، سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط، 01، 1429هـ، 2008م، ص، 221.

[2]- ابن فهد، **اتحاف الورى**، ج، 03، ص، 609.

[3]- ابن فهد، **معجم الشيوخ**، ص، 176، 177؛ ابن فهد، **إتحاف الورى**، ج، 04، هامش ص، 435.

[4]- الفاسي، **شفاء الغرام**، ص، 542.

[5]- ابن فهد، **الدر الكمين**، 1054، ابن فهد، **معجم الشيوخ**، ص، 117.

(ت: 717هـ/117م) وهو من علماء الحديث والقراءات كما أسلفنا في فصلنا السابق، حيث نسخ كتب العلم بهذا الرباط[1].

ثانيا: إسهامهم في التأديب والتعليم:

كانت مهمّة تعليم الأطفال بمكة أو المدينة تقوم بها مؤسسات نظامية أو وقفية خاصّة، مهمّتها تعليم الطفل وتثقيفه كي يؤهّل للتعلّم بالحرمين الشريفين، سأحاول ذكر كل مؤسسة على حدة، ومن ثمّ أتطرّق إلى علمائنا الذين أسهموا أو شاركوا فيها:

3-1- الكتاتيب ومدارس القرآن:

لقد عُرفت الكتاتيب (مفردها كُتّاب) منذ عُرِفت المساجد، جنبا إلى جنب؛ لتسهم بدورها في نشر العلم والمعرفة كونها تعلّم الصبيان الكتابة والقراءة، وشيئا من مبادئ العلوم الدينية واللغة وقصص الأنبياء، وغيرها مما لا غنى للطفل عنه[2]، وكانت بلاد الحجاز سبّاقة في ذلك كون المسجدين "الحرام والنبوي" من الأوائل وجودا وظهورا، وقد كان حرص علمائنا المغاربة جليا باهتمامهم بهذا الجانب التعليمي أو التأديبي سواء بمكة أو المدينة وفيما يلي حصيلة اسمية لمن أدّب أو درّس حسب كل منطقة:

3-1-1- كتاتيب مكّة:

من المغاربة الذين أظهروا نشاطا تعليميا أو تأديبيا بمكة نجد:

-محمد بن ثابت الأنصاري المراكشي(ت:749هـ/1348م) حيث ذكر الفاسي أنّه كان يؤدّب الأطفال عند باب أجياد بالحرم الشريف[3].

---

[1]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج: 03، ص، 104.

[2]- العبيكان طرفة عبد العزيز، **الحياة العلمية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة**، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرّمة، ط، 1416هـ، 1996م، ص، 63.

[3]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 01، ص، 435.

-يوسف بن علي بن سليمان القروي-نسبة إلى القيروان-(ت:764هـ/1362م) كان أيضا مؤدّبا للأطفال بالمسجد الحرام، إضافة إلى أنّه كان قارئا للحديث به[1].

-يوسف ب7ن محمد بن محمد الطنجي (ت:775هـ/1373م) أقام بمكةّ أكثر من ثلاثين عاما، وكان يؤدّب الأطفال بالحرم الشريف[2].

-يوسف بن عيسى بن عياش التجيبي الأندلسي المالكي (ت: 794هـ/1391م) كان مؤدّبا للأطفال بالمسجد الحرام، وكان بالأخص مؤدّب أولاد القاضي نور الدين النويري، وأولاد أعيان الحرم[3].

- عبد الله بن عبد الملك بن عبد الله البكري التونسي المعروف بالمرجاني (كان حيّا سنة 770هـ/1368م) كان مشتغلا بفنون العلم وألّف كثيرا، إلاّ أنّه آثر الاشتغال بتعليم القرآن للأولاد اليتامى بالحرم المكي الشريف خلال القرن الثامن الهجري[4].

هذه نبذة وجيزة عن مؤدّبي مكة المكرّمة الذين حفلت بهم مكة ومسجدها الحرام خلال فترة الدراسة لننتقل إلى كتاتيب المدينة المنورة.

3-1-2- كتاتيب المدينة:

رأينا أنّ الكتاتيب بالمدينة المنورة لم تخل زوايا مسجدها النبوي من التعليم حيث حفلت هي الأخرى بكوكبة من معلمي ومؤدّبي الأطفال من المغاربة يأتي في مقدّمتهم:

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 07، ص، 488.

[2]- الفاسي، **نفسه**، ج، 07، ص، 495.

[3]- الفاسي، **نفسه**، ج، 07، ص، 489، 490.

[4]- الهيلة، **التاريخ والمؤرخون بمكة**، ص، 71.

– محمد بن عبد الله السبتي[1](ت:720هـ/1320م) الذي يُعَدُّ من طلبة الشيخ أبي عبد الله القصري المغربي في بالمدينة المنورة، وقد ذكرت كتب التاريخ أنّ بكُتَّابِهِ أكثر من مائة متعلّم؛ ما بين بين صبي يفاع وصغير يراع، وكان له نظام خاصّ في هذا الكتاب، حيث رتّبهم على شكل مجموعات حسب المستوى العقلي والعمري، وجعل على كلّ مجموعة عريفا–تشبه في نظامها وتقسيمها نظام العسكر–، وكانت له فراسة وقدرة على التّعامل مع الصبيان، كما أنّه كان يسلك الشدّة في معاملتهم بالتخويف والتّهديد، وقد كانت له دور عظيم في تعليم أبناء المجاورين القرآن[2] وكانت له فراسة عظيمة في الصبي فكان مُهابا في غيبته أكثر من حضوره، وقد ختم على يديه جم غفير من أبناء المجاورين[3].

– يحي القسنطيني(ق08هـ/14م) كان أيضا من مدرّسي القرآن للصبيان في الحرم النبوي، وقد انتفعوا به[4].

– عمر بن سالم بن بدر السراج الوراقلي الجزائري المغربي (حي سنة767هـ/1365م) حيث ذكر السخاوي أنّه كان يؤدّب الصبيان بالمدينة المنورة[5].

–أيوب بن سليمان المغراوي[6] المؤدّب[7]، جاور بالمدينة المنورة خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي وكان يؤدّب صبيان المدينة المنوّرة.

---

[1]– السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص، 616، 617.

[2]– ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص، 163؛ السخاوي، **المصدر نفسه**، ج، 03، ص، 616، 617.

[3]– السخاوي، **نفسه**، ج، 03، ص، 618.

[4]– ابن فرحون، **مصدر سابق**، ص، 134.

[5]– السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص، 330.

[6]– تتّفق بعض المصادر التاريخية إلى أنّ قبيلة مغراوة أصلها من قبائل زناتة العريقة الأصل في بلاد المغرب العربي، ينظر، ابن حزم، **جمهرة أنساب العرب**، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 2003، ص، 495؛ ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، ط، 1972م، ص، 279.

[7]– السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 02، ص، 331.

لقد كان معلمو ومؤدبو مكة والمدينة من المغاربة يبذلون جهدهم لأجل تعليم أبناء المسلمين وتهيئتهم العلمية والمعنوية في مرحلتهم التعليمية الأولى كي يتدرّجوا ويلتحقوا فيما بعد بنظام جديد آخر وهو نظام الحلقات العلمية التي كانت تُعقد بالمسجدين (الحرام، النبوي)، وكذلك بالمؤسسات الأخرى كالأربطة والمدارس التي كانت موجودة آنذاك.

3-2- المدارس النظامية الوقفية:

3-2-1 مدارس مكة المكرّمة النظامية:

تأخّر ظهور المدارس كمؤسسة علمية نظامية بمكة إلى ما بعد القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، قد كانت هذه المدارس ذا قيمة علمية واجتماعية سواء بمكّة أو المدينة المنورة، وكانت تؤدي دورها التعليمي بجانب تلك الحلقات التي كانت تُعقد بالمسجدين "الحرام والنبوي" وساهمت هي الأخرى في تنشيط الحياة العلمية بالحجاز عموما، ومكة بشكل أخص كونها محط رحال العلماء وطلبة العلم، ولأهمية هذه المؤسسة العلمية والتعليمية في الوقت ذاته ظهر نشاط لعلمائنا المغاربة في هذه المؤسسة خلال الفترة المحدّدة للدّراسة، وفيما يلي نماذج على سبيل المثال:

- **المدرسة الغياثية البنجالية:** أنشأها سلطان بنجالة من بلاد الهند السلطان غياث الدين أعظم شاه (ت: 814هـ/1411م)[1]، وكانت المدرسة مقررة على المذاهب الأربعة، وقد تولى عدد من علماء المغرب التدريس بها أذكر منهم: المؤرخ تقي الدين الفاسي المالكي(832هـ/1428م) تولّى التدريس على المذهب المالكي، وعلى المذهب الحنبلي سراج الدين عبد اللطيف بن محمد الفاسي(ت:853هـ/1449م)[2]، ثمّ خلفه ابنه عبد القادر بن عبد

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 03، ص، 320.

[2]- ابن فهد، **معجم الشيوخ**، ص، 145.

اللطيف الأصغر (ت:897هـ/1491م) الذي تولّى بها درس خير بك[1] إضافة إلى درس الفقه والعربية والمعاني والبيان[2].

- **المدرسة المنصورية:** أنشأها الملك المنصور عمر بن علي بن رسول-صاحب اليمن- سنة 641هـ/1243م ثمّ أوقفها على طلبة وفقهاء المذهب الشافعي، وأهم المغاربة الذين تولّوا التدريس بها الفقيه المحدث جعفر بن عبد الرحمن بن جعفر السلمي الصقلي البجائي(ت:644هـ/1246م)، وسمع منه بها الحافظ شرف الدين الدمياطي، وكان يحدّث بها[3]، وضياء الدين محمد بن عمر القسطلاني:(ت: 663هـ) حيث ذكر الفاسي أنّه درّس بالمنصورية[4]، وأظنّه درّس بها مادة الحديث وليس الفقه كون المدرسة على مذهب الشافعي، لأنّ الإمام ضياء الدين مالكي المذهب، وثالثهم أمين الدين أبو المعالي ابن قطب الدين القسطلاني المكي (ت:702هـ/1302م) حيث كان شيخ الحديث بها[5].

- **المدرسة المظفّرية:** حينما زار ابن بطوطة مكة وجاور بها ذكر أنّ أبا الحسن علي بن رزق الله الأنجري الطنجي (ت:ق14/08م) كان له بيتا يعلّم بها العلم نهارا، وفي الليل يأوي إلى مسكنه برباط ربيع[6]، وقد وصفه بالفقيه الزاهد.

---

[1]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص، 53.

[2]- النجم ابن فهد، **الدر الكمين**، ص، 869.

[3]- الفاسي: **العقد الفاسي**، ج، 03، ص، 426.

[4]- وتسمّ أيضا بالمدرسة النورية نسبة إلى نور الدين وهو السلطان المنصور صاحب اليمن (انظر، الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 321)

[5]- الفاسي: **ذيل التقييد**، ج، 01، ص، 244.

[6]- ابن بطوطة: **تحفة النظار**، ج: 01، ص: 167.

- **مدرسة دار زبيدة:** وتسمّى "طاب الزمان الحبشية"، ممن درّس بها الشيخ قطب الدين أبو بكر القسطلاني الشافعي(ت: 686هـ/1287م)[1]، وكان ذلك بحضور والده الشيخ أحمد بن علي القسطلاني(ت: 636هـ).

- **مدرسة ابن الحداد المهدوي:** أو(مدرسة الأدارسة) ما تمتاز به هذه المدرسة عن غيرها أنّها موقوفة على طلاب المذهب المالكي دون غيره من المذاهب، وقد بناها عبد الحق المهدوي المعروف بابن الحداد[2] وأوقفها سنة 638هـ/1240م، وكانت من أشهر المدارس بمكة إلى حين استيلاء الأشراف الأدارسة[3] وممن درّس بها العلم التونسي محمد بن عمر التوزري القسطلاني(ت: 663هـ/1264م) حيث درّس بها الحديث والفقه[4].

3-2-2 مدارس المدينة المنورة النظامية:

ظهرت المدارس الوقفية مع بدايات القرن السادس هجري وصولا إلى القرن السابع للهجرة ولمح إلى ذلك النعيمي من أنّ فخر الدين عثمان بن الزنجيبلي كانت له رباط بالمدينة المنورة[5] في عام 577هـ، حيث يعتبر أول مدرسة بالمدينة المنورة خلال القرن السادس هجري، غير أن علماءنا المغاربة لم يظهر نشاطهم إلاّ بعد القرن السابع للهجرة، وتمثل ذلك الشيخ سليمان

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 01، ص، 321.

[2]- الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 05، ص، 335.

[3]- الجابري، **الحياة العلمية في الحجاز**، ج، 02، ص، 375.

[4]- اليونيني، **ذيل مرآة الزمان**، ج، 02، ص، 329؛ الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج، 04، ص، 261.

[5]- النعيمي عبد القادر بن محمد، **الدارس في تاريخ المدارس**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 01، 1441هـ، 1990م، ج، 01، ص، 404.

الونشريسي صاحب ابن فرحون الذي خلف الشيخ إبراهيم العريان الرومي صاحب المدرسة الشيرازية بالمدينة المنورة حينما توفي سنة 730هـ[1] فكان واقفا عليها ومجتهدا في عمارتها.

- **المدرسة الشهابية:** مؤسّسها هو الملك المظفر شهاب الدين غازي الأيوبي، في مكان دار أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه. وبنيت لجميع مذاهب الأئمة الأربعة، ومن الذين أقاموا بها الشيخ عبد الله بن عبد الملك المرجاني صاحب كتاب: بهجة النفوس والأسرار في تاريخ دار هجرة المختار. وكذلك الشيخ علي بن الحسن الواسطي والشيخ أبو الربيع سليمان الغماري، والشيخ محمد بن محمد الحيدري، والشيخ أبو عبد الله القصري والشيخ أبو عبد الله محمد بن سالم الحضرمي[2].

كذلك نجد شيخا آخر عنى بالتدريس في المدرسة الشهابية، وهو الشيخ العالم أبو عبد الله محمد بن فرحون مؤسس أسرة ابن فرحون اليعمرية، ورأيناها في فصل سابق يوم كان نزيلا بها[3]، وأما البدر عبد الله بن فرحون وأخوه نور الدين علي فكانا مدرسين بها بمرسوم السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون[4]، ومن المدرّسين بها أيضا الفقيه يعقوب الشريف المغربي(ت:723هـ/1323م) وكان ممن المنفقين عليها بالأموال، ومن ذلك أنّه أوقف وقفا

[1]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص، 107.

[2]- حجار طارق بن عبد الله، **تاريخ المدارس الوقفية في المدينة المنورة**، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المدينة المنورة، ع، 120، السنة 35، 1423هـ، 2003م، 484.

[3]- حجار، **المرجع نفسه**، ص، 484.

[4]- حجار: **المرجع نفسه**، ص، 484.

بالمدينة المنورة بخمسمائة دينار يصرف ريعه على المدرسة الشهابية لأنّه كان يسكنها يوم كان مقيما بالمدينة المنورة[1]، وقد كان لهذه المدرسة دور كبير في إحياء الجانب العلمي بالمدينة المنورة.

- **المدرسة الشيرازية:** من الشيوخ المعمّرين في المدرسة الشيرازية إبراهيم العريان الرومي رحمه الله (ت: 730هـ/1329م)، حيث يعتبر المؤسس الثاني للمدرسة وأصله من الروم. فأقام بالمدينة فوق خمسين سنة على طريقة حسنة مستقراً بالمدرسة، وله فيها آثار حسنة، وكانت هذه المدرسة محترمة لا يدخلها إلاّ الأخيار من الناس. واشترى نخلاً وأوقفه عليها واجتهد في عمارتها بنفسه وماله. ثم خلفه بعد وفاته الشيخ الجزائري أبو الربيع سليمان الونشريسي (ت: 756هـ/1355م) في إدارة شؤون المدرسة[2] وهو من أصحاب ابن فرحون.

ثالثا: دور العلماء المغاربة في إصلاح المجتمع (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر):

الأمور التي امتاز بها علماء المغرب بالمدينة المنورة سعيهم إلى إحقاق الحق وألاّ يخشى في الله لومة لائم، ومن جملة أعمالهم نجد:

1-أبو محمد عبد الله البسكري: أوى إلى المدينة في وقت شديد، على قدم التجريد، فأقام أولا بالمدرسة الشهابية مدة، ثم انتقل إلى رباط دكالة كان إذا رأى منكرا غيّره بيده ولسانه[3]، وكان مما يعد من كرامات الشيخ أبي محمد البسكري، أنه لا يأتيه مظلوم يشتكي عليه ظالمه إلا وشفع له، فإن شفع فيه، وإلا عجلت عقوبة الظالم في وقته.

---

[1]- حسين أحمد علي، **المدرسة الشهابية وأثرها الحضاري في المدينة المنورة خلال العصر المملوكي**، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، مجلة علمية محكّمة تصدر عن مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، فبراير 2016م، جمادى أول 1437هـ.ص، 16.

[2]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص، 107؛ السخاوي: **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 189.

[3]- ابن فرحون، **نفسه**، ص، 60.

2-عبد الواحد الجزولي المغربي: نقل عنه الصدح بالحق، وكان من الذين لا يخشون في الله لومة لائم، وكان حريصا على إقامة شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالمدينة المنوّرة، ومن ذلك اتفاق بعض المشايخ الكبار جلوسهم في قراءة ختمة قبل صلاة الجمعة يجلس لقراءتها على كرسي، ويرفع صوته بالقراءة، فقال له الشيخ عبد الواحد: لا تجلس في هذا الوقت، ولا ترفع صوتك بالقراءة فيتأذى الناس برفع صوتك، فقال: هذه وظيفة مشروطة بهذه الصفة، فلا بد أن أفعل الشرط، وإلّا آكل حراما، فقال له: قد نهيتك، فإن لم تفعل وجلست بعد هذا أخذت بلحيتك هذه، وأنزلتك من على كرسيك، فإن شئت فافعل، وإن شئت فدع، فترك ذلك رحمه الله.

رابعا: مساهمات المغاربة في الوقف على الحرمين الشريفين

5-1- أوقاف العلماء المغاربة بمكة المكرّمة:

استطاع بعض المغاربة من العلماء، وحتى السلاطين المغاربة أن يوقفوا أموالهم وأعمالهم ومؤلّفاتهم بمكة المكرّمة كي يستفيد منها عموم الناس من طلبة العلم وغيرهم، سأحاول ذكر بعضهم على سبيل مثال:

- الجمال أبو عبد الله بن عبد الله بن الفتوح المكناسي المالكي(592هـ/1195) كان إماما للمالكية بالحرم المكي حسبما رأينا سابقا، وقد وجدنا أنّه أوقف كتاب "المغرب" أو "المقرب" في اختصار المدوّنة لابن زمنين المالكي(ت:399هـ/1008م) والمكوّن من ستّة (06) مجلّدات على المالكية والشّافعية والحنفية الذين بمكّة، وجعل مقرّه بخزانة المالكية بمكّة المكرّمة[1].

[1]- ابن فهد، **إتحاف الورى**، ج، 02، ص، 488.

من جملة ما شارك به المغاربة في مجال الأوقاف العلمية بمكة أيضا توقيفهم للكتب والمكتبات للصالح العام ولطلبة العلم ومن هذه الأوقاف نجد:

- أ/ مكتبة الميورقي: (ت: 678هـ/1279م)

صاحب هذه المكتبة هو أبو العباس أحمد بن علي بن أبي بكر العبدري الميورقي الطائفي الذي كان مقيما بالطائف، وقد سكن بمكة مدة، وأوقف مكتبته على طلبة العلم، وللعلم فإنّ هذه المكتبة كانت عامرة بذخائر الكتب وأنفسها في مجالات الفنون، خاصة مجال التاريخ السير والتراجم، وقد أشار إلى ذلك صاحب العقد المؤرخ تقي الدين الفاسي بأنّها" مشتملة على فوائد جمّة"[1]، وقد كانت هذه المكتبة مرجعا لمؤرخي مكة وعلمائها كتقي الدين الفاسي الذي استفاد منها في كتابة عقده الثمين الذي يعد مصدرا من مصادر تاريخ مكة المكرمة، إضافة إلى ذلك استطاع أيضا مؤرخ مكة وعالمها أبو الفضل محب الدين بن فهد حينما ألّف كتبه في تاريخ مكة[2] المعروفة.

- ب/ مكتبة تقي الدين الفاسي (ت: 832هـ/1428م)

كذلك نجد عالم مكة ومؤرخها التقي الفاسي يساهم بتحبيس وتوقيف مكتبته التي كانت تحوي على درر ولوامع علمية وجّهت لفئة العلماء الراغبين في القراءة والمطالعة من علماء ومتعلّمين من أمثال شمس الدين السخاوي الذي وقف عليها، واستفاد منها[3]، وكفاها فخرا هذه المكتبة أنها مقتبسة من مصادر عاصروا تلك الفترة وقبلها.

---

[1]- الوراكلي حسن، **الأحباس العلمية عند المغاربة والأندلسيين**، بحث مقدّم إلى مؤتمر أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية بجامعة الشارقة يومي، 09، 10 مايو 2010م، ص: 06.

[2]- الوراكلي، **نفسه**، ص، 06 (نقلا عن الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 02، ص، 74).

[3]- الفاسي: **المصدر نفسه**، ج، 02، ص، 74.

- ج/ مكتبة رباط المغاربة بمكة المكرمة:

وهي مكتبة موقوفة برباط المغاربة بمكة، وممن نال شرف الاطلاع عليها الإمام السخاوي سنة 878هـ وقال أنها مكتبة علمية فيها عدد من الكتب"[1]، ويعود تصنيف هذه المكتبة إلى أحد مجاوري رباط المغاربة يسمّى صالح بن عبد الله السجلماسي المغربي الذي اجتهد بوضع فهرسة شاملة لجميع محتوياتها[2] قصد استفادة الزائرين للرباط من العلماء وطلاب العلم المجاورين.

5-2-أوقاف الحكام والسلاطين المغاربة على الحرمين:

شارك الحكام المغاربة إخوانهم العلماء مشاركاتهم العلمية بالحجاز ومن جملة ما شاركوا بالحرمين:

- **المصحف الشريف:** كان للحكم المريني بالمغرب الدور الفعّال في تنظيم الرحلات الحجية والعلمية نحو الحرمين الشريفين، وتمثّل ذلك الإسهام في إعادة تنظيم ركب الحجاج بعدما انقطع خلال نهاية القرن السادس بسبب الصراع الذي تزامن مع نقل الحكم من الموحّدين إلى ورثتهم بالدول الثلاث خاصّة المرينيين منهم، وبعد تحسّن الأوضاع وهدوء تلك المشاحنات عزم السلطان المريني أبو يعقوب يوسف الناصر الملقّب بالمنصور(ت: 706هـ/1306م) على إحياء سنّة الركب وكان من محاسن هذا الرّكب الحاجّي انتساخ (استنساخ) المصحف الشريف أهداه السلطان للحرم المكي، وقد ذكر ابن خلدون هذا المصحف فقال: " فأمر السلطان بانتساخ مصحف رائق الصنعة، كتبه ونمّقه أحمد بن الحسن الكاتب المحسن، واستوسع في جرمه، وعمل غشاءة من بديع الصنعة، واستكثر فيه من مغالق الذهب المنظم بخرزات الدرر والياقوت، وجعلت منها حصاة

[1]- الجاسر حمد، **قطر الطائف ومؤرخوه**، مقال بمجلة، العرب (مجلة تعنى بتاريخ العرب وجغرافية بلادهم وتراثهم الفكري، السعودية)، السنة الثانية، شعبان، 1387هـ، ج، 02، ص، 98، 99.

[2]- ابن فرحون: **تاريخ المدينة المنورة**، ص، 67.

وسط المغلق تفوق الحصيات مقدارا وشكلا وحسنا، واستكثر من الأصونة عليه"[1]. وقد كتب هذا المصحف هو أبو العباس أحمد بن حسن البلياني التلمساني[2].

- **الأموال:** أرسل السلطان مع هذه الهدية أو (الوقف) أمولا كثيرة برسم توزيعها على سكان الحرمين الشريفين" مكة المكرمة والمدينة المنورة، وكان من جملة الركب رجال صلاح وعلم من أمثال أبو عبد الله القصار كبير علماء المغرب.

5-3- أوقاف العلماء المغاربة بالحرمين الشريفين:

أولا: أوقاف مكة المكرّمة:

وأقصد بذلك فئة لا تقلّ أهمية في كلّ مجتمع وهن شقائق الرجال في أعمال الخير والمسارعة إليه، وهن النّساء اللواتي ساهمن بقسطهن على الوقف بالحرمين الشريفين، حيث نجد آمنة بنت عنان بن حسن العذرية (والدة القطب القسطلاني) (ت:656هـ/1258) فقد أوقفت هي وبعض صويحباتها بمكة "رباط الساحة" وهو رباط يقع بأجياد حسب ما ذكره الفاسي[3]، وكان ذلك خلال القرن 07 هجري، وكان وقفا على الفقيرات والغريبات المتديّنات.

---

[1]- بن معمّر محمد، **رحلات الحج من المغرب الأوسط إلى مكة المكرّمة**، مجلة الحضارة الإسلامية (مجلة علمية دولية محكّمة تصدر عن كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد بن بلّة، وهران)، مج، 18، ع، 01، ربيع الثاني 1439هـ، ديسمبر 2017م، ص، 282 (نقلا عن ابن خلدون، **كتاب العبر**، ج، 07، ص، 268.)

[2]- كان هذا الرجل نخبة عصره في حسن الخط والتصرّف فيه مع طلب وأدب ونبل، وكان قاضي الجماعة يستكتبه في الكتب المملوكية، وقد تولّى خطة شهداء بيت المال، وهي أشرف خطط العدالة ليشهد على الحاصل في بيت المال الداخل والخارج، وإليه يرجع سائر الأعمال، فتقلّد المنصب. انظر، ابن مرزوق التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تح، د. ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط، 1981، ص، 313، 314.

[3]- الفاسي، **شفاء الغرام**، ج، 01، ص، 548.

ثانيا: أوقاف المدينة المنورة:

استطاع بعض المغاربة أن يوقفوا أموالهم وأعمالهم ومؤلّفاتهم بالمدينة المنورة كي يستفيد منها عموم الناس أيضا من العلماء المجاورين وطلبة العلم، وفيما يلي ذكر لبعضهم على سبيل مثال:

كان السّباق في ذلك الشيخ محمد بن محمد الغرناطي(ت:754هـ/1354م) الذي أوقف جميع كتبه بالمدينة المنورة، وجعل مقرّها بالمدرسة الشهابية[1].

كذلك ممن أوقفت مكتبته بالمدينة المنورة بعد وفاته العالم الموسوعي الشيخ أبو محمد عبد الله بن حجاج المغربي المشهور بمكشوف الرأس[2](ت:701هـ/1301م)، وقد ذكر عنه ابن فرحون من أنّه كان يجمع من الكتب ما لم يجمعه غيره، فقد كانت تحوي صنوفا عدّة من العلوم في تفسير وفقه وحديث وتاريخ وطب ومنطق وحكمة، وحينما توفي بالمدينة المنورة أمر القاضي فخر الدين السنجاري بتسليم الكتب التي كانت عند نور الدين علي بن الصفي[3] وبيعت بالمدينة حتى ملأت كلّ بيت بها[4].

ومن المغاربة أيضا أيوب المغربي ذكره السخاوي في التحفة، وذكر له مكانا بالمدينة المنورة أوقف عليه بعض كتبه سنة 847هـ[5].

---

[1]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص، 144.

[2]- السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 02، ص، 29.

[3]- السخاوي، **المصدر نفسه**، ج، 02، ص، 279.

[4]- السخاوي، **نفسه**، ج، 02، ص، 279.

[5]- السخاوي: **نفسه**، ج، 01، ص، 362.

وممن أوقف دوره وأمواله على مدارس العلم بالمدينة المنورة المغربي يعقوب التونسي الذي أوصى بإخراج خمسمائة(500) دينار من ماله قصد شراء وقف بالمدينة، ويصرف ريعه على طلبة العلم بالمدرسة الشهابية ذو المذهب المالكي والشافعي[1].

خلاصة لما سبق ذكره فقد كان تأثير علماء المغرب الإسلامي جليا من خلال إسهاماتهم الدينية والعلمية، وكذا الاجتماعية من خلال تصدّرهم لوظائف ومناصب هامّة وسامية لم يكونوا ليبلغوها لولا مكانتهم بين عامّة المجتمع الحجازي وخاصّته، فكانوا خير سفير لبلدهم المغرب، وخير عامل وموظّف فيما استؤمن عليه من مهام.

جدول إحصائي لوظائف المغاربة في الجانب التربوي الاجتماعي بالحجاز

المهنة	نسبة الحضور بمكة	نسبة الحضور بالمدينة
إدارة الأربطة	18	01
التأديب بالكتاتيب	05	04
التدريس بالمدارس	09	04

[1]- المديرس، **المدينة المنورة في العهد المملوكي**، ص، 251.

❖ المبحث الرابع

الأثر الاقتصادي للمغاربة في بلاد الحجاز

عرفت الحجاز عدداً من الصناعيين المغاربة والأندلسيين، مارسوا بعض المهن والحرف كي يتكسّبوا بها، ويعينوا بها أنفسهم على نوائب الدهر كالتجارة والصناعة والزراعة أيضا، ومن هذه النماذج نجد:

1- الصناعة:

أولا: تجليد الكتب:

أو التجليد، هي حرفة من الحرف التي تمتاز بتجليد الكتب قصد حفظها من الضياع والتلف، وقد امتهن هذه الحرفة بعض المغاربة بالحجاز نذكر منهم:

محمد بن عمر بن عزم التميمي التونسي المالكي(ت:891هـ/1486م) قدم مكة سنة 840هـ حاجا، واشتغل بالصناعة والتجارة حيث تكسّب بصناعة التجليد بمكة المكرمة، كذا امتهن تجارة الكتب، إضافة إلى اعتنائه بتحصيل تصانيف ابن عربي الصوفي، والميل إليه حتى صار من أكبر الدعاة إليه[1].

كذلك نجد الشيخ محمد التلمساني(ت: 754هـ/1353م) فقد ذكر عنه ابن فرحون أنّه اشتغل بتجليد الكتب بالمدينة المنورة[2]، وكان ذلك خلال القرن الثامن الهجري.

ثانيا: الوراقة والنساخة:

وهي نسخ الكتب وكتابتها، وقد شهدت هذه الحرفة انتشارا كبيرا بحكم أنّ الحجاز خلال حكم المماليك ظهر له نشاط كبير تمثّل في التأليف وجمع الكتب وإنشاء المكتبات، وكثُر النّسّاخون

[1]- ابن فهد، **الدر الكمين**، ص، 250.

[2]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص، 165.

نظرا لحاجة الناس إلى الكتب في ذلك العصر، وممن ظهر له نشاط وأبدع فيها بالمدينة المنورة عبد الواحد الجزولي المغربي(ت:717هـ/1317م) فقد ذكره السخاوي في التحفة، وقال أنّه "كان مكبّا على نسخ العلم(الكتابة) برباط دُكالة-وهو الرّباط الذي كان يسكنه بالمدينة المنورة-، وقد خلّف كتبا كثيرة خطّها بيده، وأوقفها ثمّ فرّقها قبل موته بقليل"[1]، كذلك ممن اتخذ النسخ سبيلا للتّكسب أبو عبد الله محمد ابن فرحون (ت،721هـ/1321م) الذي اتّخذ من حسن خطّه رزقا له يعين به نفسه أثناء مجاورته بالمدينة المنورة، لأنّ هؤلاء المجاورين لم يكن بعضهم يملك إلاّ ما يسدّ رمقه، فيتّخذ مهنة أو صنعة يتقوّت منها.

وبمكة امتهن هذه الوظيفة عدد من أسرة القسطلاني، أوّلهم شهاب الدّين أَحْمد بن الْحسن بن الزين محمد بن أَحْمد بن محمد بن أَحْمد القسطلاني ثمَّ الْمَكي (ت:797هـ/1392م) كان يتكسب بمكّة من كِتَابَة الوثائق[2]، ثمّ يلي في القرن التاسع الهجري أَحْمد بن أبي الْخَيْر محمد بن حسين بن الزين محمد القسطلاني المكي(ت:803هـ/1398م) حيث اشتغل وجوّد الْكِتَابَة[3]. ثم يليه من الأسرة نفسها محمد بن أَحْمد بن حسن بن الزين محمد بن الْأمين محمد القسطلاني، المعروف بِابْن الزين(ت:841هـ/ 1436م) فقد كان له اشتغال بالعلم وكتب بخطِّه كتبا، مع كتابته الوثائق[4]، وكذلك وجدنا يحي بن محمد بن عبد القوي المحيوي بن قطب الدين البجائي(ت:859هـ/ 1454م) الذي تكسّب بالشهادة وحُمِد فيها[5]، وآخرهم ذِكراً هو الشيخ فخر الدين أبو بكر بن أبي الفضل بن أبي البركات القسطلاني المكي(ت:895هـ/1490م)

---

[1]- ابن فرحون، **المصدر السابق**، ص، 61؛ السخاوي، **التحفة اللطيفة**، ج، 03، ص، 104.

[2]- ابن حجر: **الدرر الكامنة**، ج، 01، ص، 141.

[3]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 02، ص، 109.

[4]- السخاوي، **نفسه**، ج، 06، ج، 305.

[5]- السخاوي، **نفسه**، ج، 10، ص، 250.

حيث كان يتكسب بِالشَّهَادَةِ بِبَاب السَّلَام بمكة، وبالنساخة لعبد الْمعطي المغربي وغيره[1]، إضافة إلى ذلك فقد نال فخر الدين شرف كتابة عدّة مصنفات لشيخه السخاوي الذي منحه الإجازة[2].

ثالثا. صناعة التروس (الأتراس):

مفردها التُرس من السلاح يُتوقَّى بها، والتُرسُ خشبة توضع خلف الباب للدعامة[3] و تصبّ كلّها في معنى وسيلة من وسائل الحماية والوقاية يقي بها المحارب نفسه، ونجد ممن تفنّن في صناعتها بالمدينة المنورة أبا عبد الله محمد بن محمد الغرناطي(ت: 754هـ/1353م) خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي[4].

رابعا. صناعة الدهان والصباغة:

وهذه الحرفة لها من الأهميّة ما لها فلا يخلو بيت ولا جامع من هذه الحرفة خاصة ما تعلّق منها بالحرمين، وقد احترفها محمد بن أحمد الأندلسي (ت:754هـ/1354م) واشتغلها بالمدينة المنورة، وقد جلبت له هذه الصناعة ثروة طائلة من المال، فقام خلال حياته بشراء كثير من الأرقاء والعبيد وأعتقهم[5]، وممن امتهن حرفة الدهان بالمدينة من المغاربة أيضا عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن البرهان المغربي المعروف بالزعبلي (ت:885هـ/1480م)، حيث كان يتكسّب بدهن السقوف واتخذ من هذه الحرفة مصدر عيشه،، مع بعض أعمال أخرى كان يقوم بها، كخدمة الحجاج في أيام موسم الحج. وظل على هذه الحال إلى أن مات سنة 885هـ/1481م[6].

---

[1]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 11، ص، 66.

[2]- السخاوي، **نفسه**، ج، 11، ص، 66.

[3]- ابن منظور، **لسان العرب**، ج، 06، ص، 32.

[4]- ابن بطوطة، **تحفة النظار**، ص، 121.

[5]- ابن حجر، **الدرر الكامنة**، ج، 04، ص، 355.

[6]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج5، ص 02.

2- العطارة:

أبدى بعض المغاربة ممارسة لهذه المهنة، وأقصد بذلك حسين بن الزين بن محمد بن محمد بن محمد القسطلاني(ت:749هـ/1348م) حيث ذكر الفاسي أنّه كان عطارا[1]، كذلك نجد محمد بن أحمد بن محمد القسطلاّني(ت: 828هـ/1424م) كان أيضا عطّارا بمكة[2].

3- التجارة:

بحكم أنّ مكّة كانت محط الحجيج والقوافل منذ القدم فلا بد للتجارة أن تزدهر، ولا زالت هذه الميزة تجانبها إلى اليوم استجابة لدعوة الخليل عليه السلام حينما دعا بالرزق لأهلها لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ إِجْعَلْ هَٰذَا بَلَداً ءَامِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ...﴿١٢٥﴾﴾[3] فهذه المهنة أبرزت لنا بعضا من المغاربة امتهنوا هذه الحرفة، ومنهم: التاجر أبو عبد الله محمد بن علي التجيبي الذي وصل إلى الحجاز بقصد الحج سنة 606هـ/1210م. ومنذ ذلك وصوله مكة بقي متجولاً بينها وبين الشام والقاهرة والاسكندرية، حتى وفاته بقوص سنة 653هـ/1256م[4]، واشتغل تاجراً بمكة المكرمة محمد بن علي الأندلسي (ت: 715هـ/1316م)، فحصل على إثرها أموالاً كثيرة[5]، وتبعه في ذلك محمد بن يحي الصنهاجي (ت:780هـ/1379م)، الذي أمضى جزءا كبيرا من حياته، متنقلاً بين مكة واليمن بقصد التجارة[6]، أما أحمد بن يونس القسنطيني، فإنه يختلف عن كل الذين ذكروا حتى الآن، لكونه لم يكن متفرغاً لأمور التجارة بشكل كلي، إنما كان من العلماء الكبار في عصره،

---

[1]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج، 03، ص، 428.

[2]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 07، ص، 70.

[3]- **البقرة**، الآية، 126.

[4]- المقري، **نفح الطيب**، ج، 02، ص، 58.

[5]- الفاسي، **العقد الثمين**، ج2، ص 218؛ السيوطي، **بغية الوعاة**، ج1، ص 193.

[6]- الفاسي، **المصدر نفسه**، ج، 02، ص، 387.

مجاورا بالمدينة المنورة بعد تجوال بين حواضر المشرق العربي والمغرب مشتغلا بالعلم، لكنه من ناحية أخرى، كان يخالط الباعة والسوقة من أجل التكسب، إلى حين وفاته سنة 878هـ/1474م[1]، واشتهر بالتجارة من المغاربة أيضا حسن بن أحمد بن ميمون المعروف بالمغربي(ت:790هـ/1388م)، حيث كان من تجار مكة المعروفين بمجلة دار الإمارة آنذاك[2]، وقد عاصره في الفترة نفسها بمدينة مكة المكرمة التاجر علي بن أحمد المعروف بالمغربي، الذي اشتغل بنقل البضائع والتجارات إلى الهند. وفي الفترة الأخيرة، ندبه أحد زعماء مكة آنذاك لتحصيل بعض الأموال المستحقة له في مكة. مات في مكة سنة 878هـ/ 1474م وقد أورث مالاً كثيراً [3]، وعرفت مكة أيضاً تاجراً موهوبا هو حامد المغربي (ت:881هـ/1477م) المعروف بالتاجر السفار لكثرة ما كان يسافر بالتجارة إلى بلدان متفرقة، ومثله التاجر يحيى بن علي المغربي، الذي انحصر نشاطه التجاري بين مكة والقاهرة ودمشق[4]، أضف إليهم كذلك محمد بن عمر بن عزم التميمي التونسي(ت:891هـ/1486م) السابق ذكره حيث وجدنا أنّه اشتغل بالتجارة في مكة[5]، هذا ما أتينا على ذِكرِه ممن استطعنا حصول معلوماته من المصادر التي اطّلعنا عليها.

4- الزراعة:

امتهن بعض علماء المغاربة مهنا وحِرفا كل حسب اختصاصه، وفي مجال الزراعة لا سيما في حقل العمل في الحدائق والبساتين ومزارع النخل، اشتغل مغاربة خلال القرن الثامن والتاسع الهجريين/الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين الأول اسمه يوسف الخولي، والثاني اسمه حسن

[1]-السخاوي، **الضوء اللامع**، ج2، ص 252 وما بعدها.

[2]- السخاوي، **نفسه**، ج1، ص 72، 73.

[3]- السخاوي، **نفسه**، ج5، ص 165.

[4]- السخاوي، **نفسه**، ج، 10، ص 235، 236.

[5]- ابن فهد، **الدر الكمين**، ص، 250.

الخولي، والثالث اسمه محمد المكناسي، فقد اشتغل الثلاثة في الحدائق[1]، أضف إليهم أحمد بن صالح الزواوي (ت:855هـ/1451م)، فقد قام هذا الأخير بحراسة بساتين النخل بالمدينة المنورة. وكان قبل ذلك بالقاهرة بالجامع الأزهر، وغادره إلى المدينة حيث جاور هناك حتى وفاته[2].

وهكذا كان للمغاربة دور بارز ونافع في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ببلاد الحجاز في معظم ما كانوا يقومون به من مهام ومهن، خاضع لقانون التأثير والتأثّر المتبادل فيما بينهما، فلم يشعر هؤلاء العلماء المغاربة بغربة داخل وطنهم الثاني "الحجاز"، مما أسهم فعلا في الاندماج الكلي داخل المجتمع الحجازي خلال حقبة من الزمن.

جدول إحصائي لمهن المغاربة في بلاد الحجاز

المهنة	نسبة الحضور بمكة	نسبة الحضور بالمدينة
الصناعة	**09**	**02**
التجارة	**07**	**01**
الزراعة	**00**	**04**
العطارة	**02**	**00**

[1]- ابن فرحون، **تاريخ المدينة المنورة**، ص، 60.

[2]- السخاوي، **الضوء اللامع**، ج، 01، ص، 316.

خاتمـة

خـاتمة:

في نهاية هذا الموضوع، الذي حاولت من خلاله إبراز الإسهام العلمي لعلماء المغرب الإسلامي في بلاد الحجاز، خلال الحقبة الزمنية الممتدّة من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي إلى القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، توصّلت إلى مجموعة نتائج أوجزها في عناصر، وهي كالآتي:

- إنّ هناك أسبابا ودوافع دفعت ببعض النخب العلمية المغربية إلى الاستقرار في الحجاز بعد الحج، بدل الرجوع إلى بلدانهم، وكان من بينها تلك الأزمات وعدم الاستقرار السياسي ببلدهم الأم، كما هو الشأن لعلماء الأندلس الفارين من البطش النصراني المسيحي.
- إنّ هؤلاء العلماء اتخذوا من الرحلة مصدرا لتحصيل العلوم والمعرفة أثناء موسم الحج والعمرة، رغم مشقّة الطريق وصعوبتها، لم تقف المشقّة عائقا في تحصيلهم العلمي بالحجاز.
- إنّ الفئة العظمى من المغاربة كانت توجّهاتهم وميولاتهم العلمية للتخصّصات الشرعية بدل العلوم الأخرى، فكانوا يغتنمون فرصة الحج والعمرة لطلب العلم ولقاء الشيوخ وأخذ العلم من أفواههم وحصول الإجازة في مجال القراءات أو الحديث كالإمام الطبري، وأبي طاهر السلفي والزمخشري وكريمة بنت أحمد المروزية وغيرهم، فكان الحصول على السند العالي في المجالين ضالّتهم المنشودة بتلك البقاع المقدّسة.
- إنّ وجود السكن والإقامة من أربطة ومدارس، وفّرت لنزلائها المغاربة فرصة الإقامة والاستقرار لطلب العلم أو تدريسه مثل الشيخ أبي عبد الله ابن غصن القصري المغربي، وابن فرحون التونسي المغربي حينما اتّخذا من المدرسة الشهابية بالمدينة المنورة سكنا لهما، وفي الوقت

ذاته منبرا لإلقاء دروسهما في القراءات والحديث والفقه، ورباط المغاربة الذي كان يأوي أيضا غالبية المغاربة الذين كانوا يقطنون بمكة لأجل العلم.

- إنّ بعض المغاربة كوّنوا أسرا علمية بفضل مصاهراتهم، إمّا مع بعضهم كعلماء مثلما هو الشأن مع عبد المؤمن بن خليفة الدكالي، الذي صاهر الشريف أبي عبد الله الفاسي في ابنته أم الهدى، أو مع الأسر الحاكمة بالحجاز مثلما هو الشأن مع أسرة الفاسي، التي أصبحت في القرن الثامن الهجري من الأسر ذات النفوذ العلمي والسياسي معا، بمصاهرتها لأمير مكة السيد حسن بن عجلان، حينما تزوّج أم هانئ أخت تقي الدين الفاسي.
- توصلت من خلال بحثي، أنّ العلماء المغاربة تنوّع نشاطهم بين علوم القرآن وعلوم الحديث والفقه وعلوم اللغة، غير أنّ غالبيّتهم كانت مهتمّة بالحديث والفقه أكثر من العلوم الأخرى.
- إنّ بعض العلماء المغاربة قد أسّسوا لمبادئ لم تكن من قبلُ، مثلما هو الحال مع أسرة ابن فرحون التي كان لها الفضل في إضعاف المذهب الشيعي بالمدينة المنورة، ونشر المذهب المالكي بدله، وأقصد بذلك البدر عبد الله بن فرحون(749هـ)، ووالده محمد (721هـ)، وابن أخيه إبراهيم برهان الدين(799هـ).
- إنّ هذه الرسالة بيّنت حرية المغاربي في اختيار مذهبه الذي يرغبه، وانفتاحه على الآخر فكان منهم الشافعي، ومنهم المالكي، ومنهم الحنفي، ومنهم الحنبلي، ومنهم الإباضي، ومنهم من كان فيه شبهة التشيّع كما هو الحال مع ابن مسدي الأندلسي.
- كان للعلماء المغاربة الدور الفعّال في الجانب الاجتماعي، حينما تولّوا وظائف ومناصب هامّة في المجتمع الحجازي كالأربطة، ووظائف سلطانية كالإمامة والقضاء، بمقابل ذلك كانت للبعض منهم حرفا يتعاطونها كالنجارة والصباغة والعطارة غيرها.

- ختام هذه النتائج أنّ الرسالة بيّنت ضخامة وكثرة المنتوج العلمي لعلمائنا في مختلف التخصّصات الشرعية منها واللغوية والأدبية، فتنوّعت المؤلّفات بتنوّع اختصاصات مؤلّفيها، وعبّأت خزانات المؤسسات العلمية بالحجاز منها ما هو اليوم مطبوع منشور، ومنها ما يزال مخطوطا يكاد يندثر ويتلاشى، هذا إن لم يكن قد فُقِد أصلا. والله المستعان وعليه الاعتماد والاتكال هو حسبنا وإليه مرجعنا ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العظيم.
- أوجّه عناية الباحثين إلى تلك المخطوطات المهدّدة بالاندثار والتلاشي لإنقاذها بتحقيقها ونشرها.
- هناك أعلام مغمورون في بطون الكثير بمكتبات المدينتين المشرّفتين، أرجو أن يلتفت إليها الباحثون لإتمام عملي، خاصّة منهم المغاربة، والحجازيين معا.

الملاحق

الملحق رقم:01

نص القصيدة البائية التي نظمها البدر بن فرحون المسمّاة " تشويق النفوس إلى نص العروس"

مأخوذة من لحظ الألحاظ لابن فهد ص: 179-181.

من للمحـــابر والأقلام والكتب ... بعد ابن موسى ومن للعلم والأدب
من للروايــة أو من للدرايـــة أو ... من للقــراءة من للجد في الطلب
من لليــراعة أو من للبـــراعة أو ... من للوراعة من للهـــدى والقرب
من للعقـــائد أو من للقواعد أو ... من للفـــوائد من للجمع والنسب
من للتفـــاسير من للفقه ينشره ... من للأصـــول وللتدريس والنخب
من للأســـانيد يرويها مصححة ... من للصناعة يعريها عن الكـــذب
من للفرائض أو من للحساب بها ... من للتـــواريخ من للنحو والنسب
من للعلـــوم التي تعيى العقول بها ... من للتنـــاظر إذ يجثى على الركب
من للبحـوث التي دقت مآخذها ... من منه عنها جـلاء الشك والريب
من للتصـــانيف يسديها محررة ... من للفتـاوى ومن للكشف في الكتب
من للبـــلاغة من للشعر ينظمه ... من للغات التي تعزى إلى العـــرب
من للتـآويل يدري حل مشكلها ... من للأقاويل في الآداب والخطـب
من للسكون وبل من للوقـار وبل ... من للحـفاظ إذا ما طاش ذو شغب
من للطروس التي خطت أنـــامله ... سلاسلا صاغـها التجويد من ذهب
أين الهمـــام الذي في العلم همته ... تعلّقت بعرى الأفـــلاك والقطب
أين التيقظ والإتقـــــان يطلبه ... أين الذكاء الذي ينشي عن اللهـب
أين الجبين الذي أثر السجـود به ... كأنّه الشمـس إذ تبدو من الحجب
أين الـذي في التقى والخير منشأه ... من خيـــر أم أتى أيضًا وخير أب
لليافعي ابن موسى من خـــلائفه ... حبرا صـــلاح أقرا السر في العقب
سعت إليه شعـــوب في كهـولته ... بضع الثـلاثين ما في ذاك من عجب

هوت بجـــهبذنا طـــــرا أكملنا ... نهى وأسبقنا للفضل في القصـــب
إلى ضريـــــح فسيح مونق خضل ... مرونـــح نيّر مستأنس رحـــــــب
يا حـافظ الوقت ضيعنا الحفاظ لما ... نلنا بحفظك تحت الترب والنصـب
أضحت معـانيك بعد العين مذكرة ... أسنى معـانيك يالله من نصـــــب
وأصبح الفضل مذعورا عليك أسى ... من بعد ما احتل في أثوابه القشب
تكـــدّرت بعدك الدنيا وساكنها ... جوى عليك فما في العيش من أرب
غيبت عنا فكاد اللحد من أسف ... يبكي لطـوفان نوح نوح منتحـب
بلغت يا أرض بحـــرا ماله طرف ... فأقلـعي يا سمـاء الفضل والحسب
يا قرة العيـــن ما للعيـن من حلل ... تبكي عليك طوال الدهر من وصب
ما أنت في الهلك فردا يستكـان له ... إليك فالكل في هلك وفي عطـب
فالله يعظم فيك الأجر منه كمـا ... عظمت رزءا بـذي الأيـام والحقب
مثوى للحدك لا تعـدو أعـــاديه ... بمرزم نوءه يقضـــي على السحب
فأنت قبر بأرض في السمـاء غدا ... مثامنا لعـداد السبعة الشهـــــب
ثم الصـلاة على المختار من مضر ... ما غرّد الورق في الأفنـان والقضب

الملحق رقم: 02

قصيدة لأبي عبد الله بن عمران البسكري مأخوذة من مخطوط تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة للمراغي العثماني ورقة رقم: 122-123-124.

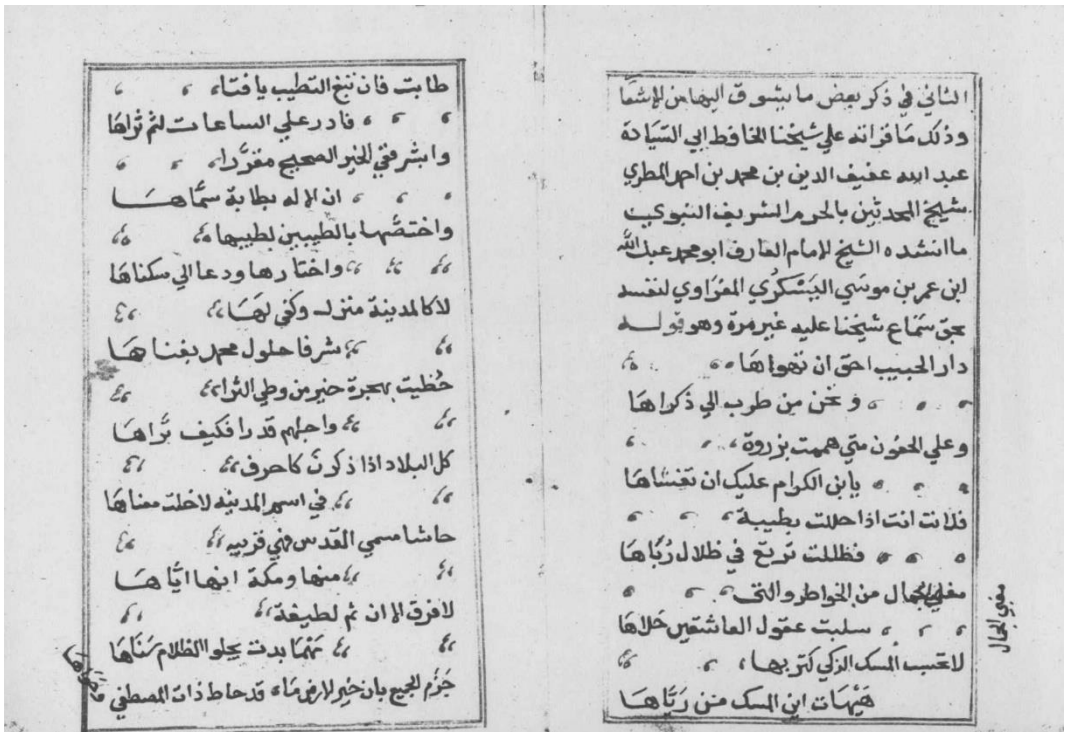

اولي الانام خطة الشرف التي ... يدعي الوسيلة خير من يعطاها
انسان عين الكون سر وجوده ... يا سين اكسير المحامد طه
حسبي فلست اني بذكر صفاته ... ولو ان لي عدد الحصا افواها
كثرت محاسنه فاعجز حصرها ... فغدت وما يلقى لها اشباها
اني اهتديت من الكتاب باية ... فعلمت ان علاه ليس يضاها
ورايت فضل العالمين مجددا ... وفضايل المختار لا تتناها
كيف السبيل الي تقصي مدح من ... قال الاله له وحسبك جاها
ان الذين يبايعونك انما ... فيما يقولون يبايعون الله
هذا الغبار فقد سمت بمثله ... واها لنشاة اكرم وحواها

صلوا عليه وسلموا فبذلكم ... ها
... يهدي النفوس لرشدها وغناها
صلي عليه الله غير مقيد ... وعليه من بركاته انماها
وعلي الاكابر آله سرج الهدي ... اجبب بعترته ومن والاها
وكذا السلام عليه ثم عليهم ... وعلي عصابته التي زكاها
والحمد لله الكريم وهذه ... جزت وظني انه يرضاها
تمت وبتمامها تم كتاب التحقيق والحمد لله اولا
وآخرا وباطنا وظاهرا وصلواته وسلامه
الطيبان الاكملان علي بن خلقه محمد وعلي
اله وصحبه فاسالك اللهم ان تحقق لي به وآله
وما يحيي واحبابي سعادة الدارين وان
تجعله قرة عين لي ولمن كتب بسببه
بحضرة نبي الرحمة صلى الله عليه وسلم

صلوا

تابع للصفحة السابقة من مخطوط تحقيق النصرة

الملحق رقم: 03

نص القصيدة التي نظمها البدر بن فرحون حينما حاولت الطائفة الإمامية الشيعية اغتياله بسبب ما لاقوه من تضييق عليهم حينما تقلّد نيابة القضاء بالمدينة المنورة (مأخوذ من: ابن فرحون: **تاريخ المدينة المنورة**، ص: 251-254.

ولما تأخرت بسببها عن الصلاة في المسجد الشريف في شعبان، وأكثر شهر رمضان المبارك، شكوت حالي وقصصته على النبي ﷺ، فقلت:

إليك رسولَ الله من عبدِك الذي ... تعوَّقَ عن مغناك من فتكِ ضربةِ

عبيدُك عبدُ الله جارُكَ عُمرَه ... نزيلُك لم يبرحْ مؤمِّلَ عطفةِ

عليك(*) رسولَ الله أشكو مصيبتي ... وشدَّة أهوالٍ أطافت بمهجتي

(١) بياض، وقد كتب في حاشية النسخ (أ): كذا بالأصل.

(*) كذا في جميع النسخ، ولعلها: إليك.

أغاروا على نفسي سُحيراً بِمدْيةٍ ... لإتلافِ روحي بل وإذهابِ جُثَّتي
يريدون أنْ يُخفوا لنورِ أتمّه ... إلهي فما اسطاعوا فباؤوا بخيبةِ
شكوتُ رسولَ الله ما قد أصابني ... على غيرِ ذنبٍ بل على نشرِ سُنَّةِ
أحلُّوا دمي يا ربِّ أنتَ حسيبُهم ... فعوِّضهُم يا ربِّ كلَّ بليَّةِ
فإنْ بيدي تأخذْ فتلك عقيدتي ... وإلا فيا ويحي وويلي وحسرتي
ألستُ مقيماً في جوارك سيدي ... وقبلي أبي سبعينَ عاماً بطابَةِ
أترضى رسولَ اللَّهِ ما قد أصابني ... وحقِّكَ ما يُرضيك هاتيك نيَّتي
وحقِّك قد عانيتُ حتفي مع أنني ... صريعٌ[1] على وجهي وباهي شيبتي
أُقلِّبُ وجهي في جهات تخيُّلي ... وليس سوى بابِ الحبيب لعلَّتي
هو البابُ للداعين إنْ همْ لبابِه ... لجوا لم يصبرهم ولا بعضَ ساعةِ
هو البحرُ يجري كلَّ حينٍ ودائماً ... لجيرانِه بَرّاً بهم ذا محبَّةِ
دعوتُ دعا عبدٍ ضعيفٍ مُطعَّنٍ ... وراء حجابٍ قد ثوى بمضرَّةِ
لتطلقَ أقدامي فأسعى بها إلى ... مُحبيبي الذي مَنْ جاه فازَ بنعمةِ
ألا يا محبِّين الحبيب محمداً ... ومَنْ جاور المختارَ في عزِّ نعمةِ
عسى أنكم إنْ خلتمُ لي معاهداً ... تبوَّأتُها مستجلباتٍ[2] لرحمةِ
ضربتمْ بسهمٍ في دعائِكُم ولا ... يُنسيكمُ[3] بُعدي فقلبي بحضرةِ
وقولنا أخو يارَب[4] عيق ببيته ... وآمنّا فاقبلْه معْنا بمنَّةِ[5]
لئن كنت قهراً قد تأخرتُ عنكم ... فقلبيَ فيكمْ شاهدٌ بمودتي
عِرَاص لها نفسي قد اشتدَّ شوقها ... وحقَّ لنفسي أنْ تضاعفَ زفرتي
معالمُ وحي منتهي الخيرِ عندها ... فلا قطرَ في الدنيا إذاً كالمدينةِ
فإن تذكروني في الدعاءِ فذاكمُ ... وإلا سأستَنْجِدِي صِحابي بمكَّةِ

(١) في (أ)، (ج): «صريعاً».
(٢) في (أ)، (ج): «متجليات».
(٣) في (أ): «ينساكم».
(٤) في (ب): «وقولوا أخونا رب...».
(٥) في (أ): «بمنية».

سلامٌ عليكم من ضعيفٍ مُضَرّج ... كسيرِ غضيبٍ ذي ضنًى وصبابتي
بطيّبِ طيب قد كتبتُ حروفَه ... ليسري بأخباري إلى خيرِ بلدة
صَلَى الموت قد عاينتُه يا أحبّتي ... ولكن قضى في العمر تأخيرَ مدّتي
فلي أسوةُ الفاروق في ضربةٍ قضى ... وأسوةُ عثمان شهيدٍ بضربة
لفزتُ بها في الفائزين وليتها ... ولكن بقاء لإنهاءِ لمدّتي
فلا ملتجا للملتجين كبيتِه ... سوى المصطفى للملتجين بروضةِ
لئن عاقني عنكم بلائي فلم أحج ... فذاك على قلبي أشدُّ رزيتي
فلا تحسبوا لي سلوةً عن جَلالها ... سأسعى ولو صفحاً على صفحِ وجنتي
وقد زرتها خمسينَ حجّاً وعمرةً ... فما زادني إلا حفيل محبتي
فياربُّ هلا دعوةٌ في مشاعر ... أعلُّ بها حيناً محاجر مقلتي
أرى زمزماً بعد الحطيمِ وأهلها ... وميزاب بيتِ الله حتى بطوفة
فأدعو بقلبٍ مخلصٍ في مقامه ... وملتزم مستعطفاً لشكيتي
لعلّي أرى نصري قريباً معَجّلاً ... بذاك ليَ أدعو أنتموا لي ذخيرتي
ولي صحتي ربي الكريمُ يعيدُها ... فتقوى بها رجلي على طيِّ ركبتي
أقاموا ليغتالوا بليلٍ عدمتهم ... أكانوا فلا كانوا سحيراً بخلوة
على غيرِ ما ذنبٍ أظنُّ أتيته ... قبلُ لي ذنبٌ إنني حزب شرعة
فأصبحُ مسروراً بما قد أصابني ... شقيٌّ يعادي أو محاسدُ نعمةِ
لقد لزمتْ نفسي لهمّيَ لوعةٌ ... فصارت كأمثالِ للازبِ ضربةِ
وقد سئمتْ نفسي المطاعمَ كلَّها ... فكالصَّابِ أو كالصَّبر تسري بريقتي
وعن مضجعي تنبو جنوبي كأنها ... على حسكِ السَّعدان لي طول ليلتي
عليك رسول الله منّي تحيةٌ ... تفوقُ مدى الأيام كلَّ تحيَّةِ
عليك صلاةُ الله ما حُجَّ بيتُه ... وما زار ركبٌ مصطفاه بحجرةِ
وآلك والصحبِ الكرامِ فهديهم ... بأنوارهِ تُجلي دُجى كلِّ ظلمةِ
أبو بكر الصديق أعظِمْ بشأنه ... وصاحبُه الفاروقُ شيخُ الصحابةِ
وعثمانُ ذو النورين والعلَم الرضى ... أخو المصطفى عال عَليّ لنصرةِ
وباقي كرام عشرة بمحمدٍ ... أعوذ بهم من شرّ كلِّ مصيبةِ
علاؤهم عندي يحلُّ مضايقي ... وحبُّهم ألقاه في لحدِ حفرتي

والحمد لله ربّ العالمين وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الملحق رقم: 04

نص القصيدة الرائية التي نظمها البدر بن فرحون المسمّاة " تشويق النفوس إلى نص العروس" كتبها عن فضل المدينة المنورة (ينظر ابن فرحون: **تاريخ المدينة المنورة**، ص: 254-257).

وقلت هذه الأبيات في فضل المدينة المشرفة، والتشويق إلى سكناها والإقامة بها، والدفن في بقيعها، وجمعت فيها ما حضرني من فضلها من الأحاديث الصحيحة التي لا اختلاف فيها، وسمّيتها (**تشويق النفوس إلى نص العروس**).

فقلت الحمد لله ولي التوفيق:

بفضلِ الإله مالك الملكِ غافرِ ... مقسّمِ أرزاقِ العبادِ وقاهرِ
تقسّمتِ الأوطانُ بين المعاشرِ ... فكان نصيبي كابراً بعدَ كابرِ
مدينةَ خيرِ الرُسلِ مهبطَ وحيه ... سقاها إلهي ماطراً بعدَ ماطرِ
ومدَّ عليها وَبْلَهُ وسيوله ... فيغدودق الوادي بأحد وحاجرِ
وتزهو تلاعٌ بالعقيقِ وزهوها ... وُسلع إلى السقيا إلى سفحِ عائرِ
ووادي قناة يا له كم به ثوى ... شهيدٌ كعبدِ الله والدِ جابرِ
وبئرِ أريسٍ مع قباء ورامةٍ ... بها طبتُ في وقتٍ من الهمِّ شاغرِ
وفي خيفِ بطحانِ السعيد مساجدٌ ... ترى بين نخلٍ كالنجومِ الزّواهرِ
دعا المصطفى فيها ففرّ عداتُه ... وكانت قلوبُ القومِ عند الحناجرِ
كريمُ مقاماتٍ تجلّت بقاعِها ... بها أمنُ عاصٍ من مقيمٍ وزائرِ
كَلِفتُ بها حتى ألفتُ جمالَها ... وحتى بدا مني خفيّ الضَّمائرِ
وكنتُ إلى الراحاتِ ترتاحُ مهجتي ... وتهذي برباتِ الخدودِ السواجرِ
وألهوا إذا وقتي خلا من مُنغِّصٍ ... بإخوان صدقٍ نزهةٍ للمحاضرِ
فبعد الصبا عفتُ الهوى ومزاحه ... وقلتُ: أيا نفسي كفى أنْ تكابري
فنكّبْ إذنْ عن عَزَّةٍ وسعادِها ... وحاشاك أن تهوى كحيلِ المحاجرِ
ودعْ عنك لبنىٰ واستماعَ غنائها ... وأقبلْ على الأخرى بقلبٍ وبادرِ
فلو نظرتْ سُعدى إليَّ تعجبت ... وقالت بمن اعتاض عني مسامري

ألم تعلمي أني تعوَّضت طيبةً ... فلا تطمعي في العود يا أمَّ عامرِ
تبدَّلتُ من كلِّ البلادِ بأسرها ... بلادَ رسولِ الله أبركِ طاهرِ
فما مثلها عندي شبيهٌ بذاتها ... سوى مكَّة سادَتْ بتلك المشاعرِ
فضائلُ صحَّت في الصحاحِ لطيبةٍ ... فخذها بقلبٍ واستمعها لآخرِ
شهيدٌ لنا أو شافعٌ سيد الورى ... لصبرٍ على لأوائها المتكاثرِ
كذاك لمن وافا بها مثل ذا له ... ليهنَ بوعدٍ من صدوقٍ لشاكرِ
وكم صحَّ في أخبارها من فضائلٍ ... فمن تُربِها للداءِ دفعُ الضَّرائرِ
حباها بمثلي ما دعاه لمكَّة ... فجاور وطِبْ نفساً بهذي المفاخرِ
وذلك ضِعفُ الضِعفِ صدق محققٌ ... فكن قانعاً فيها بقوتٍ وصابرِ
وكم من كراماتٍ تجلَّت لأهلها ... بلفظٍ رُوينا مسندٍ متواترِ
فمن سعدِكم يا نازلين جواره ... بتحويل حُماها ونفي المضارِرِ
وطابت فما الدجال يُهدى خلالها ... ولا مجرمٌ إلا ابتلي بالدوائرِ
ومَنْ أهلَها بالسوءِ قصداً أرادهم ... أُذيب كملحٍ ذابَ ويلٌ لماكرِ
ولمَّا أن اختارَ المهيمنُ حفظها ... حماها بأملاكٍ شِدادِ البوادرِ
فمن عزِّها أملاكُه في نقابِها ... تردُّ دجَّالاً مُحَلا[1] بكافرِ
وطاعونُ طاعونٍ كذاك تردُّه ... وإنْ عمَّ تطوافاً فليس بعابرِ
وأمَّنَ من خسفٍ ومن أنْ يصيبَنا ... عذابٌ وهو فينا بقدرةِ قادرِ
ومنها لمجذوم دواء سِباخُها[2] ... فخذها كراماتٍ أتت ببشائرِ
وكان إذا ليلٌ سجى قام داعياً ... لأهل بقيعِ الغرقدِ المتفاخرِ
فيهدي إليهم من حفيلِ دعائِه ... ويسأل مولاه بإحضارِ خاطرِ
ووصَّىٰ جميعَ النَّاسِ طرَّاً بجارِه ... فقال: احفظوني أمتي في مجاوري
وقد قال: ما من ذاك واللَّهِ ابتغي ... مكاناً لدفني من جميعِ المقابرِ
سوى هذه يعني بها تربَ طيبةٍ ... فأكرِمْ لتربٍ للرسولِ مُباشرِ

(١) في (أ): «... دجلاً محلى بكافر».
(٢) في (أ): «سباختها».

دَعَا ودَعَا حتى دَعَا في ثمارِها ... فصار بها يزكو كحائط جابرِ
كذلك في صاعٍ ومدٌّ دعا لنا ... فيشبعنا ربعٌ وشطرٌ لصابرِ
وجا أنها تنفي الذُّنوب مُصحَّحاً ... وإطلاقه يحوي عظيمَ الكبائرِ
لها مسجدٌ للمصطفى أيُّ مسجدِ ... به حجرةٌ فيها الدليلُ لحائرِ
صلاةٌ بألفٍ يا سعادتنا به ... فوائدُ طابت متجراً لمتاجرِ
به روضةٌ مع منبرٍ وسطَ جنَّةٍ ... علت يا لها من روضةٍ لمفاخرِ
ومنبره والحوض تحت رِتاجه ... وهل مثلُه من منبرٍ في المنابرِ
وحول ضريح المصطفى قد تعاقبت ... ملائكةٌ سبعون ألف مظاهرِ
ذكرتُ قليلاً من فضائلِ طيبةٍ ... ومَنْ رام حصراً ما يكونُ بقادر
ألا لا تلوموني فإني أحبُّها ... فكم خوَّلتني ما تمنَّتْ خواطري
فمن طيبِها طيبي وأحمدُ طيبُها ... سوى البيتِ ما يلقى لها من مناظر
أيا عاذلي فيها تأمَّلْ جمالها ... وأنوارُ خيرِ الخلقِ بادٍ وحاضرِ
سألزمُها دهري وأحكي علومَها ... وأدفع عنها طاقتي كلَّ جائرِ
وألزم ذاتي صحنَها ورحابَها ... وحجرتَها والسر خلفَ الستائرِ
حلفتُ يميناً ليس في الكونِ[1] مثلُها ... لأنَّ بها قبرَ الشفيعِ الموازري
فمرِّغْ بها خديك حبّاً لأحمد ... وقل: يا حبيبي يا شفيعي وناصري
جوارَكَ يا خيرَ البريةِ أرتجي ... فكنْ لي مُجيراً عند عدِّ جرائري
لذلي لعصياني[2] تدارك بنظرةٍ ... فعندي ذنوبٌ أعدمتني بصائري
فظنِّيَ[3] إن حالي إليك شكوتُه ... تجيبُ يا لبيك لستَ بكاسري[4]
فيارب عُدْ يا ذا الجلالِ بمنَّةٍ ... فقد رجفتْ مني لخوفي بوادري

(١) في (أ): «لا يكون».
(٢) في (أ): «بذلي بعصياتي».
(٣) في (أ): «وظني».
(٤) في (أ): «بكاشر».

وصلِّ على المختارِ من آلِ هاشمٍ ... وآلٍ وصحبٍ في مساءٍ وباكرِ
أخصُّ أبا بكرٍ حبيبَ محمدٍ ... وصاحبَه الفاروقَ ماضي الأوامرِ
وليس كعثمانَ الشهيدِ بداره ... ومَنْ كعليٍّ في قتالِ العساكرِ
زبيرٍ وسعدٍ وابنِ عوفٍ وطلحة ... وبعدُ سعيدٌ والختامُ بعامرِ
فعفواً وصفحاً يا كريمُ بحبِّهم ... فإني غريقٌ في ذنوبٍ غوابرِ
مدحتُكَ لا واللَّهِ غيرُك مقصدي ... وما هبْتُ تقصيرْي لأنَّك عاذري
عُبيدٌ ضَعيفٌ عاجزٌ بك ملتجي ... غريبٌ غدت أحبابُه في المقابرِ
وفي دارِ خيرِ الرُّسلِ عندك مولدي ... وفيها مقامي لم أحلْ دهرَ داهرِ
ولي قد مضى سبعون عاماً مُصانه ... تنيفُ بسبعٍ طابَ زرعاً لباذرِ
تخلَّلها خمسون حجَّاً وعمرةً ... تنيفُ بسبعٍ حبذا من ذخائرِ
ولي نسبٌ أرجو إليك يجرُّني ... شريفٌ كريمٌ فاخرٌ بعد فاخرِ
عليك أصلِّي يا شفيعاً مشفَّعاً ... حنانيك مِنْ مَاحٍ مُقَفٍّ وحاشرِ
عليك صلاةُ الله بدءاً وموئلاً ... عليك سلامُ الله مدَّ المحابرِ
عليك صلاةُ الله جهدي وطاقتي ... وبعدُ فأفديه بسمعي وناظري
ويا ربِّ فاغفرْ للجميعِ بجاهِه ... وباللطف عاملْنا ولطفٍ مثابرِ
على سنَّةِ المختار ثبِّتْ قلوبَنا ... ولا تخزنا في يومِ كشف السرائرِ
وهذا لتشويق النفوسِ وسمتُها ... فسارع إلى نصِّ العروسِ وبادِرِ

والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً إلى يوم الدين.

الملحق رقم: 05

صورة الصفحة الأولى للمخطوط الأصلي للمسائل الملقوطة من الكتب المبسوطة لأبي اليمن محمد بن برهان الدين ابن فرحون (ت: 814هـ/1411م)

مأخوذة من المصدر نفسه "المسائل الملقوطة" لأبي اليمن ابن فرحون، ص:11.

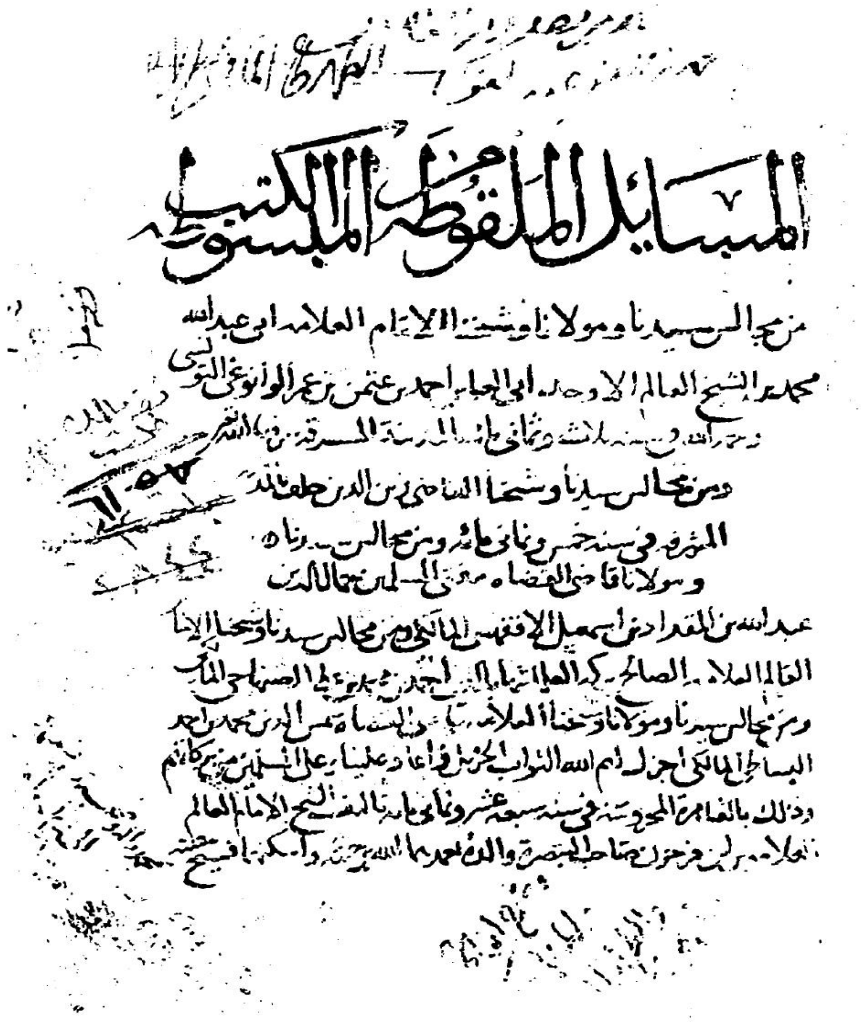
المسائل الملقوطة من الكتب المبسوطة

صورة صحفة عنوان الكتاب من النسخة الأصل

١١

الملحق رقم: 06

1- صورة الصفحة الأولى للمخطوط الأصلي للفصول المهمّة في فضائل الأمّة لابن الصّباغ المغربي (نسخة مكتبة الأحقاف للمخطوطات بتريم حضر موت باليمن)

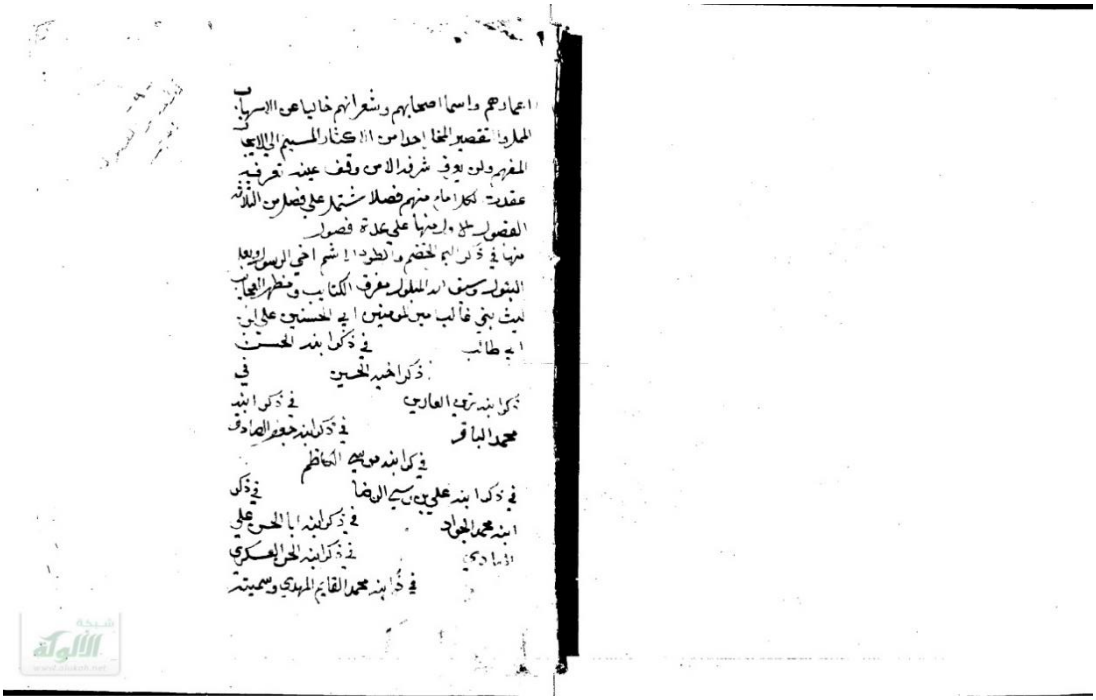

2- صورة الصفحة الأولى للمخطوط الأصلي للفصول المهمّة في فضائل الأمّة لابن الصّباغ المغربي (نسخة دمشق تحت رقم 266)

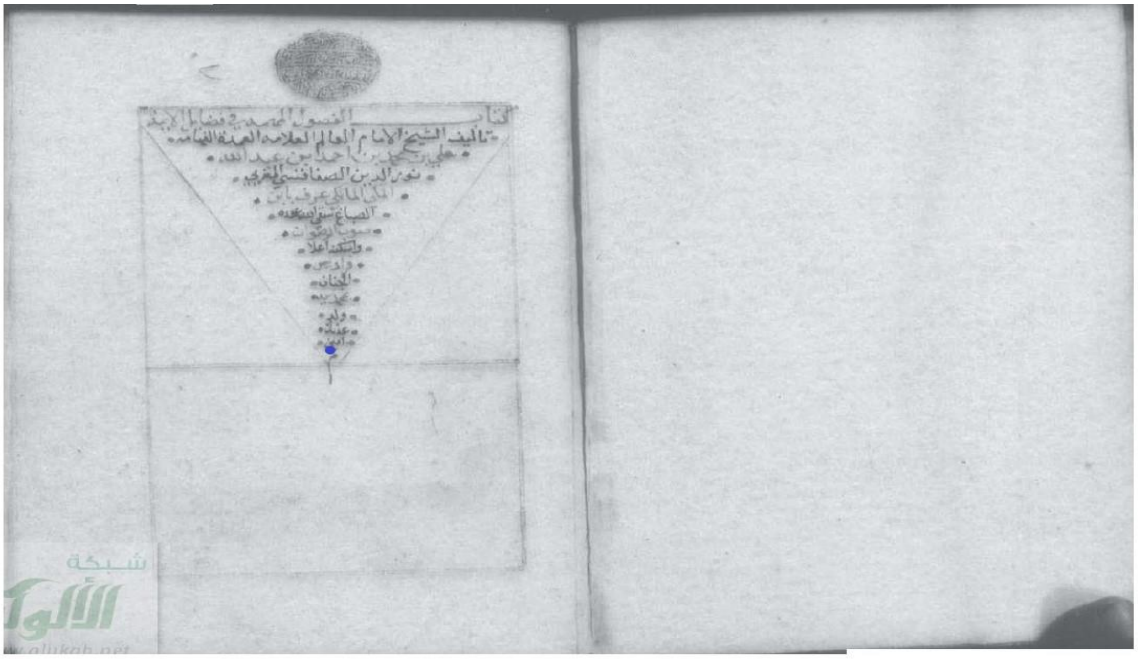

الملحق رقم: 07

صورة الصفحة الأولى للمخطوط الأصلي لشفاء الغرام للفاسي تقي الدين الموجود بمكتبة الدولة (نسخة برلين-ألمانيا)

مأخوذة بتاريخ 2021/06/15 من الموقع الالكتروني:

https //alukah.net/manu/files/manuscript-8639/shafa-alighram-1.pdf

الملحق رقم: 08

الصفحة الأولى من المخطوط الأصلي "الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرّفة" للفاسي تقي الدين (نسخة مكتبة الأوقاف الكويتية) تم تصويرها من المصدر نفسه: "**الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرّفة**" للفاسي، ص: 09.

صفحة العنوان من نسخة مكتبة الأوقاف الكويتية

الملحق رقم: 09

الورقة الأولى من المخطوط الأصلي للعقد الثمين للفاسي

(الموجود بمكتبة الأزهرية خاص 709، برقم 10665)، تمّ تحميله يوم 2021/06/16 من الموقع الإلكتروني:

https://alukah.net/manu/files/manuscript-4305/makhtotat.pdf

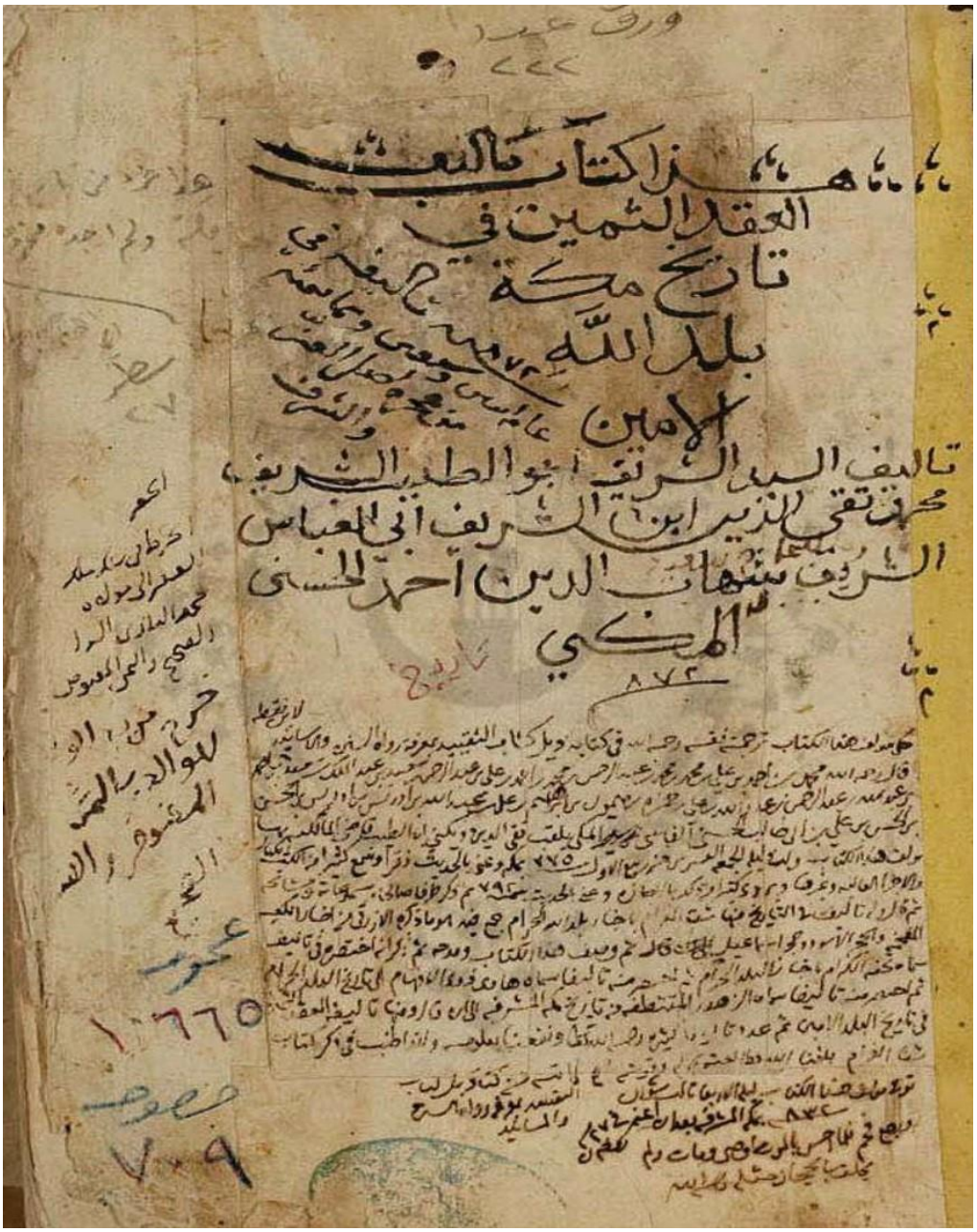

الورقة الثانية من المخطوط الأصلي للعقد الثمين للفاسي الموجود بمكتبة الأزهرية خاص 709، برقم 10665

الملحق رقم: 10

الصفحة الأولى من المخطوط الأصلي "عجالة القرى للراغب في تاريخ أم القرى" للفاسي تقي الدين تتألف من 280 ورقة (538صفحة) برقم 900/148 بمكتبة عارف حكمة بالمدينة المنورة، محمّلة من الموقع الإلكتروني:

https://alukah.net/manu/files/manuscript-8639/ejalat-alqra.pdf

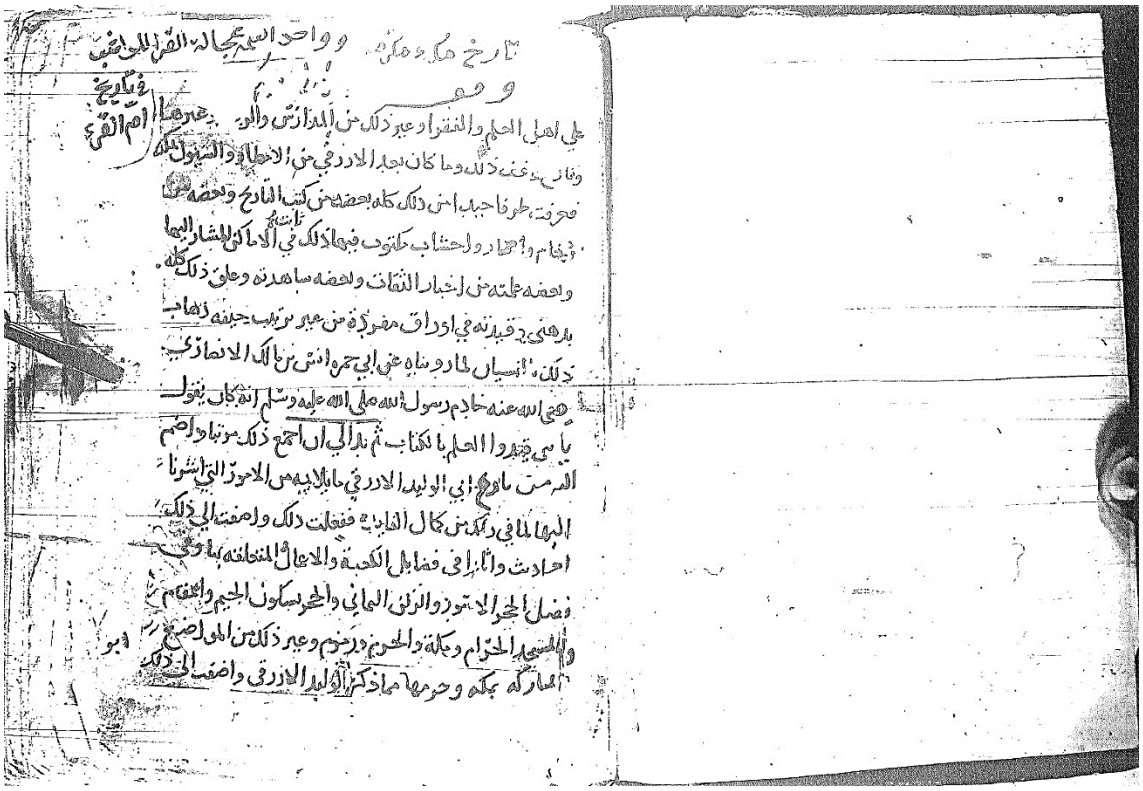

الملحق رقم: 11

الصفحة الأولى من المخطوط "ايضاح بغية أهل البصارة في ذيل الإشارة" للفاسي تقي الدين تمّ تحميلها يوم 2021/06/15 من الموقع الإلكتروني:

https://alukah.net/manu/files/manuscript-2698/elmktot.pdf

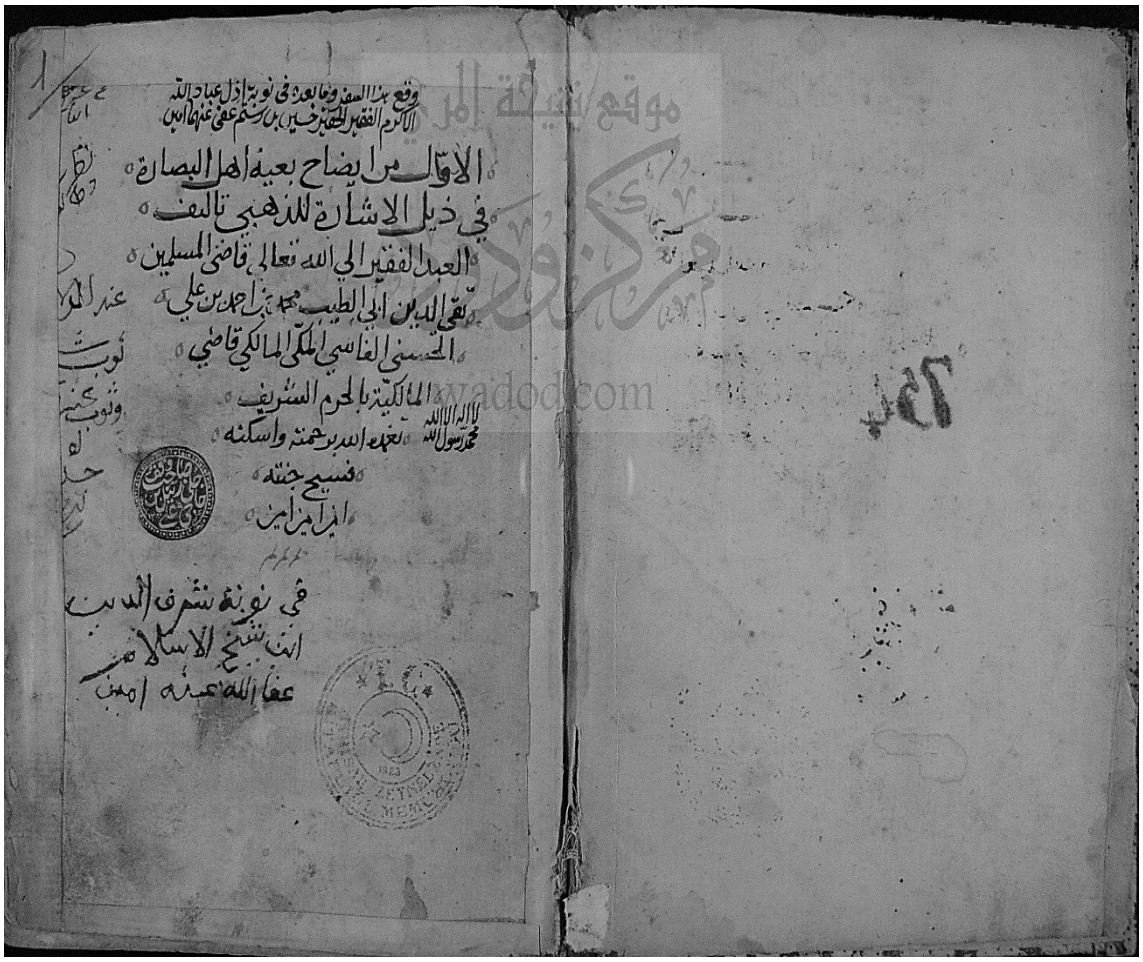

الملحق رقم: 12

جدول إحصائي لعلماء كلّ مغرب من المغارب والأندلس في بلد الحجاز

المغرب الأدنى	المغرب الأوسط	المغرب الأقصى	الأندلس
إبراهيم برهان الدين بن علي النور بن فرحون (ت: 799هـ)	**إبراهيم** برهان الدين الصنهاجي(ت: 779هـ)	**إبراهيم** المكناسي(ت: 744هـ)	**أحمد** بن أبي جعفر بن الرصافي الأندلسي(ت: 892هـ)
إبراهيم بن علي بن فرحون(ت: 799هـ)	**إبراهيم** التلمساني(ت:755هـ)	**إبراهيم** بن أحمد بن البرهان "الزعبلي"(ت: 885هـ)	**أحمد** بن عبد الله ابن الحطيئة(ت: 560هـ)
إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون (ت: 799هـ)	**إبراهيم** بن فايد الزواوي القسنطيني(ت: 857هـ)	**أحمد** الشّهاب البرنسي المغربي(ق09هـ)	**أحمدُ** بن علي بن أحمد الأنصاري
أبو بكر بن أبي الفضل بن أبي البركات القسطلاني(ت: 895هـ)	**إبراهيم** بن محمد المهيبي الصدقاوي البجائي(ت: 882هـ)	**أحمد** الشهاب بن علي بن محمد الفاسي(ت: 819هـ)	السَرَقُسْطي(ق06هـ)
أبو فارس عبد العزيز بن زكنون التونسي(ت: 746هـ)	**أحمد** أبو عصيدة البجائي(ت: 865هـ)	**أحمد** بن عبد الرحمن التادلي الفاسي(ت: 741هـ)	**أحمدُ** بن محمد بن أحمدَ بن كَوْثَر المحارِبِيُّ الغرناطي(ت: 550هـ)
أبو محمد المرجاني(ق08 هـ)	**أحمد** بن صالح الزواوي(ت:855هـ)	**أحمد** بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي(ت: 753هـ)	**أحمد** بن معد بن عيسى التجيبي(ت:551هـ)
أَحْمد الشهاب بن أبي الْخَيْر بن الزين القسطلاني(ت: 803هـ)	**أحمد** بن محمد المصمودي التاجوزي التلمساني(ت: 790هـ)	**تقي الدين** محمد بن أحمد شهاب الدين الفاسي(ت: 832هـ)	**أبوبكر** محمد بن الوليد الطرطوشي(ت: 520هـ)
أحمد الشهاب بن حسن بن الزين القسطلاني(ت:797هـ)	**أحمد** بن يحي بن عيسى العوكلي القسنطيني(ت: 860هـ)	**أبو الخير** محمد بن عبد الرحمن الفاسي(ت: 806هـ)	**ابن حُريث** القُرشي العبْدَري البلنْسي(ت: 722هـ)
أحمد بن عبد الله البدر بن فرحون(792هـ)	**أحمد** بن يونس بن سعيد القسنطيني(ت:878هـ)	**أبو الخير** محمد بن محمد الفاسي(ت:747)	**خالد** بن عيسى البلوي(ت:780هـ)
أحمد بن علي بن محمد بن الحسن القسطلاني(ت: 636هـ)	**أحمد** محمد محمد بن مرزوق التلمساني(ق08هـ)	**داود** بن موسى الغماري الفاسي (ت:820هـ)	**خلف** بن عبد العزيز الغافقي القبتوري(ت: 704هـ)
أَحْمد بن محمد بن محمد بن القطب الْقَسْطَلَانِيّ(ق09 هـ)	**أيوب** بن سليمان المغراوي(ق09هـ هـ)	**دينار** المغربي(ت: 734هـ)	**ابن خيرة** الإشبيلي(ت: 634هـ)
أيمن بن محمد السعدي التونسي(ت: 734هـ)	**جعفر** بن عبد الرحمن بن جعفر البجائي(ت: 644هـ)	**رزين** بن معاوية العبدري السرقسطي(ت: 535هـ)	**عبد الرحمن** بن علي التُجيبي، الأندلسي(ت: 541هـ)
البدر عبد الله بن فرحون(ت: 769هـ)		**ابن رشيد** السبتي الفهري(ت: 721هـ)	
الحسن بن عبد الله القيرواني –ابن العرجاء(ت: 544هـ)		**أبوالسعود** بن سليمان المغربي(ق09 هـ)	
		سراج الدين عبد اللطيف بن محمد الفاسي(ت: 853هـ)	

الحسن بن علي بن محمد بن فرحون(ق 08هـ)	**حسن** بن خلف الله القيسي القسنطيني(ت: 784هـ)	**سليمان** بن أبي السعود بن عمر بن علي الريغي المغربي(ت: 859هـ)	**أبو عبد الله** بن محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري الأعمى(ت: 780هـ)
حسين بن الزين بن محمد بن محمد القسطلاني(ت: 749هـ)	**خليل** بن هارون الجزائري المغربي(ت: 826هـ)	**صالح** بن عبد الله السجلماسي المغربي(ت: 878هـ)	**أبو عبد الله** بن محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري الأندلسي(ت: 765هـ)
خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر القسطلاني(ت: 760هـ)	**أبو الربيع** سليمان الغماري(ت: 714هـ)	**عبد الرَّحمن** بن أبي الخَير الفاسي(ت: 805هـ)	**عبد الملك** بن هشام الجُذامي القُرطُبي(ت: هـ)
زينب بنت الضياء بن عمر القسطلاني(ت: 727هـ)	**سليمان أبو الربيع** الونشريسي(ت: 756هـ)	**عبد القادر** المحيوي بن عبد اللطيف بن محمد بن أحمد الفاسي(ت: 898هـ)	**عبد الواحد** بن عمر بن عياد الأنصاري(ت:789هـ)
ضياء الدين محمد بن عمر القسطلاني(ت: 663هـ)	**عبد القوي** بن محمد بن عبد القوي البجائي(ت: 816هـ)	**عبد اللطيف** بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي(ت: 864هـ)	**عتيق** بن علي الْأَنْدَلُسِيّ المعروف بابن قَنَترال (ت: 612هـ)
عائشة ابنة القطب القسطلاني(ت: 716هـ)	**عبد الله** بن عمر بن موسى البسكري(ت: 765هـ)	**عبد اللطيف** بن أحمد بن علي الفاسي(ت: 822هـ)	**علي** بن أحمد بن محمد بن كوثر المحاربي(ت:589هـ)
عَبْد السلام بْن الحُسَيْن السَّفاقُسيّ(ت: 657هـ)	**علي** بن فرخوص التلمساني(ق08 هـ)	**عبد اللطيف** بن محمد بن أحمد أبو المكارم الفاسي(ت: 853هـ)	**علي** بن عتيق الأنصاري الخزرجي(ت: 598هـ)
عبد السلام بن سعيد بن محمد القيرواني(ت: 765هـ)	**علي** بن فرغوص التلمساني(738هـ)	**محمد أبو عبد الله** الفاسي(ت: 753هـ)	**علي** بن محمد الحرالي أبو الحسن(ت:637هـ)
عبد الله بن أَحْمد بن حسن بن الزين القسطلاني(ت: 827هـ)	**عمر** بن سالم بن بدر السراج الوراقلي الجزائري(ت: 767هـ)	**عبد الله** بن إبراهيم بن أحمد بن البرهان المغربي	**علي** بن محمَّد الخزرجي الإشبيلي(ت: 611هـ)
عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر القسطلاني(ت: 736هـ)	**محمد** أبو الفضل المشدالي البجائي(ت: 864هـ)	**عبد الله** بن إبراهيم بن محمد البدر المكناسي(ت: هـ)	**كمال الدين** محمد بن عبد الله الغرناطي(ت: 715هـ)
عبد الله بن عبد الملك المرجاني(ت: 781هـ)	**محمد** بن سعيد بن محمد التامردي الزموري(ت: 840هـ)	**محمد** بن محمد الفاسي(ت: 753هـ)	**مَحَمَّد** ابْن مطرف الإشبيلي(ت: 707هـ)
عبد الله بن عمر القيرواني المعروف بابن العرجاء(ت: 500هـ)	**محمد** بن عمر بن الفتوح التلمساني(ت: 754هـ)	**عبد الْمعطي** المغربي(ت: هـ)	**محمد** بن أحمد ابن جبير (ت: 614هـ)
عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فرحون(ت:759هـ)	**مَحَمَّد** بن مبارك القسنطيني(ت: 868هـ)	**عبد الملك** بن عبد الحق بن هاشم المغربي الحربي(ت: 845هـ)	**محمد** بن أحمد الأندلسي(ت: 754هـ)
عطية بن علي بن عطية بن علي القيرواني(ت: 530هـ)	**محمد** بن محمد الأنصاري الزموري(ت: 860هـ)	**عبد الواحد** الجزولي(ت:717هـ)	**محمد** بن أحمد بن معط الأريولي(565هـ)
علي بن إبراهيم بن محمد التجاني(ت:675هـ)	**محمد** بن موسى المزالي الهنياني التلمساني(ت: 683هـ)	**أبو عثمان** الحكيم المغربي(ق09هـ)	
	محمد بن ميمون الجزائري(ت: 801هـ)	**حسن** بن أحمد بن ميمون (ت:790هـ)	

علي بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن القيسي القسطلاني(ت: 665هـ)	**محمد** بن يحيى الصنهاجي(ت: 780هـ)	**الحسن** بن عيسى الحاحائي المغربي(ت: 749هـ)	**محمد** بن جابر الوادي آشي(ت: 749هـ)
علي بن محمد "ابن الصباغ السفاقسي(ت: 855هـ)	**ابن مرزوق** الخطيب(ت: هـ)	**علي** الحيحي المغربي(ت: 884هـ)	**محمد** بن جابر الوادياشي(ت: 749هـ)
علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله السفاقسي(ت: 855هـ)	**معمر** بن يحي بن محمد القطب بن عبد القوي البجائي(ت: 897هـ)	**علي** بن رزق الأنجري المغربي(ق09هـ)	**محمد** بن شريح الرعيني الإشبيلي(ت: 476هـ)
علي بن محمد بن خلف القابسي(ت:430هـ)	**يحي** القسنطيني(ق08هـ)	**علي** بن حمود المكناسي(ت: 573هـ)	**محمد** بن عبد الله بن محمد الأندلسي السلمي(ت: 655هـ)
علي بن محمد بن فرحون أبو الحسن(ت:601هـ)	**يحي** بن محمد بن عبد القوي البجائي(ت: 859هـ)	**علي** بن عبد الله المكناسي(ت: 571هـ)	**محمد** بن علي الغرناطي الأندلسي(ت: 715هـ)
علي بن محمد بن فرحون(ت: 746هـ)	**يحيي** بن أحمد بن عبد السلام المعروف بالعُلمي القسنطيني(ت: 888هـ)	**علي** بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي(ت: 769هـ)	**محمد** بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري(ت: 710هـ)
علي بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن القسطلاني(ت: 759هـ)	**يوسف** بن إبراهيم السدراتي الورجلاني(ت:570 هـ)	**عيسى** بن يَحي الريغي المغربي(ت: 827هـ)	**محمد** بن علي بن يحي الغرناطي(ت: 715هـ)
عمر بن عبد الله بن عبد الرحمان بن الضياء بن عمر القسطلاني(ت: 765هـ)		**أبو الغمر** السائب الخزرجي الطنجي(ت: 718هـ)	**محمد** بن عمر بن نعيم أبو عبد الله القرطبي(ت: 631هـ)
عمر بن عبد المجيد الميانشي(ت: 583هـ)		**القاسم** بن يوسف التجيبي السبتي(ت: 730هـ)	**محمد** بن غصن إبراهيم القصري(ت: 723هـ)
عمر بن محمد بن عمر بن الحسن القسطلاني(ت: 644هـ)		**القاسم** السلاوي المغربي (ق08هـ)	**محمد** بن محمد الغرناطي(ت:754هـ)
فاطمة بنت القطب القسطلاني(ت: 721هـ)		**محمد الرضي** بن عبد الرحمن بن محمد أبو الخير الفاسي(ت: 824هـ)	**محمد** بن محمد بن إبراهيم الأنصاري ثمّ الزموري(ت: 839هـ)
محمد أبو الخير بن حسيّن بن الزين القسطلاني(ت:811 هـ)		**محمد** العربي المغربي(ت:878هـ)	**محمد** بن يوسف بن مسدي(ت: 660هـ)
محمد أبو عبد الله ابن فرحون(ت: 721هـ)		**محمد** بن إبراهيم القصري السبتي(ت: 723هـ)	**يحي** بن أحمد بن صفوان المالقي(ت: 772هـ)
محمد أبو عبد الله بن أحمد اللوّاتي التونسي(ت: 899هـ)		**مُحَمَّد** بن أَحْمد بن إبراهيم بن مُحَمَّد الفاسي(ق09 هـ)	**يَحْيَى** بن أَحْمَد الْأَنْصَارِيّ القُرْطُبِيّ(ت: 614هـ)
محمد الجمال بن أحمد بن الضياء بن عمر القسطلاني(ت: 765هـ)		**محمد** بن ثابت الأنصاري المراكشي(ت: 749هـ)	
		محمد بن داود الصنهاجي" ابن آجروم"(ت: 723هـ)	
		محمد بن سليمان الجزولي(ت: 963هـ)	

محمد الزين بن محمد الأمين بن القطب القسطلاني(ت: 721هـ)		**محمد** بن سعيد التادمري الزموري (ت:860هـ)	**يوسف** بن عيسى بن عياش التجيبي الأندلسي(ت: 794هـ)
محمد القطب بن أحمد بن علي بن الحسن القسطلاني(ت: 686هـ)		**محمد** بن عبد الصمد المغربي المعروف بالتازي(ت: 805هـ)	
محمد إمام الدين بن محمد التقي القسطلاني(ت:ك754هـ)		**محمد** بن عبد الله السبتي(ت: 720هـ)	
محمد بن إبراهيم برهان الدين بن فرحون(ت: 814هـ)		**محمد** بن عبد الله بن الفتوح المكناسي(ت: 592هـ)	
محمد بن أحمد بن عثمان التونسي" الوانوغي"(819هـ)		**محمد** بن علي بن عطية المغربي المكناسي(ق:07هـ)	
محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسي(ت: 819هـ)		**محمد** بن محمد السبتي(ت: بعد 710هـ)	
محمد بن عبد الرحمن بن حسن " الطرابلسي"(ق09هـ)		**محمد** بن محمد العبدري الفاسي(ت: 722هـ)	
محمد بن عبد الله البدر بن فرحون(ت: 791هـ)		**مَحَمَّد** بن مُوسى بن عَائذ الغماري الوانوغي(ت: 817هـ)	
محمد بن عبد الله البدر بن محمد بن فرحون(ت: ق 08هـ)		**محمد** بن موسى بن علي المراكشي(ت: 823هـ)	
محمد بن علي بن أحمد بن محمد التونسي(ق09 هـ)		**محمَّد** بن يوسف بن سعادة(ق06 هـ)	
محمد بن عمر التوزري القسطلاني(ت:663هـ)		**محمد** بن يعقوب بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله الجاناتي(ت:823 هـ)	
محمد بن عمر بن عزم التميمي التونسي(ت: 891هـ)		**عبد الله** بن حجاج المغربي المشهور بمكشوف الرأس(ت: 701هـ)	
محمد بن عمر بن محمد القسطلاني(663هـ)		**منصور** بن حمزة بن عبد الله المجاصي المكناسي(ق06هـ)	
محمد بن محمد الجديدي القيرواني(ت: 787هـ)		**منصورة** بنت الشريف علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي(ت: 784هـ)	
محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون(ت: 755هـ)		**موسى** بن علي بن عبد الصمد المراكشي(ت: 710هـ)	
محمد بن محمد بن أحمد بن الزين القسطلاني(ت: 890هـ)			

محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فرحون(ت:822هـ) **محمود** بن علي بن فرحون(ق08 هـ) **ناصر الدين محمد** بن محمد بن عبد الله بن فرحون(ت: 822هـ) **نور الدين** علي بن فرحون(ت: 746هـ) **نور الدين** علي بن محمد القسطلاني الشهير بابن الزين(ت: 759هـ) **يحي** التونسي(ت: 743هـ) **يوسف** بن علي بن سليمان القروي(ت: 764هـ)		**يعقوب** الشريف المغربي(ت: 723هـ) **يوسف بن** عبد الرحمن السدراتي ابن الركابي(ت:599هـ) **يوسف** بن محمد بن محمد بن عمران الطنجي(ت: 775هـ)	

الملحق رقم: 13

جدول إحصاء المؤلفات المغربية ببلاد الحجاز

اسم المؤلف	عنوان الكتاب	التخصص
-يحي بن أحمد بن صفوان المالقي	-"البيان في الجمع بين القصيدة والعنوان".	علوم القرءان
-أبو عبد الله محمد بن غصن القصري	-"التقييد"، و"لمح الإشارات"، و"مختصر الكافي في القراءات".	//
-قطب الدين القسطلاني	-"رسالة في تفسير آيات من القرآن الكريم"*	تفسير
-محمد ابن أبي الفضل المرسي السلمي	-"ري الظمآن"، و"بالتفسير الأوسط"، و"التفسير الصغير".	//
-البدر عبد الله بن فرحون	-"نهاية الغاية في شرح الآية".	//
-رزين بن معاوية السرقسطي	-"أخبار دار الهجرة"، و"تجريد الصّحاح".	علوم الحديث
-أبا حفص عمر الميانشي	-"المجالس المكية"، و"إيضاح ما لا يسع المحدّث جهله"، و"تعليقات على الفردوس"، و"روضة المشتاق في الرقائق"، و"الاختيار في الملح والأخبار"، و"الانتقاء والانتخاب"، و"مساواة محمد بن علي بن ياسر الأنصاري الحياني مع الأئمة الأربعة".	//
-أبا بكر محمد بن يوسف بن مسدي	-"الأربعون المختارة في فضل الحج والزيارة". خرّج لـ"الفوائد المسلسلات الأسانيد" "مسند في الحديث"، و"خصائص النبي ﷺ"، و"الفوائد المدنية من حديث ابن الجميزي"، و"معجم الشيوخ".	//
-قطب الدين القسطلاني	-"المنهج المبهج عند الاستماع، لمن رغب في علوم الحديث على الاطلاع"، و"المبهمات أو الأسماء المبهمة في الحديث"، و"مجلس في فضل	//

	رمضان"، و"وسيلة العباد في فضيلة الجهاد"، و"الأدوية الشافية في الأدعية الكافية"	علوم الحديث //
-محمد بن موسى بن علي المراكشي	-"أربعين حديثا منها عشرون موافقات وعشرون أبدال لجماعة من المشايخ"	//
	تخريج "أربعين متباينة الأسانيد والمتون موافقات لأصحاب الكتب الستة"*	//
	"مختصر في علم الحديث"، و" مشيخة للعلامة زين الدين أبو بكر بن الحسين الأموي"، و" مشيخة أبي بكر المراغي"، و" مشيخة المجد اللغوي الفيروز أبادي"، و"مشيخة للشيخ جمال الدين محمد بن إبراهيم المرشدي مسند الحجاز"، و"معجم شيوخ الرحلة".	//
-تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي	-تخريج "أربعين حديثا متباينة المتن والإسناد" لابن سكر، و" تذكرة ذوي النباهات لجملة من الأذكار والدعوات"، و"فهرست تشتمل على ذكر أشياء من مروياته في الحديث بالسماع والإجازة".	//
-علي بن محمد ابن الصباغ	-"العبر فيمن شفه النظر"	//
-أحمد بن عبد الرحمن التادلي	-" شرح عمدة الأحكام"	//
-نور الدين علي بن فرحون	-"الزاهر في المواعظ والأحاديث والذخائر"	//
-البدر ابن فرحون	-"الدرّ المخلص من التقصّي والملخّص"، و"كشف الغطا في شرح مختصر الموطأ" و"كفاية الطلاب في شرح مختصر الجلاب"	//
-خليل بن هارون الجزائري	-"الأحاديث القدسيات"، و"تذكرة الإعداد لهول يوم المعاد في الأذكار والدعوات"، و"مختصر التذكرة"، و"أشرف مسموع في تحقيق أبحاث الموضوع"	//

-قطب الدين القسطلاني	-"المناسك في الحج" و"تكريم المعيشة في تحريم الحشيشة"، و"تتميم التكريم لما في الحشيش من التحريم"	الفقه
-محمد الرضي بن عبد الرحمن الفاسي	-"الأداء الواجب في تصحيح ابن الحاجب"، و"كراريس متعلّقة بمختصر الشيخ خليل الجندي"	//
-تقي الدين الفاسي	-"إرشاد الناسك إلى معرفة المناسك على مذهب الإمامين الشافعي ومالك"	//
-نور الدين علي بن محمد بن فرحون	"الجواب الهادي عن أسئلة الشيخ أبي هادي" تذييل "شرح ابن الحاجب لابن عبد السلام"، "كفاية الطلاب في الفقه"	//
-برهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون	-"شرح على مختصر ابن الحاجب الفرعي"، و"تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام" أو "منضدة الأحكام"، و"درّة الغواص في محاضرة الخواص"، و"كشف انتقاب الحاجب عن مصطلح ابن الحاجب"، و"تسهيل المهمات في شرح جامع الأمهات لابن الحاجب"، و"إرشاد السالك إلى أفعال المناسك"، و"التبصرة في آداب القضاء"، و"بروق الأنوار في سماع الدعوى"، و"إقليد الأصول في اختصار تنقيح القرافي"، وكتاب في" الحسبة".	// // // //
-أبو اليمن محمد بن برهان الدين بن فرحون	-"المسائل الملقوطة من الكتب المبسوطة"	
-محمد بن محمد بن إبراهيم الزموري الأنصاري الخزرجي	-"اغتنام الفحاص لمحاذي درر الغواص"	//
-أحمد بن يونس القسنطيني	-"رسالة في ترجيح ذكر السيادة في الصلاة"، و"المغالطات الصنعانية"	

-محمد بن أبي الفضل المرسي	-"الضوابط الكلية في علم العربية"، و"الكافي في النحو"	اللغة والنحو
-محمد بن داود ابن آجروم	-"المقدّمة الآجرومية"	//
-معمر بن يحي بن محمد بن عبد القوي البجائي	-"شرح على قطر الندى"	
-علي نور الدين بن فرحون	-"الشرح المغني، لقصيدة عمرو الجني"، و"شرح قصيدة كعب ابن زهير"، و"نزهة النظر ونخبة الفكر في شرح لامية العجم وذيلها"	//
-البدر عبد الله بن فرحون	-"العُدَّة في إعراب عمدة الأحكام من كلام خير الأنام"، و"شفاء الفؤاد في إعراب بانت سعاد"،	//
	و"التيسير في علمي البناء والتغيير"، و"المسالك الجلية في القواعد العربية"، "شرح قواعد الإعراب لابن هشام".	//
-عبد الواحد بن عمر بن عياد الأنصاري الأندلسي	-"مقدّمة في العربية"، و"المدني إلى فوائد المغني"	//
-قطب الدين القسطلاني	-"اقتداء الغافل باهتداء العاقل"، و"لسان البيان عن اعتقاد أهل الجنان"، و"ارتقاء الرتبة باللباس والصحبة".	التصوّف
-علي بن محمد السفاقسي المشهور بابن الصباغ	-"الفصول المهمّة في معرفة الأئمة وفضلهم، ومعرفة أولادهم ونسلهم"	//
-أحمد أبو عصيدة البجائي	-"أنس الغريب وروض الأديب"	تصوف وتاريخ
-قطب الدين القسطلاني	-"عروة التوثيق في النار والحريق"	تاريخ
-أحمد بن علي العبدري الميورقي	-"بهجة المهج في بعض فضائل الطائف ووج"	//
-تقي الدين الفاسي	-"شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام"	//
	"تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام"	//
	"تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام"	//
	"هادي ذوي الإفهام إلى تاريخ البلد الحرام"	//
	"الزهور المقتَطفة من تاريخ مكة المشرّفة"	//

	"ترويح الصدور بطيبات الزهور"	//
	"العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين"	//
	"عجالة القِرى للراغب في تاريخ أم القُرى"	//
	"إيضاح بُغية أهل البَصارة في ذيل الإشارة"	//
	"إرشاد ذوي الأفهام إلى تكميل كتاب الإعلام بوفيات الأعلام للذهبي"	//
	"ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد"	//
	"المقنع من أخبار الملوك والخلفاء وولاة مكة الشرفاء"*	//
	"مطلب اليقظان من حياة الحيوان"*	//
	"تقريب الأمل والسول من أخبار السلاطين بني رسول"*	//
	"ولاة مكة في الجاهلية والإسلام"*	//
-محمد بن عمر ابن عزم التميمي التونسي	-"الكتائب الكامنة من وفيات المائة الثامنة"*	//
	"تقريب الشائعة من وفيات المائة التاسعة"*	//
-علي نور الدين بن فرحون	-"تواريخ الأخبار والتعريف بالنبي المختار"	//
-البدر عبد الله بن فرحون	-"تاريخ المدينة المنورة المسمّى نصيحة المشاور وتعزية المجاور"	//
-عبد الله بن عبد الملك المرجاني	-"بهجة النفوس والأسرار في تاريخ هجرة المختار"	//
-برهان الدين إبراهيم ابن فرحون	-"الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب"	//
-محمد بن موسى المراكشي	-"تاريخ المدينة"*	

الملحق رقم: 14

جدول إحصاء المؤلّفات المغربية المندثرة، وغير المكتملة التأليف

اسم المؤلف	عنوان الكتاب	التخصص
محمد بن يوسف بن مسدي	"الفوائد المسلسلات الأسانيد" "مسند في الحديث" "خصائص النبي ﷺ" "الفوائد المدنية من حديث ابن الجميزي"	علم الحديث
قطب الدين القسطلاني	"المنهج المبهج عند الاستماع، لمن رغب في علوم الحديث على الاطلاع" "مجلس في فضل رمضان" "وسيلة العباد في فضيلة الجهاد" "الأدوية الشافية في الأدعية الكافية"	علم الحديث
محمد بن موسى بن علي المراكشي	"أربعين حديثا منها عشرون موافقات وعشرون أبدال لجماعة من المشايخ" "أربعين متباينة الأسانيد والمتون موافقات لأصحاب الكتب الستة" "مختصر في علم الحديث" "معجما لمشايخ التقي الفاسي" كتب منه كراريس في المحمّدين، لكنّه لم يكمله	علم الحديث
برهان الدين إبراهيم بن علي	"بروق الأنوار في سماع الدعوى" "إقليد الأصول في اختصار تنقيح القرافي" كتاب في "الحسبة"	الفقه
البدر عبد الله بن فرحون	"التيسير في علمي البناء والتغيير"	اللغة والنحو

	"المسالك الجلية في القواعد العربية" "شرح قواعد الإعراب لابن هشام"	
تقي الدين الفاسي	"هادي ذوي الإفهام إلى تاريخ البلد الحرام" "ترويح الصدور بطيبات الزهور" "المقنع من أخبار الملوك والخلفاء وولاة مكة الشرفاء" "مطلب اليقظان من حياة الحيوان" "تقريب الأمل والسول من أخبار السلاطين بني رسول" "ولاة مكة في الجاهلية والإسلام"	تاريخ تاريخ
محمد بن عمر بن عزم التميمي التونسي	"الكتائب الكامنة من وفيات المائة الثامنة" " تقريب الشائعة من وفيات المائة التاسعة"	تاريخ
محمد بن موسى المراكشي	"تاريخ المدينة"- لكنّه لم يكمله-	تاريخ

الفهارس العامّة

وفيه:

- **أولا:** فهرس الآيات.
- **ثانيا:** فهرس الأحاديث النبوية.
- **ثالثا:** فهرس الأعلام.
- **رابعا:** فهرس الأماكن والبلدان.
- **خامسا:** فهرس الجداول النسبية والبيانية.
- **سادسا:** فهرس القبائل والطوائف والحضارات.
- **سابعا:** فهرس المدارس والأربطة ودور العلم.

أولا: فـهرس الآيات

إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ..... ﴿٩٧﴾ - سورة آل عمران: 96-97.....36.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ﴿١٢٥﴾ -سورة البقرة: 126.....37-306-319.

قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ ﴿١١﴾- سورة الأنعام: 12.....56.

قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ ﴿٤٢﴾ - سورة الروم: 41.....59.

قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ ﴿٢٠﴾ - سورة العنكبوت: 19.....60.

هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا ﴿١٥﴾ - سورة الملك: 15.....62.

وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴿١٢٢﴾ - سورة التوبة: 123 . .....60.

وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ .....﴿٩٧﴾ - سورة آل عمران: 97.....67.

وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا ..... ﴿٢٦﴾ - سورة الحج: 97.....68.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ ﴿١١﴾ - سورة المجادلة: 11..... .. 69.

قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ .....﴿٩﴾ - سورة الزمر: 10..... 69.

رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي .....﴿٣٧﴾ - سورة إبراهيم: 39.....83.

ثانيا: فـهرس الأحـاديث

السفر قطعة من العذاب.....187.

اللهم اجعل المدينة.....48.

ما بين بيتي ومنبري روضة.....78.

ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلاّ وضعت له الملائكة أجنحتها.....61.

ما من رجل يسلك طريقا يطلب فيه علما إلاّ سهّل الله له به طريقا إلى الجنة.....61-70.

من خرج في طلب العلم كان في سبيل الله حتى يرجع.....61-70.

من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة.....70.

مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ .....60.

والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله .....83.

يأتي على الناس زمان يدعو الرجل ابن عمّه وقريبه: هلمّ إلى الرخاء.....48.

إنّ العلماء ورثة الأنبياء .....155.

إنّ الحلال بيّن والحرام بيّن .....205.

ثالثا: فـهرس الأعــلام

إبراهيم الخليل: 70-86-280.

إبراهيم العريان الرومي: 308-309.

إبراهيم المكناسي: 202.

إبراهيم برهان الدين الصنهاجي: 183.

إِبْرَاهِيم بن أَحْمَد الخجندي الْمدني الحَنفِي: 159.

إبراهيم بن أحمد بن غنام البعلي المسمى ابن علبك: 156.

إبراهيم بن علي بن ظهيرة الشافعي: 197.

إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون: 92-289.

إبراهيم بن علي بن محمد بن هلال الريعي التونسي: 197.

إبراهيم بن فائد بن موسى بن هلال الزواوي القسنطيني: 90.

إبراهيم بن محمد البرهان المراكشي: 204.

إبراهيم بن محمد الصوفي: 218.

إبراهيم بن محمد المهيبي الصدقاوي البجائي المالكي المعروف بالمصَعْصَع: 185.

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الخجندي المدني الحنفي: 156-239.

إبراهيم بن محمد بن عبد الرحمن القاضي: 201.

إبراهيم بن محمد بن علي اللّنتي التازي: 90.

إبراهيم محمد الزيد: 272.

أبو بكر الأطرابلسي: 217-218.

أبو بكر بن الحسين المراغي: 157- 256.
أبو بكر محمَّد بن الوليد الطرطوشي: 186.
أبو بكر محمد بن عمر بن عثمان بن عبد العزيز بن طاهر البخاري: 48.
أبي بكر محمد بن عبد الحميد القرشي المصري: 157.
أثير الدين أبو حيان الأندلسي: 162.
أحمد أبو زرعة الكردي المعروف بابن العراقي: 157.
أحمد أبو عصيدة البجائي: 271-277.
أحمد الشّهاب البرنسي المغربي المعروف بزروق: 214.
أحمد الشهاب بن علي بن محمد الفاسي المكي المالكي: 292.
أَحْمد بن أبي الْخَيْر محمد بن حسين بن الزين محمد القسطلاني: 292-317-318.
أحمد بن أبي القسم بن محمد بن علي أبو جعفر بن الرصافي الأندلسي: 299.
أحمد بن الحسن: 313.
أحمد بن أندراس بن محمد الأموي: 27.
أحمد بن حسن بن الزين محمد القسطلاني: 229.
أحمد بن حنبل: 61.
أحمد بن عبد الرحمن التادلي الفاسي: 260-290.
أحمدُ بنُ عبد الرّحمن بنِ محمد بن مَنْصور الحَضْرميّ الإسكندري: 184.
أحمد بن عبد القوي بن مُحَمَّد بن عبد الْقوي البجائي الْمَكِّيّ الْمَالِكِي: 293.
أحمد بن عبد الله بن أحمد بن حسن بن الزين القسطلاني(الحرضي): 292.
أحمد بن عبد الله بن أَحْمد بن هشام اللخمي المشهور بابن الحُطَيْئَة: 186.
أحمد بن عثمان الشافعي أبي القاسم بن الزجاج: 105.

أحمد بن عقيبة القفصي: 210.

أحمد بن علي بن أبي بكر العبدري الميورقي: 272-311.

أحمدُ بن علي بن أحمد الأنصاري السَرَقُسْطي، المعروف بابن الفقيه: 180.

أحمد بن علي بن محمد بن الحسن القيسي القسطلاني: 135-136-201-307.

أحمد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن شهاب الدين الفاسي: 151-192-196-217-223.

أحمد بن قاسم الحرازي الشافعي: 194-205.

أحمد بن محمد الفاسي: 190.

أحمد بن محمد المصمودي التاجوزي التلمساني: 92.

أحمد بن محمد بن أحمد الشهاب البسكري المدني المسمّى ابن ثَّائر: 201.

أحمدُ بن محمد بن أحمدَ بن كَوْثَر المِحارِبيُّ الغرناطي: 180.

أحمد بن محمد بن عبد الله بن داود الشهاب القليوبي المعروف بابن خبطة: 201.

أَحْمْد بن محمد بن محمد بن القطب الْقسْطَلَانِيّ: 213.

أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن ، أبو المكارم الفاسي: 148.

أحمدُ بن مَعَدِّ بن عيسى التُّجيبيّ الأريولي: 180-184.

أحمد بن وهبة القادري: 165-166.

أحمد بن يحي بن عيسى بن عياش بن إبراهيم العوكلي القسنطيني: 298.

أحمد بن يونس بن سعيد القسنطيني: 234-235-238-251-267-320.

أحمد شهاب الدين السِّجِستاني: 182.

أحمد شهاب الدين بن عبد الرحمن بن علي النويري: 282.

أحمد مختار العبادي: 15.

إدريس الثاني: 29.
الأريصي محمد: 195.
أبو إسحاق الفاسي: 105.
أبو إسحاق محمد بن القاسم بن شعبان المعروف بالقرطبي: 72.
إسماعيل بن علي النفزاوي التناوتي: 89.
أم الخير فاطمة البطائحية: 80-109.
آمنة بنت عنان بن حسن العذرية: 314.
أمين الدين أبو المعالي ابن قطب الدين القسطلاني المكي: 306.
أنس بن مالك: 46.
أيمن بن محمد السعدي التونسي: 241.
أيوب بن سليمان المغراوي: 305.

بحاز إبراهيم: 68.
بدر الدين الخروبي: 149.
البدر عبد الله بن فرحون: 119-122-124-126-128-156-157-202-203-205-208-238-242-247-255-264-269-275-288-289-309.
برهان الدين إبراهيم بن ظهيرة القرشي المكي الشافعي: 216.
برهان الدين إبراهيم بن علي بن فرحون: 127-132-156-159-206-209-264-276-289.
برهان الدّين إبراهيم بن محمد القاهري المعروف بالموصلي: 196.

برهان الدين أبو إسحاق الأبناسي المصري: 183.
ابن بشكوال: 97.
ابن بطوطة: 71-75-106-296-297.
بكر بن عبد الله بن أبو زيد: 31.

ابن تغري بردي: 225.
تاج الدين بهرام: 264.
تقي الدين الفاسي: 147-153-229-230-260-263-264-286-306-311-312.
تقي الدين عبد الرحمن بن عبد المومن الهوريني: 243-288-289.
التقي بن قاضي شهبة: 230.

أبو الثناء محمود بن سليمان الحلبي: 81.

أبو جعفر أحمد بن يوسف الغرناطي: 245.
أبو جعفر أحمد بن علي البلوي: 113.
أبو جعفر ابن عَوْنِ الله الحَصّار: 181.
جعفر بن عبد الرحمن بن جعفر السلمي البجائي: 306.

جلال الدين السيوطي: 215-231.

الجمال أبو عبد الله بن عبد الله بن الفتوح المكناسي المالكي: 282-311.

جمال الدين الأمدي الحنبلي: 229.
جمال الدين المطري: 158-229.
جمال الدين المظفري: 229.
جمال الدين بن أحمد بن أحمد بن الضياء بن عمر التقي القسطلاني: 143.

جمال الدين محمد بن إبراهيم المرشدي: 260-262.

جمال الدين محمد بن طراد الأنصاري، المعروف بابن الصفي: 191.
جمال الدين محمد بن ظهيرة: 210-217.
جمال الدين محمد بن فهد: 190.
الجمال الكازروني: 96-161.
الجمال المراكشي: 262.

الجمال محمد بن الشهاب أحمد البوني المغربي: 233.

حافظ وهبة: 04-35.
حامد المغربي: 320.

ابن حبيب: 78.
ابن حُريث القُرشي العبْدَري البلنْسي: 125-127-158-191-204-205-208.
حسان بن النعمان: 18.
الحسن الأشعري: 77.
أبو الحسن السمعاني: 281.

حسن الوراكلي: 77.
حسن بن أحمد بن ميمون المعروف بالمغربي: 320.

حسن بن خلف الله القيسي القسنطيني: 206.
حسن بن عجلان الحسني: 151-281.

الحسن بن علي بن محمد بن فرحون العز المدني: 129.
الحسن بن محمد بن أبي البقاء العكبري: 263.

أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد التجاني: 239.
أبو الحسن علي بن حميد بن عمار الطرابلسي: 107.
أبو الحسن علي بن رزق الله الأنجري الطنجي: 299-307.
أبو الحسن علي بن فرخوص التلمساني: 248-250.

الحسن علي بن محمد الحرالي الأندلسي: 199.
أبو الحسن علي بن محمَّد بن أحمد الخزرجي الإشبيلي المعروف بابن الحصار: 207.
حسين بن الزين بن محمد بن محمد بن محمد القسطلاني: 319.

أبو الحسين محمد بن أحمد ابن جبير المعروف بابن جبير: 41-44-65-69-71-75-98-99-101-102-103-106-108-112.
أبو حفص عمر الميانشي: 04-08- 10-188-257-286.

خ

خالد بن عيسى البلوي: 71-108-109-110-112-142-194-222-244.
الخطيب البغدادي: 62.
ابن خلدون: 65-76-231-232.
خلف بن عبد العزيز الغافقي القبتوري: 202-203-240-247.

خليل الجندي: 264.

الخليل بن أحمد: 31.

خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر القسطلاني: 142-151-167-190-191-194-237-282.

خليل بن هارون الجزائري المغربي: 210-216-217-223-238-262.

ابن خير الإشبيلي: 113- 181.

أبو الخير محمد بن حسيّن بن محمد الزين القسطلاني: 166.

أبو الخير محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي عبد الله الفاسي: 147-214.

داود بن موسى الغماري الفاسي المالكي: 236.

دينار المغربي: 247.

الذهبي: 232-240.

ربيع بن عبد الله المارديني: 299.

أبو الربيع سليمان الغماري: 159-160-207-308.

رزين أبو بكر بن الحسين الأموي: 259.

رزين بن معاوية العبدري السرقسطي: 39-95-186-188-228-256-272-281.

ابن رشيد السبتي الفهري: 67-69-79-81-93-103-104-105-119-213-218-239-247.

ابن رشيق: 24.

رضي الدين إبراهيم بن محمد الطبري: 143- 181-213-220-258.

رضي الدين العسقلاني: 258.

ز

زاهر بن رستم: 165.

الزبيدي: 88.

أبو زكريا يحيي بن أحمد بن عبد السلام المعروف بالعُلمي القسنطيني: 198.

زينب بنت الضياء محمد بن عمر بن محمد بن عمر القسطلاني: 144.

س

أبو السعود بن سليمان المغربي: 294.

أبو سليمان بن أحمد السقا: 131.

سحنون بن سعيد: 24.

سراج الدين الدمنهوري: 127-161-204.

سراج الدين عبد اللطيف بن محمد الفاسي: 306.

سعيد ابن عبد المؤمن: 103.

ابن سعيد المغربي: 15.

ابن سعيد بن نصر: 188.

سليمان الونشريسي: 308-309.

سليمان بن أبي السعود بن عمر بن علي الريغي المغربي: 294.

سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي: 48.
سليمان بن خليل العسقلاني المكي: 281.

ش

شاه شجاع بن محمد بن المظفر اليزدي: 118.
شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف التوني: 80.
شرف الدين الأسواني: 204.
شرف الدين الدمياطي: 306.
الشريف محمد بن عيسي الحسني: 183.
شمس الدين أبي عبد الله الذهبي: 183.
شمس الدين الأميوطي: 285.
شمس الدين الحبيشي: 260.
شمس الدين الحليمي: 202.
شمس الدين الخوارزمي ويعرف بالمعيد: 217.
شمس الدين العراقي: 210.
شمس الدين بن الشرف الششتري: 200-201-202.
شمس الدين محمد الكناني: 200.
شمس الدين محمد بن علي بن سكر: 156- 206-270.
شهاب الدين أبا العباس أحمد الطبري: 220.
شهاب الدين أبو العباس الحرازي: 191.
شهاب الدين أحمد الهكاري: 151.

شهَاب الدّين أَحْمد بن الْحسن بن الزين مُحَمَّد بن أَحْمد بن مُحَمَّد بن أَحْمد الْقُسْطَلَانِيّ: 317.

شهاب الدين أحمد بن الضياء القريشي العمري: 203-300.

شهاب الدين أحمد بن حسن بن الزين القسطلاني: 183-166.

شهاب الدين أحمد بن ظهيرة: 183.

شهاب الدين أحمد بن عبد الله البدر بن فرحون: 129.

شهاب الدين أحمد بن قاسم الحرازي: 203.

شهاب الدين السهروردي: 137.

شهاب الدين بن المحب القسطلاني: 191.

شهاب الدين غازي الأيوبي: 308.

صالح العلي: 34.

صالح بن عبد الله بن محمد السجلماسي المغربي: 298-312.

صالحة ابنة عبد الواحد الحسيني: 121.

صدر الدين أبي الفرات: 264.

صَدْرُ الدِّين الحسن بن محمد النَّيسَابوري: 189.

ابن الصلاح: 61-65.

صلاح الدين الأيوبي: 76-98-100.

ضياء الدين محمد بن عمر القسطلاني: 212-220-306.

طارق بن زياد: 18.
الطاهر العمراني الأنصاري السرقسطي: 254.
الطاهر بن عاشور: 184.

الظاهر بيبرس: 286.

ظهيرة بن أحمد بن عطية المخزومي: 194.

عائشة ابنة القطب القسطلاني: 144-169-170-213.
أبو العباس أحمد بن حسن البلياني التلمساني: 313.
أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي المدعو بالقباب: 80-127.
أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر مرزوق التلمساني: 248.
أبو العباس الغماري: 299.

أبو العباس بن عبد المعطي المكي: 151.
عباس بن ناصح: 71.
عبد الحق المهدوي المعروف بابن الحداد: 307.

عبد الرحمن الثاني: 71.
عبد الرحمن المعلّمي: 85.
عبد الرحمن الناصر لدين الله: 72.

عبد الرَّحمن بن أبي الخَير الفاسي: 153-195.
عبد الرحمن بن أبي رجاء البلوي، المعروف باللّبشي: 180.
عبد الرحمْن بن أَحمْد القلقشندي الشافِعِي: 157.
عبد الرحمن بن رستم: 28.
عبد الرحمن بن سليمان اللجائي: 80.
عبد الرحمن بن علي التُجيبي، الأندلسي المشهور بابن الأديب: 180.
عبد الرحمن بن علي بن يوسف الزرندي: 204.
عبد الرحمن بن فتوح بن بنين المعروف بابن أبي حرمي: 188.
عبد الرحمن بن محمد بن علي الشافعي المكي المشهور أبوه بالطبري: 106.
عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الناصر الزين أبو محمد الصبيبي: 157.
عبد الرحمن بن معاوية: 75.
عَبْد السلام بْن الحُسَيْن السَّفاقُسيّ: 188.
عبد السلام بن سعيد بن محمد بن عبد الغالب القيرواني: 209.
عبد السلام بن غلام: 161.
عبد السلام بن محمد بن مزروع البصري المعروف بـ "بالتمار": 119.
عبد الْعَزِيز بن مسَدّد بن مُحَمَّد الكازروني: 238.
عبد القادر المحيوي بن عبد اللطيف بن محمد بن أحمد الفاسي: 152-197-201-287-290-300-306.
عبد القادر بن محمد بن أحمد أبو المكارم الفاسي: 152-284-299-300-301.
عبد القوي بن محمد بن عبد القوي البجائي المغربي: 196.
عبد اللطيف بن أبي السرور محمد بن عبد الرحمن بن أبي الخير محمد الفاسي: 283.
عبد اللطيف بن أحمد الشهاب بن علي الفاسي الشافعي: 153-281-283.

عبد اللطيف بن أحمد بن عبد السلام الكازروني: 294.

عبد اللطيف بن محمد الولي بن أحمد أبو المكارم الفاسي: 152-283-284-287-290-300.

عبد الله أبو زيد: 31.

أبو عبد الله الفاسي: 142-143.

أبو عبد الله القابسي: 182.

أبو عبد الله القاسم بن أحمد الثقفي: 190.

عبد الله المطري: 95.

عبد الله اليافعي: 136.

عبد الله بن إبراهيم بن أحمد بن البرهان المغربي المعروف بالزعبلي: 319.

عبد الله بن إبراهيم بن محمد البدر المكناسي: 204.

عبد الله بن أبي السرح: 18.

عبد الله بن أحمد الطبري: 183.

عبد الله بن أَحْمد بن حسن بن الزين بن الْأمين بن القطب مُحَمَّد الْقُسْطَلَانِيّ: 292.

أبو عبد الله بن البنا: 165.

عبد الله بن الحبحاب: 15.

عبد الله بن طلحة الأندلسي: 41.

عبد الله بن عباس: 19-33.

عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر أبو البركات القسطلاني: 142.

أبو عبد الله بن عبد الكريم الجرشي: 207.

عبد الله بن عبد الملك المرجاني: 122-276-303-308.

عبد الله بن عمر القيرواني المعروف بابن العرجاء: 179.
عبد الله بن عمر بن موسى البسكري: 92-222-310-242.
أبو عبد الله بن محمد بن أحمد بن علي بن جابر الهواري الأندلسي: 238-245.
عبد الله حمادي: 60.
أبو عبد الله محمد ابن فرحون: 118-121-125-159-200-207-208-237-309-317.
أبو عبد الله محمد القرطبي: 218-285.
أبو عبد الله محمد بن إبراهيم القصار: 148-314.
أبو عبد الله محمد بن أحمد اللوّاتي التونسي: 228.
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي: 212.
أبو عبد الله محمد بن شريح الرعيني الإشبيلي: 255.
أبو عبد الله محمد بن علي التجيبي: 319.
أبو عبد الله محمد بن علي الغرناطي الأندلسي المغربي: 150-160.
أبو عبد الله محمد بن غصن إبراهيم القصري: 148-200-255-304-309.
أبو عبد الله محمد بن محمد الغرناطي: 295-318.
أبو عبد الله محمد بن محمد الفاسي: 229.
أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي: 265.
أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان المزالي الهنياني التلمساني: 213.
عبد الْمعطي المغربي: 318.
عبد الملك بن عبد الحق بن هاشم المغربي الحربي: 301.

عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني: 39.
عبد الملك بن هشام الجُذامي القُرطُبي: 180.
عبد المنعم الفراوي: 199.

عبد المؤمن بن علي الزاهد: 181.
عبد الواحد الجزولي: 302-310-317.

عبد الواحد تاج الدين بن عمر بن عياد الأنصاري: 270.

العبدري: 119.
عبيد الله الشيعي: 26.
عبيد الله بن أحمد بن أبي الربيع: 200.
عتيق بن علي الْأَنْدَلُسِيّ المعروف بابن قَنَترال: 181.
أبو عثمان الحكيم المغربي: 233.
عثمان بن عفان: 54.
عثمان بن موسى الآمدي: 283.

ابن عذارى المراكشي: 15-28.
عرام ابن الأصبغ: 33.
عز الدين الزرندي: 127-144-147-158.

ابن عساكر الدمشقي: 105-109-187-204.

عطاء الله الهندي الحنفي: 263.

عطية بن علي بن عطية بن علي القيرواني: 95.
العفيف الدلاصي: 142.
عقبة بن نافع الفهري: 17-20-66.
أبو علي الحسن بن عبد الله القيرواني- ابن العرجاء: 179- 280.

أبو علي الحسن بن عيسى الحاحائي المغربي: 161-250.
علي الحصري القيرواني: 24.
علي الحيحي المغربي: 299.

علي الصلابي: 19.
أبو علي القالي: 72.
علي بن أبي بكر بن سبع المكناسي: 183.
علي بن أبي طالب: 123-146.
علي بن أحمد المعروف بالمغربي: 320.

علي بن أحمد بن أبي بكبر الكِنَانيّ، القُرطُبيّ الطُلَيْطُليّ: 187.
علي بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي النويري: 282.

علي بن أحمد بن علي بن محمد بن الحسن القيسي القسطلاني: 137.
علي بن أحمد بن محمد بن مخلوف القاهري: 198-215.
أبو علي بن البناء السهروردي: 212.
علي بن الحسن الواسطي: 308.

علي بن حمود المكناسي: 181-182-186-281.
علي بن عبد الله المكناسي: 95.

علي بن عبد الوهاب بن عبد الوهاب الإسكندراني المسمّى الموفق: 297.

علي بن عتيق الأنصاري الخزرجي: 181.
علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله السفاقسي المشهور بابن الصباغ: 227-260-270-293.

علي بن محمد بن فرحون القيسي: 234.
علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي: 148-150.

علي بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن علي القسطلاني: 143.
علي بن موسى بن جعفر الهاشمي: 51.
علي بن هشام اللخمي: 181.
علي بن يوسف بن الحسين الأنصاري الزرندي: 208.
علي عمر: 273.
العماد الطبري: 106-142.
عمر الحموي النجار: 153.
عمر بن الخطاب: 17.
عمر بن سالم بن بدر السراج الوراقلي الجزائري المغربي: 304.
عمر بن عبد العزيز: 22-23.
عمر بن عبد الله بن عبد الرحمان بهاء الدين بن الضياء بن عمر التقي: 143.
عمر بن علي بن رسول: 306.
عمر بن محمد بن عمر بن الحسن القيسي القسطلاني: 136-138.
عمرو بن العاص: 17.
أبو عمرو يوسف بن عبد البر النمري: 261-188.
عواطف نواب: 111.
عيسى بن يَحي الريفي المغربي: 233.
أبو عيسى محمد الترمذي: 189.
عيسي بن أبي ذَرٍّ الهروي: 186.

أبو الغمر السائب بن عبد الله بن السائب الأنصاري الخزرجي الطنجي المغربي: 234-249.

غياث الدين أعظم شاه: 306.

أبو فارس عبد العزيز بن زكنون التونسي: 201.

فاطمة البطائحية: 105.

فاطمة أم البنين الفهرية القيروانية: 29.

فاطمة بنت القطب القسطلاني: 144-169.

فاطمة بنت محمد الدربندي: 166.

فخر الدين أبو بكر بن أبي الفضل بن أبي البركات القسطلاني الشافعي: 293-318.

فخر الدين بن عثمان التوزري: 25-107-142-143-182-189-193-201.

فخر الدين بن عثمان الطرابلسي الشامي: 271.

فخر الدين عثمان بن الزنجيبلي: 307.

ابن فرحون: 51-52.

الفضل بن عبد الرحمن النويري: 283.

أبو الفضل محمد المشدالي البجائي: 197-215-235.

فؤاد قنديل: 60.

الفيروز أبادي: 250.

القادري بوتشيش: 86.
القاسم السلاوي المغربي: 250.
أبو قاسم بن أصبغ: 188.
أبو القاسم بن كلالة الطبيبي: 301.
القاسم بن يوسف التجيبي السبتي: 105-106-107-108.
ابن قدامى المقدسي: 16 – 269.
القسطلاني: 25-142.
أبو القسم بن أحمد بن محمد بن عبد الْمُعْطِي الْأَنْصَارِيّ: 196.
قطب الدين محمد بن أحمد بن علي بن الحسن القسطلاني: 144-164-213-218- 255-258-263-270-271-307.

كافور المظفري المعروف بالحريري: 288.
كراتشكوفسكي: 103.
كعب بن زهير: 162.
كمال الدين محمد بن عبد الله الغرناطي: 199.
كمال الدين موسى بن محمد الدميري: 275.

مالك بن أنس: 69-193-207.
مالك بن عيسى القفصي: 25.
مبارك بن محمَّد المعروف بابن الأثير: 256.
مجد الدين أحمد بن ديلم الشَّيبِي الحجْبِي: 229.
محب الدين أبو عبد الله محمد بن البدر بن فرحون: 128-130.
محب الدين الطبري: 105-146.
محب الدين محمد بن محمد الفاسي: 190.
مُحَمَّد أَبُو البركات بن مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن أبي مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن الفاسي: 282-287.
محمد الرضي بن عبد الرحمن بن محمد أبو الخير الفاسي: 263.
محمد الزين بن محمد الأمين بن قطب الدين القسطلاني: 141.
محمد العربي المغربي: 298.
محمَّد المروزي: 256.
محمد الولي بن أحمد أبو المكارم بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي: 152.
محمد بن إبراهيم التلمساني: 81.
محمد بن إبراهيم السلاوي: 67.
محمد بن إبراهيم القصري السبتي: 96.
محمد بن إبراهيم برهان الدين بن فرحون: 266-267-289.
محمد بن إبراهيم بن محمد بن شداد المعافري: 183.
محمد بن أبي عبد الله النويري: 283.

محمد بن أحمد الأندلسي: 318.

محمَّد بن أَحْمد بن إبراهيم بن محمَّد الفاسي: 182.
محمد بن أحمد بن الجمال محمد بن أحمد بن حسن القسطلاني: 166.
محمد بن أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد الطبري: 183.
محمد بن أَحْمد بن حسن بن الزين محمد بن الْأمين محمد القسطلاني: 288.

محمد بن أحمد بن سعد المعافري: 88.
محمد بن أحمد بن عثمان التستري: 191.
محمد بن أحمد بن عثمان بن عمر التونسي المعروف بالوانوغي: 90-251.
محمد بن أحمد بن علي القسطلاني: 229.

محمد بن أحمد بن محمد القسطلاّني: 319.

أبو محمد بن أسعد اليافعي: 110.
محمد بن إسماعيل بن على اليمني المعروف بابن أبي الصيف: 188.
محمد بن القاسم بن شعبان: 74.
محمد بن تركي التركي: 273-274.
محمد بن تومرت: 74.
محمد بن ثابت الأنصاري المراكشي: 303.

محمد بن جابر الوادي آشي: 92-52-125-127-183-205 -208.
مَحَمَّد بن حجاج بن إِبْرَاهِيم الحَضْرَمِيّ الْمَعْروف بِابْن مطرف الإشبيلي: 214.
محمدُ بن خَلَف بن صاعِد الغَسّانيّ، المشهور بابن اللَّبْليّ: 187.
محمد بن داود الصنهاجي الفاسي المعروف بابن آجروم: 268.

محمد بن سعيد بن محمد التامردي الزموري المغربي المشهور بابن سارة: 298.

محمد بن سليمان الجزولي: 100.

محمد بن صالح بن إسماعيل الكناني: 202-237.
محمد بن عبد الرحمن الفاسي: 195.
محمد بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد الرعيني الأندلسي المشهور بالطرابلسي: 298.
محمد بن عبد الرحمن بن محمد القسطلاني، أبو عبد الله: 110.
محمد بن عبد الصمد المغربي المعروف بالتازي: 90.
محمد بن عبد القوي البجائي: 216-223-227-230-238-286-293.
مُحَمَّد بن عبد اللَّطِيف بن محمد أبي السرُور بن عبد الرحمن الفاسي الْمَكِّيّ الْمَالِكِي: 287.
محمد بن عبد الله الأنصاري: 183-203.
محمد بن عبد الله السبتي: 202-304.
محمد بن عبد الله بابن الفضل السلمي: 89-255.
محمد بن عبد الله بن الفتوح المكناسي: 95-193.
محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي: 184-267.
محمد بن عبد الله بن محمد الزرندي: 239.
محمَّد بن عثمان بن أيُّوب اللُّؤلؤي الدمشقي: 217.
محمد بن علي الأندلسي الغرناطي المعروف بالشامي: 182-196-200-201-203-249-320.
محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري التونسي: 248.
محمد بن علي بن عطية المغربي المكناسي: 89-96.
محمد بن علي بن محمد الطائي الأندلسي المعروف بابن عربي الصوفي: 89.
محمد بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري المعروف بابن قطرال: 90.
محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني المكناسي: 81.
محمد بن عمر بن عثمان البخاري: 39-50.
محمد بن عمر بن عزم التميمي التونسي: 227-231-275-316-320.

مُحَمَّد بن عمر بن عَليّ الجزائري المليكشي: 91-220.

محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن الحسن القسطلاني: 282-307.

محمد بن عمر بن نعيم أبو عبد الله القرطبي: 199.

محمد بن قلاوون: 300-309.

مَحَمَّد بن مبارك القسنطيني المغربي: 210.

محمد بن محمد الأنصاري الزموري: 210-246.

محمد بن محمد الجديدي المالكي القيرواني: 100.

محمد بن محمد الحيدري: 309.

محمد بن محمد السبتي: 282.

محمد بن محمد العبدري الفاسي: 96.

محمد بن محمد الغرناطي: 249-314.

محمد بن محمد بن إبراهيم بن القاضي الأنصاري: 266.

محمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون: 126.

محمد بن محمد بن أحمد بن الزين القسطلاني المغربي: 233.

محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحسني الإدريسي: 146.

محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، إمام الدين القسطلاني: 143.

محمد بن محي الدين عبد القادر بن عبد اللطيف بن محمد الفاسي الحنبلي: 300.

مَحَمَّد بن مُوسى بن عَائذ أبو عبد الله الغماري المغربي الوانوغي: 197-297.

محمد بن موسى بن علي المراكشي: 192-209-214-215-217-259-275-277.

محمد بن ميمون الجزائري: 93.

محمد بن وضاح: 188.
محمد بن يحي بن جابر الغساني: 96.
محمد بن يحيى الصنهاجي: 320.

محمد بن يعقوب بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الله الجاناتي: 192-216.
محمَّد بن يوسف بن سعادة: 186.
محمد بن يوسف بن مسدي: 189-220-229-258-262-280.

محمد تقي الدين بن محمد القسطلاني: 194.
أبو محمَّد عبد العظيم المنذري: 207.

أبو محمد عبد الله بن حجاج المغربي المشهور بمكشوف الرأس: 251-314.

أبو محمد عبد الله بن عباد: 146.
أبو محَمَّد عبد الله بن عبد الحْق الدلاصي: 205.
محمد عبد الله بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن فرحون أبو الخير: 128.
أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن محمد بن فرحون بن المحب: 131.
محمود إسماعيل عبد الرزاق: 23.
محمود بن علي بن فرحون: 130.
محمود خضير عباس مهنا العيساوي: 273.
محي الدين النووي: 123.
ابن مرزوق الخطيب: 23- 299.
معاذ بن جبل: 73.
معاوية بن أبي سفيان: 62.
معمر بن يحي بن محمد بن عبد القوي البجائي: 268.
معمر بن يَحيى بن محَمَّد السراج أَبو الْيسْر: 239.
مفرج بن عبد الله المالكي: 95.

المقري التلمساني: 66.
المقريزي: 223-224- 226-230.
منصور بن حمزة بن عبد الله المجاصي المكناسي: 282.
منصورة بنت الشريف علي بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي: 150.
منظور: 58.
أبو المهاجر دينار: 18.
موسى الحاجبي الفاسي: 217.
موسى بن علي بن عبد الصمد المراكشي المالكي: 151-153-195-196.
مُوسَى بن مُحَمَّد بن أبي الْفَتْح مُحَمَّد بن أَحْمد الفاسي الْحَنْبَلِيّ: 287.
موسى بن نصير: 18.
موسى عليه السلام: 61.
ابن ميمون الغماري: 78.

ن

ناصر الدين محمد بن محمد بن عبد الله بن فرحون: 131.
الناصر بن علناس: 26.
نجم الدين الطبري: 143.
نجم الدين بشير بن حامد التبريزي: 137.
نظام الملك السلجوقي: 46-54.
نور الدين أبا الحسن النويري: 183-282.
نور الدين البغوي: 157.
نور الدين الخروبي: 149.

نور الدين علي بن أحمد بن محمد بن سلامة: 184.
نور الدين علي بن فرحون: 124-126-127-158-160-204-206-244-247-261-264-268- 275.

نور الدين علي بن محمد القسطلاني الشهير بابن الزين: 301.

هشام بن سليمان بن محمد الزريري: 255.

هشام بن عبد الملك: 15.

أبو الوفاء برهان الدين إبراهيم بن علي النور بن فرحون المدني: 129.

ولي الدين بن عبد الرحمن بن علي النويري: 282.

ياقوت الحموي: 14-15-29-34.
يحي التونسي: 285.

يحي القسنطيني: 304.

يحي بن أحمد بن صفوان المالقي المكي: 184-254.

يحي بن شاكر الدمياطي الشافعي المعروف بابن الجيعان: 215-235.

يحي بن محمد بن إدريس: 29.

يحي بن محمد بن عبد القوي البجائي: 226-227- 318.

يحي بن يحي الليثي: 66-151-167.

يحيى بن علي المغربي: 320.

يَحْيَى بن أَحْمَد الْأَنْصَارِيّ القُرْطُبِيّ: 181.

يعقوب الشريف المغربي: 309.

أبو يعقوب يوسف الناصر المريني الملقّب بالمنصور: 74- 313.

يوسف بن إبراهيم بن مناد السدراتي الورجلاني: 89.

يوسف بن تاشفين: 30.

يوسف بن عبد الرحمن السدراتي المعروف بابن الركابي: 188.

يوسف بن علي بن سليمان القروي: 303.

يوسف بن عيسى بن عياش التجيبي الأندلسي: 282-303.

يوسف بن محمد بن محمد بن عمران الطنجي: 299-303.

يونس بن يحي الهاشمي: 164.

رابعا: فهرس الأماكن والبلدان

أزمور: 296.

إسبانيا: 15.

الإسكندرية: 16-66-79-98-319.

أفريقية: 14-16-19-23-26-134.

ألمانيا: 273.

الأندلس: 14-15-16-17-18-19-23-24-27-40-66-67-68-75-91-102-112-179-199-200-245.

أيّان: 120.

إيطاليا: 15.

بجاية: 25-26-27.

برقة: 17-18.

برلين: 273.

بغداد: 24-29-66.

البقيع: 242.

بلنسية: 102.

بنجالة (الهند): 306.

بيت المقدس: 23-68-79-102.

بيروت: 266-276.

تاهرت: 24-28.
تثليث: 34.
تلمسان: 28-127.
تهامة: 30-31-34.
توزر: 24.
تونس: 19-24-90-94-95-197-201-269-277.

جدّة: 76-94.
جربة: 76.
الجزائر: 91.
جزر البليار: 15.
جيّان: 120.

الحجاز: 14-24-27-30-31-32-33-34-35-37-41-47-49-55-57-
58-60-66-68-69-70-71-73-77-78-79-81-84-89-90-
92-95-96-97-100-104-111-112-114-116-119-120-
121-122-123-124-126-127-130-132-135-139-141-
146-149-151-161-163-164-186-192-193-196-200-

-206-220-228-231-232-233-235-242-246-251-254
-259-262-267-268-271-272-277-278-284-285-288
.295-303-306-313-316-321
حضر موت: 270.

خ

خليج العقبة: 35.

د

دمشق: 29-79-320.

ر

الرباط: 276.
رقادة: 23-24.

ز

زوارة: 76.
زويلة: 17.

س

سبتة: 202.

سردينيا: 15.
السرين: 34.
سلا: 16.
السوس: 16.

الشام: 26-31-32-33-34-58-61-68-77-79-89-150-166-232-319.

صقلية: 15-16-24.
صنعاء: 33-267.

الطائف: 30-33-35-75.
طرابلس: 17-73-91-95.
طنجة: 71.
طيء: 34.

العباسية: 24.

العراق: 26-36-72-273.
عسير: 35.

غرناطة: 99.
غرداية: 76.

فاس: 29.

القاهرة: 29-66-80-176-273-319-320.
قتورية: 69.
القدس: 77.
قرطبة: 29-72-234.
قسطيلية: 24-25-134.
القنفذة: 34.
قورسيقا: 15.
القرارة: 76.
القيروان: 19-20-23-25-29-264-303.

كنانة: 120.

الكوفة: 137.

ليبيا: 17.

مدين: 34.

المدينة المنورة: 23-24-30-33-35-36-38-39-40-41-47-48-49-52-
54-55-62-66-70-71-75-76-77-79-82-84-85-87-88-
90-91-92-94-97-98-102-103-108-110-111-112-
113-114-116-117-118-119-120-121-122-123-125-
126-127-128-129-130-131-132-134-136-139-142-
143-147-152-156-157-158-159-160-161-163-172-
173-179-181-183-188-191-193-198-199-200-201-
202-203-204-205-206-207-208-209-210-201-214-
228-234-235-236-237-238-239-240-241-242-243-
244-245-246-247-248-249-250-251-252-255-256-
257-258-260-262-264-265-267-268-270-271-275-
276-277-278-284-285-286-288-289-290-291-294-

-295-300-301-302-303-304-306-309-310-311-314
.315-316-317-318-319-320-321

مراكش: 30.

مصر:15-16-17-26-58-61-68-72-73-77-79-82-98-117-
.135-149-150-153-164-166

معدن النقرة: 33.

المغرب: 15-21-22-41-68-77-78-79-91-102-179-199-237-246.

المغرب الأدنى: 19-23-120-126.

المغرب الإسلامي: 14-17-18-19-20-23-27-29-60-66-70-79-81-
121.

المغرب الأقصى: 19-24-29-30-73-126.

المغرب الأوسط: 19-24-26-28.

مقام إبراهيم: 220-280.

مكة: 23-24-30-33-35-36-37-38-39-40-41-45-50-51-62-71-
73-75-77-82-83-84-87-88-90-93-94-97-99-108-110-
111-112-113-114-116-123-125-134-135-136-137-138-
139-140-143-144-146-147-148-150-151-152-156-165-
166-171-172-173-174-176-177-179-180-181-182-183-
185-186-187-188-191-193-194-196-197-198-199-200-
201-203-205-207-208-209-210-211-213-214-215-216-
217-220-221-222-223-224-225-226-227-228-229-230-
231-233-234-235-236-238-246-250-251-252-254-255-
256-257-258-260-262-263-264-267-268-270-271-272-
273-274-275-277-278-280-281-282-283-284-285-286-

-287-288-291-294-295-296-297-298-301-302-303-304
306-308-311-312-314-316-317-319-320.

مكناس: 202.

مليانة: 14-66-70-71-180-181.

المنصورية: 23.

المهدية: 23-24-25.

ن

الناصرية: 26.

نجد: 30-31-32-33-34-37.

هـ

الهند: 233-320.

و

وادي منى: 227.

وهران: 90-91.

ي

يثرب: 244.

اليمامة: 33-34.

اليمن: 31-33-37-73-89-143-271-320.

خامسا: فهرس الجداول النسبية والبيانية

جدول إحصائي للوجود المغربي في الحجاز.....ص: **95**.

جدول إحصائي ونسبي للوجود الأندلسي في مناطق الحجاز.....ص: **95-96**.

جدول قائمة اسمية لبعض المجاورين المغاربة بالحرمين من خلال كتب التراجم.....ص: **96-97**.

جدول يمثّل إحصاء لحضور للمغاربة في العلوم النقلية حسب كلّ تخصّص.....ص: **254**.

جدول يمثّل إحصاء الحضور للمغاربة في العلوم الأخرى حسب كلّ تخصّص.....ص: **255**.

جدول إحصائي لمؤلّفات المغاربة في العلوم الشرعية.....ص: **281**.

جدول نسبي لمؤلّفات المغاربة في العلوم اللغوية والتصوّف والتاريخ.....ص: **281**.

جدول إحصائي لحضور المغاربة في الوظائف الدينية.....ص:**300**.

جدول نسبي لوظائف المغاربة في الجانب التربوي الاجتماعي بالحجاز.....ص: **320**.

جدول إحصائي لمهن المغاربة في بلاد الحجاز.....ص: **326**.

سادسا: فهرس القبائل والطوائف والحضارات

الإباضية: 25-76-89.

الأتراك: 35.

الأدارسة: 23-75.

الأزد: 20.

الأشراف: 35.

الأغالبة: 22-24.

الإغريقية: 22.

الأمويون: 37.

الأوس: 20.

تميم: 20.

تنوخ: 20.

بنو جرير: 20.

الحنبلية: 106-153.

الحنفية: 280.

الخوارج: 37.

الروم: 46.

الزيانيون: 28.

الزيدية: 101-106-279.

السلاجقة: 52.

الشافعية: 106-110-280.

شوران: 30.

الشيعة: 25-37-284.

العباسيون: 37.

الفارسية: 22.

الفاطميون: 24-38-45-47.

الفرس: 46- 72.

قيس: 20.

كنانة: 20-120.

كندة: 20.

ليلى: 30.

المالكية: 25-106-110-125-128-130-139-140-141-142-148-160-167-175-280.

المداريون: 23.

المرابطون: 30-43.

المرجئة: 37.

المعتزلة: 37.

المماليك: 117-118.

الموحدون: 30.

واقم: 30.

بنو هلال: 29

اليونان: 72.

يَعْمُر: 120.

سابعا: فهرس المدارس والأربطة ودور العلم

دار أبي أيوب الأنصاري: 309.

دار الحديث الكمالية: 166.

دار الشيرابي: 247.

دار الندوة: 227.

رباط الجزري: 90.

رباط الحافظ بن مندة: 44.

رباط الساحة: 314.

رباط السدرة: 46-88-90-302.

رباط حسن بن عجلان: 44-301.

رباط العباس: 300-301.

رباط المغاربة: 88-228-249-297-298-299.

رباط الموفق سيدنا عثمان: 54-297-298-299.

رباط دكالة: 249-300-310-317.

رباط ربيع: 73-75-88-299-300-301-307.

رباط سيدنا عثمان: 52-295.

رباط كاتب السر (الخاصكية): 301.

رباط كلالة: 249-301-300.

مدرسة ابن الحداد المهدوي(مدرسة الأدارسة): 307.

المدرسة الأشرفية: 153.

المدرسة الشهابية: 52-118-122-124-159-162-209-237-308-309-310-314-315.

المدرسة الشيرازية: 308-309.

المدرسة الظاهرية: 80.

المدرسة الغياثية البنجالية: 153-175-306.

المدرسة المجاهدية: 153.

المدرسة المظفرية: 139-166-307.

المدرسة المنصورية: 167-306.

المدرسة النظامية: 45-54.

مدرسة دار زبيدة (طاب الزمان الحبشية): 307.

مكتبة تقي الدين الفاسي: 312.

مكتبة رباط المغاربة: 312.

مكتبة الميورقي: 311.

المصادر والمراجع

أولا: المصـادر:

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

1) ابن الأبّار أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت:658هـ/ 1260م)، **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق: د. عبد السلام الهرّاس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط: 1415هـ/1995م.

2) ابن الأثير عز الدين أبي الحسن الجزري الموصلي (ت:630هـ/1233م)، **اللباب في تهذيب الأنساب**، مكتبة القدسي، القاهرة، مصر، ط: 1369هـ.

3) الأزرقي أبو الوليد محمد بن عبد الله (ت: 250هـ/864م)، **أخبار مكّة وما جاء فيها من الآثار**، تحقيق: رُشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 03، 1403هـ/1983م.

4) الأصفهاني الحسن بن عبد الله، **بلاد العرب**، تح، حمد الجاسر وصالح العلي، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض/ المملكة العربية السعودية، د ت ط.

5) بامخرمة أبو محمد الطيب عبد الله بن عبد الله بن أحمد مخرمة (ت:947هـ/1540م)، **قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر**، عناية، بوجمعة مكري، وخالد زواري، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدّة/ السعودية، ط: 01، 1428هـ/2008م.

6) البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (ت:256هـ/870م)، **صحيح البخاري**، دار ابن كثير، دمشق/بيروت، ط: 01، 1423هـ/2002م.

7) ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت: 578هـ/1183م)، **كتاب الصلة**، تح، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط، 01، 1410هـ، 1989م،

8) ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد اللواتي الطنجي (ت: 779هـ/1377م)، **رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، دار الشرق العربي، بيروت، د.ت.ط.

9) البغدادي أبو الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء الحنبلي (ت:526هـ/1131م)، **طبقات الحنابلة**، تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان /الرياض، ط: 01، 1425هـ/2005م.

10) البغدادي الخطيب أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: 463 هـ/1071م)، **الرّحلة في طلب العلم**، تحقيق: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية. بيروت/لبنان، ط: 01، 1395هـ/1975م.

11) البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت: 487هـ/1094م) **المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب**، وهو جزء من المسالك والممالك، مكتبة المثنى/بغداد، (د.ت.ط).

12) ـــــــــــــ ، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق: مصطفى السقا، عالم الكتب، بيروت، ط: 03، 1403هـ .

13) البلوي أبو البقاء خالد بن عيسى بن أحمد (ت: بعد 767هـ/1365م)، **تاج المفرق في تحلية علماء المشرق المسماة رحلة البلوي**، تحقيق: الحسن السائح، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، د.ت.ط.

14) التجيبي القاسم بن يوسف بن محمد بن علي (ت: 730هـ/1329م)، **برنامج التجيبي**، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا/تونس ط: 1981.

15) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي (ت: 279هـ/892م)، **سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمود شاكر.

16) ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت: 744هـ/1343م)، **الدليل الشافي على المنهل الصافي**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مكتبة الخانجي/ جامعة أم القري ط: 1983.

17) ـــــــــــــــ، **المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي**، تحقيق: د. محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، ط: 1984.

18) التنبكتي أحمد بابا بن أحمد بن الفقيه الحاج أحمد بن عمر بن محمد (ت: 1036هـ/1627م)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، اعتنى به عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات دار الكاتب، طرابلس/ليبيا، ط: 02، 2000م.

19) ـــــــــــــــ، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تحقيق: محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الملكة المغربية، ط: 1421هـ/2000م.

20) التهانوي محمد علي بن شيخ علي بن محمد حامد الفاروقي (ت:بعد 1158هـ/ بعد 1745م) ، **موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق د، علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط: 01، 1996.

21) ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني (ت: 614هـ/1217م)، **مستفاد الرّحلة والاغتراب**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط: 1987.

22) ابن الجزري أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي الشافعي (ت: 833هـ/1423م)، **غاية النهاية في طبقات القرآء**، تحقيق: ج.برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 01، 2006م.

23) الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد (ت:393هـ/1002م)، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، د.ت.ط.

24) ابن حجر أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني الشافعي (ت: 852هـ/1449م)، **إنباء الغُمر بأبناء العُمر**، تحقيق: د. حسن حبشي، دار التعاون للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 1419هـ/1998م

25) ـــــــــــــــ، **الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت/لبنان، د. ت.ط.

26) ـــــــــــــــ، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تحقيق: عبد العزيز بن باز، محمد فؤاد عبد الباقي، محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية ومكتبتها/القاهرة، ط: 01، 1379هـ.

27) ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت: 456هـ/1063م)، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق: ليفي بروفنسال، دار المعارف بمصر، ط: 1368هـ/1948م.

28) الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحَمَوي(ت:626هـ/1229م)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت /لبنان، ط: 1977م.

29) ابن حُميد الحنبلي محمد بن عبد الله بن حُميد النجدي الحنبلي، (ت: 1295هـ/1878م)، **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**، مكتبة الإمام أحمد، د.ت.ط.

30) الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى (ت: 900هـ/1495م)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان/بيروت، ط: 1974م.

31) ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي النصيبي (ت: بعد 367هـ/988م)، **كتاب صورة الأرض**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت/لبنان، ط: 1992م.

32) ابن الخطيب لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني (ت: 776 هـ/1374م)، **كناسة الدّكان بعد انتقال السكان**، تحقيق: د. محمد كمال شبانة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر/مصر، د.س.ط.

33) ـــــــــــــــ، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عِنَان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط، 01، 1394هـ/1974م.

34) ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد ابن خَلدون الحضرمي الإشبيلي (ت، 808هـ/1406م)، **المقدمة**، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب/ دمشق، ط: 01، 1425هـ/ 2004م.

35) ـــــــــــــــ، **التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا**، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط: 1979.

36) ـــــــــــــــ، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط الأستاذ، خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت/لبنان، ط: 1421هـ/2001م.

37) ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن أبي بكر (ت: 681هـ/1282م)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط: 1398هـ/1978م.

38) أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي (ت: 275هـ/889م)، **سنن أبو داود**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت/لبنان، د.ت.ط.

39) ابن الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله الأنصاري الأسيدي (ت: 696هـ/1296م)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، علّق عليه، أبو القاسم التنوخي، دار الكتب العلمية، ط: 01، 2005.

40) الدمشقي ابن ناصر الدين (ت: 842هـ/1438م)، **مجلس في حديث جابر الذي رحل فيه مسيرة شهر إلى عبد الله بن أُنَيس**، تحقيق: مشعل بن باني الجبرين المطيري، دار الريّان للطباعة والتوزيع، بيروت، ط: 01، 1415هـ/ 1995.

41) ابن أبي دينار أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني (ت: 1110هـ/1698م)، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**، تحقيق: محمد شمام، المكتبة العتيقة/تونس، ط: 03 (د.ت).

42) الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت:748هـ/1348م)، **الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة**، تحقيق: محمد عوامة، أحمد محمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علوم القرآن/جدة، ط: 1413 / 1992.

43) ـــــــــــــ، **سير أعلام النبلاء**، دار الحديث، القاهرة، ط: 1427هـ/2006م.

44) ـــــــــــــ، **تذكرة الحفاظ**، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، د.ت.ط.

45) ـــــــــــــ، **طبقات القراء**، تحقيق: د. أحمد خان، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط: 01، 1418هـ/1997م.

46) ـــــــــــــ، **معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار**، تحقيق: بشار عواد معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت/لبنان، ط: 02 ،1408هـ/1988.

47) ـــــــــــــ، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط، 01، 1424هـ، 2003م،

48) ابن رافع تقي الدين محمد بن هجرس السلامي (ت: 774هـ/1372م)، **الوفيات**، تحقيق: صالح مهدي عباس، معروف، بشار عواد، مؤسسة الرسالة/بيروت، ط: 01، 1402هـ/1982م.

49) ابن رشيد محب الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد الفِهري السِّبتي (ت: 721هـ/1321م)، **ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكّة وطيبة**، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت/لبنان، ط: 1988.

50) الزبيدي محمد بن محمد بن عبد الرزاق المرتضى (ت: 1205هـ/1790م)، **تاج العروس (من جواهر القاموس)**، تحقيق: مصطفى حجازي، مج، 37، دار التراث العربي، الكويت، ط: 01، 1422هـ/2001م.

51) ابن أبي زرع أبو الحسن علي بن عبد الله (ت:726هـ/1326م)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والنشر، الرباط، طبعة، 1972م.

52) السخاوي شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت:902هـ/1496م)، **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ**، ترجمة، صالح أحمد العلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 01، 1407هـ/1986م.

53) ـــــــــــــ، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، دار الجيل، بيروت، ط: 01، 1412هـ/1992م.

54) ـــــــــــــ، **التبر المسبوك في ذيل السلوك**، تحقيق: د. لبيبة إبراهيم مصطفى، نجوى مصطفى كامل، مط: دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ط، 1426هـ/2005م.

55) ـــــــــــــ، **التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة**، أسعد طرابزوني الحسيني، ط: 1399هـ/1979م.

56) ـــــــــــــ، **وجيز الكلام في الذيل على كتب الأعلام**، تحقيق: د. بشار عواد معروف، عصام فارس الحرسُتاني، د. أحمد الخطيمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ت.ط.

57) ابن سعد محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري البغدادي (ت: 230هـ/845م)، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: 01، 1421هـ/2001م.

58) السلفي أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني (ت: 576هـ/1180م) **كتاب الوجيز في ذكر المجاز والمجيز**، تحقيق: عبد الغفور البلوشي، مكتبة دار الإيمان، المدينة المنورة، ط: 01، 1414هـ/1994م.

59) ـــــــــــــــ، **معجم السفر**، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، دار الفكر للباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط، 1993م/1414هـ.

60) السمعاني أبو سعد عبد الكريم بن أبو بكر محمد بن أبي المظفر منصور بن عبد الله التميمي (ت: 562هـ/1166م)، **الأنساب**، تعليق، عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة 01، 1397هـ/1977م.

61) ـــــــــــــــ، **التحبير في المعجم الكبير**، تحقيق: منيرة ناجي سالم، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، ط: 01، 1395هـ/1975م.

62) ـــــــــــــــ، **المنتخب من معجم شيوخ السمعاني**، تحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، دار عالم الكتب، الرياض، ط: 01، 1417هـ/1996م.

63) السمهودي نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن أحمد بن علي الحسني (ت: 911هـ/1505م)، **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، تحقيق: محمد محي الدين عبد المجيد، دار التراث العربي، بيروت، ط: 04، 1404هـ/ 1984م.

64) السهروردي أبو حفص عمر السهروردي (ت: 632هـ/1234م)، **عوارف المعارف**، تحقيق: أحمد عبد الرحيم السايح وتوفيق علي وهبة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط: 01، 1427هـ/2006م.

65) السيوطي عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي (ت: 911هـ/1505م)، **بغية الوعّاة في طبقات اللغويين والنحاة**، تحقيق: محمد إبراهيم أبو الفضل، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: 01، 1384هـ/1965م.

66) ـــــــــــــــ، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: 01، 1387هـ، 1976م.

67) ـــــــــــــــ، **طبقات الحفاظ**، مراجعة وضبط، لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط: 01، 1403هـ/1983م.

68) ـــــــــــــــ، **لب اللباب في تحرير الأنساب**، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، وأشرف أحمد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان.

69) ـــــــــــــــ، **نظم العقيان في أعيان الأعيان**، تحقيق: فيليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت، ط: 1927م.

70) الشافعي أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن عبد ربه (ت: 354هـ/965م)، **كتاب الفوائد "الشهير بالغيلانيات"**، تحقيق: حلمي كامل عبد الهادي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط: 01، 1998م.

71) الشافعي عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت: 1111هـ/1699م)، **سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط: 01، 1419هـ/1998م.

72) أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي الشافعي (ت: 665هـ/1266م)، **تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين**، تعليق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط: 01، 1422هـ/2002م.

73) الشهرستاني أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت: 548هـ/1153م)، **الملل والنحل**، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 1387هـ/1968م.

74) الشوكاني أبو عبد الله محمَّد بن عليّ بن محمَّد (ت: 1255هـ/1839م)، **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.ط.

75) ـــــــــــــ، **نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار**، تحقيق: محمد صبحي حلاق، دار ابن الجوزي / السعودية، ط: 01، 1427هـ.

76) ابن الصابوني محمد بن علي بن محمود، أبو حامد، جمال الدين المحمودي (ت: 680هـ/1281م)، **تكملة إكمال الإكمال في الأنساب والأسماء والألقاب**، تحقيق: مصطفى جواد، المجمّع العلمي العراقي/ العراق، ط: 1377هـ/1957م.

77) ابن الصباغ علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله نور الدين الأسفاقسي (ت:850هـ/1446م) **الفصول المهمة في معرفة الأئمة**، تحقيق: سامي الغريري، دار الحديث للنشر والتوزيع، ط: 01، 1422.

78) الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك (ت: 764هـ/1362م)، **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت /لبنان، ط: 01، 1420هـ /2000م.

79) ـــــــــــــ، **أعيان العصر وأعوان النصر**، تحقيق: د. علي أبو زيد، د. نبيل أبو عمشة، د. محمد موعد، د. محمود سالم محمد، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط: 01، 1418هـ/1998م.

80) الضبي أبو جعفر أحمد بن حيان بن أحمد بن عميرة (ت:599هـ/1202م)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، تح، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة؛ دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط: 01، 1410هـ/1989م.

81) العبدري أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد الحاحي (ت: 725هـ/1324م)، **الرحلة المغربية**، تحقيق: أحمد بن جدو، مطبعة البعث، قسنطينة/الجزائر، (د.ت.ط).

82) ابن عبد الهادي أبو عبد الله محمد بن أحمد الدمشقي الصالحي(ت:744هـ/1343م)، **طبقات علماء الحديث**، تحقيق: أكرم البوشي، إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت/لبنان، ط: 02، 1417هـ/ 1996م.

83) ابن عذاري أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري المراكشي (ت:712هـ/1312م)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق: كولان. س / ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، د.ت.ط.

84) ــــــــــــــ، **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تحقيق: بشار عواد معروف، ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي /تونس، ط: 01، 1434هـ، 2013م.

85) ابن العراقي ولي الدين أبو زرعة أحمد بن عبد الرحيم (ت: 826هـ/1422م)، **الذيل على العِبر في خبر من عَبر**، تحقيق: صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ط: 01، 1409هـ/1989م.

86) ــــــــــــــ، **تحرير الفتاوى على التنبيه والمنهاج والحاوي المسمى النكت على المختصرات الثلاث**، تحقيق: عبد الرحمن فهمي محمد الزواوي، دار المنهاج، بيروت/لبنان، ط: 01، 1432هـ/2011م.

87) أبو عصيدة أحمد البجائي(ت:865هـ/1460م)، **رسالة الغريب إلى الحبيب**، تعليق وتحقيق، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط، 01، 1993م

88) ابن العطار محمد بن أحمد الأموي (ت: 399هـ/1008م)، **كتاب الوثائق والسجلات**، تحقيق: ب.شالميتا، ف. كورينطي، مجمع الموثقين المجريطي/المعهد الإسباني العربي للثقافة، مدريد، ط: 1983م.

89) ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي (ت: 571هـ/1175م)، **معجم الشيوخ**، تحقيق: د. وفاء تقي الدين، دار البشائر للطباعة والنشر، دمشق/ سوريا، ط: 01، 1421هـ/2000م.

90) ابن العماد عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي (ت: 1089هـ/1679م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: محمد الأرناؤوط، دار ابن كثير، بيروت/لبنان، ط: 01، 1413هـ/1993م.

91) الغزي محمد بن محمد نجم الدين (ت: 1061هـ/1650م)، **الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة**، وضع الحواشي، خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط: 01، 1418هـ/1997م.

92) الفاسي تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي (ت: 832هـ/1428م)، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق محمد حامد الفقي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 02، 1406هـ/1986م.

93) ــــــــــــــ، **شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام**، تح: د. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط، 01، 2007،

94) ــــــــــــــ، **ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد**، تحقيق: محمد صالح بن عبد العزيز المراد، مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، مكة المكرّمة، ط: 01، ص، 1418هـ/1997م.

95) ــــــــــــــ، **الزهور المقتطفة من تاريخ مكة المشرّفة**، تح، علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط، 01، 1422هـ، 2001م.

96) ابن فرحون برهان الدين إبراهيم بن علي المالكي (ت:799هـ/1396م)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ط: 1972م.

97) ـــــــــــــــ، **كشف النقاب الحاجب من مصطلح ابن الحاجب**، تحقيق: حمزة أبو فارس، وعبد السلام الشريف، دار الغرب الإسلامي/بيروت، ط: 01، 1990م.

98) ـــــــــــــــ، **تبصرة الحُكّام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام**، تخريج وتعليق: جمال مرعشلي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض، طبعة: 1423هـ/2003م.

99) ابن فرحون أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحون المالكي (769هـ/1367م)، **تاريخ المدينة المنورة المسمّى نصيحة المشاور وتعزية المجاور**، تعليق، حسين محمد علي شكري، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر التوزيع بيروت /لبنان، د.ت.ط.

100) ابن فرحون أبو اليمن محمد بن برهان الدين بن فرحون (ت:814هـ/1411م)، **المسائل الملقوطة من الكتب المبسوطة**، تح، جلال الدين علي القذافي الجهاني، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط، 01، 1424هـ/2003م.

101) ابن الفرضي عبد الله بن محمد الأزدي (ت:403هـ/1012م)، **تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط: 01، 1419هـ/1998م.

102) ابن فهد تقي الدين أبو الفضل ابن فهد محمد بن محمد المكي الشافعي (ت: 871هـ/1466م) **لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ**، مطبعة التوفيق، دمشق/سوريا، ط: 1347هـ.

103) ابن فهد نجم الدين عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير محمد القرشي(885هـ/1480م)، **إتحاف الورى بأخبار أم القرى**، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، مطابع جامعة أم القرى، مكة المكرّمة، العربية السعودية، ط: 01، 1404هـ/1983م.

104) ـــــــــــــــ، **معجم الشيوخ**، تحقيق: محمد الزاهي، منشورات دار اليمامة والنشر للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط:01، 1402هـ/1982م.

105) ـــــــــــــــ، **الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين**، تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 01، 1421هـ/2000م.

106) الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي (ت: 817هـ/1414م)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث بإشراف محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 08، 1426هـ/2005م.

107) ـــــــــــــــ، **المغانم المطابة في معالم طابة**، تحقيق: حمد الجاسر، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ط: 01، 1389هـ/1969م.

108) ابن القاضي أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت: 1025هـ/1616م)، **ذيل وفيات الأعيان المسمّى درّة الحجال في أسماء الرجال**، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، مكتبة دار التراث، القاهرة، والمكتبة العتيقة، تونس، د.ت.ط.

109) ـــــــــــــــ، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ط: 1973م.

110) القالي أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (ت: 356هـ/966م)، **الأمالي**، تحقيق: صلاح بن فتحي هلل وبن عباس الجليمي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط: "2002.

111) القرافي بدر الدين محمد بن يحي (ت:1008هـ/1599م)، **توشيح الديباج وحلية الابتهاج**، تحقيق: د. علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط، 01، 1425هـ/2004.

112) القلقشندي أبو العباس أحمد(ت: 821هـ/1418م)، **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: 1340هـ/1922م.

113) ـــــــــــــــ، **نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، تحقيق: علي الخاقاني، مطبعة النجاح، بغداد، ط، 1378هـ/1958م،

114) القنوجي صديق بن حسن (ت:1307هـ/1889م)، **أبجد العلوم المسمى "السحاب المركوم في بيان أنواع الفنون وأقسام العلوم**، تحقيق: عبد الجبار الزكار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 1978م.

115) ـــــــــــــــ، **أبجد العلوم المسمى "السحاب المرقوم الممطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم**، تحقيق: عبد الجبار اكار، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ط:02، 1978م.

116) كاتب مراكشي مجهول (ق 06هـ)، **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، المغرب، ط: 1985م.

117) المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد (ت: 453هـ/1061م)، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط: 01، 1951.

118) مخلوف محمد بن محمد بن عمر قاسم (ت:1360هـ/1941م)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط: 01، 1424هـ/2003م.

119) المراغي أبو بكر بن عمر (ت: 816هـ/1413م)، **تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة**، تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة، السعودية، ط: 01، 1374هـ/1955م.

120) المراكشي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك بن الأنصاري الأوسي (ت:703هـ/1303م)، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق: د. إحسان عباس، وآخرون، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط: 01: 2012م.

121) ـــــــــــــــ، **السفر الخامس من كتاب الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط: 1965م/1442هـ.

122) ابن مرزوق أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني(ت:781هـ/1379م)، **المناقب المرزوقية**، تحقيق: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ط: 01، 1429هـ/2008م.

123) ـــــــــــــــ، **المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق: د. ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط: 1981م.

124) المسعودي أبو الحسن على بن الحسين بن علي (ت: 346هـ/957م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، اعتنى به، كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط: 01، 1425هـ/2005م.

125) مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج القُشيري النيسابوري (ت: 261هـ/874م)، **صحيح مسلم المسمّى المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، تحقيق: نظر بن محمد الفاريابي أبو قتيبة، دار طيبة، ط: 01، 1427هـ /2006م.

126) ـــــــــــــــ، **صحيح مسلم**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت/لبنان، د.ت.ط.

127) المطري الجمال محمد بن أحمد (ت: 741هـ/1340م)، **التعريف بما آنست الهجرة من معالم دار الهجرة**، تحقيق: محمد بن عبد المحسن الخيال، مطبعة فؤاد الصيداوي، دمشق، د ت ط.

128) المقدسي شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البنّاء (ت: 380هـ/990م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط: ليدن، ط: 1906م.

129) المقري أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت: 1041هـ/1631م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت/لبنان، ط: 1388هـ/1968م.

130) المقريزي أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد العبيدي (ت: 845هـ/1442م)، **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تحقيق: جمال الدين الشيال، محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط: 1416هـ، 1996م.

131) ـــــــــــــــ، **المقفي الكبير**، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 02، 1427هـ، 2006م.

132) ـــــــــــــــ، **درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة**، تحقيق: محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي، ط: 01، 1423هـ/2002م،

133) ـــــــــــــــ، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية**، تحقيق: د. محمد زينهم، مديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط: 01، 1997.

134) المنذري زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت: 656هـ/1258م)، **التكملة لوفيات النقلة**، تحقيق: بشّار عواد منذر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 03، 1405هـ، 1984م.

135) الميورقي أحمد بن علي بن أبي بكر بن عيسى العبدري الميورقي المالكي (ت: 678هـ/1279م) **بَهجَة المهج في بعض فضائل الطائف ووج**، تحقيق: د. إبراهيم محمد الزيد، مطبوعات نادي الطائف الأدبي، الطائف بالسعودية، ط: 01، 1404هـ/1984م.

136) الناصري أحمد بن خالد (ت: 1315هـ/1897م)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء/المغرب، ط: 1418هـ/1997م.

137) ابن نقطة أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي الحنبلي (ت: 629هـ/1231م)، **تكملة الإكمال**، تحقيق: د. عبد القيوم عبد رب النبي، جامعة أم القرى، مكّة المكرّمة، ط: 01، 1408هـ/1987م.

138) النووي محي الدين يحي بن مري بن حسن الحزامي الحوراني (ت: 676هـ/1277م)، **رياض الصالحين من حديث سيد المرسلين**، تحقيق: علي بن حسن الحلبي الأثري، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع /السعودية، ط: 01، 1421هـ.

139) النويري أحمد عبد الوهاب (ت: 732 هـ/1332م)، **تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط (افريقية والمغرب الأندلس صقلية وأقريطش) من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: مصطفى أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء/المغرب، ط: 1985م.

140) الهمداني الحسن بن أحمد بن يعقوب، **صفة جزيرة العرب**، تحقق: محمد بن علي الأكوع الحولي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط، 01، 1410هـ/1990م.

141) اليافعي أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي (ت: 768هـ/1366م)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، تحقيق: خليل منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 01، 1417هـ/1997م.

142) اليونيني قطب الدين أبي الفتح موسى بن محمد بن أحمد بن قطب الدين (ت: 726هـ/1326م)، **ذيل مرآة الزمان**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن/ الهند، ط: 01، 1374هـ/1954م.

ثانيا: المـراجع:

143) أغرابي نجيبة، **القاضي برهان الدين ابن فرحون، وجهوده في الفقه المالكي**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية/ المملكة المغربية، ط: 1421هـ/2000م.

144) الألباني محمد ناصر الدين، **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، المكتب الإسلامي/بيروت، ط: 03، 1408هـ، 1988م.

145) الأنصاري عبد القدوس، **آثار المدينة المنورة**، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، ط: 03، 1393هـ/1973م.

146) الأنصاري ناجي محمد حسن، **التعليم بالمدينة المنورة من العام الهجري الأول إلى 1412هـ "622-1996م"**، دار المنار، القاهرة، ط: 01، 1414هـ/1993م.

147) الأنصاري ناجي محمد، **التعليم في المدينة المنورة من العام الهجري الأول إلى 1412هـ**، دراسة تاريخية وصفية تحليلية، دار المنار /القاهرة، ط: 01، 1993م.

148) أنيس إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، دار المعارف المصرية /القاهرة، ط: 02، 1972.

149) بحاز إبراهيم، **الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م"دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الثقافية"**، جمعية التراث، القرارة/الجزائر، ط: 02، 1414هـ/1993م.

150) بحاز إبراهيم وآخرون، **معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر**، قسم المغرب الإسلامي، دار الفكر الإسلامي، بيروت، ط: 01، 1420هـ/ 1999م.

151) بروفنسال ليفي، **حضارة العرب في الأندلس**، ترجمة دوفان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت/لبنان.

152) البستاني بطرس، **محيط المحيط (قاموس مطول للغة العربية)**، مكتبة لبنان، بيروت/لبنان، ط: 1987.

153) ترغي عبد الله المرابط، **فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، جامعة عبد الملك السعدي/المغرب، ط: 01، 1420هـ/1999م.

154) التليسي بشير رمضان، **الاتجاهات الثقافية في بلاد الغرب الإسلامي خلال القرن الرابع الهجري _العاشر الميلادي**، دار المدار الإسلامي، بيروت/ لبنان، ط: 01، 2003م.

155) الجهني مانع بن حماد، **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 04، 1420هـ.

156) حدادي أحمد، **رحلة ابن رشيد السبتي**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية /المملكة المغربية، ط: 1424هـ/2003م.

157) الحفناوي أبو القاسم محمد بن أبو القاسم الديسي (ت: 1361هـ/1941م)، **تعريف الخلف برجال السلف**، مج، 01، مطبعة بيير فونتانة الشرقية / الجزائر، ط: 1906م.

158) حمادي عبد الله، **أصوات من الأدب الجزائري الحديث**، دار البعث. قسنطينة، د.تا.ط.

159) حوالة يوسف أحمد، **الحياة العلمية في أفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس الهجري، 90هـ /450هـ**، منشورات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط: 01، 2000م.

160) الخاقاني علي، **مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة**، عالم الكتب، بيروت، الطبعة، 01، 1986/1407م.

161) خلاف عبد الوهاب، **علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع الإسلامي**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط: 1996م.

162) خلف الله إبتسام مرعى، **العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، 524-936هـ/1130-1529م**، دار المعارف، ط: 1985م.

163) خليفة حاجي، **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، تصحيح وترتيب وتعليق، محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت/لبنان، د.ت.ط.

164) داوودي شمس الدين محمد، **طبقات المفسّرين**، راجعه، لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية/ بيروت، ط: 01، 1403هـ/1983م.

165) درنيقة محمد أحمد، **أعلام شعراء المدح النبوي**، دار ومكتبة الهلال /بيروت، ط: 2003م.

166) الزركلي خير الدين، الأعلام، **قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، ط: 15، أيّار، مايو 2002.

167) زيتون محمد محمد، **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية**، دار المنار، القاهرة، ط: 01، 1408هـ، 1988م.

168) زيد بكر بن عبد الله، **خصائص جزيرة العرب**، مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد /السعودية – ط: 1420هـ.

169) الزيلعي أحمد عمر، **مكّة وعلاقاتها الخارجية 301-487هـ**، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لبنان، ط: 01، 1401هـ/1981م.

170) سالم السيد عبد العزيز، **تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس من الفتح العربي وحتى سقوط الخلافة بقرطبة**، دار النهضة العربية، بيروت/لبنان ط: 1981م.

171) سرور محمد جمال الدين، **النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط: 1993م.

172) سليم محمد إبراهيم، **ديوان الإمام الشافعي**، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير القاهرة/مصر، د.تا.ط.

173) شافعي حسين عبد العزيز، **الأربطة في مكة المكرمة منذ البدايات حتى نهاية العصر المملوكي**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، السعودية، ط:1426هـ /2005م.

174) الشاهدي الحسن، **أدب الرّحلة بالمغرب في العصر المريني**، منشورات عكاظ، الرباط/ المغرب، ط: 1990م.

175) شبانة محمد كمال، **الدويلات الإسلامية بالمغرب**، دار العالم العربي، القاهرة، ط: 01، 1429هـ/2008م.

176) شرقاوي عوض، **التاريخ السياسي والحضاري بجبل نفوسة**، مؤسسة تاوالت الثقافية، ط: 2011م.

177) الشريف، محمد موسى **المختار من الرحلات الحجازية إلى مكّة والمدينة**، دار الأندلس الخضراء، المملكة العربية السعودية، ط: 01، 1421هـ/ 2000م.

178) شلبي أحمد، **التربية الإسلامية نظمها، فلسفتها، تاريخها**، جامعة القاهرة /القاهرة، ط: 06، 1978م.

179) شوابكة نوال عبد الرحمن، **أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري**، دار المأمون للنشر والتوزيع/ الأردن، ط: 01، 1428هـ/2008م.

180) صالح عبد الله عبد الرحمن، **تاريخ التعليم في مكة المكرمة**، مؤسسة الرسالة، د ت ط.

181) الصلابي علي محمد، **صفحات من تاريخ ليبيا الإسلامي والشمال الإفريقي**، دار البيادق /عمان، الأردن، ط: 01، 1418هـ،1998م.

182) ـــــــــــــــ، **الفتح الإسلامي في الشمال الأفريقي**، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط:01، 1428هـ/2007م.

183) ضيف شوقي، **تاريخ الأدب العربي**، دار المعارف /القاهرة، ط: 02، د.ت.ط.

184) الطرهوني محمد بن رزق، **التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا**، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع /المملكة العربية السعودية، ط: 01، 1426هـ.

185) طمار محمد، **الروابط الثقافية بين الجزائر والخارج**، ديوان المطبوعات الجامعية، ط: 2007م.

186) عارف عبد الغني، **تاريخ أمراء مكّة المكرمة**، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع/ دمشق، ط: 1413هـ/1992م.

187) عاشور محمد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر /تونس، ط: 1984م.

188) العبادي أحمد مختار، **في التاريخ العباسي والأندلسي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت /لبنان، د.ت.ط.

189) عبد اللطيف محمد عمرو، **تكميل النفع بما لم يثبت به وقف ولا رفع**، مكتبة التوعية الإسلامية لإحياء التراث الإسلامي، جيزة/مصر، ط: 01، 1410هـ/1989م.

190) عبد الله عبد الرحمن، **تاريخ التعليم في مكة**، دار الفكر /بيروت، ط: 01، 1392هـ/1973م.

191) العبيكان طرفة عبد العزيز، **الحياة العلمية في مكة في القرنين السابع والثامن للهجرة**، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرّمة، ط: 1416هـ/1996م.

192) عتر نور الدين، **علوم القرآن الكريم**، مطبعة الصباح، دمشق، ط: 01، 1414هـ/1993م.

193) العجلاني يحي بن إبراهيم، **القنفذة نشأة وتاريخ**، د.د.ن، ط، 02، 1431هـ/2010م.

194) عزّون جمال، **وصية الحافظ الذهبي لمحمد بن رافع السّلامي**، مكتبة العمرين العلمية، الإمارات العربية المتحدة، ط: 01، 1430هـ/2000م.

195) علاّم عبد الله علي، **الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي**، دار المعارف/ القاهرة، د.ت.ط.

196) علي صالح أحمد، **الحجاز في صدر الإسلام – دراسات في أحواله العمرانية والإدارية**، مؤسسة الرسالة/بيروت، ط: 01، 1410هـ/1990م.

197) العوني حاتم: **المنهج المقترح لفهم المصطلح**، دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض، ط: 01، 1416هـ، 1996 م.

198) عيسى أحمد، **تاريخ البيمارستانات في الإسلام**، دار الرائد العربي، بيروت/لبنان، ط: 02، 1401هـ،1981م.

199) الفضلي عبد الهادي، **فهرست الكتب النحوية المطبوعة**، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط، 01، 1407هـ/1986م،

200) قنديل فؤاد، **أدب الرّحلة في التراث العربي**، مكتبة الدار العربية للكتاب/القاهرة، ط: 02، 2002م.

201) الكتاني عبد الحي، **فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والشيخات والمسلسلات**، اعتنى به، د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي/بيروت، ط: 02، 1402هـ/1982م.

202) الكتاني محمد بن جعفر، **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، د.ت.ط.

203) كحالة عمر رضا، **أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1379هـ،1959م.

204) كراتشكوفسكي أغناطيوس، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، تر، صلاح الدين عثمان هاشم، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/القاهرة، ط: 1963م.

205) كنون عبد الله، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، دون دار نشر، ط: 02، 1380هـ/1960م.

206) مجموعة من الأساتذة، **موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين**، منشورات دار الحضارة للنشر، الجزائر، ط، 2016، ج:02، ص، 231.

207) مجموعة مؤلفين، **تاريخ قفصة وعلمائها**، دار المغرب العربي / تونس، ط: 1962م.

208) محفوظ محمد، **تراجم المؤلفين التونسيين**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط: 02، 1994م.

209) المديرس عبد الرحمن مديرس، **المدينة المنورة في العهد المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)** دراسة تاريخية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المدينة المنورة، ط:01، 1422هـ/2001م .

210) معروف ناجي، **أصالة الحضارة العربية**، مطبعة التضامن، بغداد، ط: 02، 1389هـ/1969م.

211) ناجي لمين، **رحلات علماء المغربين الأقصى والأوسط الملكية، وآثارها العلمية من خلال القرنين السابع والثامن الهجريين**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط: 01، 1437هـ/2016م.

212) ناجي محمد الأنصاري، **التعليم في المدينة المنورة من العام الهجري الأول إلى 1412هـ**، دراسة تاريخية وصفية تحليلية، دار المنار /القاهرة، ط: 01، 1993م.

213) نعيمي عبد القادر بن محمد، **الدارس في تاريخ المدارس**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: 01، 1441هـ/1990م.

214) نواب عواطف، **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرن السابع والثامن الهجريين**، دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية/ الرياض، ط: 1417هـ/1996م.

215) نويهض عادل، **معجم أعلام الجزائر**، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط: 02، 1400هـ/1980م.

216) هويدي يحي، **تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط: 1965م.

217) الهيلة محمد الحبيب، **التاريخ والمؤرخون بالمدينة المنورة من العصر الأموي إلى القرن الرابع عشر الهجري**، مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، السعودية، ط: 1436هـ.

218) ــــــــــــــ، **التاريخ والمؤرّخون بمكة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر "جمع وعرض وتعريف"**، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، مكة المكرمة، ط: 01، 1994م

219) وهبة حافظ، **جزيرة العرب في القرن العشرين**، دار الآفاق العربية، القاهرة /مصر، ط: 03، 1375هـ.

ثالثا: الرسائل والأطروحات الجامعية:

220) بادشاه حافظ محمد، **الحجاز في أدب الرّحلة العربي**، رسالة دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، إشراف د، كفايت الله همداني، كلية الدراسات والبحوث المتقدّمة المتكاملة، الجامعة الوطنية للغات الحديثة، إسلام آباد، باكستان، سنة، 2013م.

221) باقاسي عائشة عمر، **بلاد الحجاز في العصر الأيوبي "567-648هـ/1171-1250م**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف أد، حسين محمد ربيع، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك عبد العزيز بالسعودية، سنة،1399-1400هـ/ 1979-1980م.

222) باقاسي عائشة عمر، **مكة والمدينة من منتصف القرن الرابع حتى منتصف القرن السادس الهجري "دراسة تاريخية حضارية"**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف أ د، محمد الحبيب الهيلة، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة، 1413، 1414هـ.

223) بالأعرج عبد الرحمن، **علاقات دول المغرب الإسلامي بدول المماليك سياسيا وثقافيا بين القرنين 7-9هـ/13-15م**، رسالة دكتوراه في التاريخ، إشراف أد، مبخوت بودواية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، السنة، 2012، 2013م.

224) البدنه خلود عبد الباقي، **الأسر العلمية في مكة، وأثرها على الحياة العلمية والعملية خلال العصر المملوكي (648-923) هـ**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف أ د: ضيف الله بن يحي الزهراني، بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية/جامعة أم القرى، سنة،1425 هـ/2004م.

225) الجابري خالد محسن، **الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي 648هـ-923هـ/1250م-1517م**، (رسالة ماجستير في الحضارة والنظم الإسلامية بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى /السعودية) إشراف أد، مريزن سعيد عسيري، سنة 1414هـ/1993م، ج،01.

226) جدو بلقاسم، **تطور العلوم النقلية والعقلية في بلاد المغرب الإسلامي على عهد الدول المستقلة (140-296هـ/757-909م)**، مذكرة ماجستير في التاريخ والوسيط، إشراف أد، مسعود مزهودي، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية بجامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية، 1434-1435هـ/2013-2014م.

227) الدامغ فهد عبد العزيز، **تقي الدين الفاسي ومنهجه في التدوبن التاريخي**، رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، إشراف أد، أحمد غنيم أبو سعيد، قسم التاريخ والحضارة، كلية العلوم الاجتماعية بجامعة أم القرى / السعودية، سنة، 1412هـ.

228) الدهاس مشعل عايض، **الحجاز من خلال كتب الرحالة المشارقة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين**، دراسة تاريخية حضارية، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، إشراف أد، فواز بن علي الدهاس، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية بجامعة أم القرى /العربية السعودية، سنة، 1429هـ/2008م.

229) راجاح جميلة، **إسهامات علماء المغرب الوسيط في تنمية الدرس النحوي**، رسالة دكتوراه في اللغة، إشراف، أد. صالح بلعيد، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو/الجزائر، نوفمبر 2015م.

230) رمضاني فوزي، **إسهامات المالكية في الحياة العلمية في مصر والشام خلال العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)**، رسالة دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، إشراف، أد: بحاز إبراهيم، قسم التاريخ بجامعة الجزائر02 أبو القاسم سعد الله/الجزائر، السنة: 1437-1438هـ/2016-2017م.

231) زكري لامعة، **الرّحلة العلمية بين الأندلس والدولة المرينية ودورها في تمتين الصلات الثقافية خلال القرنين 7/9هـ، 13/15م**، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف، د.داوية مبخوت، قسم التاريخ بجامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان/الجزائر، السنة، 1431هـ/2010م.

232) سالمي عبد الحفيظ حمدي، **الحياة الدينية في مكة المكرّمة خلال العصر المملوكي 648،923هـ**، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، إشراف أد: ضيف الله بن يحي الزهراني،

كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة السعودية، سنة، 1424،1425هـ.

233) شباب عبد الكريم، **علماء المغرب الإسلامي في بلاد الشام "خلال القرون 5-8هـ"**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، إشراف، أد: مبخوت بودواية، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان سنة: 1435-1436هـ/ 2014 ،2015م.

234) عسيري مريزن سعيد مريزن، **الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي**، رسالة مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الحضارة والنظم الإسلامية، إشراف أد: حسام الدين السامرائي، قسم الدراسات العليا الحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى، السنة، 1404،1405هـ/ 1984 ،1985م

235) لونانسة لبنى، **النقد التطبيقي في الرحلات المغربية في القرنين السابع والثامن الهجريين**، مذكرة ماجستير في الأدب المغربي القديم، إشراف أد: محمد زرمان، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات بجامعة الحاج لخضر، باتنة، سنة، 1434، 1435هـ/2013، 2014م.

236) مالكي سليمان عبد الغني، **بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى بداية سقوط الخلافة العباسية في بغداد**، رسالة دكتوراه، إشراف أد: محمد أمين صالح، قسم التاريخ بكلية الآداب /جامعة القاهرة، سنة، 1401هـ/1981م.

237) معتوق صالح يوسف، **علم الحديث في مكة خلال العصر المملوكي (648هـ/923هـ)**، رسالة دكتوراه في فرع الكتاب والسنة، إشراف أد: أبو ضيف مجاهد حسن، كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1407هـ.

238) ياقوت عبد الله بن عثمان، **أدب الرّحلة الحجازية عند الأندلسيين من القرن السادس حتى سقوط غرناطة**، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، إشراف أد: محمود حسن زيني، قسم الدراسات العليا، فرع أدب، كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى /السعودية، 1422هـ/2001م.

رابعا: المجلات والدوريات:

239) أحمد علي بن علي حسين، **المدرسة الشهابية، وأثرها الحضاري في المدينة المنورة خلال العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م)**، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، مجلة علمية محكّمة تصدر عن مركز البحوث والدراسات التاريخية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، فبراير 2016م، جمادى أول 1437هـ.

240) ألحيان مولاي **الحسين**، **الجوار في الحرم المكي وأثره في نشر العلم والمعرفة (مجاورو المغرب الأقصى نموذجا)**، مجلة الواضحة (مجلّة علمية محكّمة تصدر عن دار الحديث الحسنية للدراسات الإسلامية العليا /الرباط)، العدد، 04، السنة، 1427هـ/2006م.

241) بدر عبد الباسط عبد الرزاق، **الحياة الثقافية في المدينة المنورة في العصر المملوكي**، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة، العدد، 05، السعودية، 31 أوت 2003م.

242) بلمهدي يوسف، **أحكام القيافة وتتبع الأثر**، مجلة معارف، العدد، 08، السنة 05، جوان 2010م.

243) بوتشيش **القادري**، **العلماء المجاورون بمكّة "نموذج للملتقيات العلمية بمكّة في العصر الوسيط"**، مجلة ثقافتنا (مجلة رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية للدراسات والبحوث. مركز الدراسات الثقافية الايرانية)، المجلد، 1433، العدد، 33، ديسمبر 1433 /مهر 1391.

244) التليدي محمد بن عبد الله: **المشارقة وعنايتهم بروايات المغاربة**، مجلة دعوة الحق، العدد: 295، رجب، شعبان 1413هـ/يناير، فبراير 1993م.

245) الجاسر حمد، **الحجاز في القرن السابع الهجري علي ما في رحلة ابن رشيد الأندلسي**، مجلة العرب السعودية (مجلة شهرية جامعة تصدر عن دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض/ السعودية)، الجزء الأول، السنة 04، رجب 1389هـ، تشرين الأول (أكتوبر) 1969م.

246) ـــــــــــــ، **قطر الطائف ومؤرخوه**، مقال بمجلة، العرب (مجلة تعنى بتاريخ العرب وجغرافية بلادهم وتراثهم الفكري، السعودية)، السنة 02، شعبان، 1387هـ.

247) الجحمة نواف عبد العزيز، **وصف المدينة المنورة في النصف الأول من القرن الثامن الهجري (14م) من خلال رحلة البلوي**، مجلة جامعة الشارقة (دورية علمية محكمة) المجلد، 13، العدد، 02، بتاريخ، ربيع الأول 1437هـ/ ديسمبر 2016م.

248) ابن الجزري محمد بن محمد (ت:833هـ/1429م)، **تحفة الإخوان في الخُلف بين الشاطبية والعنوان**، تح: خالد حسن أبو الجود، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد: 03، جمادى الآخرة، 1428هـ.

249) الجيدي عمر، **عن المذاهب الإسلامية في الأندلس**، مجلة المناهل (تصدرها وزارة الشؤون الثقافية بالرباط / المغرب)، العدد، 40، السنة 17، ربيع الأول 1413هـ/شتنبر 1992م.

250) حركات إبراهيم، **صورة من التواصل التاريخي بين دول الخليج العربي والدول المغاربية**، مجلة التاريخ العربي (مجلة علمية فصلية محكّمة تعنى بالتاريخ العربي والفكر الإسلامي تصدرها جمعية المؤرخين المغاربة)، العدد، 03. دون تاريخ.

251) الحضرمي أبوبكر محمد، **السلسل العذب والمنهل الأحلى**، تح، محمد الفاسي، مجلة معهد المخطوطات العربية (مجلة ثقافية تصدر عن معهد المخطوطات في جامعة الدول العربية بالقاهرة، محرم 1384هـ/مايو 1964م

252) بن شريفة محمد، **من تاريخ الأسر المصرية، أسرة بني عشرة، تطورها التاريخي ودورها الحضاري**، مجلة تطوان للأبحاث المغربية الأندلسية، منشورات الجامعة المغربية، كلية الآداب، معهد مولاي الحسن للأبحاث المغربية الأندلسية، العدد، 10، سنة 1965م.

253) صمايدي هشام، **عائلة القسطلاني من خلال كتب التراجم والطبقات، محاولة في الإحاطة بصنف من النخب العلمية المهاجرة إلى المشرق ومكانتها في المجتمع**، مجلة

هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية (مجلة فصلية علمية محكمة تعنى بالبحوث الأكاديمية)، المجلد، 01، العدد، 04، بتاريخ ديسمبر 2017م.

254) الطاسان محمد صالح، **القضاء في مكة في العهد المملوكي**، مجلة العصور، وهي مجلة علمية نصف سنوية تعنى بنشر البحوث التاريخية والآثارية والحضارية، دار المريخ، لندن مج، 06، ج، 02، يوليو 1991م، ذو الحجة، 1411هـ.

255) طالبي عمار، **الحياة العقلية في بجاية، الفلسفة والكلام والتصوف**، مجلة الأصالة، العدد، 19، الجزائر، صفر، ربيع الأول 1394هـ/مارس، أفريل 1974م.

256) عدوان أحمد محمد، **عادات وتقاليد الزواج في مكة المكرمة والمدينة المنورة زمن سلاطين المماليك 923،648هـ/ 1517،1250م**، مجلة الجمعية التاريخية السعودية (دورية علمية محكّمة تعنى بالدراسات التاريخية والحضارية) العدد، 05، السنة، 03، بتاريخ، ذو القعدة 1422هـ/يناير 2002م.

257) العلي صالح، **تحديد الحجاز عند المتقدمين**، مجلة العرب، الرياض، العدد الأول، السنة 03، 1388 هـ/1968م.

258) الغامدي عبد العزيز صالح، **دور الحج في التواصل الثقافي بين علماء الحرمين الشريفين والعلماء المغاربة**، مجلة التاريخ العربي، العدد، 63، السنة، 2013م.

259) قحطاني منيرة بنت مدعت، **تجار الكارم ودورها في تحقيق التواصل الحضاري بين مصر والعراق في عصر المماليك**، مجلة عصور (مجلة علمية محكمة) المجلد، 15، العدد، 30، 31، جويلية، ديسمبر 2016م.

260) ابن فهد، محمد بن عبد العزيز بن عمر، (ت. 954 هـ)، **تحفة الناس بخبر رباط سيدنا العباس**، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، أحمد شقيرات، مجلة الحكمة (مجلة علمية شرعية محكمة نصف سنوية تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق المخطوطات بالمدينة المنورة، السعودية) العدد، 06، بتاريخ، صفر 1416هـ/ جويلية 1995م.

261) كرم حلمي فرحات أحمد، **الجوانب السياسية والحضارية لبلاد الحجاز كما تصوّرها رحلة ابن بطوطة في القرن الثامن الهجري**، مجلة المؤرخ العربي (يصدرها اتحاد المؤرّخين العرب بالقاهرة)، المجلد 18، العدد 18، 2010،

262) مجالي سحر عبد المجيد، **القيروان ودورها العسكري والعلمي**، مجلة دراسات، العلوم الانسانية والاجتماعية، كلية الأميرة عالية جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن، المجلد،40، العدد، 02 سنة، 2013.

263) مدّاح نور الدين، **أبو الفضل محمد بن محمد المشدالي "العلامة الموسوعي الرّحالة"**، مجلة الشهاب (مجلة دورية تصدر عن جامعة الوادي، الجزائر)، عدد، 07، رمضان 1438هـ، جوان، 2017م.

264) بن معمّر محمد، **رحلات الحج من المغرب الأوسط إلى مكة المكرّمة**، مجلة الحضارة الإسلامية (مجلة علمية دولية محكّمة تصدر عن كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية/جامعة أحمد بن بلّة، وهران)، المجلّد، 18، العدد الأول، ربيع الثاني 1439هـ، ديسمبر 2017م.

265) مكاتي توهامي، **علماء المغرب الأوسط المجاورين لمكّة والمدينة، وإسهاماتهم في علوم القرآن وعلم الحديث**، مجلة متون (كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية / جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة)، مج، 10، العدد، الثاني بتاريخ، 01 ديسمبر 2018م.

266) المنوني محمد بن عبد الهادي، **دور أعلام من دكالة في ربط الصلات الثقافية بين المغرب وجهات من العالم الإسلامي**، مجلة دعوة الحق المغربية، العدد 251 ذي الحجة 1405- غشت 1985.

خامسا: المقالات

267) بلعيد محمد منصور، **أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب الإسلامي**، الأعمال الكاملة لمؤتمر الإمام مالك، الجامعة الأسمرية الإسلامية، ليبيا.

268) السباعي أحمد، **تاريخ مكة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران**، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، الرياض، ط: 1419هـ، 1999م.

269) السنيدي عبد العزيز، **المجاورون في مكّة وأثرهم في الحياة العلمية خلال الفترة من 570-660هـ/1174-1261م**، بحث مقدّم إلى ندوة "مكّة المكرّمة عاصمة الثقافة الإسلامية لسنة 1426هـ.

270) عبيريد نوري أحمد، **التواصل المعرفي بين علماء الغرب الإسلامي وشرقه في العصر المملوكي**، دوافعه ومظاهره، بحث مقدّم لأعمال المؤتمر الدولي الثاني اللغة العربية المنعقد بدبي (27، 30 جمادى الآخر 1434هـ/07، 10ماي 2013م).

271) المزروع وفاء بنت عبد الله سليمان، **إسهام الرحالة والمجاورين الأندلسيين على الحياة العلمية بمكّة من القرن الثاني حتى نهاية القرن السادس الهجري**، بحث مقدّم إلى ندوة مكّة المكرمة عاصمة الثقافة الإسلامية أيام 13، 08/14،15/ 1426هـ / 17، 18، 2005/09/19م بجامعة أم القرى بمكّة المكرمة.

272) الوراكلي حسن، **الأحباس العلمية عند المغاربة والأندلسيين**، بحث مقدم إلى مؤتمر، أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية، جامعة الشارقة بتاريخ 9، 10 مايو 2010م.

سادسا: المواقع الإلكترونية:

273) موقع شبكة الألوكة:

فيومي عاطف عبد المعز، معرفة المصطلحات والرموز عند المحدّثين، انظر، الموقع الإلكتروني، https://**alukah.net/sharia/0/76973**/.

274) موقع شبكة الألوكة: https://www.alukah.net/library/0058940/

275) موقع شبكة الألوكة:

https://alukah.net/manu/files/manuscript-8639/shafa-alighram-1.pdf

276) موقع شبكة الألوكة:

https://alukah.net/manu/files/manuscript-4305/makhtotat.pdf

277) موقع شبكة الألوكة:

https://alukah.net/manu/files/manuscript-8639/ejalat-alqra.pdf

278) موقع شبكة الألوكة:

https://alukah.net/manu/files/manuscript-2698/elmktot.pdf

279) موقع شبكة الألوكة:

معجم_تاريخ_التراث_الاسلامي_في_مكتبات_العالم_المخطوطات_والمطبوعات

https://books.islam-db.com/book/1429/

280) https://arabicmegalibrary.com/texts/10196?page=10052

281) مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث:

.https://www.almajidcenter.org/search_details.php?keyword،

282) https://library1.kuniv.edu.kw/manuscript/Scriptslist.asp?start=254

283) https://habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/6515.

284) معجم_تاريخ_التراث_الاسلامي_في_مكتبات_العالم_المخطوطات_والمطبوعات:

https://books.islam-db.com/book/1429/

فهرس المحتويات

-الرموز والاختصارات.....

-إهداء.....

-شكر وعرفان.....

-المقدّمة.....(أ-ل)

-الفصل التمهيدي: الأوضاع العلمية للمغرب الإسلامي والحجاز قبل ق06هـ/12.....**ص:13-53.**

- المبحث الأول: الحالة العلمية للمغرب الإسلامي قبل القرن 06هـ/12م...**ص:14.**

-المبحث الثاني: الحالة العلمية لبلاد الحجاز قبل القرن 06هـ/12م.....**ص:31.**

-الفصل الأول: التواصل العلمي بين المغرب الإسلامي والحجاز..ص:54-121.

-المبحث الأول: الرّحلة: مفهومها-فضلها-دوافعها.....**ص:55.**

-أولا: مفهوم الرّحلة..... **ص:56.**

-ثانيا: فضل الرّحلة وأهميتها.....**ص:59.**

-ثالثا: دوافعها وأسبابها.....**ص:63.**

-المبحث الثاني: الروابط الحضارية بين المغرب الإسلامي والحجاز.....**ص:66.**

- عوامل انتقال المغاربة إلى بلاد الحجاز.....**ص:67.**

-المبحث الثالث: الوجود المغربي في بلاد الحجاز.....**ص:84.**

-أولا: ما المقصود بمصطلح "المجاورين".....**ص:85.**

-ثانيا: المغاربة الذين جاوروا بالحرمين الشريفين.....**ص:88.**

– **ثالثا:** حصيلة الوجود المغربي بالحرمين.....**ص:94.**

–**المبحث الرابع:** كتب الرحلة المغربية صوب الحرمين الشريفين.....**ص:98.**

–**أولا:** الرّحالة ابن جبير المغربي (614هـ/1217م) .....**ص:99.**

–**ثانيا:** الرحالة ابن رشيد السبتي (ت: 721هـ/1320م) .....**ص:104.**

–**ثالثا:** الرّحالة القاسم بن يوسف التجيبي السبتي (730هـ/1329م)..**ص:106.**

–**رابعا:** الرّحالة القاضي خالد البلوي الأندلسي (ق8هـ/14م).....**ص:109.**

– **خامسا:** دور الرحلات المغربية في التأريخ لبلاد الحجاز.....**ص:112.**

–**الفصل الثاني: الأسر العلمية المغربية في بلاد الحجاز**.....**ص:116–178.**

–**المبحث الأول:** الأسر العلمية المغربية في المدينة المنورة.....**ص:117.**

–**أولا:** المكانة العلمية والدينية للمدينة المنورة.....**ص:117.**

–**ثانيا:** أصول أسرة ابن فرحون.....**ص:122.**

–**المبحث الثاني:** الأسر العلمية المغربية في مكّة المكرمة.....**ص:135.**

–**أولا:** أسرة القسطلاني.....**ص:135.**

–**ثاثيا:** أسرة الفاسي.....**ص:147.**

–**المبحث الثالث:** الإسهامات العلمية للأسر المغربية في الحجاز.....**ص:156.**

–**أولا:** إسهامات الأسر العلمية في المدينة المنورة.....**ص:156.**

–**ثانيا:** إسهامات الأسر العلمية في مكة المكرّمة.....**ص:165.**

-الفصل الثالث: جهود المغاربة في العلوم النقلية والعلوم الأخرى في بلاد الحجاز.....**ص:179-255.**

-المبحث الأول: جهود علماء المغرب الإسلامي في العلوم النقلية بمكة.....**ص:180.**

-أولا: جهودهم في علوم القرآن الكريم.....**ص:180.**

-ثانيا: جهودهم في علوم الحديث.....**ص:187.**

-ثالثا: جهودهم في الفقه وأصوله.....**ص:193.**

-المبحث الثاني: جهود علماء المغرب الإسلامي في العلوم النقلية بالمدينة المنورة.....**ص:199.**

-أولا: جهودهم في علوم القرآن الكريم.....**ص:200.**

-ثانيا: جهودهم في علوم الحديث.....**ص:204.**

-ثالثا: جهودهم في الفقه وأصوله.....**ص:208.**

-المبحث الثالث: جهود علماء المغرب الإسلامي في العلوم الأخرى بمكة المكرّمة.....**ص:213.**

-أولا: جهودهم في الزهد والتصوّف.....**ص:213.**

-ثانيا: جهودهم في اللغة والأدب.....**ص:216.**

-ثالثا: جهودهم في التاريخ والسير.....**ص:230.**

-رابعا: جهودهم في العلوم العقلية.....**ص:233.**

-**المبحث الرابع**: جهود علماء المغرب الإسلامي في العلوم الأخرى بالمدينة المنورة.....**ص:238**.

-**أولا**: جهودهم في الزهد والتصوّف.....**ص:238**.

-**ثانيا**: جهودهم في اللغة والأدب.....**ص:239**.

-**ثالثا**: جهودهم في التاريخ والسير.....**ص:249**.

-**رابعا**: جهودهم في العلوم العقلية.....**ص:250**.

-**الفصل الرابع: أثر المغاربة في المجتمع الحجازي**.....**ص:256-326**.

-**المبحث الأول**:الأثر العلمي للمغاربة في بلاد الحجاز(المصنّفات والمؤلّفات)**ص:257**.

-**أولا**: مصنّفاتهم في العلوم الشرعية.....**ص:257**.

-**ثانيا**: مصنّفاتهم في العلوم اللغوية .....**ص:270**.

-**ثالثا**: مصنّفاتهم في التصوّف .....**ص:273**.

-**رابعا**: مصنّفاتهم في التاريخ والسير.....**ص:274**.

-**المبحث الثاني**: الأثر الديني للمغاربة في بلاد الحجاز.....**ص:282**.

-**أولا**: الإمامة والخطابة بالحرمين الشريفين.....**ص:282**.

-**ثانيا**: تولي منصب القضاء .....**ص:289**.

-**ثالثا**: وظائف مرتبطة بالقضاء .....**ص:295**.

-**رابعا**: الأذان في الحرمين الشريفين.....**ص:298**.

-**المبحث الثالث**: الأثر التربوي الاجتماعي للمغاربة في بلاد الحجاز.....**ص:301.**

-**أولا**: إدارة الأربطة بالحرمين.....**ص:301.**

-**ثانيا**: إسهامهم في التأديب والتعليم.....**ص:307.**

-**ثالثا**: دور العلماء المغاربة في إصلاح المجتمع .....**ص:314.**

-**رابعا**: مساهمات المغاربة في الوقف على الحرمين الشريفين.....**ص:311.**

-**المبحث الرابع**: الأثر الاقتصادي للمغاربة في بلاد الحجاز.....**ص:321.**

-**أولا**: الصناعة.....**ص:321.**

-**ثانيا**: العطارة.....**ص:324.**

-**ثالثا**: التجارة.....**ص:324.**

-**رابعا**: الزراعة.....**ص:325.**

-**الخاتمة**..... **ص:327-330.**

-**الملاحق**..... **ص:331-362.**

-**الفهارس العامّة**..... **ص:363-408.**

-**المصادر والمراجع**..... **ص:409-444.**

- **فهرس المحتويات**..... **ص:445-449.**

- **الملخّص (عربي، إنجليزي)**..... **ص:450-453.**

الملخص باللغة العربية:

إنّ هذه الرسالة المعنوة بـ:" **الدور العلمي للمغاربة في بلاد الحجاز من القرن السادس إلى القرن التاسع الهجري /القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر الميلادي**" تضمّنت بين دفّتيها تسليط الضوء على جانب هام من الحياة العلمية، والمتمثل في تلك العلاقات والروابط التي كانت قائمة بين المغرب الإسلامي وبلاد الحجاز خلال فترة العصر الوسيط المحدد بين (ق06-09هـ/12-15م)، والتعرف على فئة من العلماء المغاربة الذين انحدروا من المغرب الإسلامي والأندلس باتجاه أرض الحجاز بهدف الإفادة والإستفادة في مجال العلوم الشرعية والعلوم الأخرى، وعن الأسباب والعوامل التي أدّت بهم إلى الانتقال من موطنهم الأصلي والرحلة نحو تلك البلاد الطاهرة أرض الحرمين سواء كانوا فرادى أو جماعات انطلاقا من القرن السادس إلى القرن التاسع للهجرة، وصولا بهم إلى مساهمتهم في تشكيل أسر علمية عريقة(كأسرة ابن فرحون، وأسرة القسطلاني، وأسرة الفاسي) استمدت جذورها من بلاد المغرب الإسلامي، ونشأت وأنبتت فروعها بمكة المكرمة أو بالمدينة المنورة، ومن ثمة ركّزت الأطروحة في بحثها عن جهودهم وإسهاماتهم في المجال العلمي والفكري من خلال العلوم التي برعوا فيها (سواء النقلية، واللغوية، العقلية)، ثمّ عرّجت على ذكر الأثر الذي تركه المغاربة في أربعة مجالات هي الأثر في المجال العلمي (المصنفات والمؤلفات) التي دوّنوها بمكة أو المدينة المنورة وورّثوها لأهل الحجاز ، والأثر الديني المتمثّل في توليهم للمناصب السلطانية (الإمامة والقضاء)، والأثر التربوي الاجتماعي المتمثّل في توليهم لمناصب هامّة في المجتمع كالربط والمدارس،

وختامـــا أثـــرهم في المجـــال الاقتصـــادي (الصـــناعة، التجـــارة، الزراعـــة) خـــلال فـــترة الدراسة من القرن 06 إلى القرن 09هـ / القرن 12 إلى القرن15م.

سائلا المولى القدير التوفيق والسداد، إنّه ولي ذلك والقادر عليه والحمد لله رب العالمين

الكلمات المفتاحية:

الدور العلمي، المغاربة، الحجاز، الرحلات العلمية، القسطلاني، التوزري، الفاسي، ابن فرحون.

الملخص بالإنجليزية:

Thesis Title:

The scientific role of Maghrebans in the country of Hijaz from the 06 to the 09 century AH / the 12 to the 19 century AD

Abstract

This thesis entitled: "The Scientific Role of Maghrebans in the Country of Hijaz from the 06 Hijri Century to the 09 Century Hijri / 12 Century AD to the 19 Century AD" included among its covers shedding light on an important aspect of scientific life, which is represented in those relationships and links that It existed between the Islamic Maghreb and the country of the Hijaz during the specific medieval period (between 06-09 AH / 12-15 AD), and the identification of a group of Maghreban scholars who descended from the Islamic Maghreb and Andalusia towards the land of the Hijaz with the aim of benefiting and getting benefit in the field of Sharia sciences and other sciences, and about the reasons And the factors which led them to move from their original homeland and journey towards those pure countries, the Land of the Two Holy Mosques, whether they were individually or in groups, starting from the sixth century to the ninth century AH., leading to their contribution to the formation of distinguished scientific families (such as the Ibn Farhoun family, the Qastalani family, and the Fassi family) It derived its roots from the countries of the Islamic Maghreb, and its branches grew up in Makkah Al-Mukarramah or in Al-Madinah Al-Munawwarah, and from there the thesis focused in its research on

their efforts and contributions in the scientific and intellectual field through the sciences that they excelled in (whether textual, linguistic, or rational), then I mentioned the impact left by the Maghrebans in four areas: the impact in the scientific field (works and publications) that they wrote down in Makkah or Madinah and bequeathed them to the people of the Hijaz, and the religious impact of their assumption of sultanate positions (the Imamate and the judiciary), and the social impact represented in their assumption of important positions in society such as the link, schools and the call to prayer, and finally their impact on the economic field (industry, trade, agriculture) during the study period from the 06th century to the 09th century AH / the 12th century to the 15th century AD.

Asking the Almighty My allah for success and payment, for he is the guardian of that and the one who is able to do it, and praise be to God, Lord of the worlds

keywords: The Scientific Role, The Maghrebans, The Hijaz, The Scientific Trips, Al-Qastalani, Al-Tawzari, Al-Fassi, Ibn Farhoun.